رواية

مكتبة

برنارد فيربير

# إمبراطورية الملائكة






ترجمة: أريج حمود

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط




إمبراطورية

الملائكة




Author: **Bernard Werber** | اسم المؤلف: برنارد فيربير

Title: **The Empire of the Angels** | عنوان الكتاب: إمبراطورية الملائكة

Translated by: **Arij Hammoud** | ترجمة: أريج حمود

P.C.: **Al–Mada** | الناشر: دار المدى

First Edition: **2023** | الطبعة الأولى: 2023








**للإعلام والثقافة والفنون**
*Al-mada for media, culture and arts*

بغداد: حي أبو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
+964 (0) 770 2799 999 — +964 (0) 780 808 0800 — +964 (0) 790 1919 290

بيروت: بشامون - شارع المدارس
Beirut: Bchamoun - Schools Street
+961 175 2617 — +961 706 15017 — +961 175 2616

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street
+963 11 232 2276 — +963 11 232 2275 — +963 11 232 2289 — ص.ب. 8272



برنارد فيربير




# إمبراطورية الملائكة

ترجمة : أريج حمود



## صدر للكاتب

## عن دار ألبين ميشيل

*ثلاثية النمل:*

النمل، 1991م

يوم النمل، 1992م

ثورة النمل، 1996م

*ثلاثية مغامري العلوم:*

والد آبائنا، 1998م

السر المطلق، 2001م

فراشة النجوم، 2006م

*ثنائية الملائكة:*

مستكشفو الموت، 1994م

إمبراطورية الملائكة، 2000م

*ثلاثية الآلهة:*

نحن، الآلهة، 2004م

نفخة الآلهة، 2005م

يصدر قريباً، سر الآلهة، 2007م

***كتب أخرى:***

كتاب السفر، 1997م

موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، 2000م

شجرة الاحتمالات (قصة قصيرة)، 2002م

أصدقاؤنا البشر (مسرحية)، 2003م



**إلى فيرونيكا**

«طرق الحكمة الثلاث هي:

الفكاهة، التناقض، التغيير».

دان ميلمان،

بطل العالم في رياضة الترامبولين.




تليجرام : هنا سور الأزبكية

# المحتويات



تلجرام أكبر مكتبة هنا سور الأزبكية
كتاب600000

## -1-

## كواليس الجنة




### 1. أنا أموت

*«في أحد الأيام، سنموت».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

إذاً أنا أموت.

حدث ذلك بشكل سريع وعنيف.

سمعت فجأة ضجة كبيرة، استدرتُ على إثرها فرأيت مقدمة طائرة بوينغ 747 (على الأرجح أنّها انحرفت عن مسارها بسبب إضراب عمال الملاحة الجوية)، اندفعت من زجاج نافذتي وحطمت الجدران واجتازت غرفة الجلوس وسحقت أثاث المنزل وهشّمت مقتنياتي الفنية، واتجهت نحوي باندفاعها الجنونيّ.

ربما نكون مغامرين، وقد نعتبر أنفسنا مستكشفين أو روّاداً في عوالم جديدة، ولكن لا بدّ أن ينتهي بنا المطاف يوماً لنجد أنفسنا بمواجهة مشاكل تتجاوزنا. في كلّ الأحوال، إنّ اختراق طائرة لغرفة الجلوس في منزلي، مشكلة تفوق قدرتي.

ما جرى بعدها أستطيع وصفه بالصورة البطيئة: في خضمّ ضجيج يصمّ الآذان، وبينما تحطّم ديكور المنزل وتناثر حولي بآلاف القطع، ارتفعت دوامات هائلة من الغبار والرّكام، لمحت في تلك اللحظة وجهَي الطيارين.

كان الأول طويلاً ونحيلاً والآخر قصيراً وأصلعَ. كانا مشدوهين. لا بدّ وأنّها كانت المرة الأولى التي يصحبان فيها الركاب إلى منازلهم مباشرة. بدا وجه الطيّار الطويل والنحيل مبهوتاً من الرعب بينما ظهرت على ملامح الطيار الثاني جميع علامات الذعر الشديد. لم أكن أستطيع سماعهما بسبب الهدير الكبير، ولكن ذا الفم المفتوح كان يبدو وكأنّه يصرخ بقوة.

تراجعتُ إلى الخلف، ولكن طائرة تتقدم نحوي بكامل زخمها، وبالتحديد إن كانت طائرة بوينغ 747 لن تتوقف بغتة. وكحركة سخيفة، وضعت يديّ على وجهي الذي انكمش وأغلقت عينيّ بإحكام. كنت لا أزال آمل حتى تلك اللحظة أن يكون هذا الهجوم مجرد كابوس.

وانتظرت حينها، ليس طويلاً، ربّما عُشر من الثانية، ولكنّها بدت لي طويلة جداً. وبعدها حصل الاصطدام. ارتطام هائل دفعني للخلف، ومن ثمّ ثبتني على الحائط قبل أن يسحقني تماماً. بعدها، أصبح كل شيء صامتاً ومظلماً. هذه هي الأشياء التي تفاجئنا على الدوام. ليس فقط أخطاء تحويل المسارات الجوية لطائرات البوينغ، وإنّما نهايتنا أيضاً.

لا أريد الموت اليوم، فأنا ما زلت في ريعان الشباب.

لم يعد هناك صور ولا أصوات ولا إحساس بالمحيط الخارجي. هُسسسس... هذه إشارة سيئة... إنّ جهازي العصبي ما زال يمتلك بعض الفعالية. قد يكون ممكناً إذاً «استعادة» جسدي. إن حالفني الحظ، ستصل النجدة في الوقت المناسب، وسيعيدون تشغيل القلب، وسيجمعون من هنا وهناك كافة الأطراف المكسورة ويلصقونها، وسأظلّ قابعاً في السرير فترة طويلة، وسيرجع كلّ شيء تدريجياً كما كان، وسيقول الجميع من حولي إنّ نجاتي من هذا الحادث كانت معجزة فعلاً.

هيّا، أنا أنتظر النجدة. سوف يأتون. ولكن أين هم؟ ماذا يفعلون؟ أنا هنا. لا بدّ وأنّ هناك اختناقات مرورية في كلّ مكان في مثل هذه الساعة.

أعرف أنّه يجب عليّ عدم الاستسلام للرحيل، فليس الموت سوى لامبالاة. لذا يجب أن يبقى دماغي متحفزاً. يجب أن أفكر. بماذا سأفكر؟

حسناً، لأردّد أغنية من عهد طفولتي.

*«كان هناك زورق صغير*

*كان هناك زورق صغير*

*لم يبحر أأأ أبداً*

*لم يبحر أأأ أبداً...»*

ماذا بعدها، ما هي الكلمات؟

سحقاً، ذاكرتي أيضاً أعلنت الإضراب هي الأخرى. لقد أُغلقت المكتبة.

إنّ دماغي تعطل، أشعر بذلك جيداً، لكن أنا... ما زلت أفكر. كان ديكارت مخطئاً. يمكن «ألّا نعود موجودين» و«نستمرّ بالتفكير». حتى إنّني أقوم بما هو أكثر من التفكير، فأنا أملك وعياً تاماً لما يجري، أو بالأحرى لكلّ ما يجري. لم أكن واعياً في حياتي كما أنا الآن.

أشعر أنّ هناك حدثاً مهماً سيحدث قريباً. أنا أنتظر. ها هو، أشعرُ... أشعرُ أنّ... شيئاً ما يخرج مني! بخار ينبعث مني. هذا البخار الذي يأخذ شكل قميصي الجسدي. كما لو أنّه صورة طبق الأصل عني!

هل هذه هي «روحي»؟ هذا «الأنا الآخر» الشفاف يخرج ببطء من جسدي عبر قمة رأسي. أنا خائف ومتشوق في الوقت عينه. إنّني أتأرجح.

يراقب هذا «الأنا الآخر» جسدي القديم الذي تحوّل إلى قطع صغيرة مبعثرة في كلّ مكان. حسناً، عليّ أن أواجه الواقع، ما لم يعثروا على طبيب جراحة ماهر وشغوف جداً بتركيب قطع البازل ذي الألف قطعة... فلن يكون بالإمكان استعادة جسدي.

يا للهول، أيّ شعور هذا! أنا أطير، أصعد.

هنالك خيط فضيّ لا يزال يربطني بجسدي القديم وكأنّه حبل سرّي. أتابع طيراني ويواصل هذا الشريط الفضي الامتداد أيضاً.

*«كان هناك زورق صغير*
*لم يبحر !!! أبداً».*

أنا هو هذا الزورق الصغير. إنّ جسدي يسبح. أنا أطير، وأبتعد عن جسدي القديم. أستطيع أن أميِّز الآن بشكل أفضل طائرة البوينغ 747، إنّها محطمة. كما يمكنني أن ألقي نظرة عامة على مبنانا القديم. صار يشبه حلوى ميل فوي ذات الطبقات؛ فقد تكدست الطوابق فوق بعضها.

إنّني أحوم فوق الأسطح. أنا في السماء.

ولكن ما الذي أفعله هنا؟

*«أنا أستاذ في كلية الأنثروبولوجيا في جامعة باريس، وأعتقد أنّه باستطاعتي الإجابة عن سؤالك. يمكننا القول إنّ الحضارة الإنسانية ظهرت منذ أن توقف بعض أشباه البشر[1] عن رمي جثث أمواتهم في القمامة، وقاموا على العكس من ذلك، بتغطيتها بالأصداف البحرية والزهور. وقد تمّ اكتشاف أول مدفن مزخرف بالقرب من البحر الميت، وتبيّن عبر الكربون المشع أنّ تاريخه يعود إلى 120000 عام. هذا يعني أنّ الناس في هذه الأزمنة الغابرة، كانوا يعتقدون أنّ الموت تتبعه ظاهرة «سحرية». يمكننا الملاحظة أيضاً أنّه ظهر في الوقت ذاته الفن التجريدي في محاولة لوصف هذا «السحر».*

*وجاءت لاحقاً أولى الأعمال الفنية الرائعة لهؤلاء الفنانين الذين سعوا لتخيل «ما بعد الموت». وكان هذا على الأرجح محاولة لطمأنة أنفسهم...»*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

---

1- Primate: أولى الثدييات المنتصبة على قدمين وهم أسلاف الإنسان العاقل. المترجمة.

شيء ما يجذبني في الأعلى. إنّه ضوء مذهل. والآن سأعرف أخيراً. سأعرف ما الذي يوجد بعد الحياة؟ ما الذي يوجد فوق عالمنا المرئي؟

أحلّق فوق مدينتي.

أحلّق فوق كوكبي.

أخرج من الحيّز الأرضي، ويمتد حبلي الفضي أكثر إلى أن ينقطع أخيراً.

والآن لم يعد هناك أيّ احتمال للعودة. لقد انتهت حياتي فعلياً في شخص مايكل بينسون، هذا الرجل الأسمر حقاً إلّا أنّه ارتكب خطأ الموت.

في اللحظة التي أغادر فيها «الحياة»، أدرك كم كنت أعتبر الموت أمراً لا يحصل إلّا مع الآخرين. أسطورة، أو على الأقلّ تجربة قد لا أمرّ بها أنا شخصياً.

سنموت جميعاً في أحد الأيام، و«أحد الأيام» هذه بالنسبة لي هو هذا اليوم.

*«أعتقد أنّه بعد الموت لا يوجد شيء، لا شيء البتة، أعتقد أنّ استمرارية الحياة تكمن في إنجاب الأطفال، الذين سيقومون هم أنفسهم بإنجاب أطفال آخرين وهكذا دواليك... فهم من يحملون شعلتنا الصغيرة عبر الزمن».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 2. النقلة الكبرى

أعرف أنّني ما عدت أملك الخيار. فالأرض لم تعد سوى غبارٍ في البعيد، والأشلاء المتناثرة لجسدي القديم هناك تمّ العثور عليها الآن فقط من قبل عناصر النجدة.

المدهش أنّني أسمع أصواتهم. «أيّ حادث هذا! إنّ اصطدام طائرة بأحد المباني ليس حدثاً يومياً. ماذا نفعل للعثور على بقية الجثث وسط هذه الأنقاض الاسمنتية المتراكمة؟».

حسناً، لم تعد هذه مشكلتي.

بيد أنّ هذا الضوء البهيّ يجذبني، فأتوجه نحو مركز المجرة. أخيراً رأيتها. إنّ قارة الموتى هي الثقب الأسود الذي يقع وسط مجرة درب التبانة.

يبدو الثقب كمصرف بالوعة، دوامة تجعل كلّ شيء يدور حولها بمسارات حلزونية. أقترب أكثر. إنّه يشبه زهرة خفّاقة، مثل زهرة أوركيد عملاقة مكوّنة من دوامة من غبار الضوء.

يمتصّ هذا الثقب الأسـود كلّ شيء: الأنظمة الشمسية والنجوم والكواكب والنيازك. كما أنّه يجذبني أنا أيضاً.

تذكرت خرائط قارة الموتى والسماوات السبع. ها أنا أرسو في... السماء الأولى. إنّها منطقة زرقاء مخروطية، ندخلها عبر زبدٍ من النجوم.

*«يولد الملايين من البشر سنوياً على الأرض. إنّهم يحولون أطناناً من اللحوم والفواكه والخضار إلى أطنانٍ من الفضلات. يتحركون يتكاثرون ومن ثمّ يموتون. لا شيء استثنائي ولكن هنا يكمن معنى وجودنا في: الولادة والطعام والحركة والتكاثر والزوال.*

*وفي أثناء هذه الحياة، يخيّل للمرء أنّه ذو شأن عظيم حين يصدر ضوضاء من فمه، ويحدث حركات بقدميه ويديه. أمّا أنا فأقول: إننا تافهون ومصيرنا أن نتعفّن لاحقاً ونصبح غباراً».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

أستطيع أن أميّز الآن وأنا على عتبة قارة الموتى الموجودين هنا، فبالقرب مني موتى آخرون يشبهون الفراشات الملكية المهاجرة، يندفعون نحو الضوء.

أرى ضحايا حوادث الطريق، والمحكومين بالإعدام، والمسجونين الذين توفوا تحت التعذيب، والمرضى المصابين بأمراض مستعصية، كما يوجد عابر سبيل سيئ الحظ مات على إثر وقوع أصيص ورد على

رأسه، ورحّالة غرّ اختلط عليه الأمر بين الأفعى السامة والمسالمة، وعامل تصليحات انغرز فيه مسمار صدئ ولم يكن قد تلقى لقاحاً ضد الكزاز.

بعضهم جلب المتاعب لنفسه؛ كالطيارين هواة الأجواء الضبابية الذين يجهلون قواعد الطيران الآلي، والمتزلجين الذين يتزلجون خارج المسارات المحددة ولم يتنبهوا للصدع في الجبل، والمظليين الذين اشتعلت النيران في مظلاتهم، ومروّضي الوحوش البرية الذين لم يتوخّوا الحذر، وسائقي الدراجات النارية الذين ظنوا أنّهم يملكون الوقت الكافي لتجاوز الشاحنة.

هؤلاء هم موتى اليوم. ألقي عليهم التحية.

ومن بين الأموات الذين كانوا قريبين مني لدرجة أكاد ألامسهم تقريباً، أستطيع التعرّف على خيالات أشخاص مألوفين أكثر بالنسبة إليّ. إنّها زوجتي روز! وأماندين، عشيقتي السابقة!

تذكرت.

كانتا في الغرفة المجاورة حينما اصطدمت طائرة البوينغ 747 بمبنانا في بوت شومون، وهما اللتان خضت معهما مغامرة «الثاناتونوتس» العظيمة.

ثاناتونوتس، جاءت هذه الكلمة من *ثاناتو* وتعني الموت، و*نوتس* وتعني مستكشفين.

صاغ هذا المصطلح صديقي راؤول رازورباك، وما إن حصلنا على الكلمة حتى حصلنا على المعرفة، وما إن حصلنا على المعرفة وجدنا الروّاد. أنشأنا مبنى أسميناه ثاناتودروم وأطلقنا بعدها تجربة الثاناتونوتسية.

كان هدفنا هو تخطّي مفهوم «*الأرض المجهولة* لما بعد الحياة»، وقد رُمنا ما نصبو إليه. لقد رفعنا الستار عن آخر وأعظم سرّ، ألا وهو معنى موت البشر. سبق وأن ذكرت جميع الأديان ذلك، كما وصفته جميع الأساطير بتعابير مجازية متفاوتة الدقة، وقد كنا نحن أوائل من تناول الموضوع بشكل طبيعي كما لو أنّه اكتشاف لقارة «عادية».

كنّا قلقين من احتمال عدم تمكننا من إكمال مغامرتنا. ولم تكن حادثة اصطدام طائرة البوينغ 747 بمبنانا محض مصادفة، بل دليلاً على أنّنا تسبّبنا بإزعاج «العالم العُلوي».

ومن هنا، أرى من جديد ما سبق واكتشفناه... ولكن مع فرق أنّني الآن في رحلة ذهاب فقط. لأنّ الحبال قد قُطعت، وأعرف جيداً أنّ أيّة عودة هذه المرة، إلى أجسادنا السابقة غير معقولة. إنّنا نغرق في مخروط يضيق تدريجياً. وها نحن نعبر المنطقة الأولى حتى نهايتها، ونصل إلى جدار على شكل غشاء لين ومعتم. بما أنّ ماخ 1 كان أول جدار الصوت، فقد ارتأيت أنا وأصدقائي في السابق، على تسمية أول جدار للموت باسم ماخ 1. وها نحن اليوم، جميعنا، سنعبره سوية.

أتردد في عبوره، أما الآخرون فقد عبروه مباشرة. لا بأس، سأعبر أنا أيضاً. ها نحن نطلّ على...

*«عار، هذا عار، أنا ممرضة في قسم الرعاية التلطيفية السرطانية[1]. وبحكم مرافقتي للمرضى وهم يحتضرون، كوّنت فكرتي الخاصة حول الموضوع. وأجد أنّ هذا عار. أعتقد أنّنا نتظاهر بأنّ الموت لا وجود له، فالأحفاد يشاهدون في يوم ما سيارة الإسعاف تأتي لتصطحب جدّهم إلى المستشفى. وبعد بضعة أسابيع من التوقف عن رؤيته، يأتيهم اتصال في صباح أحد الأيام ليعلن وفاته. والنتيجة أنّ الأجيال الجديدة لا ترى فعلياً ما هو الموت. وعندما يصبح هؤلاء الأحفاد بالغين ومن ثمّ مسنين ويواجهون الموت بأنفسهم، يصابون بالذعر. ليس فقط لأنّ هذا يتعلق برحيلهم هم، بل لأنّهم يجدون أنفسهم يواجهون مصيراً مجهولاً كلياً. إن كان عليّ أن أقدّم نصيحة للأحفاد فستكون: لا تخافوا، اذهبوا وقابلوا أجدادكم في المستشفى! فهناك سوف تتلقون أكبر درس في... الحياة».*

• المصدر: *شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

---

1- أحد مجالات الرعاية الطبية، تركز على تخفيف المعاناة التي يعاني منها مرضى السرطان والأمراض الخطيرة. المترجمة.

عبرتُ الجدار الأول وها أنا أطلّ على... السماء الثانية. المنطقة السوداء لجميع المخاوف.

تتجسّد هذه المخاوف على شكل أهوال تأتي من أغوار مخيلتي. ظلمات وارتعاشات، ووحوش طائشة وشياطين عصرية ترحِّب بي.

أواجه كوابيسي الأكثر قباحة فوق تسع حواف جبلية تزداد انحداراً أكثر فأكثر. ولكنّ الضوء المركزيّ لا يزال حاضراً وهو يقودني مباشرة إلى الأمام.

أتصدّى لجميع مخاوفي التي تواجهني في حالة من شبه الظلام. وأصل بعدها إلى باب جديد، غشاء مظلم كامد، ماخ 2. أعبره وأطلّ على...

*«أنا أرملة وقد رافقت زوجي حتى آخر أيامه. جرى ذلك في خمس مراحل. في البداية، رفض الموت. وطالب أن تستمرّ حياتنا كما كانت عليه، ولطالما تحدث عن عودته إلى المنزل بعد أن يُشفى. ومن ثمّ أصابه غضب عارم بعد أن أخبره الأطباء بعدم وجود أمل في نجاته. يبدو أنّه كان يبحث عن مذنب ما، لذا فقد اتهم طبيبه المعالج بعدم الكفاءة، واتهمني أنّني وضعته في مستشفى سيئ السمعة، كما اتهمني أنّني أسعى وراء أمواله وأنّني أقوم بذلك عمداً من أجل الحصول على الإرث بأسرع وقت. لقد لام الناس كثيراً على تخليهم عنه وعدم مجيئهم لرؤيته. يجب القول إنّه كان فظّاً للغاية حتى إنّ الأطفال صاروا يتململون من القدوم إليه. وبعد ذلك، هدأت أعصابه ودخل في المرحلة الثالثة والتي يمكن تسميتها «مرحلة البائعين في الأسواق الشعبية». فقد كان يساوم مثلهم: حسناً، لا أمل لي في الحياة ولكن أريد أن أعيش حتى يوم عيد ميلادي، أو بالأحرى، أرغب بالبقاء حياً حتى موعد بطولة كأس العالم لكرة القدم، أو أن أشاهد المباراة نصف النهائية، أو على الأقل حتى مباراة ربع النهائي.*

*عندما فهم أنّه هالك لا محالة، أصيب بالاكتئاب. كان ذلك رهيباً. لم يعد يرغب بالتحدث ولا بتناول الطعام. كان*

*ذلك كما لو أنّه تخلّى فجأة عن كلّ شيء. لم يعد يقاوم وفقد كلّ طاقته. بدا تماماً مثل ملاكم مذهول استسلم لخسارته وارتمى على الحبال منتظراً الضربة القاضية.*

*في النهاية، دخل في المرحلة الخامسة وهي «القبول». استطاع أخيراً استعادة ابتسامته. طلب سماعات شخصية ليستمع إلى موسيقاه المفضلة. صار يحبّ كلّ شيء وخصوصاً أغنية «ذا دورز»، فقد كانت تذكره بشبابه. لقد مات وهو مبتسم تقريباً، واضعاً السماعات على رأسه وهو يصغي لجملة: ها هي النهاية».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

... العالم الأحمر لتخيلاتي بعد العالم الأزرق للدخول والعالم الأسود للخوف. تتجسد في هذا العالم رغباتي المجنونة الأكثر تطرفاً.

إنّني في السماء الثالثة. إحساس بالمتعة والنار والحرارة الرطبة. منعشة سماء الرغبة الجنسية. أقف وجهاً لوجه أمام أشدّ تخيلاتي الجنسية غرابة، وشهواتي المكبوتة عميقاً. إنّني أغوص فيها. تحضر في ذهني مشاهد مثيرة جداً. كما تتوسل لي الممثلات الفاتنات وعارضات الأزياء الأكثر جاذبية كي أعانقهنّ.

وعلى النحو ذاته، تواجه كلّ من زوجتي وعشيقتي السابقة أجمل الشبان.

أرغب في البقاء هنا ولكنّني أعود وأركز على الضوء المركزي مثل غواص بحريّ قلق من الابتعاد عن حبله. أعبر إذاً ماخ 3.

*«الموت، نرغب ألّا يكون موجوداً. ولكن في الواقع، إذا أردت رأيي، فإنّه لمن دواعي السرور وجوده. لأنّ أسوأ شيء يمكن أن يحدث لنا هو أن نكون خالدين. كم كنا سنشعر بالملل، ألا تعتقد هذا؟»*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

السماء الرابعة: المنطقة البرتقالية. المنطقة التي نعاني فيها آلام الزمن الذي يمضي. نشاهد صفاً من الموتى يمتد إلى ما لا نهاية حتى ما بعد الأفق، وهو بالكاد أسرع من صف الانتظار البطيء على مدخل السينما.

يبدو بعضهم، بحسب ملابسهم، أنهم ينتظرون هنا منذ قرون. هذا إن لم يكونوا ممثلين في فيلم كارثي، أي إنّهم جميعهم ضحايا حادث تصوير، فمن المؤكد أنهم موتى قديمون جداً ما يزالون يراوحون مكانهم هنا.

إنّهم ينتظرون.

هذه المنطقة البرتقالية هي بلا شك المكان الذي تسميه الديانة المسيحية «المطهر». أشعر أنّنا نحن أيضاً يجب علينا التموضع في نهاية الصف والانتظار. بيد أنّني في السابق، حين كنت على الأرض، كان لديّ عادة سيئة وهي عدم احترام دوري في صفوف الانتظار، وقيامي بتجاوز الجميع. وقد عاد عليّ هذا السلوك بالمناسبة بشجارات لا تنسى، وحتى إلى تبادل للكمات. ورغم ذلك، ها نحن الآن نتجاوز دورنا. حتى مع اعتراض بعضهم بالصراخ أنّ هذا ليس من حقنا، ولكن لم يوقفنا أحد.

وأنا أتقدّم الحشد، أرجع في التاريخ إلى الوراء وأكتشف أبطال معارك هوميروس الذين درستهم في كتبي المدرسية، كما أرى فلاسفة يونانيين وملوكاً لبلدان اندثرت عن الخريطة منذ زمن بعيد.

كنت أرغب بالفعل أن أحظى بتوقيع منهم ولكنّ المكان لم يكن مناسباً كثيراً لهذا.

حلّقت أنا وروز وأماندين فوق الموتى. إنهم يشكلون نهراً واسعاً يجري نحو الضوء (هل هذا هو نهر ستيكس[1]؟). يشكّل مدخل المنطقة البرتقالية منبع النهر، وكلما تقدمنا أكثر يضيق المجرى إلى أن يصبح جدولاً. وجدنا أنفسنا في النهاية أمام باب جديد معتم. إنّنا نجتاز ماخ 4.

*«الموت، لا أفكر فيه مطلقاً. مجرد التفكير به يجعلني*

---

1- نهر مذكور في الميثولوجيا الإغريقية، يجري سبع مرات حول عالم الأموات. المترجمة.

*أخاف من جذبه إليّ. أنا أعيش، وأعيش، وبعدها ليحصل ما يحصل، سنرى في حينه».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

نحن الآن في السماء الخامسة. المنطقة الصفراء. سماء عالم المعرفة. هنا حيث يتم الكشف عن أكبر الأسرار البشرية. حصلت أثناء عبوري على بعض المعلومات القيمة التي لن أستطيع للأسف نقلها إلى أقراني الذين ما يزالون أحياء.

يتملّكني إحساس بالحكمة العظيمة. هناك أصوات خافتة أخذت تشرح لي أموراً لم أكن أفهمها مطلقاً في السابق. أسمع الإجابات الواحدة تلو الأخرى عن أسئلة عميقة كنت قد طرحتها عفوياً أثناء حياتي الأخيرة.

إنّ صفّ الموتى يضيق.

ما يزال الكثير من الموتى يتريثون وهم مفتونون بالإجابات عن أسئلة لطالما قضّت مضجعهم. يصبح الجدول جديولاً. أجبر نفسي على عدم التأثر بكلّ هذه الحلوى الروحية. أتمسّك بالضوء. أخرج من ماخ 5 وأطلّ على ...

*«الدهشة.*

*نعم، يمكنني القول إنّها دهشة مشتركة. لقد خرجت من السجن مؤخراً بعد تخفيف الحكم لحسن السلوك، وذلك إثر حكم إلزاميّ بالسجن ثلاثين سنة. أستطيع إذاً التحدث الآن دون خوف من المساءلة. لقد قتلت أربعة عشر شخصاً. عندما كنت أقتل، كنت أتفاجأ برؤية الناس مذهولين، وحتى غاضبين بعد إخباري لهم أنّني سأضع حدّاً لحياتهم. يبدو أنّهم كانوا يتصورون أنّ حياتهم هي ملكهم تماماً مثل سيارتهم وكلبهم ومنزلهم».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

... السماء السادسة. المنطقة الخضراء. أكتشف فيها الجمال. أرى فيها الأحلام، وأحس بالألوان والتناغم. أشعر أنني بشع ومغفل. يتجمع العديد من أموات نهر الموتى هنا، مفتونين برؤية الجمال.

تشدني زوجتي روز من ذراعي. يجب المضي قدماً دون السماح لأنفسنا بالانقياد وراء هذا المشهد.

إنّنا نتقدم، وعددنا يقلّ شيئاً فشيئاً.

وها أنا أجتاز ماخ 6 لأطلّ على... السماء السابعة، المنطقة البيضاء.

يبدو أنّ الوصول إلى هنا هو مبتغى هجرة الأموات. ينبعث الضوء من سلسلة جبلية، حيث يأتي البريق الأبهى من الجبل الأعلى. إنّني أتوجه نحو هذه الذروة، ويقودني الطريق نحو مسرح المحاكمة.

لم يعد نهر الموتى الطويل في الوسط سوى رافدٍ صغيرٍ، يسير قطرة قطرة. تنتظر كل روح أن يُنادى على الروح التي تسبقها للذهاب إلى النافذة كي تستطيع التقدم خطوة إلى الأمام وتقف خلف الخط المخصص لهذا الغرض.

دخلت أنا وروز وأماندين في صفّ الانتظار هذا.

جاءت شخصية شفافة لاصطحابنا. عرفت للوهلة الأولى من يكون. إنّه حارس المفاتيح. حاجب الجنة، ويسمّى أيضاً أنوبيس أي سيد المقابر عند المصريين، ويدعى ياما إله الموتى عند الهندوسيين، وشارون القبطان الذي ينقل الموتى ليعبروا نهر الستيكس عند الإغريق، وعطارد مرشد الأرواح عند الرومانيين، والقديس بيير عند المسيحيين.

– اتبعوني...

إنّه رجل طويل ذو لحية يبدو عليه القليل من الغرور.

– حسناً.

يبتسم ويهزّ برأسه. رائع، عندما أتحدث فهو يسمعني أيضاً. يقودنا إلى الأمام مباشرة نحو مسرح المحاكمة. وقفنا أمام ثلاثة قضاة شرعوا بالتحديق فينا دون قول شيء. أسمع القديس بيير يصرخ من مكان ما:

الاسم: مايكل
الكنية: بينسون
الجنسية: فرنسية
لون الشعر في آخر حياة: بني
العينان: بنيتان
الطول في آخر حياة: 1,78م
علامة مميزة: تامّ
نقطة الضعف: قلّة الثقة بالنفس
نقطة القوة: الفضول

أعرف من يكون هؤلاء القضاة الثلاثة. هم أيضاً كان لهم أسماء مختلفة في جميع الأساطير: زيوس وثيميس وثاناتوس عند الإغريق. ماعت وأوزيريس وتحوت عند المصريين. إيزانامي وإيزاناغي وأومويكان عند اليابانيين. رؤساء الملائكة الثلاثة: جبرائيل وميخائيل ورافائيل عند المسيحيين.

– سوف توزن روحك. قال لي ذلك أطول الملائكة الثلاثة، جبرائيل. إذاً فإنّ هذه الإكتوبلازما[1] هي روحي...

– لنحاكم هؤلاء الثلاثة مع بعضهم. أضاف قائلاً رافائيل، أضخم الملائكة.

صدر حكمهم سريعاً. اتهمنا رؤساء الملائكة الثلاثة أنّنا في سعينا لاكتشاف عالم الموت، قمنا بالكشف مبكراً جداً وعلى نطاق واسع للغاية، عن أسرار العالم الآخر، هذه الأسرار المخصصة فقط للمستنيرين العظماء[2]. لم يكن من حقنا الكشف عن معنى الحياة ومعنى الموت للناس الآخرين.

1- إكتو يعني «خارج»، وبلازما تعني «شكلاً ذا هيئة». مصطلح يُستخدم في عالم الروحانيات إشارة إلى مادة أو طاقة روحانية مرتبطة بشخص ميت، لا يراها غالباً سوى الوسطاء الروحانيين. المترجمة.
2- مصطلح في العقيدة الباطنية الروحية «إيسوتيريكوس»، يشير إلى كلّ شخص يمتلك العديد من القدرات والقوى الخارقة بالإضافة إلى العلوم السرّية. المترجمة.

- بدافع الفضول البحت قمتم باكتشاف السماوات السبع، وأعلمتم بها عامة الناس هكذا بطريقة... مجانية وعلمانية محضة!

- لم يمنحكم أيّ أحد هنا الإذن بنشر هذا النوع من المعلومات السرية.

- لو أنكم قمتم على الأقل بإخفائها وراء الأمثال والأساطير...

- لو أنكم اشترطتم على الأقل أن يمتلك الشخص معرفة ما لتكشفوا له من بعدها عن هذه الأسرار...

استحضر الملائكة الثلاثة جميع الأضرار التي كان من الممكن أن تتسبّب بها معلوماتنا الخاطفة عن أسرار قارة الموتى.

- كان الناس سينتحرون بدافع الفضول فقط «لزيارة» الجنة كسياح.

- لحسن الحظ أنّنا تدخلنا في الوقت المناسب لِـوَأد أخطائكم الخرقاء في مهدها.

اعتقد رؤساء الملائكة الثلاثة أنّهم سيضطرون لتدمير جميع الكتب التي تناولت موضوع الثاناتونوتس، وجميع المكتبات الشخصية والعامة التي تضمّ هذه الكتب. كما اعتقدوا أنّه يتوجب عليهم التلاعب بالذاكرة الجمعية للبشر كي يمحوا كلّ أثر لأخطائنا. ولكن لحسن حظهم، لم يكن هذا ضرورياً. فكتاب ثاناتونوتس لم يلقَ أساساً أيّ صدى. وبعض الناس الذين وقع نظرهم مصادفة على هذا الكتاب، ظنوا أنّه مجرد قصة خيال علميّ مثل الكثير من الأعمال غيره. إنّ صدور كتابنا مرّ مرور الكرام، وغرق تحت موجة المطبوعات الجديدة.

هذه هي الطريقة الجديدة التي تُمارس بها الرقابة الآن. إنّها لا تعمل بطريقة الإخفاء وإنّما الإسراف. فيتمّ خنق الكتب المزعجة تحت الكم الهائل من الكتب التافهة.

لذلك لم يتدخل الملائكة الثلاثة بشكل مباشر، ولكنّهم كانوا قلقين وكان علينا دفع ثمن ذلك. ليس هناك سوى حكم واحد ممكن ألا وهو: الإدانة.

- الإدانة بماذا؟ سألت أماندين. بالذهاب إلى الجحيم؟

حدق رؤساء الملائكة الثلاثة بأماندين بكل لطف.

- الجحيم؟ عـذراً، فلا وجود له. ليس هنالك سوى الجنة أو...

الأرض. فالناس الذين يخفقون يُحكم عليهم بالعودة والتجسّد من جديد على الأرض.

– إذاً، يمكننا القول إنّ «الجحيم هو الأرض»، قال رئيس الملائكة رافائيل بشيء من المرح.

ذكّر الملاك جبرائيل:

– إنّ إعادة التجسّد تشبه تجربة امتحان الشهادة الثانوية العامة في المدرسة الثانوية، فمن يفشل يعيد السنة. وفيما يخصكم، فأنتم راسبون. إذاً، عليكم العودة إلى البداية كي تقوموا بدورة جديدة.

أخفضت رأسي.

فكّرنا جميعاً، أنا وزوجتي روز وصديقتي أماندين بالفكرة نفسها: «حياة أخرى دون فائدة».

كم من أناس قبلنا كان عليهم أن يطلقوا التنهيدة ذاتها؟

نفد صبر الموتى الآخرين، فراحوا يستعجلوننا لإخلاء المكان. قادنا القديس بيير نحو الجبل، وها نحن نصل إلى قمته. إنّ ذروته تبعث ضوءاً باهراً هو من سبق وأرشدنا إلى المحاكمة الأخيرة.

يظهر أدناه مباشرة نفقان. مدخل أحدهما محاط بإطار لونه بنيّ ترابي، أمّا الآخر فلونه أزرق بحري. يقود المدخل البنيّ إلى الأرض لخوض حيوات جديدة، ويقود الأزرق إلى بلاد الملائكة. لا توجد لافتات ترشدنا ولكن مثل كلّ شيء هنا، تدخل التفسيرات بشكل مباشر إلى أذهاننا.

تركنا القديس بيير أمام النفق البنيّ بعد أن لوّح لنا بآخر إشارة وداع خاطفة.

– إلى اللقاء، بعد حياتكم القادمة! قال ذلك باقتضاب.

شرعنا بالسير في الممر، فاصطدمنا في منتصف الطريق بغشاء معتم شبيه بأغشية الماخ التي تغلق السماوات السبع. بعد عبور هذا الجدار سوف نهبط لحياة جديدة. أخذت أماندين تنظر إليّ وهي مستعدة للذهاب.

– الوداع يا صديقيّ، لنبذل جهدنا كي نلتقي من جديد في حياتنا القادمة.

غمزتني خلسة. لم تنجح في الحفاظ عليّ كشريك دائم في هذه الحياة، ولهذا فهي تعوّل على الحياة القادمة للنجاح في ذلك.

– هيّا، إلى الأمام نحو مغامرات جديدة. أعلنت ذلك وهي مستعجلة.

أسرعت روز نحوي. فهمست في أذنها كلمات الثاناتونوتس التحفيزية التي كنا نقولها أثناء الحروب العظمى لاستعمار قارة الموتى:

– أنا وأنت معاً ضد الحمقى.

ولعدم وجود أجساد لنتعانق، تبادلت شفتا الإكتوبلازما لكلينا القبل. لم تشعر شفتاي بأيّ شيء، ولكنّ كياني كله قد تأثر.

– معاً...، رددت قائلة بدورها.

أمسكنا بأيدي بعضنا للحظة، وبعدها تلاقت فقط أطراف أصابعنا، ومن ثمّ تشابكت سبابتانا وأخيراً تباعدت أيدينا عن بعضها.

استدارت روز كي تختصر هذه اللحظة المؤلمة، واتجهت سريعاً نحو تجسدها الجديد.

حسناً، جاء دوري. سرت بخطى واثقة في الممر، وأنا أردد في نفسي أنّه يجب قطعاً أن أتذكر في حياتي القادمة أنني كنت ثاناتونوتس.

إنّ إكتوبلازما روحي ترتجف وأنا أتقدم. سأعرف أخيراً ما الذي يوجد خلف هذا الجدار.

على الجانب الآخر للموت يوجد...

*«الإمساك بشدة! هذا ما يهم. قبضة جيدة وبالطبع دون نسيان وضع البودرة على يديّ. أنا أعمل بهلواناً في السيرك، وبالتحديد لاعب عُقلة دون شبكة حماية. أعرف إن تمسّكت جيداً، أنّه لن يكون هناك أية خطورة. ومن جهة أخرى، لم أفكر مطلقاً في الموت، وأنا بأفضل حال. ما أعرفه أنّه بمجرد النظر إلى الأسفل، فأنا أخاطر في السقوط. لهذا لا أعرف الموت. بيني وبينك، أفضل الحديث عن أشياء أخرى. هل سبق وحضرت عرضاً لي؟»*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 3. استئناف المحاكمة

... ذراع. ذراع تمسك بروحي وتوقفني فجأة.

يوقف رجل شفّاف اندفاعي ويقول لي غاضباً إنّه من غير المقبول أن تجري محاكمتي بغيابه.

– ليست هذه بالإجراءات القانونية الصحيحة، يجب إعادة كلّ شيء من جديد.

كان يجب أيضاً أن تجري محاكمة أماندين وروز بطريقة مختلفة، ولكن لسوء حظيهما، فات الأوان. لقد ابتعدتا كثيراً داخل الممر. أمّا أنا، فما زال بالإمكان إعادة النظر بحكمي.

إنّ مُحدّثي رجل قصير ملتحٍ ذو نظرات قلقة لم يستطع إخفاءها خلف نظارته. راح يسحبني ويدفعني بكلّ إصرار. يقول إنّه «ملاكي الحارس».

هكذا إذاً، كان لديّ ملاك حارس؟ شخص ما كان يراقب ما أقوم به؟ وربما كان يساعدني... طمأنتني هذه المعلومة وفاجأتني في الوقت عينه. لم أكن وحيداً إذاً. كان هناك أحد ما يرافقني طوال حياتي. رحت أحدق فيه بتمعّن.

هذا الطيف النحيل، وهذه اللحية، وهذه النظارات التي تعود إلى القرن التاسع عشر... يبدو لي أنّني سبق ورأيته من قبل في مكان ما.

قدّم الرجل نفسه: إميل زولا.

– السيد إميل زولا، مؤلف رواية *جيرمينال*؟

– في خدمتك يا سيدي. ولكن لا يسعنا الآن تبادل المجاملات، فالوقت يداهمنا. هيّا لنسرع.

أخبرني أنّه تابع حياتي منذ البداية ويؤكد لي أنّه من الواجب عدم التنازل الآن.

– الحبكة... أوه، أقصد الكارما كانت جيدة، ولكن النهاية لم تكن جيدة. فوق كلّ ذلك، لم يتمّ احترام الإجراء الصحيح لمحاكمة الأرواح. هذه المحاكمة مجحفة وظالمة ومخالفة للأعراف الاجتماعية.

أخذ إميل زولا يشرح لي أنّه حسب القوانين السارية في الجنة، فإنّ ملاكي الحارس يفترض به الحضور إلى جانبي أثناء وزن روحي بغية مساعدتي إذا لزم الأمر، بصفته محامياً عني.

شدّني خارج النفق واقتادني باتجاه المسرح حيث ما زال رؤساء الملائكة الثلاثة يتصدرون المجلس. راح يدفع الجميع أمام هيئة التحكيم مصرّاً على إعادة كلّ شيء من البداية. كما أخذ يهدّد بنشر وفضح ما جرى، متوعداً بأنّ تدخله سيُحدث سابقة قضائية. شرع يستذكر جميع قواعد الحياة في الفردوس. ويقول هائجاً:

– أنا أتهم رؤساء الملائكة الثلاثة بتزوير وزن روح موكلي. أتهمهم بالاستعجال بإطلاق حكم في قضية سبّبت الإحراج لهم. كما أتهم أخيراً هذه المحكمة السماوية أنّها لم يكن لها سوى هدف واحد ألا وهو التخلّص بالسرعة القصوى من روحٍ ذنبها الوحيد أنّها امتازت بالفضول!

من الواضح أنّ رؤساء الملائكة لم يكونوا ليتوقعوا هذا التحول المفاجئ. فليس من المعتاد أن يعارض أحد أحكامهم.

– لو سمحت سيد زولا، نرجو أن تقبل حكم المحكمة السماوية.

– هذا غير وارد أبداً سيدي الملاك جبرائيل. أقول وأكرر إنّه نظراً لعدم الأخذ بعين الاعتبار سوى لقضية الثاناتونوتس، فإنّ السادة القضاة قد تقاعسوا بتقييم حياة موكلي وأفعاله اليومية كما ينبغي لهم. ولكن في كلّ الأحوال، هنا المكان الذي كان وما يزال هو المكان المناسب للبدء من جديد. أنا أصرّ بأنّ مايكل بينسون عاش حياة مثالية. فقد كان زوجاً جيداً وأباً صالحاً، ومواطناً شريفاً، وصديقاً استثنائياً، كما أنّ أقرباءه كانوا يعرفون جيداً أنّهم يستطيعون الاعتماد عليه. لقد عاش طوال حياته بالصلاح والاستقامة، ولطالما أكثر من أعمال الكرم والإيثار، وكمكافأة له، يُحكم عليه بالعودة للعذاب على الأرض. لن أسمح بأن تحرق روحه بهذه الطريقة.

بعد قليل من الصمت، تدخل رافائيل:

– إيه... ما رأيك يا سيد بينسون؟ ففي النهاية، أنت المعنيّ الأساسي بهذا. هل ترغب إذاً بالمثول من جديد أمام محكمتنا؟

الآن، بعد أن أصبح كلّ من أحبهم؛ روز وأماندين وراؤول وفريدي بعيدين عني، أشعر أنني محبط. ومع ذلك عليّ الاعتراف أنّ حماسة الكاتب إميل زولا قد تركت أثرها العميق في داخلي، وأقول لنفسي لو أنّ النقيب دريفوس[1] لم يتخذ إميل زولا مدافعاً عنه، لم يكن من دون شك، ليُعاد النظر في قضيته أبداً.

- أريد أن... تُعاد محاكمتي.

أشرق وجه إميل زولا.

بدا الحنق على وجوه القضاة.

- حسناً، حسناً، هذا يكفي، سوف نقوم من جديد بوزن روحك، صرّح الملاك ميخائيل.

*«أصبح لدي انطباع منذ وفاة أمي، أنّ حياتي لم يعد لها معنى. أنا هنا، صحيح، ولكنني لا أعيش سوى على ذكراها. لقد كانت كلّ شيء بالنسبة لي. إنّني ضائع الآن».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

يمكن أخيراً لمحاكمتي أن تتمّ بشكل مطابق للمعايير. يعرض عليّ الملائكة الثلاثة حياتي السابقة ويساعدونني في تفسير ما قمت به من أعمال خيِّرة وسيئة. المعايير التي تؤخذ للحكم على أفعالي هي: التطور، والتعاطف، والاهتمام، وإرادة فعل الخير. إنّ حياتي تعبر كفسيفساء من اللحظات العابرة، مثل فيديو، يتسرّع في بعض المقاطع ويتباطأ في أخرى. يحدث في بعض الأحيان أن يتم التوقف عند صور معينة للسماح لي بمراجعة حساباتي وفهم ما حدث فعلياً.

ألقي أخيراً نظرة واضحة وعميقة على كلّ ما قمت بإنجازه بصفتي مايكل

---

1- ألفريد دريفوس هو ضابط فرنسي يهودي حوكم وأدين بتهمة الخيانة، وكانت قضيته من أكثر القضايا سخونة في التاريخ الفرنسي الحديث. خرج من السجن وفُتحت قضيته من جديد ونال العفو بعد جدل استمر 12 سنة. المترجمة.

بينسون. قبل أن يحاكمني أيّ أحد، أنا نفسي أحاكم نفسي. شعور غريب، إذاً، كانت حياتي بهذا الشكل؟ ما يذهلني في البداية، هو مقدار هذا الوقت الذي أهدرته. كنت خائفاً. أدرك الآن كم كان الخوف من المجهول يقف دائماً عائقاً أمامي.

بالنسبة لكائن كانت ميزته الأساسية هي الفضول، يعدّ هذا عاراً وتناقضاً في آن معاً:

كم من الاندفاع كبحه هذا الخوف! وبالمقابل، فإنّ هذا الفضول العميق سمح لي بكسر الكثير من الروتين، ورفض التعنت بجميع أنواعه. لولا هذا، كان يمكن أن يكون الوضع أكثر سوءاً.

وأنا أرى شريط حياتي يعبر أمامي من جديد، تذكرت ميولي «الرهبانية». فكم مرة تمنيت أن أكون وحيداً، وأعيش بسكينة بعيداً عن أقراني، على جزيرة مهجورة أو في كوخ على أحد الجبال...

تبدو لي حياتي أمامي كعمل فني حيث يشرح لي رؤساء الملائكة، الذين ينتقدونها بشغف، كيف كان بإمكاني تحسينها بشكل أفضل، وبأيّ تفاصيل تعتبر فريدة. حتى إنّهم لم يتوانوا عن تهنئتي عن بعض أفعالي الأكثر استحقاقاً.

كما كانت هناك لحظات في حياتي أقل مجداً. تمثّلت في غالبها بحماقات بسيطة قمت بها تحت ذريعة الحفاظ على سكينتي الدائمة.

تمّ مطوّلاً مناقشة كلّ فعل من أفعالي. وكان محامي الدفاع يحارب بشتى الوسائل.

يقوم الآن ميخائيل رئيس الملائكة بحساب عدد حسناتي وسيئاتي. سمعته يقول إنّه يلزمني 600 نقطة كي أتحرّر من واجب التجسّد. إنّ الحساب دقيق جداً؛ كل كذبة صغيرة، وكلّ شغف عشته، وكلّ تنازل قمت به، وكلّ مبادرة أقدمت عليها لها نصيب من النقاط الحسنة أو السيئة. وفي النهاية، أعلن الملك ميخائيل النتيجة: 597 من أصل 600.

أخفقت، على فارق ضئيل جداً ولكنّني فشلت في جميع الأحوال.

وثب محامي الدفاع.

- أتّهمكم بالتلاعب بهذه الأرقام، وأطالب بإعادة إجراء الإحصاء من جديد، آخذين بالحسبان كل الأعمال، واحداً تلو الآخر. أتّهم...

بدأت تصل من خلفنا أصوات تنهدات جميع الأرواح الذين نفد صبرهم بانتظار أن يأتي دورهم لتوزن أرواحهم. بدا بوضوح على الملاك جبرائيل أنّه لم يعد يتحمل كل هذه «الاتهامات» المتكررة من قبل ملاكي الحارس، فاستسلم لمطالبه؛ ولم يلزم رؤساء الملائكة سوى ثانية للتشاور فيما بينهم، كونهم ضاقوا ذرعاً بنا ويريدون التخلص منا بسرعة. وها هو الحكم الجديد:

- حسناً، لا بأس، يكفي الآن. لقد ربحتم. قمنا بتقريب العلامة إلى 600، لذا فقد تحررت من دورة التجسدات. يمكنك القول إنك محظوظ لأنّك وقعت على ملاك حارس ومحام عنيد وصلب بهذا الشكل، كذا قال القديس ميخائيل.

صفّق إميل زولا وهو مسرور للغاية.

- دائماً تنتصر الحقيقة في النهاية.

أعلن رؤساء الملائكة أنّه بعلامة 600 التي حصلت عليها، أصبحت من الآن فصاعداً كائناً 6.

- ماذا يعني كائناً 6؟

- يعني كائناً بمستوى وعي 6. هذا يسمح لك، إن رغبت بذلك، بالتحرر نهائياً من سجن الجسد.

إذاً أنا أملك الخيار. إمّا أن أعود إلى الأرض لأتجسّد فيها من جديد بصفة مستنير عظيم مسؤول عن جعل البشر يتطورون أثناء عيشي معهم، وبالتالي لن أحتفظ في هذه الحالة إلا بذكرى ضبابية عامة عن عبوري هذا في الجنة. والخيار الآخر هو أن أصبح ملاكاً.

- وماذا يعني أن أكون «ملاكاً»؟

- يعني كائناً نورانياً يحمل على عاتقه مسؤولية ثلاثة أرواح بشرية. وعمل الملاك في هذه الحالة هو النجاح في تطوير روح واحدة على الأقل كي تنجح هي أيضاً في الخروج من دورة التجسدات. مثلما نجح إميل زولا معك أنت.

رحت أفكر للحظة، فكلا الخيارين مغريين.

– هيّا أسرع، ما يزال هناك الكثير من العملاء خلفك، قال الملاك جبرائيل متذمراً. إذاً، ما هو خيارك؟

*«الموت؟ لا شيء مقلق فيه. أعرف أنّ هناك ملاكاً حارساً يحميني من جميع المخاطر. ففي إحدى المرات، وبينما كنت أهمّ بقطع الشارع، جاءني حدس أنّه عليّ قطعاً التراجع خطوة إلى الخلف. صدّق أو لا تصدّق، ما إن تراجعت قليلاً إلى الخلف حتى عبرت أمام قدمي دراجة نارية لم أكن منتبهاً إليها من قبل. أنا متأكد من أنّ ملاكي الحارس هو من حذرني».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 4. ملاك

– أختار أن أكون ملاكاً.

– إنّه خيار جيد، لن تندم عليه. أكد لي ذلك إميل زولا.

يستعجلنا رؤساء الملائكة الثلاثة لإفساح المجال للموتى الآخرين بعدنا. لذا قادني ملاكي الحارس نحو مدخل النفق الثاني في الجبل. ينبعث من الجدران ضوء أزرق كحلي يشبه الألماس الذي يشعّ من الداخل.

تركني إميل زولا أمام هذا الكهف الكبير المنير بعد أن صافحني بحرارة ليهنئني للمرة الأخيرة. رحت أسير متقدماً في النفق، فإذ بغشاء يسدّ الطريق، فأزحتهُ كما تُزاح ستارة المسرح. كان في الجانب الآخر شخص غير مكترث يقف منتصباً وسط الممر.

– أهلاً وسهلاً بك بين الملائكة، أنا ملاكك المدرِّب.

– ملاك مُدرِّب؟ ما معنى هذا أيضاً؟

– بعد الملاك الحارس يأتي دور الملاك المدرّب كي يأخذ على عاتقه تدريب الروح، أعلن لي ذلك كما لو أنّ الأمر بديهيّ.

وأنا اعتبرتُ الأمر كذلك.

إنّه يشبه كافكا. أذناه مرتفعتان وطويلتان، وعيناه لوزيتان، ووجهه مثلثيّ الشكل كالثعلب، ونظراته مضطربة.

- أُدعى ويلز.

- ويلز؟ السيد ويلز؟

ارتسمت ابتسامة على محياه.

- كلا، كلا. اسمي إدموند ويلز، وليس لي علاقة بالسيد هـ.ج ويلز[1] أو أورسن ويلز[2]، تشابه أسماء فقط لا غير، هذا إن كان هذان من خطرا في بالك... كما لا يمنع ذلك من أنّني أحبّ اسمي كثيراً. هل تعرف معنى هذا الاسم في اللغة الإنكليزية؟ معناه «بئر». أنا سأكون بالنسبة لك البئر الذي تستطيع أن تغترف منه ما تريد. وبما أنّنا سنمضي الوقت سوية، فدعنا نتحاور كأصدقاء دون ألقاب.

- اسمي بينسون، مايكل بينسون[3]. وليس لي علاقة بالعصفور.

ربّت على كتفي بقوة لم أشعر بها.

- تشرفنا أيها الملاك مايكل.

كان من الغرابة بمكان سماع كلمة ملاك مسبوقة باسمي كلقب يشبه مثلاً «دكتور» أو «سيد».

- من الشخص الذي كنته، أقصد في حياتك «المدنية»؟ قلتُ له.

- تقصد في آخر حياة لي قبل الخروج من دائرة التجسدات؟ أوه حسناً، مثلك أنت تقريباً، لنقل إنّني كنت مستكشفاً في مجالي، ولكن لم تكن «العوالم متناهية الصغر الخارجية» ما تثير اهتمامي، وإنّما بالأحرى «العوالم متناهية الصغر الداخلية»... أقصد عوالم تحت الأرض.

- تحت الأرض؟

---

1- H.G. Wells، هو روائي وكاتب قصص، يعتبر من مؤسسي أدب الخيال العلمي. المترجمة.

2- Orson Welles، مخرج ومؤلف ومنتج وممثل أمريكي. المترجمة.

3- Pinson، معناه بالفرنسية طائر الحسون. المترجمة.

- نعم، الحياة المخفية تحت أديم هذا الكوكب. أي عفاريت الغابة الصغار الحقيقيون.

رحنا نتقدّم جنباً إلى جنب في هذا النفق داخل الجبل. وفجأة توقفتُ عن السير.

- إدموند ويلز، إدموند ويلز...

ردّدت هذا الاسم متأملاً. لقد سبق وقرأته في الصحيفة. رحتُ أبحث في ذاكرتي إلى أن عادت الذكرى إلى رأسي. ها هو:

- ألم تكن متورطاً في قضية اغتيال مصنعي المبيدات الحشرية؟

- أنت تبالغ.

«عفاريت الغابة الصغار الحقيقيون»... قطّبت حاجبيّ.

- أنت من صنع آلة للتواصل مع النمل!

- لقد أطلقت على هذا الجهاز اسم «حجر الرشيد» لأنّه كان بمثابة وسيط بين الحضارتين الأكثر تعقيداً على الكوكب، حضارتان غير قادرتين على التفاهم وتقدير بعضهما بعضاً وهما: الإنسان والنمل.

يبدو أنّه شعر بشيء من الحنين إلى اختراعه هذا، ولكنّه أردف قائلاً:

- سأعلّمك «مهنتك» كملاك بواجباتها وأساليبها وقدراتها. ولكن عليك ألّا تنسى على الإطلاق أنّ وجودك هنا يُعتبر أساساً امتيازاً عظيماً.

أكمل بصوت مترنّم:

- هل تعي أنّه بمجرد عدم اضطرارك للتجسد من جديد، فهذه تعتبر بحدّ ذاتها أروع هدية يمكن للإنسان أن يحلم بها؟

بدأت أعتاد على فكرة تحرّري من دورة التجسدات الجديدة.

- وما الذي تريد تعليمي إياه يا سيد ويلز؟

## 5. موسوعة

**معنى الحياة: «هدف كلّ شيء هو التطور».**

**في البدء كان...**

**الصفر: الفراغ.**

تطوّر هذا الفراغ وأصبح مادة. والمادة أعطت...

أولاً: الجماد.

ثمّ تطور هذا الجماد ليصبح حيّاً. وهذا الحيّ أعطى...

ثانياً: النبات.

ثم تطوّرت النباتات لتصبح متحركة. وهذه الحركة أعطت...

ثالثاً: الحيوان.

ثمّ تطوّرت الحيوانات لتكتسب الوعي. وهذا الوعي أعطى...

رابعاً: الإنسان.

ثمّ تطور الإنسان لأنّ هذا الوعي مكّنه من الوصول إلى الحكمة. وهذه الحكمة أعطت...

خامساً: الإنسان الروحيّ.

ثمّ تطور الإنسان الروحي كي يصبح روحاً خالصة ومتحررة من المادة. وهذه الروح الخالصة والمتحررة من المادة أعطت...

سادساً: الملاك.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 6. إدموند ويلز

- إذاً أنا كائن 6؟

- إذاً أنت «ملاك»، صحّح إدموند ويلز.

- كثيراً ما كنت أتخيل الملائكة بهالة فوق رؤوسهم وجناحين صغيرين على ظهورهم.

- إنّ لهذه الصورة النمطية أصولاً قديمة. فهذه الهالة عبارة عن قطعة معدنية كان الرومان يحيطون بها تماثيل القديسين المسيحيين بغية حمايتها من فضلات العصافير. وفيما يخصّ الجناحين الصغيرين على الظهر، فهذا

يعود إلى تقليد ساد في بلاد الرافدين حيث تشير هذه الزوائد الظهرية إلى كلّ ما كان يمتّ بصلة إلى العالم العُلويّ. فلذلك وجدت الأحصنة والثيران والأسود المجنّحة...

– ما الذي يتغيّر في المرء عندما يكون ملاكاً؟

نظرت إلى يديّ، فرأيت هالة قزحية، لم ألاحظها من قبل، تحيط جسدي بشعاع أزرق كحليّ.

– ليست هذه التغيرات الجسدية هي الأهم، تابع إدموند ويلز، فأوّل ما تفرضه عليك هذه الحالة الجديدة هي اختلاف نظرتك للكائنات والأشياء.

راح إدموند ويلز يشرح لي بصورة أفضل ما ستكون عليه وظيفتي الجديدة. سوف توكل إليّ مهمة متابعة ثلاثة أرواح بشرية متجسدة. ويقع على عاتقي العمل على أن تصل روح واحدة على الأقل من هذه الأرواح الثلاثة إلى 600 نقطة، لتصبح كائناً «6» وتخرج بذلك من دائرة التجسدات. ينطوي عملي على متابعة ومساعدة ومرافقة هذه الأرواح الأرضية الثلاثة. وبعد موتهم، سأكون حاضراً لأكون محامي دفاع عنهم أثناء وزن أرواحهم أمام رؤساء الملائكة الثلاثة.

– تماماً كما فعل إميل زولا معي للتوّ؟

أكّد ذلك إدموند ويلز.

– وبفضل هذا النجاح، تمكّن إميل زولا من الانتقال إلى مستوى أعلى من تطور الملائكة.

فهمت الآن لمَ كان إميل زولا جسوراً وعنيداً لهذا الحدّ مع القضاة، ولمَ رحل بعدها وهو بكامل حماسه.

– ما هو هذا «المستوى الأعلى لتطور الملائكة»؟

أخبرني مرشدي أنني مع كل مرحلة أعبرها، سأتلقى المعارف التي تناسبها. وعليّ بداية أن أنجح في حياتي المهنية كملاك إن أردت أن أرتقي إلى عالم أعلى.

وصلنا ونحن نتحدث، إلى آخر النفق. كان المخرج يشع بالضوء

الألماسي الأزرق نفسه الذي كان يضيء المدخل. ها هي تمتدّ أمامنا «بلاد الملائكة».

*«الملائكة؟ كلا، أعتذر أنا لا أؤمن بهم. فليس هذا سوى أمر متعلق بالموضة. الموضة في هذه الأيام هي الحديث عن الملائكة، وقد تكون في وقت لاحق التطرق إلى الكائنات الفضائية. إنّ هذا يشغل بال العاطلين عن العمل والمؤمنين بالخرافات. وفي غضون ذلك، ينسى الجميع البطالة والأزمة الاقتصادية».*

*• المصدر: شخص تمّ سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 7. بلاد الملائكة

أتأمل المناظر الهائلة التي انفتحت أمام ناظريّ.

– لست مجبراً أن أسير على الأرض، أشار لي إدموند ويلز. لم يعد هناك جاذبية، فقد تحررنا من عوارض المادة. يمكنك التحرك في الفضاء أينما وكيفما تشاء.

لولا الأرضية الشفافة واللبنية نوعاً ما، لكنت اعتقدت نفسي في وسط أرض بشرية «عادية».

دلّني إدموند ويلز على بعض معالم المكان.

– يوجد سهل من الجهة الغربية يتنزه الملائكة فيه حين يرغبون بالحديث فيما بينهم. وفي الشمال توجد الجبال الوعرة بكهوفها التي يعتزل فيها الملائكة حينما يرغبون أن ينعموا بالهدوء. تعال، لنصعد.

من هنا تبدو أرض الملائكة كالعين. في الواقع، يوجد في مركز بياض هذه العين اللوزية الطويلة، دائرة فيروزية تشبه القزحية. إنّها غابة من الأشجار الزرقاء.

يوجد في وسط هذه القزحية، بحيرة سوداء أكثر لمعاناً وكأنها بؤبؤ.

ولكن بخلاف بؤبؤ البشر الحقيقي، فهذه البحيرة ليست دائرية، بل لها بالأحرى شكلاً يشبه... القلب. لديّ انطباع أنّ الجنة هي عين فيروزية تنظر إليّ بقلب أسود في الوسط.

– هذه بحيرة الإخصاب، أشار لي إدموند ويلز.

إنّنا نقترب من هذه المنطقة الأكثر ظلاماً. تشبه الأشجار الفيروزية التي تحيط بها أشجار الصنوبر الثمري بقممها العريضة والمسطحة.

هناك ملائكة تحت الأشجار، غالباً ما يجلسون متربعين على ارتفاع متر واحد عن الأرض، وأمامهم ثلاث كرات موضوعة بشكل مثلث. إنّ الملائكة يتأملونها باهتمام ملحوظ. فبعضهم يشعر بالتوتر وبعضهم الآخر متحمس ويتنقل دون توقف من كرة لأخرى.

يتصرف آلاف الملائكة على امتداد أميال بهذا الشكل وهم يراقبون. كنت أنظر إليهم ولكن سرعان ما سحبني مدرّبي باتجاه الأعلى.

– ما نوع هذه الأشجار؟

– هذه ليست أشجار بمعنى الكلمة. إنّها تساعد في تحسين إرسال واستقبال الموجات القادمة من الأرض.

استدرنا قليلاً، فاكتشفت أنّه في الجنوب هناك وديان تتجمع فيها الملائكة في «تجمعات محدودة».

ومن ثمّ انحرف مسارنا.

يوجد في الجهة الشرقية مدخل آخر يعكس أضواء خضراء ألماسية. كل شيء هنا لامع وشفاف، ومغطى دائماً بالانعكاسات الضوئية. فالأسود منبثق من مياه البحيرة، والفيروزي من الأشجار، والأبيض اللؤلئي من الأرض.

– باب الياقوت هو مدخل بلاد الملائكة ومنه دخلت أنت إلى هنا.

أشار لي إدموند ويلز إلى المغارة ذات الأضواء الخضراء في الشرق وقال:

– وهذا هنا هو باب الزمرد، وهو باب الخروج، ومنه ستخرج حينما ستنتهي مهمتك كملاك. تعال لنتحدث في السهول الغربية. أعرف هناك مكاناً هادئاً حيث سنكون مرتاحين في أول جلسة تعليمية لنا.

سرّ الأرقام هو موضوع الدرس الأول لإدموند ويلز. شرح لي أنّ شكل الأرقام المستخدم في الغرب هو من أصل هنديّ، وهي تشير إلى مسار تطور الحياة. فالخط الأفقي يمثل التعلق، والمنحني يمثل الحب، والتقاطع يمثل الخيار.

1: الجماد. خطّ عمودي بسيط دون انحناء أو خطّ أفقيّ. ليس هناك تعلق ولا حب. إنّ الجماد لا يملك مشاعرَ.

2: النبات. خط التعلّق بالأرض: إنّ الجذر من يثبته في الأرض. وفي الأعلى، يوجد منحنى الحبّ المتجه نحو السماء: سواء الورقة أم الزهرة فكلتاهما تحبّان الضوء.

3. الحيوان. منحنيان للحب. الحيوان يحب الأرض ويحبّ السماء. ولكن نظراً لعدم وجود خطّ أفقيّ، فهو غير ثابت على شيء. لذا فإنّه يتأرجح متخبطاً بمشاعره.

أشعر أنني سبق وسمعت بهذه القائمة من قبل. لماذا يعيدها على مسمعي؟ هل يعاملني ككائن غبي؟

تابع إدموند ويلز:

– هذه الرسالة التي تقدمها لنا أشكال الأرقام الهندية، تبدو لك بسيطة، ومع ذلك فهي تحمل في طياتها كل الألغاز وكل الأسرار وكل أركان تطور الوعي. ولهذا فمن الأساسي تكرارها والرجوع إليها دون توقف. إنّ العالم يتطور وفقاً لرمزية الأرقام الهندية.

عاد إدموند ويلز إلى رسوماته على لوح من الغيم ليتابع درسه.

4. الإنسان. التقاطع رمزه، فهو يملك الخيار. إنّه على مفترق طرق، حيث يقرر الاتجاه الجديد الذي يجب أن يسلكه. فالإنسان يملك بذلك الخيار بين الرجوع إلى مرحلة الحيوان ذي الرقم 3 أو الارتقاء نحو المرحلة الأعلى.

بأطراف أصابعه رسم مدرّبي الرقم 5.

– 5. الحكيم. يمثل خطاً أفقياً للتعلق بالسماء ومنحنى من الحبّ نحو الأرض. إنّه يسمو ويحلّق برأسه ويحبّ العالم...

– يبدو أنّه على عكس الرقم 2، قلتُ ذلك رغبة مني بالمشاركة أخيراً في هذا الدرس.

– ... يميل الرقم 5 للتقدم نحو... المزيد دوماً من الوعي، والمزيد دوماً من الحرية، والمزيد دوماً من التعقيد. يرغب الرقم 5 بالتحرر من سجن الجسد الذي يسبّب له الخوف والألم. يريد الوصول إلى الرقم 6.

كتب الرقم 6.

– لا يتكون الرقم 6 إلّا من منحنى واحد. منحنى من الحب، لأنّ الملاك يحبّ. انظر إلى هذا المنحنى الحلزوني. حبّه ينبع من أعلى السماء، ويهبط إلى الأسفل نحو الأرض ويصعد من جديد إلى مركزه. إنّه الحب الذي يدور حول كلّ شيء كي يقوده لمحبة ذاته.

– جميع كائنات رقم 6 هم كذلك؟

– كلا. جميع من هم في الرقم 6 يمتلكون القدرة على ذلك، هذا كلّ ما في الأمر. ولهذا فأنا أنوي تدريبك كي تنجح في أن تكون كائناً 6 جديراً بهذا الاسم.

– ماذا بشأن 7؟

تجهّم وجه إدموند ويلز فوراً.

– يتوقف درسك لهذا اليوم عند الرقم 6. لا تستطيع معرفة إلا ما عرفته. ركّز انتباهك على عملك الحالي بدلاً من تشتيت نفسك. أنا لست آلة تجيب على جميع أسئلتك. تعال!

نهض من جديد عن الأرض. يجب عليّ الاعتياد على هذه القدرة بتوجيه جسدي على ثلاثة أبعاد، تماماً كما هو الحال عندما نغوص تحت المياه. ولكن حينما نغوص تحت الماء تكون جميع الحركات ثقيلة وبطيئة بسبب الاحتكاك بالماء، بيد أنّ جميع الحركات هنا سلسة ومرنة.

هناك أشياء جديدة أخرى عليّ أيضاً التأقلم معها، مثلاً التوقف عن التنفس. لاحظت أنّ جسدي بصورة لا واعية تقريباً، كان دائماً معتاداً على إيقاع رئتيّ. إنّه بندول إيقاع سري، لطالما ضبط إيقاع حياتي كلها. وقد انمحى هنا. إنّني في زمن لا نهاية له، وفي جسد غير ماديّ.

أخبرني إدموند ويلز أنّ علينا في الوقت الراهن اختيار البيادق التي سألعب بها جولتي. قادني إلى أعلى البحيرة السوداء المركزية التي تأخذ شكل القلب. وعند النظر إليها عن كثب، استطعت أن أميز صوراً تنعكس على سطحها. تشكّل البحيرة شاشة أفقية واسعة مقطعة بفسيفساء من آلاف الشاشات الصغيرة. تظهر على كل واحدة منها أجساد بشرية عارية تتعانق وهي تتحرّك. من غير المجدي فرك عينيّ غير الموجودتين. أنا لا أحلم، ما أراه هو أزواج يمارسون الحبّ.

– هل هذا ركن... الأفلام الإباحية؟

أشار بوجهه نافياً.

– إنّها بحيرة الإخصاب التي حلّقنا فوقها منذ قليل. ومن هنا عليك اختيار الأبوين للأشخاص الذين ستكون مسؤولاً عنهم.

يوجد حولنا ملائكة آخرون محاطون بمدرّبيهم، يرفرفون ويراقبون هم أيضاً الشاشات الصغيرة التي تموج على سطح البحيرة.

– هكذا... بالنظر إليهم وهم يمارسون الحب؟

– هو كذلك. ولكن قبل هذا، سوف أطلعك أيضاً على سرّ عظيم. وصفة الروح.

### 8. موسوعة

**وصفة الروح: في البداية يتمّ تصميم روح الكائن البشري من خلال ثلاثة عوامل: الوراثة والكارما والإرادة الحرة. ومن حيث المبدأ يتمّ توزيع هذه النسب بشكل عام على النحو الآتي:**

**25% للوراثة.**

**25% للكارما.**

**50% للإرادة حرة.**

**الوراثة: تعني أنّ الروح في بداية مشوارها تكون متأثرة بنسبة الربع بنوعية الجينات، ونوعية التعليم، ومكان الحياة، ونوعية البيئة المعيشية التي يحدّدها الأبوان.**

**الكارما: تعني أنّ الروح في بداية مشوارها تكون متأثرة بنسبة الربع بعوامل ما زالت تفرضها عليها حياتها السابقة، وبرغبات غير محققة، وأخطاء وجراح... إلخ، والتي تظلّ تطارد لا وعيها دوماً.**

**الإرادة الحرة: تعني أنّ الروح في بداية مشوارها تقرّر بنسبة النصف ما تفعله بكامل حريتها ودون أيّ تأثير خارجيّ.**

**هذه هي إذاً النسب الأولية: 25%، 25%، 50%. ويمكن لاحقاً للإنسان بوجود نسبة 50% من الإرادة الحرة أن يعدّل على هذه الوصفة. إمّا أن يحرر نفسه من تأثير وراثته عن طريق تجنّب تأثير والديه في سنّ مبكرة جداً. وإمّا أن يحرر نفسه من الكارما برفضه مراعاة دوافعه اللاواعية. أو على العكس، يمكنه أن يتخلّى عن إرادته الحرة بقبوله أن يكون مجرد لعبة بين يديّ والديه ولاوعيه. وبالتالي يدور المرء في دائرة مغلقة. أمّا المفارقة الكبرى أنّ الإنسان يمكنه أن يتخلّى عن إرادته الحرة بِـ... إرادته الحرة.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 9. ثلاث نساء حوامل: ولادة – 9 أشهر

وقفت أتأمل هذه الإنسانية في أوج فورانها. وحسب ما فهمت من مدرّبي، فباختياري لأحد هؤلاء الأزواج، سأكون قد قررت 25% من وراثة الأشخاص الذين سأتولى أمرهم.

حلّقت فوق بحيرة الإخصاب، وأنا أنظر من جديد إلى الشاشات. تعرض هذه الشاشات أزواجاً يمثلون جميع القارات والبلدان والشعوب.

بعض الأزواج يتعانقون على الأسرّة، وآخرون يتمددون على طاولات المطبخ، وغيرهم في المصعد الكهربائي، وعلى الشواطئ، وخلف الأحراش...

يا لهذه الصور الغريبة لهؤلاء الناس في هذه اللحظة بالذات التي يفترض أن تكون من بين أكثر اللحظات سرية وحميمية. كيف أختار؟ اعتدت أن أترك الأمر لحدسي. توقفت أخيراً عند زوجين تبدو حركاتهما تحمل شيئاً

من التناغم. الرجل أسمر ذو وجه شاحب وقلق، والمرأة سمراء أيضاً ذات شعر طويل، ويبدو عليها اللطف. أشرت عليهما بإصبعي.

– هذان هنا.

أخبرني إدموند ويلز أنّهما عائلة فرنسية من منطقة بيربنيان، تدعى عائلة نيمرود. يملك الوالدان مكتبة، وهم أثرياء نوعاً ما. إنّها عائلة تتكون من أربع فتيات، بالإضافة لقطة. نقر مدرّبي بهدوء على الشاشة للإشارة بأنّ هذا المولود قد تمّ حجزه.

– وهكذا لن يستطيع أيّ ملاك آخر أخذ هذا الطفل منك.

راح يتفحص بعد ذلك الحمض النووي للزوجين ويخبرني بالنتيجة:

– أممممم...

– ماذا؟

– لا شيء خطير، توجد أمراض تنفسية من ناحية الأب. لذا سوف يعاني من السعال.

– وماذا عن جانب الأم؟

قام مرشدي بالعمل نفسه.

– سيكون شعره أحمر.

ألقى مدرّبي في ذهني صورة متسارعة لالتقاء الحيوانات المنوية بالبويضة. فرأيت الثلاثة والعشرين كروموسوماً ذكرياً يتّحدون مع الثلاثة والعشرين كروموسوماً أنثوياً.

– سيكون هذا ذكراً أم أنثى؟

فحص اندماج الأمشاج، ومن ثمّ أعلن:

– XY، سيكون ذكراً. هيّا، لنرى التالي.

رحت أبحث طويلاً وانتهى بي الأمر أخيراً باختيار ثنائي لهما بشرة عسلية. يبدوان كليهما وهما عراة في غاية الجمال لدرجة أنّهما بتزاوجهما من غير الممكن أن ينجبا إلا طفلاً رائعاً.

– إنّهما من السود الأمريكيين سكان لوس أنجلوس. أشار إدموند ويلز. تعمل الأم عارضة أزياء والأب ممثل، وتدعى عائلة شيريدان. إنّها عائلة

ثرية، وبرجوازية عظيمة. سيكون هذا طفلهما الأول المُنتظر بفارغ الصبر، لأنّ الأمّ خضعت لعلاج في مركز متخصص كي تنجح في حملها بعد أن عاشت قلقة لفترة طويلة خوفاً من أن تبقى عقيمة. وجاءت نتيجة فحص الحمض النووي للوالدين أكثر من مرضية، فلا وجود لأيّة إعاقة جسدية.

– XX، ستكون فتاة.

رحتُ أفكر بأنّ هذا التصنيف XY، XX قد تمّ وصفه تماماً في الإنجيل. فربما يكون «الضلع» الشهير المأخوذ من آدم، هو بكلّ بساطة الشريط السفلي لحرف X الذي تحول إلى Y.

أترك المجال مجدداً لحدسي كي يختار الثنائي الأخير.

– إنّهما روسيان من سان بطرسبرغ، أعلن إدموند ويلز. تدعى عائلة تشيخوف. هي عائلة فقيرة. الأبوان عاطلان عن العمل، وسيكون هذا طفلهما الأول.

تعرّف الزوجان على بعضهما منذ مدة قصيرة، ويعيشان منفصلين. من المرجح أن يعيش الطفل مع أحد الوالدين فقط. إنّ الحمض النووي للوالدين ممتاز. XY، سيكون صبياً قوياً وجسوراً للغاية.

أخذ يجري إدموند ويلز فحوصات مختلفة وهو يصغي إلى إشعاعات طويلة لا يعرفها أحد سواه. ومن ثمّ رفع رأسه وأعلن:

– صبيان وبنت، إنّها تشكيلة جميلة. ستكون صحّة الصبي الفرنسي سيئة، وصحة الأمريكية جيدة، أما صحة الروسي فجيدة جداً. إنّ هذا يسمح لنا بالتحقق من تأثير الظروف الجسدية على الشخصية.

أخذ يفرك يديه.

– رائع، في الحقيقة هذا رائع! صرخ بذلك وهو يكتب ذهنياً ثلاثة ملفات تتسجل مباشرة في ذهني.

عاد للتركيز من جديد وأضاف:

– من خلال ما أستطيع إدراكه الآن، يمكنني القول إنّ الفرنسي سوف يدعى... جاك، والأمريكية... فينوس، والروسي... إيغور. آه، حسناً إنّهم ثلاثة «موكلين» جيدين.

- «موكّلون»؟

- إنّه المصطلح التقني الشائع هنا لوصف الأرواح التي تُوكل إلينا. لأنّنا نشبه إلى حد ما المحامين الذين يدافعون عن موكليهم.

- ما هو العمل الذي ينبغي عليّ القيام به الآن من أجل هؤلاء «العملاء»؟

- انتظر سبعة أشهر لنرى أيّة كارما سوف يحصلون عليها.

- سبعة أشهر، هذه مدة طويلة!

- مدة طويلة لمن يعيشون في الأسفل، ولكن ليس لنا. فالوقت هنا نسبيّ ولم يعد مطلقاً.

ابتسم إدموند ويلز.

- في الحقيقة إنّ الوقت «نسبيّ» بالنسبة للجميع، لأنّ كل واحد يدركه بشكل مختلف.

راح يقرأ من ذاكرته:

- «لتعرف قيمة السنة، اسأل طالباً رسب في امتحانه.

لتعرف قيمة الشهر، اسأل أمّاً ولدت ولادة مبكرة.

لتعرف قيمة الأسبوع، اسأل مُحرّر مجلة أسبوعية.

لتعرف قيمة الساعة، اسأل عاشقاً ينتظر موعد اللقاء مع حبيبته.

لتعرف قيمة الدقيقة، اسأل رجلاً مستعجلاً فوّت لتوّه حافلة النقل.

لتعرف قيمة الثانية، اسأل من خسر إنساناً غالياً على قلبه في حادث سيارة.

لتعرف قيمة جزء من الثانية، اسأل الحائز على الميدالية الفضية في الألعاب الأولمبية».

ومازحاً، أضاف مدرّبي:

- لمعرفة قيمة مصير الإنسان، اسأل ملاكك المدرّب. فنحن لا نتدخل في جميع الظروف البسيطة، ولا جميع اللحظات غير القيمة من حياة موكلينا. وإنّما نسرع في التدخل مباشرة عند اللحظات المهمة والخيارات الحاسمة التي يمرون بها.

سار إدموند ويلز مبتعداً، فهناك ملائكة مبتدئون آخرون يجب تدريبهم.

بقيت في مكاني مفتوناً، وأنا أنظر في انعكاسات بحيرة الإخصاب إلى آلاف الأزواج المنهمكين في ممارسة الحبّ، متأملاً الجيل البشريّ القادم وهو في طور التشكل. أرغب في تشجيعهم لأنّهم كلّما كانوا مستمتعين بممارسة الحب بقصد الإنجاب، زاد يقيني بنجاحهم.

## 10. موسوعة

**البويضة: لطالما ساد الاعتقاد بأنّ أسرع الحيوانات المنوية هي التي تخصب البويضة. نعلم الآن أنّ الأمر مختلف. ففي الحقيقة تصل مئات الحيوانات المنوية في اللحظة نفسها إلى البويضة التي تجعلهم ينتظرون على سطحها. كما يحدث تماماً في صالة الانتظار. ماذا ينتظرون؟**

**تكون البويضة في الواقع مشغولة بالاختيار من بين هؤلاء الخاطبين. ما هو معيار هذا الاختيار؟ كنّا قد اكتشفناه مؤخراً.**

**تنتخب البويضة الحيوان المنوي الذي تختلف صيغته الوراثية كلياً عن صيغتها الوراثية. كما لو كانت هذه الخلايا تعرف أصلاً في هذه المرحلة المبكرة، أنّ الطبيعة تُثرى بالاختلاف وليس بالتشابه. وبحصولها على الحيوان المنوي الأكثر «اختلافاً»، تخضع البويضة لأول حكمة وراثية: تجنب مشاكل زواج الأقارب. لأنّه كلما تقاربت الصيغتان الوراثيتان للوالدين، زادت خطورة الإصابة بأمراض وراثية ناتجة عن هذا الزواج.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 11. لقاء غير متوقع

– حسناً أيّها الفتى الشقيّ، هل ما زلت تواصل التحديق؟

ارتعش كياني، أعرف هذا الصوت!

– إنّ رؤية جميع هؤلاء البشر الفانين وهم يتزاوجون يثير اشمئزازي. فهذا التعرق واللهاث، ومن ثمّ... ومن ثمّ فإنّ هذا محبط أن تشاهد كافة الناس يمارسون الحب في حين أنّنا لن نقدر أن نعيش المتعة الجسدية مرة أخرى.

استدرت إلى الخلف.

راؤول رازورباك!

ممشوق القامة وهزيل، ووجهه مستطيل الشكل وطويل، وأنفه مدبب يشبه الطيور الجارحة. يلعب بيديه الكبيرتين ذات الأصابع النحيلة. إنّه بالضبط مثلما رأيته أول مرة حينما التقينا في مقبرة بير - لاشيز. لطالما كان يأسرني بيقينه وعفويته وثقته بنفسه وبأحلامه الاستكشافية التي غيَّرت معنى حياتي.

- راؤول، ولكن ما الذي تفعله هنا؟

كان جالساً على ركبتيه، وقدماه منكمشتين تحت ذراعيه.

- طلبت أن أتجسّد في دورة حياة النباتات كي أرتاح قليلاً. وقد تمّت الموافقة على طلبي بشكل استثنائي. ولذلك صرت كرمة، أعطيت العنب وتمّ قطف عناقيدي. وبعدها تحولتُ إلى نبيذ وتمّ شُربي ومن ثمّ عدت إلى هنا محتفظاً برأسمال نقاطي. وقام بعدها ملاكي الحارس بكلّ ما هو ضروري كي أصل إلى مرتبة الملائكة.

- لم أكن أتوقع أنّني سأراك مجدداً في الجنة!

- الجنة؟ هل تمزح! هذه الجنة أسوأ من دار للعجزة! ففيها من مشاعر الطيبة والصحبة الجيدة ما سيجعلنا نملّ بكلّ تأكيد. اللعنة! لنرحل بسرعة ولنتابع استكشاف الكون.

إنّه يتململ.

- لا شيء هنا سوى إدارة عامة. نقوم بالإدارة ونتجسس ونراقب البشر، وأنت تتحدث عن متعة! آه... أنا من كنت موسوساً من فكرة أن ينتهي المطاف بي كموظف حكومي. أوه يا مايكل، كان من الأفضل أن نختار العودة إلى الأرض كي نقوم بدور المستنيرين العظماء. لقد خُدعنا. وأنت تقول لي ملائكة! إذا لم نتحرك، سوف نبقى ملائكة لمئات آلاف السنين، ولن يكون بوسعنا سوى رؤية الموكلين يتتابعون الواحد تلو الآخر. ما هذا السجن!

حتى وهو غاضب، فأنا سعيد بلقائي صديقي المفضل من جديد. لقد شعرت بالاطمئنان فجأة، فأنا لم أعد وحيداً. أن نلتقي بصديق من العالم الأسفل في العالم العلوي، إنّ هذا بالفعل هبة السماء.

أشار بذراعه نحو سلاسل الغيوم الجبلية التي تحيط بنا.

– أؤكد لك، إنّ المكان هنا أسوأ بكثير من السجن. انظر، إنّنا عالقون بين هذه الجدران. نحن في الجحيم!

– راؤول، أنت تجدّف.

– كلّا. أعرف أنّه لا وجود للجحيم ولكن بصراحة، إنّها صورة نمطية لصورة نمطية، آسف لذلك، ولكن كان سيسعدني أكثر أن أجد نفسي في المراجل محاطاً بنساء عاريات ماجنات مشاكسات وشيطانيات في جو متوهج وفاضح، يشبه تقريباً جو السماء الثالثة، هل فهمت؟ عوضاً عن هذا، فلا شيء هنا سوى اللون الأبيض والأزرق، غيوم ورفاق شفافون، دون أيّ شيء ظريف في الأفق. أوه، لنهرب من هنا، لنرحل، لنتحرك، لنعُد من جديد إلى عيش مغامرة مستكشفي القرن الحادي والعشرين. لنتخطّ حدود المعلوم، ولنكمل إحياء أسطورة الثاناتونوتس، ولنمضِ بعيداً نحو المجهول.

لفّ بذراعه حول كتفي.

– منذ أن وجدت البشرية، كان هناك أناس يرغبون بمعرفة «ماذا يوجد خلف الجبل». وأنا وأنت يا مايكل جزء من هؤلاء الذين يذهبون في الطليعة لرؤية ما هنالك. نحن مستكشفون وسنبقى مستكشفين. إذاً يا صديقي، أقترح عليك الرحيل لاكتشاف *الأرض المجهولة* التالية.

تفحصت راؤول بمزيد من الاهتمام. لا يزال يحافظ على هيئة المحقق شرلوك هولمز، ومن جديد أبدو وأنا بقربه مثل الطبيب واطسون. ما هي المغامرة الجديدة التي سيقترحها عليّ؟ ما دمنا وصلنا إلى الجنة، وعرفنا كلّ شيء، ما الذي يمكن أن نستكشفه أكثر؟...

*«الموت؟ نعم، فكرت به. أرغب في الموت وأنا نائم. وأنا نائم، أقنع نفسي أنّني أحلم وأموت. وبعد ذلك أرغب أن تحرق*

*جثتي. فهذا سيكون أقلّ تكلفة على عائلتي. سوف يضعون الجرة الصغيرة التي تحوي رفاتي فوق المدفأة، ولن يكونوا ملزمين بالقدوم لوضع الزهور على قبري. بالنسبة للورثة... إمممم! حسناً، هيا سأقول لك هذا. لقد خبأت النقود في تمثال فرس النهر داخل القبو، خلف الخزنة الكبيرة من طراز لويس الرابع عشر. يكفي دفعها قليلاً، ومن يجد الكنز يصبح ملكه».*

• *المصدر: شخص تم سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 12. اختيار الأرواح- أقل من شهرين

ربّت إدموند ويلز على كتفي.

- إنّ الأرواح على وشك الاستقرار في أجساد موكليك. ليس هناك وقت لنضيعه. اتبعني.

تركت راؤول. قادني مدرّبي نحو منطقة جنوبية هادئة، وطلب مني الجلوس متربعاً على المدخل. يمكننا من هنا أن نطلّ على بلاد الملائكة بالكامل.

- مكان رائع لمراقبة مجريات الأحداث اللاحقة بكلّ راحة.

أمسك يديّ ووجّه راحتيهما نحو السماء. فحدث إثر ذلك أمر استثنائي. اتجهت نحونا ثلاث كرات من الأفق الشمالي الشرقي وأتت لتقف بين يديّ. واحدة أعلى يدي اليسرى، وواحدة فوق يدي اليمنى، والأخيرة أوسطهما ولكنّها تعلوهما. والكرات الثلاث يشكلن معاً مثلثاً يحلّق في الفراغ.

- لن تستطيع فقط رؤية أرواح موكليك من خلال هذه الكرات، بل سوف تسمعهم أيضاً ويكون بإمكانك مراقبتهم.

واحدة بعد الأخرى، أخذ يفرك الكرات الثلاث التي بدأت تضيء. استطعت تمييز موكليّ بداخلها كما لو أنّني أضع كاميرا قادرة على التصوير حتى داخل بطون أمهاتهم. لون كراتي برتقالي لأنّ موكليّ ما زالوا يسبحون في السائل الأمنيوسي.

- سوف أعلّمك تعبيراً ثانياً خاصاً بمصطلحات الملائكة. إنّ كرات مراقبة الأرواح هذه التي تمتلكها الآن، نطلق عليها اسم «بيوض». لأنّنا نحتضنها ونعتني بها مثل البيض.

وقف إدموند ويلز بجانبي.

- والآن، حان وقت وهب الأرواح.

- هل نستطيع اختيار أرواحهم؟

ابتسم.

- كلّا، فهذه المرة، الأمر متروك للعالم العُلوي، أي المستوى السابع هو من يتدخل.

انتظرنا قليلاً. ومن ثم بدأت الكرات تتلون الواحدة تلو الأخرى، كما لو أنّ ماساً كهربائياً قد أصابها. فحص إدموند ويلز الكرة الأولى التي أضاءت لتوها وأعلن أنّ جاك ينعم الآن بروح واحد من هنود البويبلو[1] الذي عاش حياته السابقة قبل قرن. كان راوي قصص يتنقل من قبيلة إلى أخرى بغية قصّ الأساطير العظيمة على أطفال شعبه. تفاجأ عندما هاجم المنقبون عن الذهب المخيم الذي يقيم فيه. حاول الاختباء ولكنّ المهاجمين طاردوه وقبضوا عليه. قصوا ضفائر شعره الأسود الطويل والمدهن بزيت الدببة التي كان يزدهي بها كثيراً، ومن ثمّ شنقوه بها.

عدد نقاط وزن روحه: 350.

راح ينظر إدموند ويلز إلى الكرة الثانية التي أضاءت لتوها. إنّ إيغور قد حصل على روح رائد فضاء فرنسي. كان إنساناً وحيداً عاش طفولة صعبة في كنف أمّ شرسة. دخل السجن في حياته ولكنّه خلّص نفسه بعد أن وافق على التطوع ليكون رائد فضاء متخصص بالمهمات المحفوفة بالمخاطر. وعلى إثر صدمة عاطفية، قتل نفسه أثناء إحدى الرحلات الاستكشافية شديدة الخطورة...

---

1- من سكان أمريكا الأصليين في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية. المترجمة.

عدد نقاط وزن روحه: 470.

فيما يخص الكرة الثالثة التي أضاءت لتوها أيضاً، فإنّ فينوس تسكنها الآن روح صيني ثري توفي منذ أكثر من قرنين. كان أبيقورياً يحبّ الاستمتاع بجميع الملذات على الرغم من أنّ صحته لم تكن ممتازة، ولكنّ شغفه في الحياة كان الطعام والنساء الجميلات. حظيَ بصداقة الإمبراطور شخصياً، وكان يتردد على الشخصيات النافذة في المدينة المحرمة[1]. وفي إحدى رحلاته إلى الريف اعترض طريقه قطاعو طرق وقبضوا عليه. سرقوا منه كلّ شيء قبل أن يدفنوه حياً، وقد صارع طويلاً تحت التراب. كانت وفاة شنيعة.

عدد نقاط وزن روحه: 320.

– إنّها تشكيلة جميلة، قال إدموند ويلز. اثنان من الأرواح تتجاوز نقاطهما 333.

– وماذا تعني 333 نقطة؟

– إنّها تعتبر متوسط مستوى الوعي البشري. إذا أضفنا لها درجات أرواح الستة مليار نسمة، وحسبنا المتوسط نحصل على 333. هذا يعني أنّه لا يزال هناك غالبية من الناس أشدّ قرباً إلى الأسفل منهم إلى الأعلى... ويقع على عاتقنا نحن أن نرفع هذا المتوسط، قال مدرّبي هذا من باب تشجيعي.

رحت أنظر إلى «موكلي» في «بيوضهم».

– إنّ الهدف هو رفع مستوى الوعي لديهم، تابع إدموند ويلز. «عندما ترتقي روح واحدة، فإنّ البشرية جمعاء ترتقي معها».

– تريد القول إنّني إذا نجحت في رفع مستوى واحد على الأقل من بين موكلي الثلاث، يمكن للبشرية أن تتجاوز 333 إلى 334؟

– إنّ التطورات ليست باهرة لهذه الدرجة. يتوجب على الكثير من البشر التطور دفعة واحدة كي يرتفع المتوسط درجة واحدة، وضّح مدرّبي.

طلب مني الذهاب لحضور ولادة الأرواح التي أرعاها، كي أضع عليهم بصمة الملائكة فور خروجهم من بطون أمهاتهم. هذه الإشارة هي بمثابة

---

1- القصر الإمبراطوري أو المدينة المحرمة هو مقر إقامة الأباطرة. المترجمة.

ختم للميثاق بين الملاك الحارس والإنسان الذي يحظى بالرعاية. وسيتمكن الإنسان منذ تلك اللحظة من نسيان كارما حياته السابقة.

– يكفي أن تضغط تحت أنوفهم كي يتشكل المثزاب. كرّر بإصبعه الإشارة على وجهي.

– ولكن بعد ذلك، ممنوع عليك العودة إلى الأرض، هدر بصوت مرتفع. ممنوع!

## 13. موسوعة

**التعاون -المعاملة بالمثل- المسامحة: قام الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي أناتول رابوبورت في عام 1974 في جامعة تورونتو، بطرح فكرة تقول إنّ الطريقة الأكثر «فعالية» في التعامل مع الآخر هي 1) التعاون؛ 2) المعاملة بالمثل؛ 3) المسامحة. هذا يعني أنّ الفرد أو التنظيم أو المجموعة على حدّ سواء، حين يلتقي كلّ منهم بنظيره من فرد آخر أو تنظيم أو مجموعة أخرى، فمن مصلحتهم بدايةً اقتراح قيام تحالف فيما بينهم، ومن ثمّ، انطلاقاً من قاعدة المعاملة بالمثل؛ يقوم الشخص بإعطاء الآخر مثلما يحصل عليه تماماً، أي إذا قدّم الآخر مساعدة، فهو يردها له، وإن اعتدى، فسيعتدي عليه بالمقابل بالطريقة والقوة نفسها. بعد ذلك، يجب المسامحة بين الأطراف وإعادة اقتراح قيام التعاون من جديد.**

**في عام 1979م، نظّم عالم الرياضيات روبرت أكسلرود بطولة بين برمجيات حاسوبية مستقلة قادرة على التصرف مثل الكائنات الحية. كان هناك شرط واحد وهو أن يكون كل برنامج مجهز بقاعدة اتصالات، أي برنامج فرعي يسمح له بالنقاش مع جيرانه.**

**تلقى روبرت أكسلرود 14 ديسكاً يحوي برامجَ أرسلها زملاؤه الجامعيون المهتمون بهذه البطولة. كان لكل برنامج قوانين مختلفة من السلوكيات (ضمّ أبسطها سطرين من شيفرة السلوك، وضمّ أكثرها تعقيداً المئات). والهدف هو تجميع أكبر عدد ممكن من النقاط. كان مبدأ بعض هذه البرامج يقوم على استغلال الشريك الآخر في أسرع وقت ممكن، وسرقة نقاطه ثم تغيير**

الشريك. حاولت بعض البرامج الأخرى أن تتدبر أنفسها لوحدها، محافظة على نقاطها، ومتجنبة أيّ نوع من التواصل مع البرامج التي من المحتمل أن تسرقها. كما طبّقت بعض البرامج الأخرى بعض القواعد من مثل: «إن كان الآخر عدوانياً، فعليك تحذيره بالتوقف عن ذلك، ومن ثمّ طبق عليه العقوبة»، أو قاعدة: «التعاون ومن ثمّ مباغتته بالخيانة».

واجه في المحصلة كلّ برنامج منافسيه حوالي **200** مرة.

كان برنامج أناتول رابوبورت المجهز بسلوك (ت. م. م) (التعاون -المعاملة بالمثل- المسامحة)، هو الذي تغلب على جميع البرامج الأخرى.

والأكثر من ذلك: حين وُضع برنامج (ت. م. م) عشوائياً في وسط البرامج الأخرى، خسر في البداية أمام البرامج العدوانية، ولكنّه انتصر في النهاية بل إنّه أصبح «مُعدياً» تدريجياً مع مرور الوقت. وحين لاحظت البرامج المجاورة أنّ هذا البرنامج هو الأكثر فعالية في تجميع النقاط، انتهى الأمر بها بتبني السلوك ذاته.

أثبت قانون (ت. م. م) أنه الأكثر مردوداً على المدى الطويل. كلّ واحد يستطيع التحقق من ذلك في حياته اليومية. هذا يعني أنّه يجب نسيان كل الإهانات التي يتسبب بها زميل في العمل أو منافس ما، والاستمرار دون كلل باقتراح العمل والتعاون معه وكأنّ شيئاً لم يكن. وسوف تعطي هذه الاستراتيجية نفعها على المدى الطويل. هذا ليس من باب اللطف، وإنما فقط من باب فائدتك الشخصية كما كشفت عنها هذه الدراسة المعلوماتية.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 14. الجنين جاك- أقل من شهرين

كم هذا غريب... أنا عائم داخل كيس مليء بسائل معتم نوعاً ما. هل هذه أمي؟ يبدو كذلك.

أتذكر حياتي السابقة. كنت هندياً أمريكياً، أسامر الناس برواية القصص، وبعدها وصل الرجال البيض وقتلوني، شنقاً.

وها أنا في الوقت الراهن أعود إلى العالم، ولكن إلى أين؟ في أي بلد، وفي أيّ زمن، وفي كنف أيّة عائلة؟ إنّ هذا يقلقني.

هناك من يتحدث في الأعلى، إنّها على الأرجح أمي الجديدة. ماذا تقول؟ أنا مندهش من فهمي الجيد لها، أمي تتحدث عني. تقول إنّها ستسميني جاك، وإنّني أقوم بركلها في الليل، وإنّها تستطيع تمييز أطراف أصابع قدمي على بطنها. آه حقاً! هل هذا يعجبها؟ عظيم، هيّا لأقوم بركلها إذاً.

تقول إنّها تعتزم استخدام طريقة الملامسة.

– ماذا تقصدين بالملامسة؟ سألتها صديقتها.

– إنّها تقنية تسمح للأب بالمشاركة بالحمل، بأن يضع يديه على بطن زوجته، وبمجرد التواصل عبر باطن يديه، يرسل إشارة للجنين بوجود شخص آخر مهتم به.

هذا صحيح، فالأمس شعرت بيديه. ليس لديّ إذاً أمّ فقط، بل أب أيضاً.

أخذت تشرح أمي أنّني أنا، الطفل جاك، أتعرف جيداً على يديّ والدي، وأنّني آتي فوراً لأعشش في المكان الذي يضع يديه فيه.

أدفع الحبل السري، فأنا أشعر بالملل هنا. أتساءل كيف سيكون العالم في الخارج.

## 15. الجنين فينوس– أقل من شهرين

إذاً أنا موجودة.

هذا غريب. أعرف أنّني لست سوى جنين، ومع ذلك أشعر بشيء ما، ليس في الخارج، وإنّما بجانبي.

إنني مضغوطة ولا يمكنني التحمّل. ألّا يكون جسدي قادراً على التحرك هذا أمر يقلقني جداً. حسناً، سأحاول أن أحدّد ما الذي يكبّلني، يا للمفاجأة! أكتشف أنّ بجانبي تماماً يوجد أخ توأم لي.

لدي أخ توأم!

أظن أنّ كلينا مرتبط بأمنا عبر حبلينا السريين الخاصين بنا، ولكن الأكثر

من ذلك بل الأروع، أنّنا نستطيع التواصل المباشر بيننا، ويمكننا بالتالي الحديث مع بعضنا.

- من أنت؟

- وأنتِ، من تكونين؟

- أنا فتاة صغيرة في بطن أمي.

- وأنا صبيّ صغير.

- أنا سعيدة للغاية بهذه الصحبة. لطالما ظننت أنّ حياة الجنين هي تجربة يعيشها وحيداً.

- تريدين أن أحدثك عني؟

- بالطبع.

- لقد انتحرت في حياتي السابقة. وكان قد بقي لي القليل من الوقت لأعيشه، لذلك تمّ إرسالي من جديد إلى الأسفل لإكمال الكارما الخاصة بي. وأنت؟

- أنا، كنت من قبل عجوزاً صينياً، صاحب سلطة وجاه ومال. وكان حولي الكثير من النساء والخدم.

رحت أتحرك. فهذه الذكريات تعطيني رغبة أن أستدير وأتمدد.

- هل أزعجكِ؟

- في الواقع أشعر أنّ المكان ضيق هنا بعض الشيء. لا بدّ وأنّني أزعجك أنا أيضاً.

- أنا لا يهمني يا أختي الصغيرة. أفضل أن أكون في مكان ضيق مع صحبة جميلة على أن أكون مرتاحاً ووحيداً في هذا الظلام.

## 16. الجنين إيغور- أقل من شهرين

إذاً أنا موجود.

لا أرى أشياء مهمة. لا شيء سوى محيط أحمر برتقالي، وأسمع ضوضاء، ونبضات القلب وحركة الأمعاء، وصوت أمي، إنّها تقول أشياء لا أفهمها.

- لا -أريد- الاحتفاظ -بهذا- الطفل.

إنّها طلاسم.

ردّدت هذه المقاطع الصوتية حتى وجدت معرفة قديمة مخزنة في ذاكرتي مكّنتني من فهم هذا الكلام.

سمعت صوتاً ذكورياً، لا بدّ وأنّه والدي.

– لستِ سوى حمقاء. لقد أطلقتِ عليه اسم إيغور. ابتداء من اللحظة التي نحدّد فيها الأشياء، تبدأ في الوجود.

– في البداية كنت أرغب به، أمّا الآن فلم أعد أرغب بهذا الطفل.

– أقول لكِ لقد فات الأوان. كان عليك التفكير بذلك من قبل. فلن يقبل أيّ طبيب بإجراء الإجهاض في الوقت الراهن.

– كلّا، لم يفت الأوان بعد. نحن لا نملك الإمكانيات المادية لإنجاب طفل، علينا التخلص منه على الفور.

ضحك مستهزئاً.

– أنت لست سوى حثالة! صرخت أمي.

– أؤكد لك أنّك ستحبينه في النهاية، قال والدي مصرّاً.

شرعت المرأة بالبكاء.

– أشعر وكأنّني أحمل في جسمي ورماً يكبر ويأكلني. إنّ هذا مقرف بالنسبة إليّ.

صرخ بملء الصوت.

– أوه، افعلي ما يحلو لكِ! قال غاضباً. لقد سئمت في جميع الأحوال من نحيبك الدائم. أنا ذاهب، وسأهجركِ، تدبري أمرك.

أُغلق الباب. بدأت أمي تبكي ومن ثمّ راحت تصرخ.

مضى بعض الوقت. ومن ثمّ فجأة، بدأتُ أتلقى موجة من اللكمات! لقد رحل والدي، إذاً هذه أمي التي تضرب لوحدها على بطنها.

النجدة!

لن تنال مني. حاولت الانتقام لنفسي بتوجيه مجموعة من الركلات الصغيرة الضعيفة. إنّه لمن السهل الاعتداء على شخص أصغر منك بكثير، خاصة عندما يكون عالقاً ولا يستطيع الهرب.

## 17. موسوعة

الملامسة: في نهاية الحرب العالمية الثانية، استنتج الطبيب الهولندي فرانز فيلدمان الذي نجا من الإبادة النازية، أنّ العالم إن كان يسير نحو الهاوية، فلأنّ الأطفال لم ينعموا بالقدر الكافي من المحبة في طفولتهم المبكرة.

لاحظ أنّ الآباء الذين ينهمكون بشكل أساسي في عملهم أو في الحروب، لا يهتمون إلا نادراً بذرّيتهم قبل سنّ المراهقة. لذلك بحث عن وسيلة لإثارة اهتمام الأب منذ الطفولة المبكرة، بل حتى قبلها أي خلال فترة الحمل. كيف هذا؟ بوضع اليدين مباشرة على بطن الأم. ابتكر مصطلح الملامسة (**haptonomie**)، ففي اللاتينية إنّ كلمة **hapto** تعني: اللمس، وكلمة **nomos** تعني: القانون.

قانون اللمس.

يمكن للأب أن يعبّر عن وجوده للطفل، ويكوّن أول رابطة معه فقط بمجرد مداعبة البطن المشدود للأم بعناية. أثبتت التجربة أنّه في كثير من الأحيان، يمكن للجنين أن يميّز بدقة من بين مجموعة من اللمسات المختلفة، تلك اللمسات التي تعود لوالده. حتى إنّ الآباء الأكثر موهبة ينجحون حتى في جعل الجنين يقوم بالتحرّك من جهة لأخرى بحسب حركة أيديهم.

من خلال تشكيل مثلث «أم – أب – طفل» في أسرع وقت، فإنّ الملامسة تجعل الأب يشعر بالمسؤولية أكثر. بالإضافة لذلك، فإنّ الأم من جهتها لا تشعر بالوحدة أثناء حملها. فهي تشارك تجربتها مع الأب وبإمكانها هكذا أن تحدثه عمّا تشعر به حينما يضع شريكها يديه عليها وعلى طفلها. إنّ الملامسة ليست بالطبع الحل السحري من أجل طفولة سعيدة، ولكنّها تفتح ربما آفاقاً جديدة في الحياة العاطفية لكل من الأم والأب والجنين. في القديم، في روما القديمة، جرت العادة بإحاطة الأم الحامل بالمرافقات (**commères**)، والتي تعني حرفياً (**cum mater**: «الذي يرافق الأم»). ولكن من البديهي أنّ الشخص الأكثر قدرة على مرافقة الأم في مغامرتها يبقى هو الأب.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 18. أفكار راؤول

أراقب بيوضي.

يستخدم والدا جاك الملامسة. هذه ظروف حضانة جيدة.

يتلقى إيغور لكمات، إنّه يعيش ظروف حضانة في غاية السوء.

أمّا مفاجأتي الكبرى، هي أنّ فينوس لديها أخ توأم. لا أعرف إن كان هذا جيداً أم سيئاً.

– إنّنا نضيع وقتنا هنا، لنعد ولنكن أنفسنا مرة أخرى، لنكتشف الحدود التالية، لنتخطَّ حدود المعروف، قال لي راؤول وقد عاد لتحريضه ما إن ذهب إدموند ويلز.

تتابع كراتي الدوران ببطء أمامي. أشرت له عليها بحركة من جبيني.

– لا أريد إبقاء هؤلاء الثلاثة ملتصقين بي بشكل دائم. ماذا أفعل كي أبعدهم عني؟

أظهر لي راؤول أنّه يكفي أن أوجه يديّ نحو الأسفل كي تتركني البيوض وتطير. ما إن قمت بذلك حتى اندفعت البيوض على الفور باتجاه الشمال الشرقي مثل الطائرات الصغيرة التي يُتحكم بها عن بعد.

– إلى أين يذهبون؟

– إلى مكان ما في الجبال.

وجّهت راحتي كفيّ من جديد نحو السماء، فانبثقت الكرات الثلاث مباشرة من الأفق الشمالي الشرقي وعادت لتتمركز بشكل آلي فوق يديّ. بدأت أفهم آلية العمل. أبدى راؤول تضايقه.

– كفّ عن التسلية. أنا بحاجة لمساعدتك يا مايكل. تذكر شعارنا في زمن الثاناتونوتس العظيم: «بعيداً، سنمضي دائماً إلى أبعد ما نستطيع نحو المجهول».

رفعت رأسي نحو السماء المفترضة.

– لم يعد هناك مجهول. وإنّما فقط مسؤوليات تجاه بيوضنا.

اقترح عليّ راؤول الطيران نحو الشرق. لقد غيّرنا مكان المراقبة، ولكن لا يزال هناك مجهول. إنّنا نجهل ما الذي يوجد أعلى عالم الملائكة. لقد وصلنا إلى الحدود الشرقية لأراضيهم.

– ما الذي تريد فعله؟
برأسه، أشار لي إلى بوابة الزمرد.
– تعلم جيداً أنّنا سنعبر هذا الباب عندما نتمكن من إنقاذ روح إنسان. قلت له.
أخذت أصابع راؤول الطويلة تضطرب في الهواء:
– ولكن، ألم تفهم بعد؟ إنّ موكلينا جميعهم حمقى، لن يتطوروا أبداً.

## 19. الجنين جاك– أقل من شهر

أنا متوتر، فكثيراً ما أعلق بحبلي السري من كثرة حركتي داخل بطن أمي. إنّه يلتف حول رقبتي وبذلك، أعيش من جديد كامل مأساة حادثة شنقي. أصاب بالذعر فأتجمد خوفاً. وبتوقفي عن الحركة، أنجح في تخليص نفسي.

## 20. الجنين فينوس– أقل من شهر

أصبح للسائل الأمنيوسي طعم مر. ما الذي يحدث؟
– هيه أنت! يا توأمي! هناك مشكلة. هل أنت نائم؟ استغرق التوأم بعض الوقت قبل أن يجيب.
– الأمر ببساطة أنّني أشعر بالتعب، التعب الشديد... أشعر أنّه يتمّ تفريغي من الداخل.
أحاول أن أفهم ما الذي يجري، لأنّني أحظى من جهتي حالياً بطعام شهي. إنّها طاقة مليئة بالذكاء والسكّر واللطافة. قلت فزعة:
– إنّني أتغذّى على طعامك!
– هكذا إذاً، تمتم الجنين. أعرف هذه الظاهرة. قال بصعوبة.
– إنّنا توأم معطي – آخذ[1]. أعرف ذلك لأنّني في حياتي السابقة كنت قابلة توليد. ما زلت أحتفظ ببعض الذكريات حول هذا.
– اشرح لي.
– حسناً، إنّ هناك اتصالاً فيما بيننا، وهو وعاء دموي فرعي صغير يصل

---

1- متلازمة نقل الدم الجنيني. المترجمة.

مباشرة فيما بيننا، وهو مستقل عن أعضاء أمنا. إنّه مجرد وريد صغير ولكنّه واسع بما يكفي ليسمح لنا بالقيام بتبادل السوائل فيما بيننا. ولهذا السبب نحن على وفاق جيد. ولكن هذا أيضاً هو السبب في أنّ أحدنا، وهو أنت في هذه الحالة، يُفرض عليه سحب سائل الآخر. إن لم يتمّ إخراجنا من هنا خلال الأيام القليلة القادمة، فسوف تقومين قريباً بامتصاص دمي كلّه.

أصابتني القشعريرة:




- و...؟

- بعدها سأموت.

صمتَ منهكاً، ولكنّني أصررت:

- هل هم على علم بما يجري، هناك في الخارج؟

استغرق بضع لحظات قبل أن يجيب.

- يعرفون على الأرجح أنّ هناك توأماً، ولكنّهم يجهلون أنّكِ في طور امتصاصي. بالمناسبة، لقد أعطونا أسماء البارحة، لكلينا. أنت كنت نائمة، ولكنّني سمعتهم. أنت سيكون اسمك فينوس وأنا جورج. مرحباً يا فينوس!

- آه... أهلاً يا جورج!

بجنون، بدأت أضرب كأنني أضرب على الطبل.

- هيه، أنتم في الأعلى، أنتم في الخارج، افعلوا شيئاً ما! أعلنوا الولادة. إنّ جورج يُحتضر!

رحت أركل بقوة أكثر. ولكنّ جورج هدأني.

- كفّي عن هذا، لقد فات الأوان. سوف أبقى حياً عبرك. سأكون دائماً هنا، فيكِ أنتِ يا فينوسي.

## 21. الجنين إيغور- أقل من شهر

أبقى متيقظاً وبالكاد يغمض لي جفن. أمي تبكي وتحدث نفسها، وتسرف في شرب الفودكا. إنّها ثملة، وأنا أيضاً أشعر بالسُّكر. أعتقد أنّها تريد أن تسمّني. ولكنّ جسدي اعتاد على ذلك وطوّر مقاومته الخاصة، ولهذا أستطيع تحمّل الكحول.

أمي، لن أدعكِ تنالين منّي، أريد أن أولد. إنّ ولادتي ستكون هي انتقامي.

فجأة، شعرت بضربة قوية. لقد خاب ظني، أشعر أنّ وجهي قد تحطم. ما الذي يجري؟ أدركت أنّها تردّد: «سأنال منكَ، سأنال منك، سوف تموت، سأنجح في ذلك».

ضربة جديدة.

أحاول فهم ماذا يحدث في الخارج وأعتقد أنّني عرفت. إنّها تُسقط نفسها أرضاً على بطنها كي تقتلني!

أنا متشبث. انتهى الأمر باستسلامها.

أظلّ يقظاً للهجوم التالي. ما الذي سأناله أيضاً؟ هل هذه إبرة خياطة؟ تشبّث يا إيغور. تحمّل جيداً، لا بدّ وأنّ الوضع سيكون جميلاً في الخارج...

## 22. أسرار عالم 7

قادني راؤول نحو ملاك عجوز، عرفتها من فوري فقد سبق ورأيتها في المجلات: إنّها الأم تيريزا.

– كانت مبهرة على الأرض بكرمها. وهي في الحقيقة قديسة بين القديسين. وهذا لا يمنع أنّها مع مجموعتها الرابعة من الموكلين، ما تزال تخفق. حسناً، إن كانت الأم تيريزا قد فشلت في أن تصبح كائن 7، إذاً لا أحد، حقاً لا أحد، يمكنه النجاح.

تبدو المرأة العجوز في الواقع، مذعورة أمام كراتها، ولا تتوقف عن التمتمة بعبارات التعجب وهي متضايقة كما لو أنّها تتعامل مع بيض حقيقي في المقلاة.

– قال لي إدموند ويلز إنّنا في الحياة لا نواجه سوى المشاكل التي نكون مهيّئين لحلّها.

أبدى راؤول المظهر الأكثر استخفافاً قائلاً:

– تعتقد أنّك فهمت كلّ شيء؟ نحن أساساً لا نمتلك المعرفة التي تسمح لنا بقياس مقدار جهلنا.

– كشف لي العالم الأصفر للمعرفة الإجابات عن الأسئلة التي طرحتها

حينما كنت بشراً. وعلّمني إدموند ويلز أنّ معنى تطور الوعي كامن في سر أشكال الأرقام الهندية. وهذا إذاً كلّ ما علينا فهمه.

– هل تصدق ذلك؟ كنا في السابق ثاناتونوتس، بشراً روحانيين، أي كائنات 5. ونحن في الوقت الحالي ملائكة، أي كائنات 6. وتتضمن المرحلة التالية أن نصبح كائنات 7. ولكن ما هي كائنات 7؟

– كائنات 7 هي من تحصل على درجة 700، خاطرت بقول ذلك...

أشعر أنّني لو لم أكن كائناً لا مادياً، لكان راؤول سيهزّني من كتفيّ معنّفاً إياي.

– وما هو بالضبط الكائن 7؟ سوبر ملاك؟ كيان آخر؟ إن تلاحظ الفرق بين كائنات 5 المساكين وبيننا نحن، كائنات 6، أظنّ أنّه سيكون هناك ما يكفي من الأسئلة الواجب طرحها عمّا يمكنها أن تكون كائنات 7، على ما يبدو لي.

رغم حماس صديقي، إلّا أنّني ما زلت متوخياً الحذر. إنّه حالم.

– قد يكون أمراً رائعاً أن تصير كائناً 7. لقد بحثت في النصوص وقرأت فيها أنّ فوق الملائكة يوجد «الشيروبيم»، و«السارافيم». إنّ المسألة تتعلق «بالمسيطرين»، و«العروش». ومع ذلك، فأنا أعتقد أنّ الدرجة العليا التي تلي الملائكة من الممكن جداً أن تكون...

تمتم كما لو أنّه خائف أن يسمعه أحد:

– آلهة.

أنا أعرف صديقي القديم جيداً، فهو دائماً ما يتبنى الفرضيات الأكثر جنوناً.

– لماذا تقول «آلهة» وليس «إلهاً واحداً»؟

من الواضح أنّه فكّر بالأمر ملياً.

– يُدعى الله في العبرية بـ«EL» (إيل) ومع ذلك، فقد وردت في النصوص أيضاً كلمة «ELOHIM» (إلوهيم)[1]، وهي تدلّ على الجمع.

نتظاهر أنّنا نمشي واقفين، وذلك بتحريك القدمين على مستوى الأرض المفترضة، كما كنا نفعل سابقاً على الأرض.

---

1- تعني إله الآلهة. لأنّ الكلمة Elohim تنتهي بـ im وهي دلالة الجمع في العبرية. المترجمة.

– هل تحدثت بهذا الأمر مع الملائكة الآخرين؟ ما رأيهم بهذا؟

– إنّ الملائكة لا يختلفون عن البشر فيما يخص هذا الموضوع؛ فنصفهم يؤمن بالله، وثلثهم ملحدون لا يؤمنون به، وبقي ربع من اللاأدريين الذين يوافقون، مثلنا، على الاعتراف بأنّهم لا يدرون إن كان الله موجوداً.

– النصف والثلث والربع، هذا أكثر من الكل، إنّه يتجاوز المجموع قليلاً.

– طبيعي، فهناك من لديه وجهتا نظر في الوقت ذاته أو بالتناوب، اعترف صديقي.

قال في النهاية ملخصاً:

– 4: هم البشر، 5: الحكماء، 6: الملائكة، 7: الآلهة. يبدو هذا منطقياً، أليس كذلك؟

لم أجب مباشرة. لا يعرف البشر شيئاً عن وجود أو عدم وجود الله، فهم لا يملكون أيّ دليل، لذلك من الأفضل أن يكونوا متواضعين.

بالنسبة لمايكل بينسون الذي كنته، فإنّ موقف هذا الرجل الصالح كان بالضرورة هو اللاأدرية، المشتقة من كلمة *agnôtos*: عدم اليقين. برأيي إنّ هذه اللاأدرية تتوافق بصورة تامة مع الرهان الشهير للفيلسوف والفيزيائي الفرنسي بليز باسكال الذي اعتبر أنّه من الجيد المراهنة على وجود الله. حينما كنت أنا نفسي على الأرض، قبلت أن يكون هناك احتمال من احتمالين بوجود حياة بعد الموت، واحتمال من احتمالين أن يكون للملائكة وجود، واحتمال من احتمالين أن تكون هناك جنة. وأظهرت لي مغامرة الثاناتونوتس أنّني لم أخطئ. ولا يبدو لي حتى الآن أنّه من الضروري رفع أو خفض فرص الاعتقاد بوجود الله. أنا شخصياً كنت أؤمن أنّ وجود الله هو فرضية بنسبة 50%.

تابع راؤول:

– يقال هنا إنّ التوجيهات تأتي من «الأعلى»: وإليه تُنسب المعجزات والمسيح والأنبياء والديانات الجديدة «الموحاة». من يمكنه أن يمتلك إذاً ما يكفي من القوة، والرؤية الزمنية الكافية كي يأخذ هكذا قرار إن لم يكن إله أو آلهة؟

كان راؤول راضياً عن التأثير الذي أحدثه فيّ. فهو يأخذ بالحسبان حيرتي. أن أكون إلهاً، هل ستكون هذه مهمتي الجديدة؟ لا أجرؤ حتى على التفكير بذلك.

– إنّ هذا الباب يفتح على أوليمبوس[1]، أنا واثق من ذلك، يصرّ راؤول رازورباك وهو يشير إلى الباب الزمردي.

تظاهرت أنّني أنظر إلى ساعة متخيلة تشير إلى درجة نضج بيوضي، كطريقة لإبداء انزعاجي.

– جيد، عليّ الذهاب إلى الأرض كي أحضر ولادة موكليّ، قلت ذلك.

– سأرافقك.

ما هذا أيضاً!

– تريد القدوم معي إلى الأرض؟

– نعم، قال راؤول. مضى زمن طويل لم أعد إلى هناك. تحديداً، منذ آخر مرة وضعت فيها البصمات على موكليّ.

– تعرف جيداً أنّ العودة إلى الأرض ممنوعة إلّا في مثل هذه المناسبات.

قام راؤول بقفزة مزدوجة كي يظهر أنّه يرغب بالاسترخاء بالطيران على مسافات شاسعة.

– المنع بحدّ ذاته ممنوع. هيا يا مايكل، أنت تعرف جيداً أنّني كنت وسأبقى مخالفاً!

توقف أخيراً أمامي، واستأنف كلامه بأشدّ هيئة ملائكية ممكنة، ثمّ قرأ من ذاكرته مقطعاً من موسوعة *المعرفة النسبية والمطلقة* لإدموند ويلز، المجلد الرابع، الذي حفظه عن ظهر قلب.

## 23. موسوعة

**المخالفون: إنّ المجتمع بحاجة للمخالفين، فهو يسنّ القوانين بغية أن تتمّ مخالفتها. إن قام كلّ فرد باحترام القواعد بصرامة والخضوع لمعايير:**

---

1– جبل أوليمبوس في الأساطير اليونانية القديمة، كان يقيم فيه الآلهة الاثنا عشر الذين أطلق عليهم «الأولمبيون» نسبة إلى جبل أوليمبوس. المترجمة.

**التعليم العادي، والعمل العادي، والمواطنة العادية، والاستهلاك العادي، فإنّ المجتمع بأسره سيجد نفسه «عادياً» ويصبح راكداً.**

**بمجرد اكتشاف المخالفين، يتمّ الإبلاغ عنهم وإبعادهم، ولكن كلّما تطور المجتمع، توجّب عليه أن يخلق خفية، السم الذي سيجبره على تطوير أجسامه المضادة. وبذلك سيتعلم المجتمع القفز أعلى وأعلى فوق العوائق التي سيتعرض لها.**

**رغم أهميتهم وضرورتهم، فإنّ المخالفين يُضحى بهم، ويتمّ الاعتداء عليهم وتقريعهم بشكل منتظم كي يكون لاحقاً، للأفراد الآخرين «متوسطي المخالفة مقارنة بالأشخاص العاديين»، والذين يمكن تصنيفهم تحت بند «المخالفين – المزيفين» القدرة على إعادة إنتاج الانتهاكات ذاتها التي قام بها المخالفون الحقيقيون، ولكن ستكون هذه المرة مُخفّفة ومقدور عليها ومنظّمة ولا خطورة فيها. هؤلاء إذاً من يحصدون ثمار إعلان المخالفة.**

**لكن يجب علينا ألّا نخطئ، حتى ولو أنّ «المخالفين – المزيفين» هم من يصبحون مشهورين، ولكنهم لا يملكون أيّة موهبة سوى قدرتهم على اكتشاف روّاد المخالفة الحقيقيين. وبالنسبة لهؤلاء الأخيرين، فإنّه سيتم نسيانهم وسيموتون مقتنعين أنّهم كانوا السبّاقين وقد أسيء فهمهم.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 24. جولة سريعة على الأرض

عبرنا الباب الأزرق البحري للياقوت.

تسللنا خلسة في نهر ستيكس وسرنا بمحاذاته، كي لا يرانا رؤساء الملائكة الثلاثة. تجاوزنا الأقاليم السبعة لقارة الموتى، وخرجنا من المخروط المركزي، واندفعنا في الفضاء المظلم وطرنا باتجاه الأرض. إنّ طيراننا كملائكة، أسرع بكثير من طيراننا حينما كنّا موتى. يبدو لي أنّنا نسير بسرعة قريبة من سرعة الضوء. قريباً، سوف نرى من بعيد كوكبنا الأم. عبرنا

الغلاف الجوي في الوقت ذاته مع جميع النيازك الصغيرة التي تشتعل عند دخولها والتي نسميها بالشهب.

واصلنا هبوطنا، فصادفنا طائرة يهبط منها هواة السقوط الحر. وقف راؤول أمام أحدهم، الذي لا يراه بالطبع، وراح يستمتع بمسابقته وتجاوزه. طلبت منه التوقف عن تصرفاته الصبيانية، فأنا لديّ بيضة على وشك أن تفقس.

هبطنا في مكان ما من سهل توسكان.

إنّه الحنين. شعرنا بإحساس لا بدّ وأنّه سيكون الإحساس ذاته الذي يشعر به رواد الفضاء العائدون إلى الأرض بعد إنهاء مهمتهم. باستثناء أنّ «أرضنا» الآن لم تعد «في الأسفل»، وإنّما «في الأعلى»... أشعر أنّني أصبحت غريباً في موطني.

أشار لي راؤول أنّه لم يعد لدينا وقت لنضيعه. يجب علينا الذهاب مباشرة إلى مستشفى بيربنيان حيث ينتظرني موكلي الأول: جاك نيمرود.

## 25. ولادة جاك

إذاً سوف أولد.

ما أراه في البداية هو ضوء ساطع في نهاية النفق.

إنهم يدفعونني ومن ثمّ يسحبونني.

أتذكر حياتي السابقة. كنت من هنود بويبلو، متّ مشنوقاً على أيدي المنقبين عن الذهب. آخر فكرة راودتني آنذاك: «ليس لديهم الحق في قتلي هكذا، قدماي بعيدتان عن الأرض». لقد شنقوني، واختنقت. وأنا أختنق الآن.

بسرعة، عليّ التحرك بسرعة، هذا ما قاله راؤول، كما شرح لي ما عليّ فعله: أعطه «قبلة الملاك».

انطبعت صور المذبحة الأخيرة في ذهني؛ سهامنا مقابل رصاصهم، أقواسنا مقابل بنادقهم، احتراق المخيم، القبض عليّ، ضفائري التي تمّ قصّها والحبل حول عنقي.

لا يزال جاك يعيش صدمة موته. إنّه مهتاج جداً. همست له: «هس، انسَ الماضي». أمرني راؤول أن أضع عليه علامة الملائكة. كيف سأفعل ذلك؟ أشار لي أنّه يجب غرز طرف السبابة أعلى الفم، كما لو أنّني أريد إرغامه على الصمت.

وضعت إصبعي تحت الأنف وطبعت المئزاب تحت فتحتي الأنف.

هدأ جاك.

أجهلُ ما حصل منذ قليل. هل هناك أحد ما؟ في جميع الأحوال، لقد نسيت كلّ شيء عن وجودي السابق. أعرف أنّ عليّ تذكر شيء ما، ولكن لم أعد أعرف ما هو. من ناحية أخرى، هل كانت لي حياة واحدة فقط سابقة؟ كلا، لا أعتقد ذلك.

إذاً سوف أولد.

إنّهم يسحبونني نحو الضوء. أسمع صراخاً.

أمي.

أسمع صوتاً يقول آمراً:

– ادفعي يا سيدتي. هيّا، ادفعي بدفعات صغيرة. قلّدي تنفس الكلاب.

بدأت والدتي باللهاث.

قال صوت آخر:

– هذا العمل مستمر منذ ساعات، وتقدّم الطفل بطيء، علينا القيام بعملية قيصرية...

– كلا، كلا، قالت أمي، اتركوني. سوف أنجح بذلك وحدي.

آه، هناك دفع من جديد. أشعر أنّ حولي أمواجاً تجرفني، فأتقدم داخل ما يشبه عنق زجاجة من اللحم المظلم. إنني أنزلق من قدمي نحو الضوء المبهر. شعرت بأطراف أصابعي أنها خرجت لمنطقة مجلّدة. أرغب بالعودة للتنعّم بالدفء، ولكنّ أيادٍ ترتدي القفازات المطاطية تمسك بي وتسحبني نحو البرد.

أصبحت قدماي الآن في الخارج، ومن ثمّ ردفي، وبعدها بطني. لا يزال السحب مستمرّاً. لم يبق سوى ذراعيّ ورأسي محميين، وما تبقى من جسدي يرتجف. إنّه يسحب من جديد، ولكنّ ذقني مستند على زاوية، ولن أتركها.

– إنّنا لا ننجح في ذلك، فهو لا يتقدم، أعلن طبيب التوليد.

– ولكن بلى، بلى، قالت أمي منتحبة.

– لنقم بعملية شق عجان بسيطة، نصحها الصوت.

– هل هذا ضروري؟ سألت أمي، وهي متحمسة بعض الشيء.

– إنّنا نخاطر بإلحاق الضرر برأسه إذا استمرينا بسحبه بهذا الشكل، أجابها الصوت.

بقي جسدي لحظة في البرد، رأسي دافئ، وذراعاي مشدودتان حول أذني. ظهر نصل بالقرب من ذقني، وقام بالتمزيق فتحرّر الضغط حولي. فجأة، تمّ سحبي من قدميّ مرة أخيرة، وعبر رأسي في هذه المرة.

أفتح عينيّ. إنّ الضوء يلوي رأسي من شدة إبهاره، فأسارع إلى إغلاق عينيّ.

أمسكوني. ليس لدي الوقت لفهم ما يجري. قلبوني رأساً على عقب وأمسكوني من قدميّ. أي! أي! أي! لقد اكتفيتُ من سوء المعاملة. بدأت أصرخ غضباً. راحوا يصرخون أيضاً.

آه هكذا! إنّها ولادتي، سوف أتذكرها! أنا أصرخ دون هوادة. يبدو أنّ هذا يجعلهم سعداء للغاية. إنّهم يضحكون. هل يسخرون مني يا ترى؟ قلقت من ذلك، فبدأتُ أبكي، وهم يستمرون بالضحك، ويمررونني من يد إلى أخرى. هيه! أنا لست لعبة على كل حال! ضربني أحدهم على عضوي الذكري وقال:

– إنّه صبي.

بموضوعية، ومن وجهة نظر الملاك، أقول إنّ هذا بشع جداً... نظر راؤول إلى المولود الحديث وانفجر بضحكته المعهودة.

– هذا صحيح، إنّه بشع.

– هل تعتقد أنّه سيتحسّن؟

أعلن الطبيب أنّ موكلي يزن ثلاثة كيلوغرامات. وجّه راؤول ما يشبه الضربة الصغيرة على ظهري كما لو أنني أنا من نجح في هذا العمل الفذ.

- جميع المولودين حديثاً يظهرون هيئة منكمشة نوعاً ما عند خروجهم من بطون أمهاتهم. ويكون الوضع أسوأ من هذا بكثير إن تمّ سحبهم بالملاقط، حينها يكونون شبيهين بفطائر الغوفر.

لقد ولدت.

- كم هذا جميل! راحت الأصوات تهنئ بعضها وأنا ما زلت لا أفهم شيئاً.

الجميع يصرخ على هذا الكوكب. ألا يعرفون الهمس؟ هناك الكثير من الأضواء، والكثير من تيارات الهواء، والكثير من الضوضاء، والكثير من الروائح. لا يعجبني هذا المكان إطلاقاً. هل يمكنني العودة من حيث أتيت؟ ولكنّ أحداً لم يطلب رأيي، إنّهم مشغولون في نقاش شيء يبدو مهماً جداً لهم.

- وماذا سوف تسمين طفلك؟

- جاك.

يتوالى الصخب، اقتربت مقصات من جسدي المرتعش. النجدة! إنّها تقطع الحبل السريّ وهذا يشعرني بالبرد كثيراً.

## 26. ولادة فينوس

أتذكر وجودي السابق. كنت تاجراً صينياً ثرياً جداً ذا نفوذ كبير. كنت أسافر على المحفّة[1] مع أتباعي حين اعتدى علينا قطاع الطرق. أمسكوا بنا جميعنا، ومن ثمّ أجبروني على حفر قبري بيديّ وألقوني فيه سريعاً. توسّلت إليهم أن يتركوني حيّاً مقابل كلّ ما أملك. ألقوا بعدها ورائي واحدة من خادماتي قائلين: «خذها، سوف نتركها لكَ كي تتسلى»، وبعدها غطونا بالتراب. امتلأت عيناي بالتراب، كانت الخادمة أول من اختنقت، وشعرت بروحها تفارق الحياة. حاولت الخروج وأنا أدفع التراب الذي كان يحاصرني

---

1- كرسي أو سرير يحمله الرجال لنقل الأشخاص. المترجمة.

ولكنّني لم أقدر على تحرير نفسي لأنني كنت بديناً جداً. فقد كنت أتناول الكثير من وجبات العشاء الدسمة...

أنا أختنق، لا أستطيع تحمّل هذا الحبس الرهيب. أفتح عينيّ. عندما كنت تاجراً صينياً، متّ في مكان مظلم. أفتح عينيّ الآن من جديد على مكان مائل للحمرة. ما أزال أشعر بالضغط الكبير، ولا تزال هناك جثة بجانبي!

إنّه جورج، أخي التوأم الذي قتلته دون إرادتي.

أنا أختنق، أريد الخروج من هنا. أريد أن أتنفس، أريد أن أتنفس! أنا أعاني. إنّ جسدي هذه المرة أخفّ وزناً. أنا أطرق، ثمّ أضرب، ثم أتخبّط. لا بدّ أنّ هناك أحداً قادر على مساعدتي كي أخرج.

ها قد أصبحنا بجوار فينوس.

هناك شيء ما لا يسير على ما يرام في روحها. أحاول دخول روح الطفل ولكن لا أقدر على ذلك. هنا تتجلى حدود عملنا كملائكة، فنحن لا نستطيع قراءة أفكار موكلينا.

لا بدّ وأنّ ماضيها هو ما يعذبها. أسرعت لوضع بصمتي، ولكنّها محمومة ولا تتوقف عن الحركة، أشعر بصعوبة في ختمها.

- إنّها تعاني من نوبة رُهاب الأماكن المغلقة. قال راؤول.

- منذ الآن؟

- بالطبع، إنّ ذكريات الموت السابق تترك أحياناً آثاراً واضحة. لا تتحمل البقاء في مكان مغلق. ليس لدينا الوقت لوضع البصمة. أسرع، يجب علينا التحرك.

- نقلتُ حدس إجراء عملية قيصرية لطبيب الولادة.

الضوء. الحرية أخيراً! هناك أيدٍ تنتشلني من سجني، ولكن، ما زال هناك شيء ما عالق بي.

إنّها جثة جورج! إنّه يعانقني كما لو أنّه لا يريد أن يتخلّى عني أبداً. ما أبغض هذا! لقد متّ كرجل وكان بين ذراعيّ جثة امرأة، والآن أولد كامرأة متشبثة بجثة رجل.

اضطرت الممرضات لاستخدام مقصات صغيرة جداً لإبعاد أصابع جورج الواحدة تلو الأخرى عني.

– هس، انسَي الماضي.

بمجرد أن تعرّض جسدها للهواء الطلق طبعت عليها بصمة الملائكة فوق شفتيها. كان الأطباء مشغولين جداً بفصلها عن جورج لذا لم يلحظوا وجه فينوس الصغير، وإلّا كانوا سيرون أنّ المثزاب حُفر فجأة تحت أنفها.

## 27. ولادة إيغور

إذاً سوف أولد.

أتذكر أنّني كنت رائد فضاء، وأتذكر أنّني كنت يائساً.

ها نحن الآن بقرب إيغور. هو أيضاً متوتر. لا بدّ أنّه يتذكر حياته السابقة والصدمات التي تعرض لها. أركض وأضع عليه مباشرة بصمة الملائكة. «هس، انسَ الماضي». رفض أن يهدأ. لذا ضغطت بقوة أكثر ولا بأس إن كان المثزاب سيأخذ عمقاً واضحاً. استطاع أخيراً الشعور بالهدوء قليلاً.

كانت أمي قد خرجت منهارة منذ قليل إلى الشارع. بقيت لفترة طويلة تنكر أعراض الولادة، توجّب عليها الانتظار في الشارع، وهي تشعر بالدوار والغثيان، وفي كلّ مرة أنال ضربات منها عقاباً على ما تشعر به. كما لو أنّ هذا كان خطئي!

سالت هذه المرة كلّ المياه، ووجدت نفسي في مكان جاف، وفوق كلّ ذلك، فقدت أمي وعيها.

حملها بعض المارّة، وراحوا يصرخون، ومن ثمّ قال أحدهم إنّ هذه المرأة حامل بلا شك، وصاح آخر أنّه يجب اصطحابها عاجلاً إلى المستشفى.

– أشعر بحال أفضل، قالت أمي مستعيدة أنفاسها، إنّه مجرد إغماء بسبب الكحول.

لحسن الحظ أنهم لم يستمعوا إليها.

إنّ المستشفى بعيد، والسيارة تسير بسرعة، أعرف ذلك من المطبات.

- تنفسي بهدوء، نصحها صوت امرأة.

- لا بأس، أريد العودة إلى منزلي، كرّرت أمي.

بدأت أختنق في الداخل. سوف أموت، وبالتالي سوف تنتصر. وأخيراً بدأت انقباضات الولادة. أصيب الزوجان اللذان يقلّان أمي بالسيارة بالذعر، أعرف أنّهما زوجان لتناوب سماعي لصوت رجل وامرأة. ما تزال السيارة تسير بسرعة. تتصاعد اهتزازاتها كما الانقباضات أيضاً. أخذت وضعية الولادة.

هيّا، أنا جاهز.

- لا أعرف كيف أقوم بهذا، قال الرجل متنهداً لزوجته. لم أقم بتوليد أيّة امرأة مسبقاً، إنّني خباز.

حسناً، تخيّل أنّك تخرج الخبز من الفرن، أيها الرجل الحاذق!

- سوف يموت، سوف يموت، أخذ الرجل يندب.

ولكنّهم لم يحسبوا حساباً لي. على الرغم من أمي العدائية وهذان الزوجان غير الجديرين، ولكنّني أرغب في الحياة، وسأعيش.

من هنا المخرج: «الخروج».

أخرجت رأسي بالكامل، لقد كان الجزء الأصعب. أفتح عينيّ، ولكن لا أرى شيئاً. كلّ شيء ضبابيّ.

- هيّا لفّهُ بسترتك. قالت المرأة آمرة.

- جيد، لقد نجحت بأصعب شيء، وهو أنّني ولدت. ما سيأتي لاحقاً حتماً سيكون أسهل.

- لقد تخيلت بالفعل أنّنا لن ننجح بهذا أبداً. لم أكن أعلم أنّ الولادة يمكن أن تكون صعبة لهذه الدرجة.

– نسي بسرعة، طمأنني راؤول. ولكن كما رأيت، فعلتُ حسناً بقدومي معك. كان علينا العمل نحن الاثنان بجدّ كي نؤثر على السائقين ونتجنب وقوع حادث مروريّ.

– إنّ هذا يثير المشاعر...

– ما هذا الكلام... إنّهم وحوش، نعم! والكابوس لم يبدأ بعد. سوف تتعرف قريباً على الأسوأ.

– ماذا تقصد؟

بدا مظهر راؤول حزيناً.

– الإرادة الحرة! الإرادة الحرة للبشر، أيّ حقهم باختيار ماذا يفعلون في حياتهم. لهم الحق إذاً في أن يخطئوا، لهم الحق بفعل الكوارث دون الأخذ بالحسبان كائناً من كان، ودون مسؤولية، ودون تردد. آه، لو سمحت، لا تثق بهاتين الكلمتين المصيريتين: «الإرادة الحرة».

## 28. موسوعة

الحمل: عادة ما يستغرق الحمل عند الإنسان ثمانية عشر شهراً كي يكون مكتملاً. ولكن، في نهاية الشهر التاسع، يصبح من الضروري إخراج الجنين من جسد الأم لأنّ رأسه يكون كبيراً جداً، وفي حال انتظرنا أكثر، سيصبح الجنين أكبر من أن يقدر على العبور من حوض الأم. ويمكن تشبيه ذلك كما لو أنّه خطأ في التوافق بين حجم القذيفة والمدفع.

إذاً يترك الجنين بطن والدته قبل أن يكتمل نموّه تماماً. النتيجة: لا بدّ من إكمال الأشهر التسعة من حياة الجنين التي عاشها داخل الرحم إلى الأشهر التسعة من حياة الجنين خارج الرحم.

يجب أن تكون الحضانة خلال هذه الفترة الحساسة جداً، مصحوبة بحضور قوي جداً من طرف الأم. وعلى الوالدين تشكيل رحم عاطفي وهميّ ليشعر فيه المولود الحديث بالوفير من الأمان والحب والقبول كما لو أنّه لم يولد بعد. ويحدث في الشهر التاسع ما يسمى «بفجيعة الطفل»، عندما يدرك أنّ هناك فرقاً بينه وبين العالم الخارجي. سيتمكن عند تلك اللحظة،

من التعرف إلى نفسه في المرآة على أنه كائن مختلف عن باقي أثاث المنزل، وحينها سنكون قد حدثت أخيراً ولادته الحقيقية.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 29. إدارة الموكلين

كان إدموند ويلز ينتظرني أمام مدخل باب الياقوت. شعر بالدّهشة قليلاً عندما رأى راؤول، وفهم أنّ هذا الملاك غير التقليدي قد رافقني إلى الأرض، ولكن بما أنّه ليس ملاكه المدرّب المباشر، امتعض قليلاً ولم يعلق على ذلك.

– هل سارت أمور معموديتك لموكليك بشكل جيد؟ سأل بقليل من الحماس.

– نعم، كلّ شيء سار على ما يرام!

اقترح عليّ إدموند ويلز الذهاب باتجاه المنطقة الجنوبية الغربية. كان حولنا ملائكة آخرون يتناقشون وجهاً لوجه وهم يمرحون مثل أزواج طيور السنونو. مدّ مدرّبي ذراعيه كي ينعطف بحدة نحو اليسار، فتبعته.

– لقد آن الأوان لتعليمك العمل بشكل فعليّ.

اختار ركناً هادئاً في الجبال وهبطنا فيه.

– عليك توجيه موكليك على الطريق الصحيح. مع العلم أنّ لكلّ واحد منهم طريقاً مختلفاً عن الآخر. فقد اختاروا بأنفسهم مهمّات أرواحهم منذ زمن طويل. إنّها أهداف متمايزة وخاصة بكلّ واحد فيهم، وهم يحاولون في كلّ حياة يعيشونها تطوير أنفسهم في هذا الاتجاه. على الرغم من أنّك لا تعلم شيئاً عن هذه المهمات، ولكن تستطيع بالتأكيد، استنتاجها انطلاقاً من سلوكهم، ولكن يبقى المعيار الموضوعي الوحيد لتطورهم هو عدد النقاط التي يحصلون عليها أثناء المحاكمة. من يسير في الاتجاه الصحيح سوف يرى أثناء وزن روحه أنّ علامته تتحسن من حياة لأخرى. لا تنسَ، 600 درجة ويصبح الموكل خارج اللعبة.

- كيف أستطيع مساعدتهم؟

أمسك يديّ وقلبهما، وقام بإحضار كراتي الثلاث الصغيرة المضيئة. إنّ تلألؤ أنوار الشاشات الكروية الثلاث يرقص منعكساً على وجهينا الشفافين.

- إنّك تملك خمس وسائل للتدخل: 1) الحدس، 2) الأحلام، 3) الإشارات، 4) الوسطاء الروحيون، 5) القطط.

رحت أسجّل ما يقول، وهو يتابع:

- الحدس: توجّه موكلك نحو ما يجب عليه القيام به، ولكنّ الإرشادات تصله كتلميحات بسيطة بالكاد يمكنه ملاحظتها.

- ماذا بخصوص الأحلام؟

- سيكون بالطبع من المغري أن نقدّم لهم الحلول لمشاكلهم بشكل مباشر عبر الأحلام، ولكن هذا ليس من حقنا. علينا استخدام خطاب يشبه الأحلام نمرّر عبره الإرشادات بصور رمزية، فإن كان موكلك في خطر مثلاً، فما عليكَ سوى جعله يحلم أنّه فقد أسنانه أو تساقط شعره. المشكلة مع الأحلام أنّه إمّا أن ينساها الناس بعد استيقاظهم، أو أنّهم يسيئون تفسيرها. ولهذا كي ننجح في إيصال الرسالة، يجب أحياناً تكرار إرسالها عدة ليالٍ متتالية باستخدام قصص رمزية مختلفة ولكن مع الحفاظ دائماً على جوهر المعلومة ذاتها. إنّ الموهبة العظيمة للملائكة تكمن في إبداعهم بأسلوب إخراجهم لهذه الأحلام، فلكلّ موكل عالمه الخاص من الرموز والإشارات التي يجب استخدامها في سياقها الصحيح. ولهذا السبب فإنّ جميع الأعمال التي تشرح الرموز العامة للأحلام هي باطلة ولاغية.

راح يداعب بيضة فينوس.

- وماذا بخصوص الإشارات؟

- إنّها تعمل بأسلوب الحدس ذاته، فهي تقوم على التدخل المباشر، ولكنّها لا تنجح في كلّ المرات. كان الناس في الماضي يأخذون قراراتهم من خلال مراقبة أسراب الطيور أو رؤية أحشاء الدجاج. أمّا بالنسبة لنا، فالأمر أسهل من ذلك، فعلينا نحن حالياً اختراع الإشارات. فمثلاً نجعل من

نباح الكلب إشارة بوجوب عدم التوجه من هنا... أو جعل مفصلات الباب الصدئ لا تستجيب للفتح...

- والوسطاء الروحيون؟

- يجب عدم الإكثار من استخدام هذه الوسيلة، فالوسطاء الروحيون هم بشر يملكون القدرة على إدراك أصوات الملائكة، ولكن هناك عقبتان في هذا الصدد. بداية، قد يسيء الوسطاء فهمنا أحياناً. كما أنّهم قد يصلون إلى مرحلة يستغلون فيها هذه الموهبة لفرض نفوذهم على الأشخاص الذين يلجؤون إليهم. لهذا يجب عدم استخدام هذه الطريقة إلّا في الحالات الميؤوس منها.

- و... القطط؟

- إنّ القطط تعمل في الغالب كعمل الوسطاء الروحيين تقريباً، بل وتتفوق على البشر بأنّها لا تنساق وراء النفوذ أو السلطة أو المال. ولكن في المقابل هناك عائق كبير؛ فهي لا تعرف الكلام، ولا يمكنها توجيه تحذير مباشر.

رحت أفكر بأنّ وسائل التدخل هذه تبدو لي متواضعة جداً لمحاربة شبح الإرادة الحرة.

- هل هناك وسائل أخرى؟

داعب إدموند ويلز كرة إيغور.

- إن استخدمت هذه الوسائل الخمس بشكل صحيح ستمكنك فعلاً من الحصول على نتائج جيدة ومهمة.

تمطيتُ قليلاً.

- رائع، لطالما حلمت أن أدير البشر، رجال حقيقيون، ونساء حقيقيات، إنّ هذا أكثر إثارة من لعبة فيديو محاكاة من نوع «حاول أن تجعل الشخصية الرئيسة تعيش في وسط عدواني».

- انتبه، لا يسمح لك بالقيام بكلّ ما يحلو لك، فلديك مسؤولية كبيرة تجاه موكليك. يتوجب عليك تحقيق أمنياتهم، وعندما أقول أمنياتهم، فهذا يعني تماماً كافة أمنياتهم.

– حتى تلك الأمنيات التي تتعارض مع مصالحهم؟

– هنا يتجلّى الامتياز العظيم لإرادتهم الحرة التي تشكل نسبة 50% من روحهم. لذا يمنع عليك المساس بها. يجب أن تحترم حتى أكثر رغباتهم اللامعقولة.

كان راؤول محقاً. فعدوّنا ليس الشيطان، أو أيّ كائن سماوي شرير. إنّ عدونا هو الإرادة الحرة للبشر.

## 30. جاك– عام واحد

أعيش حياتي كطفل صغير.

لا أحب أن يقوم والداي بحملي من تحت إبطيّ. أحبّ عندما يمسكونني بمؤخرتي فأتمكن بذلك من الجلوس على راحتي كفيهما.

كثيراً ما يُطلقني والدي في الهواء حتى أوشك أن أصطدم بالسقف، وهذا يخيفني. لماذا يشعر الآباء أنّهم ملزمون برمي أبنائهم في الهواء؟

كلّ شيء يوترني، أرغب في الاختباء تحت الأغطية وأن يتركني الآخرون بسلام.

قُدّمت لي فتاة صغيرة على أنّها أختي. تبدو سعيدة لرؤيتي فهي لا تتوقف عن وضع الأشياء في فمي قائلة: «هيّا أيها الطفل، عليك أن تأكل». تضعني في عربة لعبتها وتركض بي في جميع أرجاء المنزل وهي تصرخ: «الطفل متسخ! يجب أن نحمّمه ونضع الشامبو على عينيه!»

ليست هي الفتاة الوحيدة هنا التي تُقدّم على أنها أختي. هناك غيرها، وأجد أنّ وجودهن مثير للاهتمام مع أنّه قد يكون خطيراً. بعضهنّ يقبلنني، وبعضهنّ يشددن شعري. هناك من يعطينني الرضاعة، وأخريات يدغدغنني.

اكتشفت أنّ لدينا أيضاً قطة في العائلة. تبدو لي أنّها الكائن الأكثر سكينة في هذا المنزل. إنّ فراءها مخمليّ مثل فرو دبتي، وتصدر صوت مواء منخفض يعجبني.

تحاول أخواتي أن يُظهرن لي كيفية المشي، وقد سبق ووقعت في إحدى

المرات، لذا فإنّ ذكرى كدماتي تجعلني أتوجس من القيام بمحاولات جديدة. إنّ الوقوف يقلقني، فالسقوط وأنا أحبو يكون أقلّ ضرراً.

من الأشياء التي تبعث الطمأنينة في المنزل، عدا القطة طبعاً، وجود المبولة أيضاً والتلفاز. عندما أكون على المبولة، لا يأتي أيّ أحد ليزعجني. وبالنسبة للتلفاز، فهو يتمتع بخاصية العمل طوال الوقت، بالإضافة إلى أنّه يصدح مثل القطة.

تُروى القصص باستمرار على التلفاز. أعشق القصص، فهي تجعلني أنسى مخاوفي.

## 31. فينوس- عام واحد

إنّني محاطة بالقبل والاهتمام والرعاية. كثيراً ما تقول لي أمي إنّني أجمل فتاة في العالم، وحين نظرت إلى نفسي في المرآة، وجدت أنّني بالفعل فاتنة. لديّ شعر أسود طويل، وبشرتي عسلية وناعمة كالحرير، وعيناي خضراوان فاتحتان. يبدو أنّه منذ ولادتي، على عكس الأطفال الآخرين، لم أكن حتى مرهقة من الولادة. أرجعت أمي سبب ذلك أنّني خرجت مباشرة من بطنها دون أن تبذل أيّ مجهود في الولادة.

بعيداً عن هذا، قام والداي بتقديمي لرجل مسنّ، وهو والد أمي، يسميانه «جدي»، وهذا الجدّ يطبع الكثير من القبل المليئة باللعاب. أكره القبل الرطبة. أعتقد أنّه حين يسمح لنفسه بطبع هذه القبل الرطبة، فهو يعاني بلا شك من نقص عاطفي.

في الليل، أطالب والديّ بإشعال مصباح خافت بالقرب من سريري حتى لا أغرق بالظلام. فمن دونه، أشعر بوجود كائن شرير يختبئ تحت عوارض السرير، وسوف يمسكني من قدميّ.

لا أتحمل أيضاً أن يلفانني بالغطاء. أحتاج دائماً أن تكون قدماي حرتين في الهواء، وإلّا، فإنّ هذا يوترني، يوترني كثيراً. فإن خرج الوحش من تحت السرير فجأة، سأجد نفسي عالقة ولن أستطيع الهرب.

لا آكل من جميع أصناف الطعام. لا أتحمل سوى المأكولات العذبة والحلوة. أحبّ كل ما هو جميل ولطيف ومُحلّى.

## 32. إيغور– عام واحد

يجب أن أنجو من أمي.

أفرّ من بين يديها في حوض الاستحمام حيث تسعى لإغراقي. أفرّ من بين يديها في السرير حيث تسعى لخنقي بالمخدة.

أعرف كيف أكون زلقاً.

أعرف كيفية تجنب التهديدات.

أعرف أن أوقظ نفسي في الليل عند أدنى ضوء يصدر.

أعرف، بفضل سمعي المرهف جداً، أن أخمّن متى قد تظهر فجأة ورائي.

أعرف أن أكون ذكياً وسريعاً.

أتعلم بسرعة المشي.

كي أتمكن من الهرب بصورة أفضل.

## 33. موسوعة

**غريزة الأمومة: يُهيّأ للكثير بأنّ الحبّ الأمومي هو مشاعر إنسانية طبيعية وتلقائية، وهذا في الحقيقة أكبر خطأ. فحتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت غالبية النسوة المنتميات للبرجوازية الغربية يضعن أطفالهنّ في عُهدة المربيات ويتوقفنَ بعدها عن الاعتناء بهم.**

**لم يكن اهتمام الفلاحات بأطفالهنّ أفضل من البرجوازيات. كنّ يلففن الأطفال بقماط ضيق جداً ومن ثمّ يعلّقنهم على الجدار غير بعيد عن المدفأة كي لا يشعروا بالبرد.**

**لقد كان معدّل وفيات الأطفال مرتفعاً جداً، والأبوان يسلمان أمرهما للقدر، انطلاقاً من معرفتهما أنّ أكثر من نصف الأطفال يموتون قبل بلوغهم سنّ المراهقة.**

**لم تدرك الحكومات إلّا في بداية القرن العشرين، مدى الفائدة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للجملة الشهيرة «الغريزة الأمومية»، وذلك على الأخص عند إجراء الإحصاء السكاني، لأنّهم أدركوا العدد الكبير للأطفال**

الذين يعانون من سوء التغذية، وسوء المعاملة، والضرب. فنتائج ذلك على المدى الطويل، قد تكون وخيمة على مستقبل أيّ بلد. لذا تمّ تطوير المعارف والأساليب الوقائية، وتقدم الطب تدريجياً في مجال أمراض الأطفال، كلّ ذلك ساهم بالتأكيد بأن يصبح الأبوان قادرين على الاستثمار عاطفياً في أطفالهم دون خشية فقدانهم المبكر. لذا تمّ وضع «غريزة الأمومة» على جدول الأعمال.

وشيئاً فشيئاً، وجد سوق جديد: حفاضات ورضّاعات وحليب أطفال ومبولات صغيرة وألعاب، واجتاحت أسطورة بابا نويل العالم بأسره.

قامت بعدها الشركات المصنّعة لمنتجات الأطفال عبر مطالبات عديدة بخلق صورة الأم المسؤولة، وأصبحت سعادة الطفل نوعاً من الدليل على التحضر في العصر الحالي. المفارقة أنّه في الوقت الذي تكرس فيه الحبّ الأمومي وأثبت نفسه وازدهر، وأصبح العاطفة الوحيدة التي لا نقاش حولها في المجتمع، بدأ الأطفال، بعد أن أصبحوا بالغين، بانتقاد أمّهاتهم باستمرار على نقص اهتمامهنّ بهم، وصاروا فيما بعد، يتهافتون على... الأطباء النفسيين ليشكوا إليهم استياءهم وسخطهم تجاه أمهاتهم.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 34. العالم في الأعلى

أستطيع بفضل كرات المراقبة، رصد موكليّ من جميع الزوايا كما لو أنّني أملك تحت خدمتي عشرين كاميرا. بمجرد أن أفكر، أحصل على لقطة بانورامية أو لقطة واسعة أو لقطات لكامل الشخصية أو لقطات مقرّبة. تدور كاميراتي كما أريد حول موكليّ كي أفحص جيداً الشخصيات الثانوية والكومبارس والبيئة. لا أتحكم فقط بزوايا اللقطات وإنّما أيضاً بالإضاءة. أستطيع مراقبة أبطالي حتى وهم غارقون في الظلام الدامس، وتمييزهم بوضوح تحت المطر الغزير. أستطيع الدخول في أجسادهم ورؤية القلب ينبض، والمعدة تهضم. لا يخفى عليّ شيء سوى أفكارهم.

لا يشاطرني راؤول حماسي هذا.

- أنا أيضاً كنت متحمساً في البداية. ولكنّني أدركت لاحقاً مدى عجزي.

نظر إلى كرة إيغور.

- أمممم، ليس جميلاً ما يحدث.

تنهدتُ.

- أنا قلق على إيغور. سوف تقتله أمه في النهاية.

- صبي يكره أمّه...، قال راؤول متأملاً. ألا يذكرك هذا بشيء ما؟

فكرت ملياً ولم أتوصل لشيء.

- فيليكس، همس بذلك.

اقشعر جسدي. فيليكس كيربوز، أول متطوع معنا في تجربة الثاناتونوتس! هو أيضاً كان مكروهاً من أمّه. هرعتُ أنظر متفحصاً كارما إيغور وأدركت بالفعل، أنّ هذا الطفل الروسي هو تجسيد لرفيقنا السابق رائد الثاناتونوتس.

- كيف لهذا أن يحدث؟

أجاب راؤول بلا مبالاة.

- في ذلك الحين لم يكن مصطلح «ثاناتونوتس» متعارفاً عليه، لذا قامت المحكمة الملائكية بتصنيف فيليكس على أنّه «رائد فضاء».

أتذكر هذا الصبي البسيط الذي وافق أن يكون أوّل من تُختبر عليه أدوية خطيرة بهدف الخروج سريعاً من السجن، وتطوّع ذاتياً للقيام برحلة ثاناتونوتسية مقابل العفو عنه. كان بذلك أوّل زائر لقارة الموتى وأوّل عائد منها، وفي كلّ الأحوال، أجد أنّه من القاسي أن يعيش مع أمّ حقودٍ في حياته السابقة، وأن يحظى في هذه الحياة أيضاً بأمّ أشد سوءاً من سابقتها.

أكد لي راؤول أنّ هذا طبيعي، فعندما يعيش الإنسان مشكلة لا ينجح في حلّها في حياته، فإنّه يعود ليواجهها بشكل تلقائي في حياته التالية.

- لم تنجح روح فيليكس كيربوز بتجاوز أو فهم أمّه، لذلك سوف يحاول تحقيق ذلك الآن، في حياته الحالية بصفته إيغور تشيخوف. إنّهم بلا شك كائنات 7، أولئك «الناس في الأعلى» أو... «الآلهة»، من قرروا ذلك.

إن أخفق هذه المرة في حلّ مشكلته مع أمّه في هذه الحياة أيضاً، فبأيّة زوجة أب فظيعة سيحظى في الحياة اللاحقة؟...

رفعت حاجبيّ.

- أسوأ من والدة إيغور، أنا لا أرى...

ضحك راؤول رازورباك.

- لا تقلق بخصوص ذلك، تستطيع أن تثق جيداً «بالناس في العالم العُلوي». فهم يمتلكون خيالاً خصباً عندما يتعلق الأمر باختراع مصاعب جديدة للبشرية. لربّما مثلاً سيكون على تجسيد إيغور - فيليكس في حياته القادمة مواجهة أمّ لطيفة ولكنّها متسلّطة بشكل مفرط، الأمر الذي يدفعها لتضييق الخناق عليه بحبها الغيور.

- ما هذه الكارما القاسية إلى هذا الحدّ!

أبدى صديقي مظهراً جدياً بينما راحت أصابعه تتحرك كالعصافير.

- أرى أنّك قد بدأت تفهم. كل شيء يجري على هذا النحو هناك في الأعلى، إنّهم يبذلون جهدهم للضغط على رؤوس موكلينا حتى يقرروا في النهاية التحرك. يعتبرون أنّه فقط بوصول الإنسان إلى قاع المسبح يمكنه أن يوجه ركلة بقدمه للقاع كي تمكنه من الصعود إلى السطح. لا أعرف من يكونون هؤلاء «الآلهة»، ولكن أنا لست مقتنعاً بأنّهم يسعون لخير البشرية.

- ماذا يمكنني أن أفعل إذاً لمساعدته؟

أحكم راؤول رازورباك قبضتيه.

- ليس الكثير، للأسف! إنّنا جيش مشاة عند الكائنات النورانية. نحن في خط المواجهة الأول لنشهد الكارثة، ولكنّ الضباط الاستراتيجيين المتمركزين في الخلف هم من يأخذون القرارات... ونحن لا نعلم دوافعهم.

شعرت فجأة بأنّني عاجز. نهرني راؤول بغضب.

- لهذا يجب علينا أن نكتشف بأيّ ثمن، من هم هؤلاء الضباط، وما هو الدافع الذي يحرّكهم، من هم كائنات 7 هؤلاء، من هم هؤلاء «الآلهة» الذين يستخدموننا نحن الملائكة وأولئك البشر.

إنّها المرة الأولى التي أشعر فيها أنّني متأثر بحجج صديقي المتهور، قد يكون هذا بسبب شقاء إيغور، ولكن لا أشعر مع ذلك أنّني جاهز لتجاوز قوانين بلاد الملائكة.

## 35. الطفل جاك– عامان

والداي اليوم ليسا في المنزل، والمربية خرجت إلى الشرفة لتدخن وتتحدث عبر الهاتف. إنّ الطريق سالك، هيّا عليّ التوجّه إلى المطبخ. إنّه مكان مذهل لطالما تملكتني الرغبة بالتعرف عليه أكثر. يوجد فيه الكثير من الأضواء التي تسطع بيضاء وحمراء وحتى خضراء، ونشمّ فيه نكهات السكر الساخن وروائح الحليب والشوكولا الذائبة والبخار المالح. إنّني في هذه الأيام لا أتوقف عن شم الروائح. ومن ثمّ لقد أصبحت خبيراً بالتسلق.

حسناً، ماذا يوجد في الأعلى؟

لحسن الحظ يوجد كرسيّ بالقرب من الموقد. إذا تسلقت أعلاه، سأستطيع الإمساك به.

إنّ جاك على وشك أن يحرق نفسه بسحب مقبض القِدر الذي يغلي فيه ماء المعكرونة! يجب إنقاذه. رحت أراجع وسائل التدخل الخمس.

الحدس.

أحاول الدخول إلى ذهن المربية. «الطفل، الطفل في خطر داخل المطبخ!»

لكنّ حديثها عبر الهاتف مع حبيبها يستحوذ عليها كلياً.

أحاول الدخول إلى ذهن الصغير جاك ولكن رأسه مثل خزنة قوية من المستحيل اختراقها.

الإشارات.

جعلت العصافير تقف على حافة النافذة وتزقزق بقوة كي تشتت انتباه الطفل، ولكنّ اهتمامه منصبّ بالكامل على القِدر، لذا فإنّ جاك لا يراها ولا يسمعها.

الوسطاء الروحيون. ولكن لا وجود لأيّ منهم في الجوار.
ما العمل إذاً؟

هذا المقبض بعيد جداً. يجب أن أدفع يدي إلى الأمام أكثر. سأتمكن من الإمساك بهذه العصا الطويلة التي تبرز هناك لأرى لماذا يصدر هذا القدر دخاناً وضجيجاً.

القطط.
بقي لديّ القطط.
لحس الحظ، يوجد قط في هذا المنزل! أتواصل معه. وعلى الفور، عرفت الكثير عنه. بادئ ذي بدء إنّه في الحقيقة قطة وليس قطاً، وتدعى موناليزا. يا للدهشة! إنّ أرواح البشر تكون مستعصية علينا كلياً، بينما يمكن اختراق ذهن هذه القطة بكل سلاسة. «يجب إنقاذ الصبي الصغير!» قلت لها ذلك. إنّ موناليزا تلتقط بكلّ تأكيد طلبي ولكنّ المشكلة أنّها لا ترغب البتة بالانصياع له. ولدت موناليزا في هذا المنزل ولم تخرج منه على الإطلاق، ومن كثرة بقائها ساكنة طوال النهار أمام التلفاز، أصبحت بدينة. لا تقبل التحرك سوى ثلاث مرات في اليوم كي تحشو بطنها بالجبنة والأطعمة المعلبة التي تسعدها.
لم تصطد في حياتها أبداً، ولا تعرف العراك مطلقاً، حتى إنّها لم تتنزه يوماً في الخارج.
إنّها تمكث هنا، في دفء الشقة، تتابع التلفاز. لها برامجها المفضلة وتظهر اهتماماً كبيراً بالألعاب التي تتضمن طرح أسئلة على المشتركين من نوع: «ما هي عاصمة ساحل العاج؟»
تستمتع هذه القطة عندما يخطئ الإنسان أو يفوته الفوز بالجائزة الكبرى. إنّ المحن التي يعيشها البشر تشعرها بالراحة من باب أنّها محظوظة بكونها قطة.
لديها ثقة عمياء في أسيادها. كلا، بل أكثر من ذلك بكثير، إنّها لا تعتبرهم حتى أسياداً، بل... رعاياها. غير معقول! هذا الحيوان يظنّ أنّ القطط هي

من تحكم العالم، وتتلاعب بهؤلاء أصحاب الأقدام الضخمة الذين يوفرون لها الرفاهية.

قلت لها:

– «تحركي، اذهبي وأنقذي هذا الطفل الصغير».

لم تأبه له.

«أنا مشغولة جداً، أجابت القطة بوقاحة. ألا ترى أنني أشاهد التلفاز؟»

قررت التوغل بشكل أعمق أكثر في ذهن موناليزا.

«إن لم تتحركي من مكانك، فسوف يموت الطفل».

أكملت بكل هدوء لعق نفسها.

«لا يهمني، سوف ينجبون غيره. على العموم فإنّ وجود كلّ هؤلاء الأطفال في منزل واحد يُعتبر عدداً كبيراً. ماذا يفعلون سوى الضجيج والحركة! وينتهي الأمر بهم دائماً بأن يضايقوني بشدّ شواربي. أنا لا أحب صغار البشر».

كيف أجبر هذه القطة على إنقاذ الطفل؟

«اسمعي أيتها القطة، إن لم تتحركي الآن بسرعة وحالاً لإنقاذ جاك، سوف أقوم بالتشويش على هوائي التلفاز».

لا أعرف إن كنت قادراً على فعل ذلك، ولكن المهم أن تصدقني هي. يبدو أنّها فعلاً قد خامرها الشك بذلك. رحت أقرأ في فكرها ذكريات لبرامج مشوشة بسبب العواصف، وشاشات مغطاة بالثلوج، والأسوأ، أنّها عانت حتى من أعطال أصابت التلفاز، وإضرابات أزعجتها كثيراً.

– أوه، مرحباً أيتها القطة. إنّها المرة الأولى التي تأتين فيها لتفركي نفسك فيّ. كم أنت لطيفة، وما أمتع مداعبة فرائك! أفضل اللعب معك على اللعب بهذه العصا في الأعلى.

## 36. الطفلة فينوس – عامان

أمضيت البارحة وقتاً طويلاً أمام مرآتي. تجهّمت متأملة ملامح وجهي، ولكنّني وجدت نفسي جميلة حتى عندما أعبس.

وضع لي والداي حفاضات من الساتان الوردي. يقولان إنّ الغاية منها أن أفعل فيها «بي بي» و«كع كع». لا أعرف عمّاذا يتحدثون، سألتهما «ماذا يعني بي بي؟» فأظهرت لي أمي ذلك. تفحصت السائل الأصفر وشممته، فشعرت بالاشمئزاز. كيف يمكن لجسد جميل جداً مثل جسدي أن يفرز سائلاً كريه الرائحة بهذا الشكل؟ أشعر بالغضب. هذا غير عادل أبداً. كما أنّه من المشين حقاً ارتداء هذه الحفاضات!

يبدو أنّ كلّ البشر دون استثناء يفعلون «بي بي» و«كع كع». هذا ما يقولانه والديّ على كل حال، ولكنّني لا أصدق ذلك. لا بدّ وأنّ هناك بعض البشر قد نجوا من هذه الفاجعة.

رأسي يؤلمني.

رأسي يؤلمني أغلب الوقت.

لقد حدث شيء بغاية الأهمية معي ولكنّني نسيته. طالما أنّني لا أتذكره، أعرف أنّ رأسي سيبقى يؤلمني.

## 37. الطفل إيغور – عامان

أمّي تريد قتلي.

البارحة حبستني في غرفة فيها نافذة كبيرة مفتوحة على مصراعيها. تغلغل الهواء البارد حتى عظامي، ولكنّني أطور قدراتي على مقاومة البرد، وما زلت صامداً. ليس لدي خيار على أية حال. أعرف أنّني إذا مرضت، فلن تعتني بي.

«أنا أغيظك يا أمي لأنّني لا أزال حياً. ما لم تجدي الشجاعة في نفسك لتغرزي سكيناً في جسدي، أنا آسف، ولكنّني سأبقى حياً».

لا تسمعني، فهي في سريرها، تشرب الفودكا.

## 38. باب الزمرد

نبحث أنا وراؤول عن طريق آخر يقودنا نحو عالم كائنات 7. ارتفعنا

باتجاه الشرق، وصعدنا حتى قمة أحد الجبال، حاولنا العبور أعلاها، فاعترضنا حاجز غير مرئي ومنعنا من التقدم.

– قلت لك ذلك من قبل، إنّ عالم الملائكة هو سجن. تمتم راؤول بحزن.

فجأة، ظهر إدموند ويلز أمامنا.

– هيه! هيه! ما الذي تحاولان فعله هنا؟

– لقد سئمنا من هذا العمل. هذه المهمة مستحيلة. أكّد راؤول واضعاً يديه على خصره كإشارة للتحدي.

فهم إدموند ويلز أنّ الأمر خطير.

– ما رأيك أنت يا مايكل؟

أجاب راؤول عوضاً عني:

– ما إن فقست بيوضه حتى اكتشفنا أنّها أساساً مطهية. «هم» أعطوه جاك المضطرب والأخرق، وفينوس الأنانية والسطحية، وإيغور الذي تريد أمّه قتله. ما هذه الهدايا!

لم يوجه إدموند ويلز أية نظرة لصديقي.

– أنا أوجّه كلامي إلى مايكل. ما رأيك أنت يا مايكل؟

لا أعرف ماذا أجيب. يتابع مدرّبي مصرّاً:

– هل لا يزال لديك حنين لحياتك الفانية؟ تذكر حياتك عندما كنت متجسداً.

شعرت أنّني واقع بين نارين، وبجملة واحدة، استطاع إدموند ويلز اختصار الحالة برمّتها.

– كنت تعاني، كنت خائفاً، وكنت مريضاً. أمّا الآن، فأنت روح مجردة، وحرّة من المادة.

كلامه هذا تغلغل كلياً في داخلي.

قال راؤول لامبالياً وبشيء من الامتعاض.

– ولكنّنا فقدنا إحساس اللمس تماماً. لم يعد بمقدورنا أن نجلس بشكل فعليّ.

مثّل راؤول وضعية الجلوس، ومن ثمّ أظهر أنّه يسقط عن كرسي وهمي غير موجود.

– لن نكبر في السن، تابع إدموند ويلز كلامه.
– ولكنّنا لا ندرك الوقت الذي يمضي. إنّ راؤول يحاجج إدموند ويلز واحدة بواحدة. لم نعد نشعر بالثواني ولا بالدقائق ولا بالساعات ولا بالليالي ولا بالنهارات ولا بالفصول.
– إنّنا خالدون.
– ولكن لم يعد لدينا أعياد ميلاد!
تتصارع الحجج.
– نحن لا نعاني...
– ولكنّنا لم نعد نشعر بشيء.
– إنّنا نتواصل عبر الفكر.
– ولكنّنا لم نعد نستمع للموسيقا.
يتابع إدموند ويلز دون هوادة.
– إنّنا نطير بسرعات هائلة.
– ولكنّنا لم نعد نشعر بمداعبة الهواء لوجهنا.
– نبقى يقظين دوماً.
– ولكنّنا لم نعد نحلم!
لا يزال مدرّبي يحاول كسب المزيد من النقاط ولكنّ صديقي لا يستسلم:
– لم نعد نشعر بالمتعة، ولا نمارس الجنس.
– لم نعد نشعر بالألم أيضاً! ونستطيع الوصول إلى جميع المعارف، أجاب إدموند ويلز.
– لم يعد هناك... كتب. لا وجود حتى لمكتبة في الجنة...
تأثر مدرّبي بهذه الحجة.
– في الواقع، ليس لدينا كتب... ولكن... ولكن...
بحث ثم وجد:
– ولكن... لسنا بحاجة لها. فحياة كلّ إنسان فانٍ تحمل في ذاتها قصة مثيرة. إنّ مراقبة أبسط حياة لإنسان حيّ بتغيراتها الدراماتيكية، ومفاجآتها وآلامها وشغفها وأحزان الحب ونجاحاتها وفشلها، أفضل من جميع الروايات ومن جميع الأفلام. والأهم من كل ذلك، أنّ هذه القصص حقيقية!

هنا، لم يجد راؤول رازورباك شيئاً ليقوله. ولكنّ إدموند ويلز لم يتوقف عن استعراضه.

- لقد كنت في الماضي مثلكما، متمرداً.

رفع رأسه كما لو أنّه أراد مراقبة الغيوم الماطرة، ومن ثمّ قال:

- أمممممم... تعالا، سوف أحاول إشباع فضولكما قليلاً بكشف سر لكما. اتبعاني.

## 39. موسوعة

**الفرح: «واجب كل إنسان إغناء فرحه الداخلي». ولكنّ الكثير من الأديان نسيت هذا المبدأ. إنّ أغلب المعابد مظلمة وباردة، وموسيقا الشعائر الدينية فخمة وحزينة، حتى الكهنة يرتدون ملابس سوداء. تحتفي الطقوس الدينية بعذابات الشهداء وتتنافس في تمثيل مشاهد القسوة، كما لو أنّ التعذيب الذي تعرّض له أنبياؤهم يعتبر إشارة للأصالة والتفرّد.**

**أليس فرح الحياة أفضل طريقة لشكر الله على الوجود هذا إن كان الله موجوداً؟ وإذا كان الله موجوداً بالفعل، فلماذا سيكون كائناً متجهماً وحزيناً؟**

**الاستثناءات الوحيدة البارزة: كتاب تاو تو - تشينغ، وهو نوع من كتب الفلسفة الدينية الذي يقترح الاستهزاء بكلّ شيء، بما فيه هو ذاته. بالإضافة إلى الأناشيد الدينية الزنجية، هذه الترانيم التي يرددها بمرح زنوج أمريكا الشمالية في صلاتهم الجماعية وفي جنازاتهم.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 40. إيغور- 5 أعوام

يبدو أنّ أمي بعد عدة محاولات، قد صرفت نظرها عن فكرة قتلي. إنّها تشرب، وتشرب، وتحدّق فيّ بنظرة وعيد. فجأة، رمت بكأسها باتجاهي، فأسرعت بإخفاض رأسي كالعادة، سوف يتحطم الكأس محدثاً ضجة كبيرة باصطدامه في الحائط.

- ربما لن أنجح في قتلك، ولكن لن تستمرّ في إفساد حياتي طويلاً، أعلنت لي ذلك.

ارتدت سترتها، وأمسكتني بيدي كما تفعل عادة عندما تكون ذاهبة للتسوق، ولكنّني أشك في ذلك، فلا يبدو أنّها تنوي الركض بين المتاجر. تأكدت من ذلك عندما وضعتني أو بالأحرى رمتني على مدخل إحدى الكنائس.

- أمّي!

ابتعدت بخطى واسعة وفجأة، عادت ورمت لي ميدالية ذهبية، يوجد في داخلها صورة لرجل بشوارب عريضة.

- هذا والدك، ليس عليك سوى إيجاده. سيكون سعيداً بالاعتناء بك، الوداع!

جلست على الثلج الرطب. عليّ أن أستمرّ في الحياة، يجب ذلك. راحت ندف الثلج البيضاء التي تشبه النجوم تتساقط بكثافة، وبدأت تغطيني.

- ماذا تفعل هنا يا صغيري؟

رفعت رأسي المتجمد فرأيت رجلاً يرتدي زيّاً رسمياً.

## 41. فينوس- 5 أعوام

أرسم في النهار وفي الليل أعاني من نوم مضطرب. أشاهد أحلاماً كثيرة، أحلم أنّ هناك حيواناً مسجوناً داخل رأسي يكافح من أجل الخروج منه. إنّه أرنب صغير ينخر في جمجمتي من الداخل، يردّد دوماً الجملة نفسها وهو يقضم الطعام: «يجب أن تتذكريني». أستيقظ أحياناً وأنا أشعر بصداع رهيب. إنّ الألم في هذه الليلة أشدّ بكثير من الليالي السابقة. استيقظت وذهبت لرؤية أمي وأبي، إنّهما نائمان. كيف يسمحان لنفسيهما بالنوم بينما أعاني أنا لهذه الدرجة؟ أعتقد أنّهما لا يحبانني حقاً.

أرسم ألمي، وأرسم الكائن الذي أعتقد أنّه في داخلي وأنّه يقضمني.

## 42. جاك- 5 أعوام

أنا خائف، ولا أعرف لماذا أنا خائف. شاهدت البارحة على التلفاز ما

يسمونه «ويسترين». ارتعدت من الخوف والهلع، وصار جسدي يرتجف كله، وقد تفاجأ جميع أفراد عائلتي بحالي.

في هذا الصباح، خرجت أخواتي وقد ارتدين لباس رعاة البقر كي يخفنني. هربت حتى آخر الشقة، ولكنّهن وجدنني في غرفة الاستقبال. ركضت إلى المطبخ، فعثروا عليّ. ركضت باتجاه الحمام، فعثروا عليّ أيضاً.

- سوف نسلخ فروة رأسك، صاحت ماتيلد أصغرهنّ.

ولكن لماذا يقلن أشياء شريرة هكذا!

رحن يتبعنني حتى غرفة والديّ، ومن ثمّ حاولن الإمساك بي في غرفة الغسيل، ولكنّني هربت منهم بالانزلاق بين أرجلهنّ. إنّني مذعور، أين سأختبئ؟ خطرت في بالي فكرة؛ سوف أدخل المرحاض وأقفل الباب عليّ، ولمزيد من الأمان، قمت برفع المزلاج. أخذن يطرقن الباب ولكن لم أخشَ شيئاً، فالباب متين. أشعر داخل المرحاض كما لو أنّني في حصن بينما رحن يضربنه بقوة أكثر. وفجأة، توقفن عن الطرق، وسمعت حواراً يدور في الخارج.

- ما الذي يجري؟ سأل والدي.

- إنّ جاك يحبس نفسه في المرحاض، صرخت أخواتي.

- في المرحاض؟ ولكن ما الذي يفعله في الداخل؟ سأل أبي مندهشاً.

وهنا جاءني إلهام، فنطقت الجملة ذاتها التي يقولها والدي عندما يريد أن يبقى مسترخياً في المرحاض، تلك الجملة التي تزعج أمي:

- أقرأ كتاباً.

ساد الصمت وراء الباب. أعرف أنّ كلمة «كتاب» في هذا المنزل تثير حالة من الاحترام.

- إذاً، هل نقوم بكسر الباب؟ اقترحت ماتيلد بلطف.

بدأ التشويق.

بعدها سمعت أبي يقول متذمراً:

- إن كان دخل المرحاض ليقرأ كتاباً، فعلينا أن ندعه وشأنه. كان هذا

درساً حفظته في رأسي. حينما لا تسير الأمور على ما يرام، أحبس نفسي في المرحاض وأقرأ كتاباً.

جلست على كرسيّ المرحاض ورحت أنظر. هناك الكثير من المجلات على يميني، وفي الأعلى هناك رفّ مجهّز خصيصاً على هيئة مكتبة صنعها والدي. أمسكت بأحد الكتب، صفحاته مليئة بحروف ملتصقة بجانب بعضها ولا أعرف فكّ رموزها. عدت لتأمل أغلفة الكتب الأخرى، ولحسن الحظ، يوجد كتاب للأطفال يحوي الكثير من الصور. أعرفه، سبق وأن قرأه لي والدي قبل أن أنام. يروي قصة رجل عملاق بين الأقزام وقزم بين العمالقة، أعتقد أنّ الرجل يدعى «غوليفر». أنظر إلى الصور وأحاول فك رموز الأحرف كي تتشكل الكلمات. هذا صعب جداً. أسهب في النظر إلى الرجل العملاق المقيد من قبل حشود من الأقزام.

سأتعلم في يوم ما القراءة، وسأغلق على نفسي باب المرحاض طويلاً، وطويلاً، وسأقرأ كثيراً كي أنسى كلّ ما يجري خلف الباب.

## 43. كرات القدر الأربع

قادنا إدموند ويلز نحو مدخل صخري في الجبال الشمالية الشرقية. أشار لنا مدرّبي إلى مدخل عبرناه فانزلقنا في متاهة القنوات قبل أن ينتهي بنا المطاف داخل كهف هائل مضاء بأربعة بالونات تمتد لخمسين متراً بارتفاع مترين عن الأرض.

يحوم الملائكة المرشدون حولها مثل الذباب الذي يحوم حول بطيخ أصفر فوسفوري معلق.

– إنّ هذا المكان مخصص فقط للملائكة المعلّمين، أعلن مرشدنا. ولكن كونكما ترغبان كثيراً برؤية ما لا يراه الملائكة الآخرون ولا يسعون أصلاً لرؤيته، أريد أن أشبع فضولكما قليلاً.

بدأنا نقترب.

إنّ البالونات الأربعة متماثلة الحجم ولكنّ محتواها مختلف.

تحتوي الكرة الأولى على روح عالم الجماد.

والثانية تحوي روح عالم النبات.

والثالثة تحوي روح عالم الحيوان.

والرابعة تحوي روح عالم الإنسان.

أتجه نحو الكرة الأولى. أرى في الداخل، نواة متلألئة تهتز. هل يمكن أن تكون هذه روح الأرض، غايا[1] الشهيرة، أو *ألما ماتر*[2] التي تحدث عنها القدماء؟

- تملك الأرض روحاً إذاً؟

- نعم، كل شيء حي، وكل من يحيا يملك روحاً، أجاب إدموند ويلز.

وأضاف بشكل عرضي:

- وكل من يملك روحاً يرغب بالتطور.

غرقت مسحوراً في تأمل الكرات.

- كل شيء حيّ، حقاً؟ حتى الحجارة؟

- حتى الجبال والأنهار والحصى، ولكنّ أرواحهم في مستوى منخفض. يكفي لقياسها، مراقبة تلألؤ ضوء النواة، وبشكل بديهي نستنتج درجة الروح.

- إذاً، فإنّ هذه العوالم تتكامل، تابعت كلامي؛ بما أنّ الجماد في الطور الأول، يجب أن تكون درجته 100، ودرجة النبات 200، والحيوان 300، والإنسان 400...

- بالضبط!

أدركت بعدها في الواقع أنّ روح الأرض لا تصل إلى 100 درجة بالضبط، بل أكثر من هذا بكثير... إنّها 163 درجة! والكرة الثانية، أي كرة الغابات والحقول والزهور، لا تبلغ هي الأخرى 200 نقطة فقط، بل تصل إلى 236 نقطة. وكرة الحيوان تصل إلى 302. أما كرة الإنسان فتصل إلى 333.

- ماذا، أبديت تفاجئي، ألا يصل البشر إلى 400 نقطة؟

أكّد إدموند ويلز:

---

1- هي تشخيص الأم الأرض في الميثولوجيا الإغريقية. المترجمة.

2- Alma mater تعني باللاتينية الأم المرضع، وهي عبارة كانت تستعمل في روما كلقب لعدة آلهة، كما استعملت لدى المسيحيين لقباً لمريم العذراء. المترجمة.

– كما قلت لك سابقاً، هنا يكمن المعنى الكامل لعملنا، وهو المساهمة في رفع البشر كي يصيروا في النهاية بشراً، أي كائنات 4 حقيقية. ولكن كما تستطيع أن تدرك، فإنّ البشر ليسوا في مكانهم الصحيح، حتى إنّهم ليسوا على مسافة واحدة بين الحيوان ذي الرقم 3 والحكمة ذات الرقم 5، إنّهم هم «الحلقة المفقودة». آه، كم يضحكني تذكر ما قاله نيتشه عن «الإنسان الخارق»! قبل أن يفكروا بأن يصبحوا بشراً خارقين، يجب أولاً وقبل كلّ شيء أن يكونوا بشراً في الأساس!

اقتربت أكثر من الكرة الإنسانية وتفحّصت بشكل أفضل الستة مليارات فقاعة التي تلمع بداخل كل واحدة منها نواة مضيئة.

التزم راؤول رازورباك الصمت، ولكن أعتقد أنّ تأمل مجموع الأرواح البشرية هكذا يثير اهتمامه بشكل لا يوصف.

دنا إدموند ويلز من الكرة وقال:

– هذا هو حشد «موكلينا»، وهنا يكمن جوهر اللعبة. برأيي، إذا لم تتكفل البشرية بتدمير ذاتها بذاتها في غضون بضعة قرون، فسيصبح البشر بالفعل بشراً حقيقيين، أي كائنات 4 حقاً. ولكن، لا يزال يتوجب علينا نحن الملائكة، الكثير من العمل كي نرفعهم إلى هذا المستوى.

أظهر لنا مرشدنا منحنى في ذهنينا. إنّه متفائل، فتطور البشرية متسارع بفضل وسائل النقل الحديثة الأمر الذي ضاعف من أسفار الناس، وسهّل التواصل العالمي، ونشر الثقافة على نطاق العالم بأسره، ونوّع من وسائل الإعلام التي بدأت تتزايد وتصبح متاحة بكلّ سهولة، كلّ ذلك يمكّن الحكماء (أو كائنات 5) من فرض نفوذهم بسرعة أكثر.

– لاحظا كيف كان يعيش الناس في الماضي وكيف يعيشون الآن. كان الجميع في السابق يخاف من الحيوانات المفترسة، أمّا في الحاضر، فهم يحبسونها في حدائق الحيوانات. كانوا يخشون الجوع، ويُجبرون على القيام بأعمال شاقة، أمّا اليوم، فتقوم الروبوتات وأجهزة الحاسوب مكانهم في هذه الأعمال الصعبة. لهذا، أصبح للإنسان شيئاً فشيئاً الكثير من وقت الفراغ كي يفكر، وعندما يفكر الإنسان، فإنّه يطرح الأسئلة على نفسه.

إنّ فرص القفز بالوعي الإنساني في فجر هذه الألفية الثالثة، أفضل من أيّ وقت مضى. سابقاً، في اليونان القديمة مثلاً، لم يعيروا أدنى اعتبار إلّا «للمواطنين»، أي الأشخاص الأحرار أو المتحررين، وبالتالي كان الغرباء والعبيد مستبعدين، ومن ثمّ شيئاً فشيئاً، أصبح لكلّ هؤلاء «المهمشين» حق المواطنة.

## 44. موسوعة

**التسامح: في كلّ مرة يوسّع فيها الإنسان مفهومه عن «المتجانسين»، كي يضمّ فئات جديدة، فهو يعتبر الكائنات التي سبق وصنّفها سابقاً بأنّها أقلّ شأناً، هي في الواقع مشابهة بشكل كافٍ له كي تكون جديرة بتعاطفه وشفقته. حينها لا تجتاز فقط هذه الكائنات الدائرة التي كانت فيها، بل إنّ البشرية جمعاء تصعد لمستوى تطور أعلى.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 45. الخيّرون والأشرار

كرة البشرية... أعي الآن أنّ بيوضنا حين ترحل باتجاه الشمال الشرقي، فإنّها ترجع إلى هنا. أعي الآن أنّ الأرواح بتلاصقها بهذا الشكل تمتزج بعضها ببعض وتتناغم فيما بينها، ومن هنا تأتي الجملة التي رددها إدموند ويلز في أذنيّ: «يكفي لروح واحدة أن ترتقي كي ترتقي معها البشرية جمعاء». هل يمكن أن يكون هذا هو «مجال نو»[1] الذي تحدث عنه الفيلسوف والكاهن تيلارد دي شاردين، هنا حيث يمتزج وعي البشر جميعهم؟

– ولكن إن لم نقم نحن الملائكة بأيّ شيء، هل من الممكن أن يتطور البشر لوحدهم؟ سأل راؤول بصورة مفاجئة.

– نحن الرعاة الذين يقودون القطيع في الاتجاه الصحيح. ولكن حتماً، بفضل عمل الملائكة في الماضي، فإنّ البشر أساساً على الطريق الصحيح.

---

1– Noosphère أو مجال العقل أو تكويرة نو، هو مفهوم يدل على مجال الوعي البشري. المترجمة.

– إذاً في هذه الحالة، قد يكون بإمكاننا تركهم...

لم يكلف إدموند نفسه عناء التوقف عند هذه الملاحظة.

أصرّ راؤول:

– وبالنسبة لنا نحن، ما هو مستوى التطور اللاحق لنا؟ عالم الآلهة؟

رفع إدموند ويلز حاجبيه.

– أنتما تثيران ضحكي أيها الملاكان الشابان، تريدان معرفة كلّ شيء دفعة واحدة، لم تتخلصا بعد من عاداتكما البشرية القديمة. راقبا بانتباه بيوضكما وسوف تدركان كلّ بقايا العادات البشرية التي ما تزال تربككما وتثقل كاهلكما. عوضاً عن إعادة صياغة الأسئلة البشرية، تصرفا كملائكة!

مع ذلك، وفي ذروة سخطه، أدار لنا مرشدنا ظهره ورحل بخطى واسعة. أسرع باتجاه الأم تيريزا ليؤنبها. من القليل الذي أستطيع سماعه من مكاني هنا، فهمت أنّ الأم تيريزا تتصرّف مع موكليها كرئيسة جمهورية حيث لا تتوقف عن اقتراح زيادة الضرائب على أصحاب الثروات الكبيرة. لذا أخذ إدموند ويلز يصرّ على فكرة أنّه ليس بالتضييق على الأثرياء نجعل الفقراء سعداء أكثر.

حاولت الاقتراب كي أسمع بشكل أفضل.

– عزيزتي الأم تيريزا، إنّ أفكارك تكون أحياناً شديدة البساطة، وهي تذكرني بما قاله أحد أصدقائي: «لا يكفي النجاح، يجب أيضاً الاستمتاع برؤية الآخرين يفشلون». إنّ صديقي قال ذلك مازحاً، ولكنّك تتبنين حقاً هذا الرأي، فأنت على قناعة أنّ بؤس البشر سيكون محمولاً إن كانت البشرية جمعاء تعاني المصير ذاته، بينما الهدف في الواقع عكس ذلك تماماً، وهو أن يكون البشر جميعهم أثرياء!

بدا على الأم تيريزا تعابير تلميذة عنيدة لا تقتنع سوى بصواب رأيها مهما كان.

أعتقد من جهتي أنّ الأم تيريزا كونها عاشت حياتها دائماً بين المحتاجين والمعوزين، لذا فهي تميل إلى إعادة إنتاج بيئتها القديمة كي تستطيع التأقلم مع محيطها. لطالما عرفت الفقراء جيداً، أمّا الأثرياء فهم أكثر تعقيداً. لقد وجدت المرأة القديسة نفسها مجبرة على الاهتمام بأسواق البورصة،

وتقلبات الموضة، ووجبات العشاء في المدن، والمطاعم العصرية، والانهيارات العصبية، وإدمان الكحول، والزنا، والعلاج بمياه البحر، باختصار كلّ ما يتعلق بهموم الأثرياء.

استمعت الأم تيريزا إلى لوم إدموند ويلز، ففكرت على مضض وأعلنت:

– قد يكون عليّ تشجيع رئيسي لإطلاق حملة لتحديد النسل في الأحياء الفقيرة. لا تنجبوا سوى الأطفال الذين تقدرون على الاعتناء بهم، وإلّا فإنّهم سيغرقون في المخدرات والجنوح، أهذا ما تريدونه؟

– استمرّي في المحاولة دائماً، قال إدموند ويلز متنهداً. هذا أفضل.

أرى أنّ مرشدنا معلّم تربوي صبور جداً، إنّه يحترم بطريقته الخاصة، الـ... الإرادة الحرة للملائكة.

مدّ راؤول ذراعيه نحو الأفق وحلّق طائراً، فتبعته.

– يعرف إدموند ويلز ما هي كائنات 7. إنّه يعرف بالتأكيد ما الذي يوجد أعلى منا.

– لن يخبرنا أيّ شيء، لقد سبق ورأيت ردود أفعاله، أجبته بذلك.

– سيبقى فمه مغلقاً دائماً، ولكن لدينا كتابه...

– أيّ كتاب؟

– كتاب *موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة*. لقد بدأ بكتابته في حياته البشرية ويتابع كتابته في حياته السماوية. كما تعلم، إنّه يذكر لنا دائماً مقتطفات منها. لقد وضع كلّ معرفته في هذا الكتاب، ودوّن فيه كلّ ما اكتشفه وكلّ ما يثير اهتمامه في الكون. كتب أول ثلاثة مجلدات على الأرض حيث بإمكان البشر الاستعانة بهم، ولكنّ المجلد الرابع، هو الآن في طور كتابته هنا.

– إلى أين تريد أن تصل؟

حلّق صديقي على شكل حلقة ومن ثمّ عاد ووقف بجانبي.

– يعوّل إدموند ويلز كثيراً على نشر علومه، لا بدّ وأنّه بحث عن وسيلة لإنجاز مجلده الرابع على خطى مجلداته السابقة.

– لم يعد يملك إدموند ويلز قلم رصاص أو قلم حبر أو آلة للكتابة ولا حتى حاسوباً. يستطيع الآن تجميع كلّ المعلومات التي يريدها، وستبقى إلى الأبد في الأثير.

هذه ليست أسباباً كافية لإيقاف راؤول.

- ألا تظنّ مع ذلك أنّه مجنون كفاية كي يسجل الأسرار العظمى للجنة في بعض المخطوطات المادية المخبأة في مكان ما على الأرض؟

ظلّ راؤول متزناً وهادئاً.

- هل تتذكر هذا المقطع من *الموسوعة* الذي كان عنوانه «نهاية الخفايا»؟ لقد قال فيه بوضوح: «يمكن الآن الكشف عن جميع الأسرار للعامة، لأنّه يتعين علينا مواجهة حقيقة أنه: لن يفهم هذه الأسرار إلّا من يرغب في فهمها».

رحنا نقوم بجولات فوق الجنة.

- جميع الأسرار باستثناء تلك التي تتعلق بكائنات 7! لا نستطيع مع هذا أن نتخيل أنّ إدموند ويلز قد أسرّ لأحد الوسطاء الروحيين على الأرض بخبايا وأسرار الجنة كي يقوم هذا الوسيط لاحقاً بتدوينها في كتاب...

أظهر صديقي هيئة سعيدة، كما لو أنّه كان ينتظر مني قول هذه الكلمات.

- من يعلم؟

## 46. موسوعة

**نهاية الخفايا: في الماضي، كان أولئك الذين يحصلون على معارف جوهرية عن الطبيعة البشرية لا يستطيعون كشفها دفعة واحدة. لذلك استخدم الأنبياء الأمثال والاستعارات والرموز والإشارات والتلميحات. كانوا يخافون أن تضيع المعرفة بسرعة، ويخشون أن يُساء فهمهم. كانوا يقومون بحلقات تثقيفية كي يستشفوا من خلالها الأشخاص الجديرين بالحصول على المعلومات المهمة. لقد خلقوا ما يسمى بمستويات هرمية للمعرفة.**

**تلك الأيام قد ولّت. أمّا الآن فيمكن الكشف عن جميع الأسرار للعامة، لأنّه يتعين علينا مواجهة حقيقة أنه: لن يفهم هذه الأسرار إلّا من يرغب في فهمها. إذاً «رغبة المعرفة» هي المحرّك الأقوى للإنسان.**

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 47. إيغور– 7 أعوام

كان السيد ذو الزي الرسمي شرطياً جميلاً وطويلاً وقوياً، تفوح منه رائحة النظافة. أخذني بين أحضانه.

نفض الثلج من حولي واقتادني إلى أقرب ملجأ. أخيراً أصبحت بعيداً عن أسوأ خطر، ألا وهو أمي. وها قد مرّت الآن سنتان على وجودي هنا.

يوجد في الملجأ أطفال آخرون مرفوضون من ذويهم. إنّنا حثالة المجتمع، غير المحبوبين، وغير المرغوب فيهم، هؤلاء الذين لم يكن يتوجب عليهم أن يولدوا أبداً.

لا يهمني ذلك. إنّني حيّ.

يشبه هذا المكان ملجأ الكلاب الضالة باستثناء أنّ الطبيب البيطري يزورنا بتواتر أقل، كما أنّ أطباق الأطعمة أقل وفرة.

إنّ الأطفال الآخرين عصبيو المزاج، ولكنّني قويّ لحسن حظي. عندما يكون هناك مشاكل لا أفكر، فقط أهجم وأضرب، وأفضّل توجيه الضربات على بطن خصومي. لذلك أصبحت مشهوراً بالتنمر بين رفاقي، ولكن يعجبني أن أكون مخيفاً. في البداية أكون مخيفاً، ومن ثمّ أصبح رفيقاً. فهمت سريعاً أنّ الناس يعتقدون أنّك ضعيف عندما تكون لطيفاً. أنا لست لطيفاً، ولست ضعيفاً.

نحن أربعة أشخاص في المهجع. أنا وثلاثة أطفال تبدأ أسماؤهم بحرف «ف».

فانيا، وهو طفل أوكرانيّ صغير، والده مدمن كحول كان يوسعه ضرباً في الجدار.

فلاديمير، هو أسمن شخص في مجموعتنا. لا أعرف ماذا يفعل كي يكون بديناً نظراً لما يُقدّم لنا من طعام قليل هنا.

فاسيلي، إنّه الشخص الصامت بيننا، وعندما يقرر الكلام، فكي يقول دائماً أشياء مثيرة وهامة، مع أنّه قليلاً ما يتكلم. هو الذي علمنا لعبة البوكر.

إنّ البوكر لعبة مذهلة. في ليلة واحدة، تصل إلى أقصى درجات السعادة أو أدنى درجات البؤس، وكل ذلك يحدث بسرعة هائلة. عندما يلعب

فاسيلي يصبح وجهه كالرخام. يقول: «ليس المهم امتلاك أوراق جيدة أو سيئة بل معرفة اللعب بالأوراق السيئة». يقول أيضاً: «ليس المهم ما تملكه من أوراق وإنّما ما يظن خصمك أنّك تملكه». يضع فاسيلي على الدوام غصين شجرة في فمه.

علّمنا إرسال إشارات مزيفة عن الفرح أو الإحباط بغية خداع الآخرين حول نوعية الورق التي نملك. وبفضله، أنا في مدرسة البوكر التي أتعلّم منها الكثير، وأطور فيها موهبة رائعة وهي المراقبة. هذا يعجبني حقاً. إنّ العالم مليء بالتفاصيل الصغيرة التي تزودنا بكل المعلومات الضرورية التي نحتاجها.

يقول فاسيلي:

– بعض اللاعبين المحترفين يكونون أقوياء جداً لدرجة أنّهم يتوقفون عن النظر لأوراقهم. لذلك يكونون على يقين أنّ وجوههم لن تخونهم.

– ولكن، كيف يعرفون من ربح؟

– يعلمون ذلك في آخر لحظة. بعد أن تُوزّع الأوراق، يقومون بقلب أوراقهم ويكتشفون إن كانوا يملكون يداً جيدة أو سيئة[1].

بالنسبة لفاسيلي، فلم يتخلَ عنه والداه، ولم يوسعاه ضرباً. لقد هرب من منزله في عمر الستة أعوام. عثر عليه رجال الشرطة ولكنّهم لم يستطيعوا جعله يعترف من يكون ولا من أين أتى. لذا، بما أنّ الشرطة لديها أعمال أخرى تقوم بها غير الدخول في تحقيقات كبيرة عن الهاربين، قامت بوضعه معنا.

لا يذكر فاسيلي أصوله أبداً. من المحتمل أن يكون والداه ثريين، ولكنّه لم يعد راغباً برؤيتهما، فتركهما هكذا دون سابق إنذار، من باب المغامرة. إنّ فاسيلي حقاً إنسان من الطراز الرفيع.

يرحل الأطفال أحياناً من دار الأيتام بعد أن يتبناهم أناس يرغبون بأن يصبحوا آباء. جعلني هذا في البداية أغرق بحلم أن تأتي فجأة عائلات

1– Hand poker أو يد البوكر: هي خمسة أوراق توزّع على اللاعبين بحيث يفوز اللاعب الذي يملك أفضل ترتيب للأوراق «وفقاً لقوانين معينة في تصنيف قوة الأوراق». المترجمة

لإنقاذنا... ولكن، فهمت سريعاً أنّ هذا فخ. فقد سرت شائعات تقول إنّ الأطفال الذين يخرجون من هنا بحجة تبنيهم، يتم زجّهم عموماً في شبكات لدعارة الأطفال أو يتم تجنيدهم للعمل في ورشات غير شرعية، حيث يقومون بخياطة كرات القدم أو تجميع قطع الألعاب لإرسالها إلى أطفال الغرب.

أكره أطفال الغرب. فنحن لا نعمل لأجلهم فقط خارج الملجأ، بل هنا أيضاً، في الطوابق السفلى لدار الأيتام توجد «ورشات عمل حرفية»، حيث يطلبون منا تجميع الدمى أو القطع الإلكترونية. نعم، يتمّ استغلالنا بالكامل، دون أيّ قطعة من النقود!

حين يقوم رفاقنا بحزم أمتعتهم عند تبنيهم، نسخر منهم ونلقي على مسامعهم وهم يسيرون: «إذاً، دعارة أم أعمال غير قانونية؟» ولكنّنا نشعر في الواقع بالغيرة منهم لأنّهم هم على الأرجح من وجدوا آباءً وليس نحن.

البارحة، أمسكت عصابة بيوتر برفيقنا فانيا، وعاد إلينا باكياً. لقد أجبرته العصابة على كشف مكان خزنتنا، وقاموا بسرقة سجائرنا. هذا أمر لا يمكن السكوت عنه.

ذهبنا من فورنا إلى مهجع بيوتر. لم يكن الباب موصداً، ولكن لم يكن يوجد أحد في الداخل. كلّ شيء هادئ جداً. هناك فخّ في مكان ما، هذا مؤكد.

بدا لي صعود عنكبوت بكامل سرعته إلى السقف بمثابة إشارة مقلقة. العنكبوت... الفخ.

فات الأوان، كان بيوتر ورفاقه مختبئون تحت الأسرّة. خرجوا وهدّدونا بسكين حاد.

كان العنكبوت محقاً.

لن تجدي لكماتي القوية نفعاً أمام سلاح أبيض. بقينا مكتوفي الأيديّ بينما أمر بيوتر أتباعه أن يقوموا بخلع ملابسنا وإحراقها. ومن ثمّ أمرنا قائلاً إنّه من الآن فصاعداً عندما نسرق السجائر علينا أن نعطيهم نصفها، وإلّا فسيكون هناك انتقام جديد على ذلك.

– إذا أردتم السلام أيها الصغار، فليس عليكم سوى أن تدفعوا ثمن ذلك.

بعدها استدار نحوي، وراح يمرّر رأس السكين حول سرّتي ومن ثم قال:

- هيه، أنت، في يوم من الأيام سأصلح لك وجهك.

لم أستطع فعل شيء أمام سكينه. سرنا عراة أمام الأطفال الآخرين، وانتشر الخبر سريعاً في الملجأ، وعرفنا أنّنا فقدنا هيبتنا.

إنّها تثلج في الخارج، لقد جاء موسم الأعياد، ولكن لا أحد يصدق هنا بوجود بابا نويل. لو كان بابا نويل موجوداً حقاً، لكان قد أحضر لنا عائلات تعتني بنا. على كل حال يحظى كل واحد منا ببرتقالة بمناسبة عيد الميلاد، بالإضافة إلى عظام حقيقية من فقرات الغنم غير المنظفة بشكل جيد. رحت أقشر البرتقالة وأنا أتمنى أمنية؛ إن كان بابا نويل يسمعني في مكان ما: «أرجو أن يتلقى بيوتر ضربة سكين قوية في أحشائه».

## 48. فينوس- 7 أعوام

رأيت حلماً غريباً هذه الليلة. حلمت أنّ هناك أطفالاً يتشاجرون فيما بينهم وأنّ أحدهم استدار نحوي وقال: «هيه، أنت، في يوم من الأيام سأصلح لك وجهك».

شاهدت البارحة على التلفاز برنامجاً عن الجراحة التجميلية. لا بدّ وأنّ هذا البرنامج هو الذي جعلني أرى هذا الكابوس. شرحوا بالضبط في البرنامج وبشكل تفصيلي كيفية إصلاح الوجه. كانت أمّي متسمّرة تماماً أمام الشاشة. في العادة، عندما يتم عرض الدماء على التلفاز، يجبراني والديّ على الذهاب للنوم، ولكن البارحة، كانا مفتونين كلياً لدرجة أنّهما نسيا أن يطلبا مني الذهاب.

قالت أمّي إنّها ترغب بالفعل هي أيضاً بالخضوع لعمل جراحيّ لتجميل وجهها. قالت إنّه من الأفضل ألّا تتأخر كثيراً، فكلما كان المرء أصغر سناً جاءت النتائج مرضية أكثر.

أجاب أبي أنّ العملية تكلف غالياً جداً، ولكن أمّي ردّت أنّ الجمال ليس له ثمن، خصوصاً وأنّه يشكل بالنسبة لها رأس مال مهنياً. أعلن أبي أنّه هو أيضاً من جهته، يعتبر جسده مورداً ثميناً ولكنّه يفضل الحفاظ عليه وتقويته بالرياضة بدلاً من المشرط.

ألقى والدي اللوم على أمي متهماً إياها بالتقاعس والتبذير في صرف

الأموال. بعدها، أراد تقبيلها ولكنّها صدّته. قالت إنّه لم يعد ينظر إليها، وإلّا لكان قد رأى التجاعيد في وجهها، وكان هو نفسه سيقترح عليها معالجتها. قالت إنّ كل النساء غير كاملات، وإنّه ابتداء من عمر معين تصبح المرأة مسؤولة عن الاعتناء بوجهها.

هل هذا صحيح؟ ليس الجمال إذاً كنزاً نحصل عليه مرة ويبقى معنا إلى الأبد؟

بدآ يتشاجران. وبّخت أمي والدي لأنّه يتردّد على دجاجة أصغر منها، مع أنّني، رغم ذلك، لم ألحظ أبداً أيّ نوع من الطيور في المنزل. أعلن والدي أنّه ليس لديه دجاجة، وأنّها أصبحت تبالغ في شكوكها. أجابت أمي أنّه في كل الأحوال، من حق أيّ امرأة الاعتناء بجسدها، وأنّه في حال رفضه دفع تكاليف العملية، فلن تتوانى عن سحب شيك من حسابهما المشترك.

قال والدي: «من الأفضل ألّا تفعلي ذلك». نطقا بعدها العبارة الشهيرة: «ليس أمام الطفلة»، وبعدها، ذهبا إلى غرفتهما، وأكملا الصراخ هناك. سمعت أصوات أشياء تتكسر على الأرض والجدران، ومن ثمّ ساد الصمت.

هناك الكثير من الأشياء التي أجدها غريبة في سلوك البالغين. بقيت قليلاً أمام التلفاز لمشاهدة بقية البرنامج.

بعدها، جلست أمام المرآة في غرفتي مثل غالبية الأمسيات، ورحت أفكر؛ إن كانت أمي بحاجة لعمل جراحي تجميلي كي تكون أكثر جمالاً، إذاً فأنا أيضاً بحاجة لذلك.

ماذا أغيّر كي أصبح أكثر جمالاً؟ تفحصت وجهي في المرآة ومن ثم وجدته: الأنف.

إنّ أنفي طويل جداً. بابا نويل، إن كنت تسمعني، فهذه هي أغلى أمنية لدي: عملية تجميلية لتقصير أنفي.

## 49. جاك- 7 أعوام

- توقف عن طرح الأسئلة يا نيمرود.
- ولكن...

- أنت تغضبني يا نيمرود، ركّز في تعلم الدرس وهذا كلّ شيء. إنّك دائماً مشتت التفكير، ولا تعرف سوى طرح الأسئلة، وأنا ما أريده هو الإجابات.

صدحت أصوات سخرية في الصف، فأخفضت رأسي. إنّني حزين في المدرسة، تطلب منا المعلمة دائماً حفظ أشياء عن ظهر قلب وأنا ليس لديّ ذاكرة جيدة. قمت بألف محاولة وبذلت جهدي كي أحفظ هذه السنة جداول الجمع والطرح. واجهت صعوبة بالغة في الصف الأول في تعلم الأحرف وكتابة اسمي وعنواني. من المستحيل أن أحفظ الأشياء الخاصة بي. لا أستطيع حتى حفظ رمز الدخول إلى منزلي، فكم من مرة وقفت أمام المبنى والجو بارد، وأنا أحاول عبثاً تجريب الأرقام؟

ليست علاقتي جيدة مع التلاميذ الآخرين أيضاً. لأنّني أحمر الشعر وأضع نظارات، يسمونني «الجزرة الحمراء» أو «المسمار الصدئ». أعتقد أنّني أخطأت في الكوكب.

لا أزال أشعر بحال أفضل بالقرب من موناليزا، فهي مستمرّة بتقديم النصائح الجيدة لي. البارحة، واجهت مشكلة في الرياضيات حيث كان عليّ الاختيار بين ثلاث إجابات ممكنة، فأسرعت موناليزا بوضع أقدامها على الخيار الصحيح!

إن لم أكن من هذا الكوكب الحالي، هل يمكن أن أكون من كوكب القطط؟

مررت في الأسبوع الماضي أمام متجر للألعاب ورأيت آلة مميزة واستثنائية مع أضواء صغيرة تلمع. هل من الممكن السفر إلى الفضاء للبحث عن كوكبي الحقيقي بمثل هذه الآلة؟ أنا متأكد أنّ لغالبية المبدعين على كوكبي شعراً أحمر، وأنّ أولئك الشقر والسمر هم من سيطلق عليهم لقب «رأس الذرة» و«رأس الروث».

على كوكبي، لا نطلب من أيّ شخص حفظ اقتباسات عن ظهر قلب لأنّنا نعلم أنّ هذا لا يفيد في شيء، ولسنا بحاجة إلى رمز الدخول لنستطيع العودة إلى منازلنا. قريباً سيأتي عيد الميلاد، وسوف أطلب من بابا نويل أن يجلب لي هذه الآلة المميزة.

تحدثت بهذا إلى موناليزا. يبدو أنّها موافقة على اختياري.

## 50. الأمنيات

أجلس متربعاً في الهواء، تحت شجرة في الغابة الفيروزية، وعلى يميني بحيرة الإخصاب تترقرق مياهها، والكرات الثلاث تخفق فوق راحة كفيّ. أشعر كلما تواصلت مع موكليّ بشيء من الألم. كما لو أنّ اتصالي مع كائنات بشرية يجعلني أعيد اكتشاف بعض المشاعر الجسدية.

تقدم إدموند ويلز نحوي. لمس بطرف إصبعه كرة إيغور، ومرّر يده فوق كرة فينوس.

– أنت تعرف الآن على الأقل وسيلة التدخل الأساسية لكلّ واحد منهم. مراقبة الإشارات لإيغور، والأحلام لفينوس، والقطة لجاك. ولكن انتبه، قد يضيفون أحياناً عدة وسائل، وقد يغيّرونها في أحيان أخرى. لذا عليك ألّا تنقاد وراء الروتين. حسناً، ما هي أمنياتهم لعيد الميلاد؟

– يرغب إيغور... أن يتلقى واحد من رفاقه ضربة سكين في بطنه، وتريد فينوس أن تقوم بعملية تجميل لتقصير أنفها، وجاك يتمنى الحصول على لعبة بلاستيكية على شكل آلة فضاء مميزة. هل عليّ فعلاً تنفيذ جميع رغباتهم؟

فقد مدرّبي صبره.

– باختيارك أن تصبح ملاكاً، تكون قد تعهّدت باحترام هذه القاعدة. لست هنا لتحكم على جودة الأمنيات، إنّ دورك يقوم فقط على بذل ما بوسعك لإرضائهم.

– من اخترع هذه القواعد؟ من الذي يرى فائدة في تحقيق رغباتهم؟ هل هو الله؟

تظاهر معلمي بعدم سماعه السؤال. أحنى وجهه على بيوضي وتأمل بحزن وألم. نظر من جميع الزوايا، فكّر ملياً ثم أعلن:

– الآن، وقد استوعبت وسائل التدخل الخمس، سوف أعلمك الخطط الثلاث، من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً. أولاً، خطة «العصا والجزرة»؛ تقوم على جعل الموكل يتقدم، إمّا بوعده بحصوله على مكافأة، أو بتهديده بالعقوبة. ثانياً، خطة «الساخن والبارد»؛ عليك التبديل سريعاً جداً بين

المفاجآت السارة والمفاجآت السيئة كي تجعل الموكل أكثر انصياعاً. ثالثاً، خطة «كرة البلياردو»: أثّر في الشخص الذي يفكر بالتأثير على موكلك.

ذهب بعدها معلّمي شاعراً بالرضا عن محاضرة اليوم. ما إن ابتعد حتى ظهر مُغرّري راؤول رازورباك ثانية.

- لنتبعه.

تقدمنا خلسة بين الأشجار حتى وصلنا إلى مكان وعر حيث كان إدموند ويلز يجلس متربعاً وراحتا يديه للأعلى، ينظر بتفكّر إلى بيضة واحدة وليس لثلاث. هل سيكون إذاً للمدرّبين أرواح منتقاة بعناية؟

تتلألأ البيضة الوحيدة.

راح إدموند ويلز يحرك شفتيه. إنّه يحدّث الكرة:

- هل أنت جاهز يا يوليس بابادوبولوس؟ هذا مدخل جديد لكتاب موسوعة *المعرفة النسبية والمطلقة*.

بدأ يتلو فصلاً يتحدث فيه عن تأثير اللغات على الفكر. لا أصدق ما تسمعه أذناي. يُملي إدموند ويلز معلومات لأحد البشر، ولكن ليس لأيّ إنسان، فرّعت نفسي مباشرة. كان راؤول محقاً، فمرشدنا يستعين بوسيط روحي لنقل معرفته لأنّه يخشى أكثر من أيّ وقت مضى، أن تضيع الأفكار التي لا تحفظ في محتوى مادي.

- هذا الإنسان الفاني، يوليس بابادوبولوس، يعرف إذاً عن عالم الملائكة أكثر من الملائكة أنفسهم، همس صديقي في أذني. لننزل ونراه، لا بدّ وأنّ الأمر مثير للاهتمام.

## 51. موسوعة

**مسألة اللغة: إنّ اللغة التي نستخدمها تؤثر في طريقة تفكيرنا. مثلاً اللغة الفرنسية، فهي بتعدّد المرادفات والكلمات ذات المعنى المزدوج تسمح بإظهار فروقات دقيقة ومفيدة جداً في مجال السياسة. كما يحدّد تنغيم الكلمة في اللغة اليابانية، المعنى المراد، وهذا ما يتطلب انتباهاً مستمراً لمشاعر المتكلمين. علاوة على ذلك، فإنّ وجود عدة مستويات من اللباقة في اللغة اليابانية تجبر المتحاورين على تحديد مكانهم على الفور في التسلسل الهرمي الاجتماعي.**

**لا تضمّ اللغة فقط شكلاً من أشكال التعليم والثقافة، وإنّما أيضاً اللبنات الأساسية للمجتمع: إدارة العواطف، وقواعد التهذيب. إنّ كمية المرادفات لكلمات معينة في اللغة، من مثل كلمات «أحبّ»، و«أنت»، و«سعادة»، و«حرب»، و«عدو»، و«واجب»، و«طبيعة»، تدلّ على قيم الأمة.**

**لذلك يجب علينا أن نعرف أيضاً أنّنا لن نتمكن من القيام بثورة دون البدء بتغيير اللغة والمفردات القديمة، لأنّ الكلمات هي التي تعيق أو تهيئ العقول للتغيير الفكري.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 52. جاك- 7 أعوام

حصلت في عيد الميلاد على آلتي المميزة. وجدتها في علبة تحت شجرة الصنوبر، كم كنت سعيداً بها! عانقت والديّ، وتناولنا بعدها طعاماً يحوي الكثير من الدهون من أجل «الاحتفال» بالأعياد. كان من بين هذه الأطباق؛ كبد الإوز، والمحار، والسلمون المدخن مع كريم الشبت، والديك الرومي مع صلصة الكستناء، وكيكة الميلاد بالزبدة.

لا أفهم ما الذي يعجبهم في أطباق العيد هذه.

قالت لي سوزون أختي الكبرى، إنّ طبق الفوا غرا مصدره الإوز الذي يقومون بإطعامه بالقوة حتى يصير له كبد ضخم. أضافت أختي الصغرى مؤكدة من جهتها أنّ الروبيان يتم إلقاؤه حياً في الماء المغلي لطبخه، كما أنّ أمي تطلب منهنّ التحقق أنّ المحار ما يزال حياً عن طريق عصر القليل من الليمون عليه، إن تحرّك فهذا يعني أنّه جيد للأكل.

بعد الوجبة الدسمة، قمنا بسرد النكات. روى والدي نكتة أضحكتني جداً.

– إنّها قصة شخص صدمته شاحنة فنهض، فصدمته دراجة نارية فنهض، فركله حصان برجله الخلفية فنهض، فصدمته طائرة في منتصف وجهه، وفي هذه اللحظة، صرخ أحدهم: «أوقفوا لعبة الملاهي الدوارة، فهناك جريح!»

لم أفهمها فوراً، ولكن بعد أن تمعنت فيها، ضحكت لمدة ساعة. إنّ النكت التي لا أفهمها مباشرة هي التي تسليني كثيراً لاحقاً.

إنّ النكات مثل الحكايات الصغيرة، فالنكات الجيدة تتطلب وجود مشهد وشخصية وموقف متأزم أو حدث مشوق يجب عرضه بسرعة قصوى، دون الإكثار من الكلام. كما تقتضي النكات أيضاً نهاية مفاجئة، وهذا ليس من السهولة بمكان العثور عليه. يجب أن أتعلم اختلاق النكات، يبدو لي هذا تمريناً جيداً.

ميزة النكات أنّه يمكن اختبارها مباشرة. نرويها، ونرى فوراً إن كانت تثير الضحك، لا مجال للغشّ هنا. عندما لا يفهمها الناس أو لا يجدونها مضحكة فهم لا يجبرون أنفسهم على الضحك. جربت حظي في هذا.

– هل تعرفون كيف نجمع الباباي؟

قال الجميع لا.

– مع الشو – شوكة!

ابتسم الجميع، ولكن لم يضحك أحد. إذاً فشلت.

– إنّه لطيف، قالت أمي وهي تمرِّر يدها في شعري.

هربت متضايقاً إلى المرحاض وأغلقت الباب على نفسي بعد أن رفعت المزلاج. كان هذا هو انتقامي. ثمّ، قمت باحتلال المكان ومنعت كائناً من كان أن يدخله، وفي نهاية اليوم، اقترح عمي خلع الباب. «ليس هكذا»، قال والدي. ربحت. إنّ المراحيض هي الملاذ المطلق حقاً.

في الأيام التالية، قضيت وقتاً ممتعاً بالفعل مع مركبتي الفضائية المميزة، فكي يكون هبوطها على كوكب خارجي متكاملاً، ابتكرت عالماً فضائياً بالإضافة إلى خمسة أقزام بشرية صنعتهم بمناديل ورقية، وغراء وشرائط الزجاجات البلاستيكية. كوكبي أحمر وسماؤه حمراء ومياهه أيضاً حمراء. لوّنت كل شيء بالأحمر بطلاء الأظافر لأمي، ولكنّها لم تلاحظ ذلك حتى الآن.

بعد ذلك، شرعت بكتابة قصة عن مغامرة أبطالي. تتحدث القصة عن

أربعة رواد فضاء هبطوا على كوكب أحمر حيث لا وجود فيه إلّا لمحاربين فضائيين أقوياء جداً لا يخشون شيئاً. يخلقون صداقة فيما بينهم ويتعلمون ميثاق الشرف الخاص بهم كما يتعلمون فنّهم في القتال، هذه الأشياء التي تختلف كثيراً عن تلك الموجودة على الأرض.

قضمت الموناليزا واحداً من رواد الفضاء، فألهمني هذا بأن أضيف وحشاً إلى قصتي، إنّه الأنغورا العملاق، الذي يجعل الجميع يهربون منه فور سماعهم به. ما أرغب به الآن، هو إيجاد شخص أقرأ له قصتي هذه. إن كانت القصة لي وحدي، فما فائدة كتابتها؟

## 53. فينوس– 7 أعوام

جرى كلّ شيء بسرعة كبيرة.

كنت أقيس الملابس مع أمي في أحد متاجر ملابس الأطفال الفخمة في مدينة بيفرلي هيلز عندما اقترب مني رجل وداعب شعري. لطالما نصحتني والدتي: «لا تدعي أحداً يلمسك، لا تأخذي الحلوى من أحد غريب يعرضها عليك، ولا تذهبي أبداً مع شخص لا تعرفينه». ولكن هذه المرة، كانت هي معي ولم تقم بإبعاد هذا السيد.

– أريد تصويرها، فأنا مصوّر مختصّ بماركات ملابس الأطفال، أعلن الرجل.

أجابت أمي أنّها هي أيضاً عارضة أزياء وعلى دراية تامة بهذه المهنة، ولا ترغب بإقحام ابنتها في هذا الجحيم.

ومن ثم، لا أعرف لماذا، راحا يتحدثان بالأرقام. كلّما طرح الرجل رقماً، تجيبه أمي برقم أعلى. كان ذلك يشبه اللعبة، وكانت الكلمة الفصل في النهاية لأمي، وبعدها عدنا إلى المنزل.

بعد أسبوع، اصطحبتني أمي إلى أحد الأماكن المضاءة جداً. كان الجميع مشغولين بي؛ وضعوا لي الماكياج، وصفّفوا شعري، وألبسوني ثياباً جديدة. كان الجميع يقول إنّني جميلة، ولكنّني أعرف هذا منذ زمن طويل. أكّدت إحدى النساء أنّني «أكثر من جميلة»، أنّني مثالية.

جيد، إن لم يلاحظوا بأنفسهم نقطة ضعفي، ألا وهي أنفي الطويل جداً، فلن أكشف ذلك لهم. في البداية أجلسوني على كرسي كي يصوروني من جميع الزوايا. أعشق صوت ومضات الكاميرا الناعمة. إنّها تزمجر مثل حيوان يستعد للقفز ومن ثمّ يخرج وميض الضوء ويتكرّر بعدها الأمر من جديد.

بعد ذلك، تظاهرت أنّني ألعب بالدمية وورائي خلفية من الغيوم. وقفت أمي تتأملني بفخر، وكان الرجل حاضراً ولعب معها مرة أخرى لعبة الأرقام، ويبدو أنّها قد ربحت مرة أخرى. قالت لي أمي إنّني قمت بعمل استثنائي، وكي تكافئني عليه، أعطتني الحق في طلب أمنية، أيّاً كانت سوف تحققها لي.

تمنيتُ أن أكون مثالية حقاً.

– أنت بالفعل مثالية، قالت أمي.

رحت أبكي.

– كلّا، إنّ أنفي طويل جداً، وأنا بحاجة لجراحة تجميلية له.

– أنت تمزحين؟ ضحكت أمي.

أصريت:

– أنتِ أيضاً أجريت مثل هذه العمليات، من أجل «التجاعيد»، و«شدّ المؤخرة»...

ساد الصمت. ترددت أمي قليلاً ومن ثمّ أعلنت:

– رائع، سوف تدخلين التاريخ كونك أصغر طفلة تجري عملية جراحية تجميلية. هيا بنا.

وجدت نفسي في عيادة تخصصية مع الطبيب الجراح أمبروزيو دي رينالدي، الذي كان نحاتاً في السابق وانتقل من نحت الحجر إلى نحت الجسد. يلقبونه «بمايكل أنجلو المشرط». يبدو أنّه هو من أطلق غالبية الفنانات في عالم الموضة وليست مكاتبهم الصحفية ولا مدراء أعمالهم. إنّ أطباء التجميل هم المكتشفون الفعليون للمواهب، ولكن، هس، هذا سر لا يعرفه عامة الناس. إنّ أمبروزيو مبدع للغاية لدرجة أنّه قادر على القيام بالعمل الجراحي آخذاً بالاعتبار نموّي وتطوري الجسدي لاحقاً.

قاموا بتنويمي على الطاولة وعندما استيقظت، وجدت وجهي مغطى بالضمادات. كنت متحمسة لرؤية أنفي، ولكن توجب عليّ الانتظار بضعة أيام حتى تلتئم جروحي.

بانتظار أن تختفي آثار العملية، بقيت في غرفتي. شاهدت فيلمي المفضل، *كليوباترا*، للممثلة ليز تايلور. إنّ ليز تايلور أجمل امرأة في العالم. عندما أصبح كبيرة، سأكون ليز تايلور. يبدو أنّ كليوباترا الحقيقية، هي أيضاً كانت ذات أنف طويل. ربّما تكون هذه لعنة الأشخاص فائقي الجمال؟ ولكنّني أتمتع بميزة إضافية عليها، ففي عهد كليوباترا، لم تكن الجراحة التجميلية قد وجدت بعد، على الرغم من أنّهم كانوا يعرفون حينها فن التضميد.

إنّ عملية التجميل لأنفي ليست سوى المرحلة الأولى في مسيرتي لخطف أنظار الجمهور.

أمنيتي الآن أن أصبح نجمة.

## 54. إيغور– 7 أعوام

منذ انتصاره علينا، ازدادت مطالب بيوتر. قام بتوسيع مجال ابتزازه إلى جميع المهاجع. إنّ سكينه المطوية سمحت له بفرض قانونه.

نعمل في المشغل منذ فترة وجيزة على تغليف السجائر، لذلك أمرنا بيوتر بسرقة علبة سجائر بشكل دوريّ وإعطائها له. لقد طوّر هذه التجارة لدرجة أنّه نجح في التأثير على عدة مراقبين لصرف النظر عنّا.

أحاط بيوتر نفسه بحراسة مشددة من معاونين له يزرعون الرعب في صفوفنا، ويتمتعون بمباركة سجّانينا، وعندما يريد هؤلاء السجّانون الحصول على أيّ شيء منا، فإنّهم يمرون عبر الوسيط بيوتر الذي يعرف كيف يجبرنا على الانصياع لهم. لقد اخترع سُلماً من العقوبات للمتمردين أو أولئك الذين يترددون في دفع ما يسميه «الضريبة البيوترية». هذه العقوبات تتراوح بين حروق السجائر إلى جروحات طفيفة بالسكين مروراً بالضرب واللكمات بجميع أنواعها.

لم أعد أطيق هذا المكان. حتى أصدقائي الفاءات الثلاثة، فاسيلي وفانيا

وفلاديمير انتهى الأمر بهم إلى الامتثال إلى سلطة بيوتر الذي يطالبنا بمعاملته كأنه «تساريفيتش»[1].

ليس لقوتي أن تجدي نفعاً أمام مجموعته وتنظيمهم. فبالكاد أن أنجح بضرب أحدهم حتى تسقط الدنيا فوق رأسي.

اختار بيوتر صديقنا فانيا ككبش فداء، فراح أعوانه يختلقون الأسباب ليوجّهوا له اللكمات والخدوش. مع أنّنا حاولنا بالفعل حمايته في بعض الأحيان، ولكن انتهى بنا الأمر بأن أبرحونا ضرباً أمام أنظار الحراس الذين لم يفعلوا شيئاً لحمايتنا.

وكردّة فعل على هذا الموقف قال فاسيلي: «يجب الهروب من ملجأ الجحيم هذا». لذا قررنا حفر نفق للفرار من هنا. إنّ مهجعنا ليس بعيداً عن الجدار المحيط بالملجأ. إن سار كلّ شيء كما نريد، نستطيع نحن الأربعة أن نطير بحرية بأجنحتنا نحو عالم لا يوجد فيه بيوتر ولا أعوانه ولا حراسنا.

تمّ استدعائي هذا الصباح لمقابلة المدير. فذهبت بتباطؤ، ووجدت عنده رجلاً يرتدي الزي العسكري. لا بدّ وأنّه رجل بالغ الأهمية، نظراً إلى العدد الكبير من الميداليات التي يضعها على صدره. توجه المدير نحوي وقال بصوت ناعم:

– أنا آسف يا إيغور.

– لم أفعل شيئاً يا سيدي، ليس أنا، قلت ذلك بعفوية معتقداً أنّهم اكتشفوا أمر النفق.

تظاهر المدير أنّه لم يسمع أي شيء.

– أنا آسف يا إيغور لأنّك ستضطر لمغادرة هذه المؤسسة التي أعرف أنّها كانت بمثابة العائلة لك. إنّك الآن أمام مرحلة جديدة تنفتح أمامك...

– سأذهب إلى السجن؟

– أوه كلا! صرخ من جديد. إنّما التبنيّ.

تسارعت دقات قلبي عند سماعي لهذه الكلمة. حدّد المدير:

---

1- لقب النبيل كان يطلق على أبناء حاكم الإمبراطورية الروسية. المترجمة.

– السيد أفاناسييف الحاضر هنا، رغب بمقابلتك بغرض تبنيك. بالطبع، لديك ما تقوله حيال هذا.

يتبناني؟

نظرت إلى الرجل، فابتسم لي برقة، يبدو عليه اللطف. عيناه زرقاوان تنظران لي بحنان، عدا عن كل هذه الميداليات... إنّ الرجال الذين يرتدون الزي العسكري مع الكثير من الميداليات يدهشونني حقاً.

اقتربت منه أكثر، فوجدت رائحته طيبة. لا بدّ أنّ زوجته لا تستطيع إنجاب الأطفال ولذلك يريدان أن يتبنياني. والدي المستقبلي يمرّر إصبعه تحت ذقني.

– سوف ترى، سيعجبك منزلنا. إنّ زوجتي تنجح كثيراً في صنع حلوى ممتازة، وخصوصاً الحلوى بالشوكولا.

حلوى! سال لعابي. لا نحصل هنا على الحلوى إلّا في عيد ميلاد الرئيس، وفوق ذلك، تكون حلوى من دهن الخنزير ومن السكّرين التي تترك في الفم طعماً مقرزاً. عند هؤلاء الناس الطيبين، سوف آكل الحلوى كل يوم، حلوى بالشوكولا أيضاً. آه، الشوكولا... من الآن أتخيل أمي المستقبلية الجديدة؛ امرأة شقراء ضاحكة، ولديها ذراعان بيضاوان قويان لعجن الطحين.

– كنت أظنّ أنّني أصبحت في سنّ لا يسمح أن يتبناني أحد.

– إنّ السيد أفاناسييف كولونيل في سلاح الجو، لذلك يحق له الحصول على استثناءات. فهو لا يرغب بالحصول على طفل صغير وإنّما ولد كبير يتمتع بصحة جيدة.

في المهجع، لم يشأ أحد تصديق قصتي. هاجمني فلاديمير:

– الحقيقة المرّة أنّهم يخرجوننا من هذا السجن كي يرسلوننا إلى أماكن أسوأ بكثير.

– إيه، أضاف فانيا، والأكثر من هذا أنّهم اعترفوا لك أنّهم اختاروك لمظهرك الجسدي.

أكمل فلاديمير:

- كولونيل في سلاح الجو... هناك الكثير من أعمال الاتجار بالمجندين الشبان هناك. هذا معروف.

استفسرت:

- ما رأيك يا فاسيلي؟

أجابني فاسيلي برفع كتفيه واقترح أن نلعب البوكر. خسرت الجولة الأولى، فقام فاسيلي بأخذ رهاني وقرّر أن يقول رأيه بحكمة عميقة:

- أعتقد أنّه من الأفضل لك مساعدتنا في حفر النفق.

حيّرتني في البداية لامبالاته، لأنّ فاسيلي هو ناصحٌ جيد، ولكن أعتقد هذه المرة أنّ أنانيته قد سيطرت عليه.

- أنتم جميعكم تغارون مني لأنه سيصبح لديّ أب وأمّ، أمّا أنتم سوف تبقون محبوسين هنا.

كنت أرغب بتركهم جميعهم، ولكن أكملت لعبة البوكر. زاد فلاديمير الرهان بعشرين سيجارة، ومن ثمّ... توجه إليّ بكلامه دون أن ينظر إليّ:

- نحن بحاجة إليك من أجل النفق.

صرخت.

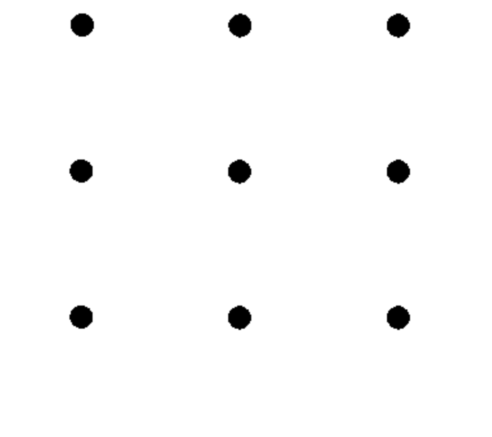
- النفق... لن ننجح في حفره أبداً! بعد سنة ستكونون ما تزالون هنا!

قريباً، لن أعود يتيماً. قريباً، سيكون لديّ عائلة حقيقية. لقد أصبح رفاقي بالنسبة لي من الماضي. سيكون فراقنا مؤلماً، ولكن كلّما أسرعت في قطع صلاتي مع الفاءات الثلاثة، سيكون الحال أفضل.

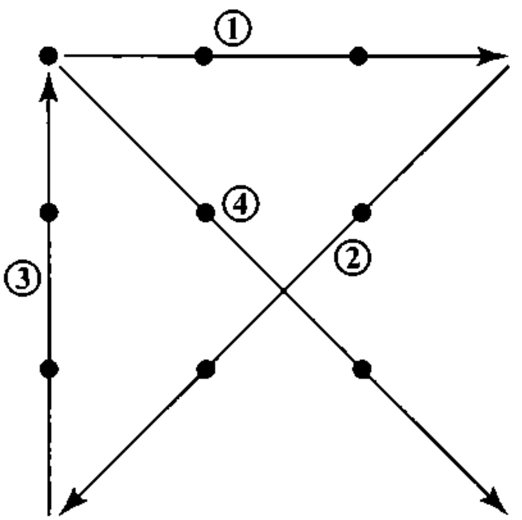
والآن بعد أن صار لديّ والد حقيقي، لم يعد لديّ سوى أمنية واحدة: الخروج من هنا.

## 55. موسوعة

**الخروج من هنا: أحجية؛ كيف تربط النقاط التسع بأربعة خطوط دون أن ترفع القلم؟**



الحلّ:




غالباً ما نعجز عن إيجاد الحل لأنّ تفكيرنا يكون محصوراً في منطقة الرسم. ولكن، لم يُذكر بتاتاً أنّه لا يمكننا الخروج منها.

العبرة: كي نفهم نظاماً ما، يجب... الانعتاق منه.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة. المجلد الرابع.*

## 56. بابادوبولوس

أعلن إدموند ويلز نهاية كل ما هو باطني وخفيّ، وفي الواقع، إنّ أسراره هو لم تكن مخفية بشكل جيد.

إن يوليس بابادوبولوس راهب ناسك. بنى لنفسه منزلاً ووضع فيه الكثير من المؤونة، ما يكفي احتياجاته حتى نهاية أيامه، ومن ثمّ سدّ الباب بجدار.

لم يبنِ بيت عزلته في مكان اعتباطيّ، فقد عمّر ملجأه في أعلى وأبعد نقطة في السفوح الوعرة لجبال الأنديز بالقرب من مدينة كوزكو في البيرو.

هنا، يتأمل يوليس بابادوبولوس ويكتب. إنّه رجل قصير ذو لحية سوداء مجعدة، كما أنّه قليل الاعتناء بنظافته وأظافره طويلة جداً.

حينما يعيش المرء محبوساً مدة عشر سنوات في غرفة مساحتها عشرين متراً مربعاً، يتخلّى في نهاية المطاف عن الاهتمام بالملابس أو معايير النظافة. كما أنّه لم يعد يوجد سوى العناكب التي تزور الحبيس.

إنّ الراهب مشغول كلياً بتدوين آخر قول مأثور لإدموند ويلز عندما دعينا أنفسنا لزيارته. يؤكد النص أنّه لفهم نظام ما يجب الخروج منه. هذا التأكيد أسعد صديقي راؤول. أليس هذا بالضبط ما نقوم به الآن؟ بما أنّنا اقتربنا أكثر كي نستطيع قراءة الصفحة بشكل أفضل، توقف بابادوبولوس عن الكتابة بشكل مفاجئ.

– من هنا؟

كما لو أنّ ماء بارداً سُكب علينا. بشر فانٍ يلحظ وجودنا! بسرعة لنختبئ خلف الخزانة.

أخذ نفساً عميقاً.

– أنا أشعر بك. أنت هنا، أليس صحيحاً؟

إنّ هذا الرجل القصير هو بالتأكيد وسيط روحي لا مثيل له. راح يدور ويدور حول نفسه كقطة لمحت وجود فأر.

– أشعر أنّك هنا يا قديس إدموند.

حاولنا جاهدين أن نخفي إشعاع هالتينا.



– أنت هنا يا قديس إدموند، أعرف ذلك وأشعر به.

ما كان ليخطر في بالي أنّني سأصبح ملاكاً يمكن أن يخاف البشر...

– مضى وقت طويل وأنا أنتظرك، همس المدوّن بلطف. إنّ الإلمام بالمعرفة المطلقة شيء، ولكنّ الوحدة شيء آخر.

بقينا أنا وراؤول دون حراك.

– قد أكون روحانياً ولكن لديّ حدود. أخبرتني أنّك سوف تملي عليّ في الحلم كلّ ما عليّ كتابته. ومنذ ذلك الحين، تحضر النصوص بالطبع كلّ صباح في رأسي، ولكن فيما يتعلق برؤيتك...

حاولنا التخفي بأفضل ما نستطيع. فصاح:

– حسناً، هيّا، أعرف أنّك موجود الآن يا قديس إدموند!

تقدّم نحونا، متهيئاً لسحب الخزانة وبعدها، فجأة، غيّر رأيه وعاد إلى منتصف الغرفة.

– حسناً، إن كنت تأخذ الأمور على هذا النحو، فأنا أستقيل! قال ذلك بغضب. أعتذر، فأنا لا أطيق أن يقلّل الآخرون من احترامي.

في أوج حنقه، أمسك الراهب اليوناني بمطرقة ضخمة وبدأ يضرب الحجارة التي تغلق الباب.

بسببنا يريد الناسخ ترك محبسته! لكزت راؤول رازورباك بكوعي.

– يجب ألّا ندعه يفعل ذلك. لن يسامحنا إدموند ويلز على هذا أبداً.

– إنّ العالم الخارجي لي! والفتيات الجميلات لي! يصرخ بأعلى صوته من شدة حماسه. سأتخلى عن رغبتي في نذر نفسي للعفة! سأتخلى عن كلّ أمنياتي! عن رغبتي بالصمت، ورغبتي بالصلاة! المطاعم لي والقصور لي والحياة الحقيقية لي!

كان يقرن كل جملة بضربة من مطرقته.

– عشر سنوات ضائعة في نسخ الأقوال الفلسفية المأثورة، شكراً جزيلاً! وبعدها، عندما يأتي لرؤيتي، لا يقول صباح الخير ولا مساء الخير. أليس كذلك! لن أعود لذلك مرة أخرى. إنّ الدين هو فخّ الرهبان الشبان،

وأنا ساذج بسيط، ما إن ظهر لي كائن نوراني طالباً مني التنسك في الجبال كي أدوّن أفكاره حتى سارعت بالامتثال له...

– على واحد منا أن يعترف له، قلت ذلك.

– أنت، أجاب راؤول.

– ليس أنا، بل أنت.

وهو يمسك مطرقته بكلّ طيب خاطر، راح اليوناني يرندح أغنية «ذا وول» لفرقة بينك فلويد.

– ... *لسنا بحاجة لتعليمكَ...*

إنّ شظايا الأحجار تتطاير في الهواء ناثرة غبارها. دفعت راؤول بقوة خارج مخبئنا وراء الخزانة. توقف الراهب عن الحركة كلياً. لقد رآه. إنّه وسيط روحي حقيقي يمتلك مواهب متعددة. تجمّد مذهولاً، وركع على ركبتيه شابكاً يديه.

– إنّه الظهور، أخيراً! تمتم مفتوناً.

– إيه...، قال راؤول جاعلاً هالته النورانية تتلألأ أكثر كي تضفي أثرها.

أيّ تصنّع هذا! ولكن سعادة راؤول بأن يكون مرئياً لبشر من لحم ودم أكثر قوة من أيّ شيء. راح يوليس بابادوبولوس يرسم إشارة الصليب ويعيدها مرة بعد مرة. لا بدّ وأنّ لنا تأثيراً عظيماً على البشر الفانين الذين يرونا. أرغب في الظهور أنا أيضاً كي نكثّف المشهد أكثر، ولكن يوشك الناسك أصلاً أن يصاب بسكتة دماغية. إنّه يسارع أكثر فأكثر في رسم إشارة الصليب ويسجد عند قدمي راؤول.

– إيه... حسناً...، قال ذلك صديقي من باب كسب الوقت فقط. أممم، جيد... بالطبع... نعم... في الواقع... ها أنا ذا.

– آه، يا للسعادة! أنا أراك، أنا أراك يا قديس إدموند، بعينيّ الاثنتين، أنا أراك.

شاعراً ربما بالندم، صحّح له راؤول:

– إيه... أنا لست إدموند، أنا راؤول، «زميل» لإدموند، ذاك الذي يملي

عليك كتاب *الموسوعة*. لم يستطع المجيء وهو يعتذر لذلك، ولكنّه سمح لي بتمثيله.

لم يسمع الآخر جيداً، لذا توجّب على راؤول أن يعيد له عدّة مرات الجمل ذاتها، وأحياناً أخذ يهجئها كي يفهمها. مدّ يديه نحو المخطوط.

– بعد القديس إدموند، القديس راؤول! القديس راؤول! القديس راؤول! أنا مُبارك. أنا تحت إمرة جميع القديسين! أعلن بابادوبولس.

– جيد جداً، قال رازورباك. قل لي، هل في كتاب *الموسوعة* ذكر للرقم 7؟

– الرقم 7؟ تفاجأ الراهب. أوه... طبعاً يا قديس راؤول، طبعاً. إنّه مذكور تقريباً في كلّ مكان.

– أرني إياه، أمره الملاك.

أسرع الراهب وبلّل إبهامه بكل ورع وراح يقلّب الصفحات بسرعة. أخرج أولاً نصاً قصيراً عن رمزية الرقم 7 في أوراق التاروت. ونصاً آخر أطول من الأول، عن أهمية رمز 7 في الخرافات والأساطير. ونصاً ثالثاً عن القضبان السبعة في سلم يعقوب...

المشكلة مع هذا الكتاب *موسوعة المعرفة المطلقة والنسبية*، أنّه بالفعل كتاب شامل وكامل. إنّ فكر مرشدنا يتشعّب في جميع الاتجاهات في الوقت عينه. فالموسوعة تقدم الخواطر الفلسفية كما تضم أيضاً وصفات طبخ، ونوادر علمية، وأحجيات، ودراسات اجتماعية، وصور موجزة، وإضاءات جديدة حول وقائع وحقائق تاريخ الكرة الأرضية. أيّة فوضى هذه! يلزمنا لقراءته كاملاً، عدة رحلات!

اقترح راؤول على المدوّن رؤية الفهرس، أو على الأقل جدولاً يضم الصفحات المرقمة. قلّب الصفحات. مرّ على اختبارات نفسية! ولقاءات مع نجوم! أخيراً شيء ما مثير للاهتمام. يشير أحد المداخل إلى أنّ عالم الكائنات 7، جغرافياً، ليس مجاوراً لعالم كائنات 6، وبناء على ذلك، يجب البحث عنه «في أكثر مكان لا نتوقع فيه العثور عليه».

فجأة، نحن الملائكة، الذين لم نعد نشعر بالحرارة ولا بالبرودة، أحسسنا بوجود نَفَسٍ جليديّ.

- إنّها أرواح تائهة! قال راؤول قلقاً.

اصطف أمامنا في الواقع عشرات الأشباح. إنّهم يشبهوننا عدا أنّهم عوض أن يكونوا منيرين مثلنا، فإنّهم يمتصون الضوء.

شرح لي راؤول باعتبار أنّه أقدم مني في الجنة، أنّ هذه الإكتوبلازما هي لأناس ماتوا إمّا انتحاراً، أي إنّهم رحلوا قبل أوانهم، أو أنّها لمقتولين لا تزال أرواحهم معذبة لدرجة أنّهم يفضلون البقاء في الأسفل لمحاولة حلّ مشاكل الماضي عوضاً عن الارتقاء إلى السماء كي يطهّروا أنفسهم في حياة أخرى.

- إنّهم بشر يرفضون الاستسلام حتى وهم أموات؟

- أو بالأحرى، لا يستطيعون ذلك. بعضهم حاقدون ويحرصون على الانتقام، يتمسكون بالبقاء على شكل أشباح كي يطاردوا قاتليهم بشكل أفضل.

- هل باستطاعتهم أذيتنا؟

- أذيتنا نحن، كلا. ولكن بابادوبولس نعم.

اعترضت:

- ولكن نحن ملائكة وهم مجرد أرواح تائهة.

- يظلون أقرب منا للبشر.

يخشى راؤول بشدة أن نكون نحن من قادهم إلى الراهب اليوناني. لا تتوقف الأرواح التائهة عن البحث عن جسد تطارده، وبهبوطنا على الأرض ويظهورنا، قمنا بإرشادها إلى وسيط روحي.

تستمر الأشباح بالتدفق، وها قد قارب عددهم الثلاثين هنا. إنّهم يحتفظون بالمظهر ذاته الذي كانوا عليه ساعة موتهم. إنّ أمامنا محاربو الإنكا، الذين ما تزال تبدو عليهم الجروح التي سبّبتها بنادق الغزاة. ظننا أنفسنا في واحدة من روايات هوارد فيليبس لافكرافت المرعبة! والشخص الذي يبدو أنّه قائدهم يفوقهم إثارة للرعب، فهو دون رأس. وقفت أمام راؤول وسألته:

- ماذا سنفعل لقتالهم؟

## 57. فينوس - 7 أعوام

في المرآة أجد نفسي أكثر جمالاً مع أنفي الجديد. لقد سُجلت في مدرسة للأطفال النجوم التي تطبق فيها طريقة الدكتور أتكنز التربوية. حيث يتركون لنا حرية القيام بما نريد كما نريد ومتى نريد، كي نطلق العنان لدوافعنا بالتعبير عن نفسها بحرية. أكتفي أغلب الوقت برسم رجل قصير سجين.

- من هذا؟ تسألني المشرفة التربوية. أهذا والدكِ؟ أم والدتكِ؟

- كلا، إنّه الآخر.

- أيّ آخر؟ تقصدين الأمير الفاتن؟

حدّدت:

- كلا، إنّه الآخر، ذاك الذي أراه في أحلامي أحياناً.

- أوه حسناً، هذا الآخر يملك اسماً خاصاً ألا وهو الأمير الفاتن، أخبرتني المشرفة. أنا أيضاً بحثت عنه، ووجدته عندما التقيت بزوجي.

لا شيء يغيظني أكثر من هؤلاء الراشدين الذين لا يستمعون إلى الأطفال، ويعتبرون أنّهم يعرفون كلّ شيء. صرخت:

- كلّا، ليس للآخر أيّ علاقة بالأمير الفاتن! إنّه السجين. إنّه عالق ويريد الخروج، وأنا الوحيدة القادرة على مساعدته، ولكن من أجل هذا يجب أن أتذكر.

- أن تتذكري ماذا؟

ليس لديّ وقت لأضيعه، لذا توقفت عن الجدال معها.

دعتني الأسبوع الفائت إحدى المجلات للقيام بجلسة تصوير. كان ذلك بفضل أمي التي تسوّق لي في كل مكان تذهب إليه أثناء عملها. جلست لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات على كرسي مع باقة من الزهور. أعتقد أنّ ذلك كان من أجل روزنامة. ظلت أمي في الكواليس تلعب تلك اللعبة التي ينبغي فيها الإعلان عن أرقام ترتفع أكثر فأكثر وتنتهي بكلمة دولار.

أخبرتني أمّي أنّني أصبحت شخصاً مهماً جداً. قالت لي إنني شيرلي تيمبل الجديدة. لا أعرف من تكون هذه الفتاة، إنّها بلا شك واحدة من بين

الكثيرات من الفنانات العجائز اللواتي تعتبرهنّ أمي قدوة لها. في جميع الأحوال، أجد أنّ جميعهنّ قبيحات، باستثناء ليز تايلور.

## 58. جاك– 7 أعوام

استقبلت المدرسة منذ بضعة أسابيع، تلميذة جديدة. عندما يصل تلاميذ جدد أرغب دائماً بمساعدتهم على التأقلم.

هذه التلميذة الجديدة مميزة بعض الشيء، فهي تكبرنا سناً، عمرها ثمانية أعوام. يبدو أنّها اضطرت بلا شكّ إلى إعادة أحد الصفوف رغم أنّها لم تكن تبدو غبية. إنّها تعيش في سيرك، ومن كثرة تغييرها لأماكن الإقامة، لم يكن سهلاً عليها متابعة البرنامج المدرسي.

اسم الفتاة مارتين. شكرتني على استقبالي لها، وتقبلت نصائحي وسألتني إن كنت أعرف اللعب بالشطرنج. قلت لا، فأخرجت من حقيبتها المدرسية لعبة صغيرة من البلاستيك لتعلمني. ما يعجبني في لعبة الشطرنج، أنّ رقعتها تشبه مسرحاً صغيراً ترقص فيه الدمى وتتنافس فيما بينها. علمتني أنّ هناك قانوناً لخياة كل مجسّم يجب احترامه. بعضهم يتقدم بخطوات صغيرة وهم البيادق، وبعضهم الآخر ينزلق أبعد مثل الفيلة، وهناك أيضاً من يستطيع القفز فوق القطع الأخرى وهم الأحصنة.

إنّ مارتين موهوبة للغاية في هذه اللعبة. فهي في عمرها هذا، واجهت بالفعل العديد من البالغين في الوقت ذاته أثناء إحدى البطولات.

– هذا ليس صعباً. فالبالغون لا يتوقعون من فتاة صغيرة أن تهاجمهم، لذا أنقضّ عليهم. وبعدها، يصبحون في موقف الدفاع. وعندما يلعبون من باب الدفاع، يصبح من السهل التنبؤ بأفعالهم، ويكونون متخلفين خطوة للوراء.

تؤكد مارتين أنّه من الواجب الالتزام بثلاثة أساسيات مهمة من أجل الفوز. في بداية اللعبة، يجب بالسرعة القصوى إخراج البيادق من الصف الخلفي للدفاع كي يستطيعوا الدخول في المعركة. ثمّ، يجب احتلال المركز. وفي النهاية، تحصين نقاط القوة أكثر من البحث لتعزيز نقاط الضعف.

أصبحت لعبة الشطرنج شغفاً لي. صرت ألعب أنا ومارتين الشوط مع

مؤقت زمني حيث لا ينبغي لنا التفكير فقط بالحركة الواحدة التي نقوم بها، بل بالحركات الست المستقبلية التي ستتوالى منطقياً بعد هذه الحركة.

تقول مارتين إنني جيد في الهجوم ولكنّني لست رائعاً في الدفاع، لذا طلبت منها تعليمي الدفاع عن نفسي بشكل أفضل.

– كلّا، تذكّر أنّه يجب تحصين نقاط قوتك أكثر من تعزيز نقاط ضعفك. سوف أعلمك كيف تكون فعّالاً أكثر وأكثر في الهجوم، لأنّك بذلك لن تعود بحاجة لتتعلّم الدفاع عن نفسك.

وهذا ما تفعله. أصبحت أفكر بطريقة أسرع فأسرع. عندما أبدأ باللعب، أشعر أنّ المكان والزمان ينحصران في هذه الرقعة حيث تجري أحداث الدراما. أشعر أنّه في كلّ حركة، يندفع فأر في رأسي راكضاً في متاهة مختبراً كلّ الدروب الممكنة كي يختار بالسرعة القصوى أفضلها.

أحضرت مارتين معها قصة هزلية مأخوذة من مجموعة قصص قصيرة لإدغار ألان بو بعنوان *لاعب الشطرنج لصاحبه مايلزيل*. إنّها قصة عن إنسان آليّ يتفوق على الجميع في لعبة الشطرنج. وفي النهاية نعلم أنّه في الواقع كان هناك قزم يختبئ داخل الآلة. ما هذه النهاية المدهشة! اقشعر جسدي من السعادة! عدا عن أنّ هذا يبدو كما لو أنّه قد حصل فعلاً.

أصبح لحياتي معنى جديد مع مارتين وإدغار آلان بو والشطرنج. صرت الآن أضفي الكثير من التشويق على قصصي التي أصبح أكثرها يتمحور حول الشطرنج. غالباً ما تكون الشخصيات في قصصي عالقة في مكان لا تعرف قواعده، لأنّ هذه القصص الخيالية تخضع لقوانين غير مرئية لا يمكنها حتى تخيلها.

اقترحت على مارتين أن أقرأ لها قصتي القادمة، فقبلت ذلك. هل سيصبح لديّ قارئ أخيراً؟ رويت لها قصة مغامرةٍ لكريتيّ دم بيضاء تبحثان في الجسد البشري عن ميكروب. عندما أمسكتا به، عرفتا أنّ طموح الميكروب الوحيد هو الاندماج في مجتمع خلايا جسم الإنسان. تمّ في النهاية قبول الميكروب داخل جسم الإنسان، ولكن فقط في المكان الذي يمكن له أن يكون مفيداً.

– بمعنى؟

– في الجهاز الهضمي، كي يساهم في عملية هضم الطعام.

ضحكت مارتين:

– فكرة لا بأس بها. كيف خطرت ببالك؟

– رأيت برنامجاً في التلفاز عن الميكروبات.

– كلّا، ما أسألك عنه هو كيف جاءتك الرغبة في البحث عن عالم أفضل لأنّ ميكروبك هذا في الواقع، يبحث عن مجتمع مثالي.

– يبدو لي أنّ أعضاءنا في الأساس مجتمع مثالي. فلا توجد منافسة في داخلها، ولا قائد، والجميع فيها هم في الوقت ذاته مختلفون ويكمّلون بعضهم بعضاً، والنتيجة أنّ جميعهم يتحركون من أجل الفائدة العامة.

قالت مارتين إنّ قصتي جميلة جداً، وطبعت قبلة على خدّي. حاولت أن أقبّلها أنا أيضاً، ولكنّها صدتني.

– عندما تكتب قصصاً أخرى، أرغب كثيراً أن تقرأها لي، همست لي بذلك.

## 59. إيغور – 7 أعوام

من المقرر أن يأتي والداي هذا المساء لاصطحابي معهما. ارتديت البدلة الرسمية المصنوعة من النايلون الأسود التي تمّ توزيعها علينا من أجل الأعياد. لمّعت حذائي بدهن الخنزير، ووضّبت حقيبتي. لم أعد أكلّم الآخرين، ولم أتناول ظهراً طعام الغداء، فأنا أخشى كثيراً أن تتسخ بدلتي. قرأت في المكتبة كتاباً عن آداب السلوك. أعرف الآن أنّ الشوكة توضع على يسار الصحن في حين توضع السكين على يمينه. أعرف أنّ تقديم اللحمة يترافق مع النبيذ الأبيض، وأنّ تقديم السمك يترافق مع النبيذ الأحمر. إذا لم يكن العكس تماماً... أعرف أنّه يجب إعطاء بطاقة العمل إلى الأثرياء الآخرين الذين نصادفهم كي نستطيع اللقاء فيما بيننا لاحقاً دون الاضطرار لرؤية الفقراء مجدداً.

بحثت أيضاً في موضوع الميداليات، تلك التي تخصّ أبي المستقبلي، فعرفت أنّها لا تشير فقط إلى أنّ حاملها يعدّ من نخبة سلاح الجو، بل أكثر من ذلك، أي إنّه قام بإسقاط عدد من طائرات العدو. سلاح الجو... أشعر

بالفعل أنّني مستعد لازدراء قوات المشاة والمدفعية والبحرية. يعيش طيران الجو! نحلق فوق الأعداء ونقتلهم من بعيد، دون أن نراهم أو نلمسهم. يعيش الجيش! تعيش الحرب! الموت للأعداء! الموت للغرب!

عندما سيصبح اسمي رسمياً «ابن الكولونيل»، من المحتمل أن أعرف جميع تحركات قواتنا، وسأعرف جميع المهمات السرية التي لا تتحدث عنها الصحافة البتة. أنا على قناعة تامة أنّهم يخفون عنا كل ما هو مثير للاهتمام حقاً مثل: المجازر والهجمات العنيفة وكل ذلك. إنّ الفاءات الثلاثة في مهجعي يثيرون غضبي. لم أعد أطيق الانتظار حتى أنتمي لعائلة غنية، فقد بدأ هؤلاء الفقراء يفقدونني صوابي.

الساعة الثانية عشرة ظهراً، الساعة الواحدة ظهراً، والآن الساعة الخامسة عصراً، قلت «وداعاً» للمراقبين، وجلستُ أنتظر أن تصبح الساعة السابعة مساء ببدلة يوم الأحد الرسمية التي بدأت تتشقق قليلاً تحت الإبطين. دخل فانيا ونظر إليّ غاضباً وقال:

– ضابطك هذا، أنا واثق من أنّه شاذ جنسياً يتحرش بالأطفال.

– تقول هذا لأنّك تشعر بالغيرة. أنت لا تعرف أساساً ما هي حلوى الشوكولا.

– أنت لست سوى جباناً!

أفهم أنّ فانيا يعتمد عليّ في حمايته ومساعدته، ولكن لا أستطيع أن أبقى تحت تصرف الجميع إلى الأبد. لذا تروّيت.

– وأنت أيضاً سيأتي حظك في يوم ما، وحينها لن تتصرف إلّا كما أتصرف أنا الآن تماماً.

يجب أن يأتي والدي الجديد لأخذي عند الساعة السابعة مساء. وسأصبح عند الساعة السابعة والنصف في كنف عائلة لأكل الحلوى، حلوى حقيقية، مع زبدة حقيقية وشوكولا حقيقية.

ها هي الساعة السادسة والنصف، ليس عليّ الانتظار أكثر من نصف ساعة لتنتهي قصتي مع هذا الملجأ. سيكون لديّ عائلة والكثير من الحب.

عند الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وقف فاسيلي أمامي بهيئة غريبة. أمرني أن أتبعه إلى غرفة الاستحمام. يوجد حشد صغير لا يهدأ هناك.

جميع الوجوه تنظر نحو السقف، ومن السقف، يتدلّى فلاديمير مشنوقاً وقد عُلّقت على رقبته لافتة: «خبأ السجائر كي لا يدفع الضريبة». لا بدّ وأنّ رفع رفيقي البدين إلى الأعلى كان صعباً للغاية. إنّه أزرق بالكامل ويمدّ لسانه بطريقة منفّرة تجعل المشهد أكثر رعباً.

- إنّه بيوتر... هذا بيوتر الذي... قتله! بصعوبة، نطق ذلك فانيا.

بقي فاسيلي صامتاً ولكنّ نظرته كانت قاسية. توجّه نحوي، أمسكني بكتفي وقادني إلى مخبأ صنعه ولم أكن أعرف به. ومن داخل قطعة قماش مطوية، سحب شيئاً طويلاً ولامعاً، إنّها سكين.

تفحّصتها. لم يجدها أو يشتريها، لقد صنعها بنفسه. قام بصنعها بروّية خارج أوقات العمل في ورشة الأعمال الحرفية. تبدو وكأنها خنجر حرب حقيقي.

- أنت الأقوى بيننا. عليك الانتقام لفلاديمير.

وقفت متجمداً في مكاني. أفكر بوالدي الجديد، الكولونيل في سلاح الجو. سوف يجعلني أصعد الطائرة في يوم ما... سيعلمني الطيران في يوم ما... وأعود وأنظر إلى فلاديمير الذي كان يأكل بشكل دائم، ويضع إصبعه في أنفه على الدوام، هذا الخنزير. عاد لمخيلتي مظهره وهو يأكل ويسيل لعابه ويتجشأ بصوت قوي.

- أعتذر، قلت لفاسيلي. ابحث عن أحد آخر. سيصل والديّ الجديدان بعد نصف ساعة. لم أعد معنياً بالمشاجرات هنا.

كنت أستدير بالفعل عندما تناهى إلى مسمعي صوت:

- ولكن هناك إيغور... إيغور أيضاً لم يدفع الضريبة... يا بيوتر.

- ... وهو متأنق بهذا الزي، يبدو إيغور صبياً برجوازياً بالفعل. هذه البدلة الرسمية الساحرة، ستكون خرقة قماش رائعة لمسح الغبار.

حاول فاسيلي بخفة أن يناولني الخنجر في يدي، ولكنّني رفضتُ الإمساك به.

- لا يمكنك الهروب من قدرك، وشوش بنعومة في أذني.

- إذاً يا إيغور، هل نبدأ بالمشاجرة أم تدعنا نقصّ بهدوء أطراف سترتك كي تصبح موائمة للموضة؟

انفجر أعوانه ضاحكين.

لاتستجبْ لهذه الاستفزازات. اصمد أيضاً عشرين دقيقة. فقط عشرون دقيقة. إن حالفني الحظ، من المحتمل أيضاً أن يصل والدي المستقبلي قبل الموعد.

فكرت بالقيام بحركة للفرار ولكنّ قدميَّ شُلّتا. إنّ «تساريفيتش» وعصابته يتقدمان. لا أزال أملك الخيار، إمّا أن أبقى هادئاً أو أكون شجاعاً.

اقترب الأطفال من المهاجع الأخرى والتفوا حولنا مشكلين حلقة كي يشاهدوا العرض.

– هيه يا إيغور، هل معك رقائق البوكر؟ قال بيوتر ساخراً.

يداي ترتجفان، أرجو ألّا يفسد كلّ شيء الآن.

يلعق بيوتر بلطف نصل السكين الذي يستخدمه. خنجر فاسيلي قريب جداً من يدي.

– لا مجال للمراوغة هذه المرة. همس لي صديقي السابق. ليس لديك خيار سوى أن ترمي أوراقك.

أعرف تماماً ما الذي عليّ عدم فعله. وخصوصاً عدم لمس هذا الخنجر. أفكر في الحلوى بالشوكولا، في الرحلات بالطائرة، في ميداليات الكولونيل. اصمد، اصمد بعد لبضع دقائق. عليّ السيطرة على أعصابي، عليّ السيطرة على دماغي. ما إن أنعم بالدفء في منزل الكولونيل، لن يكون كلّ هذا سوى ذكرى سيئة أخرى.

– انظروا كم هو خائف. إيغور الجبان! سوف أهشّم وجهك.

ربما قد تخونني أطرافي ولكنّ فمي بقي مخلصاً.

– لا أريد القتال، قلت ذلك بألم.

نعم، نعم، أنا جبان. أريد والديّ الجديدين. يكفي أن أهرب باتجاه الممر كي أجد نفسي خارج نطاق السكين. الهرب، الهرب. ما يزال هناك وقت.

استولى فانيا على الخنجر ووضعه مباشرة في راحة كفي لإجباري على أخذه. قامت أصابعي بحركة. ولكن لا، لا، لا، لا تنغلقي يا أصابعي على هذه القبضة، أمنعك من ذلك. طوى فانيا أصابعي واحداً تلو الآخر.

رأيت من جديد وجه أمي. أحسست بألم في معدتي. وصعدت الدماء إلى عينيّ، ولم أعد أرى شيئاً. أحسّ فقط بالخنجر ينغرز في الجسد اللين، في بطن بيوتر، في المكان عينه الذي أشعر أنا فيه بالألم.

تفحّص بيوتر وجهي بهيئة متفاجئة. كما لو أنّ لسان حاله يقول: «لم أتوقع هذه الضربة. لقد كنتَ في النهاية أقلّ جبناً ممّا توقعت».

ربما كان بيوتر الذي لا يعيش إلّا على مبدأ القوة تحترم القوة، بما في ذلك قوة منافسيه، دائم البحث عمّن يمرّغ أنفه في التراب من أجل الحساب.

يتوقف الوقت ويتجمّد. يبدي فاسيلي ابتسامة خفيفة لا تمتدّ إلّا لأطراف شفتيه. لأول مرة أقرأ في نظرته: «أنت شخص جيد».

صفّق الأطفال المحيطون بنا. حتى مساعدو بيوتر أبدوا تعابير الإعجاب. لم يتوقعوا بالطبع أن أكون أنا الفائز. أعرف أنّه لم يعد هناك ما أخشاه منهم. إنّني أنتقل إلى عالم جديد. لقد فوّت فرصتي الكبرى بأن يصبح لديّ عائلة، ومع ذلك، أشعر بالراحة. أطلقت صرخة هائلة. صرخة النصر على الخصم والفشل لمصيري.

تمّ الانتقام لفلاديمير وأنا... وأنا خسرت كلّ شيء.

أصابعي ملطخة بدم بيوتر. تمنيت أن يتلقى بيوتر ضربة سكين في بطنه، وها قد تحققت أمنيتي. كم أنا نادم الآن! قمت بدفع الأعوان الذين يبحثون عن قائد جديد، ويرغبون بحملي احتفالاً بالنصر الذي حققته.

في مساء اليوم ذاته، وصلت سيارة نقل السجناء لتقلّنا أنا وفانيا، كي ننتقل إلى مرحلة جديدة من مسيرة حياتنا الشخصية: مركز إعادة تأهيل الأحداث الجانحين في نوفوسيبيرسك.

## 60. موسوعة

المستوى التنظيمي: للذرّة مستوى تنظيمي خاص بها.

للجزيء مستوى تنظيمي خاص به.

للخلية مستوى تنظيمي خاص بها.

كما للحيوان مستوى تنظيمي وفوقه الكوكب أيضاً له مستوى تنظيمي، والنظام الشمسي، والمجرة. ولكن كل هذه البنى ليست مستقلة بعضها عن بعض. فالذرة تؤثر على الجزيء، والجزيء يؤثر على الهرمون، والهرمون يؤثر على سلوك المخلوق، والمخلوق يؤثر على الكوكب.

ولأنّ الخلية تحتاج إلى السكّر فإنّها تطلب من المخلوق أن يصطاد كي يحصل على الغذاء. وبسبب البحث عن الصيد للحصول على الغذاء شعر الإنسان بالحاجة إلى توسيع أراضيه، لدرجة أنّه انتهى به الأمر باختراع الصواريخ وإرسالها إلى ما وراء الكوكب.

وفي المقابل، بما أنّ رائد الفضاء ستتعطل بعض وظائف جسده، فإنّه سيعاني من قرحة معدية، ولأنّه سيصاب بقرحة معدية فإنّ بعض الذرات التي يتكون منها جدار المعدة سوف تنفصل إلكتروناتها عن النواة.

لقطة بعيدة ولقطة قريبة للذرة في الفضاء.

بالنظر من هذه الزاوية، فإنّ موت الكائن الحي ما هو إلّا مجرد تحويل للطاقة.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة المطلقة والنسبية، المجلد الرابع.*

## 61. الإنكا العظيمة

أحاطت الأرواح التائهة بيوليس بابادوبولوس، وراحت كل واحدة توشوش في أذنه:

– دعني أدخل فيك.

– لماذا تريد الدخول فيّ يا قديس راؤول؟ سأل بابادوبولوس.

– هل ترى، قال راؤول بحرقة، يستقبل هذا البشر الفاني رسائل الأرواح التائهة بسهولة أكثر من رسائلنا نحن.

فجأة، قلت لنفسي إنّه من المرجّح أنّ بعض الأنبياء الذين زعموا أنّهم

تحدثوا مع الملائكة، لم يتواصلوا في الواقع إلا مع أرواح تائهة تظاهرت بأنّها نحن.

– دعني أدخل فيك، يردد الشبح.

إنّ الكاهن اليوناني حيران. فهو «يرى» راؤول ولكنّه لا يفهم لماذا، بغتة، غيّر هذا الأخير صوته وبدأ يكلّمه بهذه الطريقة. حين خامره الشك، شرع بالصلاة. ولكن وهو يصلّي، بدأت روحه ترتفع شيئاً فشيئاً خارج جسده. هناك خطر.

تدخّلتُ:

– هيه! أنتم يا أشباح! لماذا بقيتم إذاً على الأرض؟

اقتنع واحد منهم بالابتعاد عن فريسته كي يجيبني:

– يجب أن ننتقم من الغزاة الذين قتلونا. هذا الكاهن هو أحد ممثليهم، لذا سوف نطارده وأستطيع أن أؤكد لك أنّه لن يقدر أيّ طارد أرواح أن يخرجنا من جسده.

– هيه! يا شباب! صرخ راؤول، ألا تخجلون من مهاجمة إنسان مسكين؟ اختاروا منافسين يناسبونكم!

إنّ اللوم لا يحرّك فيهم ساكناً.

– تقصد أن نهاجم الملائكة؟ أية فائدة من هذا؟ إنّنا نفضل ضرب نقاط ضعفكم. أي «موكليكم» كما تسمونهم.

للأسف، من كثرة الصلاة، بدأت روح الراهب تخرج فعلياً من جسده. تجمعت الأرواح التائهة بشكل عِقد حول جمجمته في أعلى نقطة حيث يخرج منها الشكل الأبيض لإكتوبلازما روحه بوضوح كامل.

صرخت:

– كلا، ابقَ في جسدك! توقف عن الصلاة!

ولكنّ الراهب لم يسمعني، وقد تزاحمت الأرواح التائهة حوله لمساعدته على الخروج بسرعة من جسده. المسكين بابادوبولوس، لم يعد يربطه بجسده سوى خيط رفيع لحبله الفضي الممتد. يعتقد هذا الساذج أنّه يعيش انخطافاً روحياً في حين أنّه فقط في طور الطرد من جسده.

لاستغلال الوقت، حاولت الدخول في حوار مع الخصم. دُهشت الأرواح التائهة من اهتمامي بها شخصياً.

وافقت على تحرير قبضتها على بابادوبولوس كي تشرح لنا معاناتها. هذه هي سمة الأرواح التائهة، إنّها كائنات متألّمة. راحت تروي لنا بإسهاب قصتها.

عادت روح بابادوبولوس إليه، وأُصيب بالإغماء.

إنّ قصة الوجود السابق لهذه الأشباح يُرثى لها. أعيش معهم من جديد معاناتهم وأتفهّمها. كما أدخل في تواصل مع ثقافة أجدادهم القديمة، فأرى حياتهم المسالمة قبل انتشار الغزاة المحتلين القادمين من الشرق. وأرى صوراً عائمة لمدينة كوزكو قبل الكارثة، صوراً لمشاهد عبادة الشمس، صوراً للحياة اليومية في واحدة من الحضارات المتقدمة جداً. بدأت أفهم الإنكا، وفي الواقع إنّ تعاطفي معهم أربكهم في البداية ولكنّه هدّأ من روعهم لاحقاً.

- تستطيعون مساعدتنا في الصعود إلى السماء؟ انتهى الأمر بأحد محاربي الإنكا بطرحه هذا السؤال.

أجبت أنّه لا علم لي، ومن ثمّ، بعد أن قلت ذلك، أغلقت عينيّ وفهمت أنّني أستطيع فعل ذلك. فهذه واحدة من الامتيازات التي نحظى بها كوننا ملائكة. كي ترتقي هذه الأرواح التائهة إلى الجنة، يكفي أن أسمح لها بالعبور فيّ وتركها تدخل على طول العمود الفقري بغية أن تصعد من أعلى جمجمتي.

ولكنّ الأرواح التائهة أعلنت أنّها لن تقدر على الذهاب طالما أنّ قائدها لم يستعد رأسه بعد. إنّ هذا الشبح مقطوع الرأس هو أتاوالبا، آخر عظماء الإنكا الذي قُتل على يد فرانشيسكو بيزارو عام 1533م. ولكن، إذا قام الإسبان بعد شنق عدوهم، بقطع رأسه فهذا بالضبط كي يمنعوا ضحيتهم من الصعود إلى الجنة، لأنّ الغاصب المعتدي كان يعرف تماماً معتقداتهم. فبالنسبة للإنكا، لن يكون هناك تقمص ما لم يصل الجسد كاملاً وسالماً إلى الآلهة. لذلك قام بيزارو بإخفاء رأس الإنكا عن قصد، كي ينشر الخوف بين جميع السكان.

يُقال بحسب أحد هذه الأشباح إنّ «درباً مضيئاً» خُلق بين جسد الملك ورأسه المُعذب لمحاولة الجمع بينهما.

- أليست هذه الأسطورة ذاتها التي ألهمت الحركة الماوية الثورية في البيرو والمعروفة باسم «الدرب المضيء»، والتي أثارت ضجة كبيرة في الثمانينيات؟

- في الواقع، نحن من ألهمنا هؤلاء المتمردين. كنا مستعدين في ذاك الحين، لفعل أيّ شيء كي نقوم بتجميع جسد ملكنا.

عقدتُ العزم أنا وراؤول على حلّ هذه المشكلة. سوف نجد رأس الملك بالعودة إلى الأرشيف السري لمكتبة الفاتيكان. وبالفعل وجدنا الرأس في موقع تنقيب ليس بعيداً عن كاخاماركا، آخر مكان انتصرت فيه الإنكا على أعدائها. اقترحنا على إحدى البعثات الأثرية الأمريكية استعادته وإضافته إلى الجسد الموجود في متحف البيرو.

ما إن أعيد تجميع جسد الإنكا العظيم حتى شعّت روحه.

منذ زمن طويل وهو ينتظر هذه اللحظة... ومن باب ردّ الجميل، اقترح علينا أن يقدّم لنا مساعدة ضمن إمكانياته المحدودة. لذا شرحنا له الهدف من بحثنا قائلين: نحن ملائكة ونرغب بمعرفة ماذا يوجد فوق الملائكة.

فكّر أتاوالبا.

يقول إنّه بصفته إمبراطوراً للإنكا وابن الشمس، فهو يعرف بالطبع نشأة الكون لشعبه. يعتقد أنّه فوق الملائكة هناك إله، ولكن لا يعرف كثيراً كيف نستطيع التحقق من هذا.

أجابه راؤول أنّ فوق الملائكة يوجد بلد كائنات 7. فسأله إن كان هذا الرقم يذكره بشيء ما محدد؟

في هذه اللحظة، أشار لنا إمبراطور الإنكا أنّه ذات يوم، عندما كان روحاً تائهة يتنزه في سفارة كوريا الجنوبية في البيرو، التقى بفتاة شابة استثنائية. ليس فقط لأنّها تبدو على معرفة بالكثير من الأشياء، بل أكثر من ذلك، يبدو أنّها قادمة من مكان بعيد جداً. العالم الذي يطارد حيواتها السابقة، بحسب ما أدرك أتاوالبا، هو عالم أعلى من عالم البشر، كما أنّه أعلى من عالم الملائكة

أيضاً. ولم يدهشه أن تكون فتاة بشرية فانية، تحتفظ في أعماق روحها بسر بلد كائنات 7. لأنّه كما شاهدنا مع بابادوبولوس، فالكائنات النورانية تحب أحياناً استخدام البشر لإخفاء أسرارها وكنوزها فيهم. لذلك فهم يدفنون هذه الأسرار في أعماق لاوعيهم ويكون هذا بمثابة مخبأ لهم.

- من تكون هذه الفتاة الشابة؟ سأل راؤول.

مال أتاوالبا بحنوّ علينا وهمس لنا:

- إنّها نتالي كيم، ابنة سفير كوريا في البيرو.

بعد ذلك، نظر الملك السابق للهنود الحمر نظرة وقورة، وأمر محاربيه بالتجمع حوله. نحن جاهزون للانطلاق نحو الجنة.

واحداً تلو الآخر، اقتحمنا الإنكا من أقدامنا صاعدين على ظهرينا وخرجوا من أعلى جمجمتينا. كنا نقشعر من الألم لأنّه في كل مرة تعبر فينا روح تائهة، نشعر بومضات من معاناتهم السابقة.

عندما ابتعدوا جميعهم إلى الأعلى، وأصبحنا مجدداً لوحدنا، تساءلت:

- نتالي كيم؟ هل تعرفها؟ من تكون؟

- واحدة من موكليّ، أجاب راؤول مفكراً.

## 62. فينوس- 8 أعوام

إنّني أعاني من مشكلة السير أثناء النوم. أستيقظ ليلاً وأتنزّه على السطح. أكره أن أفقد السيطرة على جسدي. يبدو الأمر كما لو أنّ الآخر، السجين في داخلي، قد تملّكته الرغبة في التحرك.

عندما أستيقظ، أعاني جداً من الصداع. ربّما لم يمشِ الآخر بشكل كافٍ كما يحلو له، وها هو يستمرّ في قضمي من الداخل...

انهالت عليّ العروض بعد أول ظهور لي كعارضة أزياء، وأصبحت مطلوبة بصورة متزايدة. أمّي هي من تعنى بالأمور الورقية مع الوكالات وتُبرم الصفقات باسمي.

عمري ثمانية أعوام وأنا أعمل وأجني المال. في الحالة الطبيعية، يجب أن نكون جميعنا في قمة السعادة، رغم ذلك، فإنّ أبي وأمي لا يتوقفان

عن الشجار. يتحدثان عن «الشجرة المثمرة»، لا بدّ وأنّهما يقصدانني أنا، هذه أيضاً واحدة من كلمات الكبار التي لا أفهمها. تقول أمي إنّها هي من يتفاوض وبالتالي من الطبيعي أن تحصل على نسبة كونها الوسيط، فيجيبها والدي: «أنجبنا سوية هذه الطفلة، أليس كذلك؟»، ويضيف: «علاوة على ذلك، فهي تشبه أمي أكثر منكِ أنت».

يعجبني كثيراً أنّ والديّ يطالبان بحصتهما من جمالي كما لو أنّه نتاج شخصي لواحد منهما دون الآخر. ولكنّ الصراخ يتزايد، تعلن أنّها وظّفت متعقباً خاصاً كي يلاحق أبي، ومن ثمّ رمت بوجهه صوراً له، «عارياً مع دجاجته».

قال أبي لأمي:

- على كلّ حال، أنت تكبرين في السن أيتها المسكينة، وعليّ حقاً التفكير باستبدالك.

قالت أمي إنّ أبي لا يعرف ممارسة الحب. هذا خاطئ، فأنا أعشقه عندما يغرقني بالقبلات ويؤكد لي أنّه يحبني. ردّ أبي أنّه لا وجود لرجال عاجزين، وإنّما لنساء حمقاوات.

بادرت أمي بتوجيه صفعة له.

فردّ أبي بمثلها.

قالت أمي، إن كان الأمر كذلك، فهي ستعود إلى منزل والدتها. أمسكت بعدها بتمثال صغير وألقته باتجاه والدي، وحينها قالا جملتهما الشهيرة: «ليس أمام الطفلة». ذهبا بعدها إلى غرفتهما، راحا يصرخان دون هوادة، ومن ثمّ ساد الصمت قليلاً وراحت أمي تئنّ بعدها مكرّرة «نعم، نعم»، و«لا، لا» و«آه، آه، آه»، ومن ثمّ مجدداً «نعم، نعم» و«لا، لا» كما لو أنّها كانت عاجزة عن اتخاذ القرار.

لم يأتِ أحد ليقبلني في سريري أو يحكي لي قصة كي أنام. بكيت وحيدة في غرفتي، ومن ثمّ صلّيت. أتمنى أن يقلّ الشجار بين والديّ وأن يهتما بي أكثر.

## 63. جاك– 8 أعوام

– هيه! أيها الصغير، ألا ترغب في القتال؟

– كلا، أجبت بصوت واضح وقاطع.

– أنت خائف منا؟

– نعم.

– أمممم... أنت خائف جداً منا؟

– نعم، كثيراً.

فاجأت ردة فعلي أفراد هذه العصابة. في العادة يجيبهم الصبية دوماً أنّهم غير خائفين. هكذا، من باب التبجح فقط، كي يظهروا بصورة الهادئين والجسورين. أمّا أنا، فلا يهمني أبداً أن أكون قوياً. ليس من الضروري أن أكون شجاعاً.

ينتظر رئيس العصابة أن أقابل نظرته بإشارة تحدٍّ، ولكن من جهتي، رحت أتأمل الخط الأزرق للأفق كما لو أنّهم ليسوا موجودين.

إنّ مارتين هي من علّمتني ألّا أحدّق في عيون الكلاب الشرسة وقطّاعي الطرق والسكارى لأنهم يعتبرون ذلك استفزازاً لهم. كما أنّه من ناحية أخرى، يُنصح في لعبة الشطرنج أن نركز نظرنا على قاعدة أنف الخصم أي بين عينيه تماماً، لأنّ هذا يشتّت تركيزه. «يشعره هذا أنّك تنظر إلى داخله»، هكذا تقول مارتين.

ستعلّمني هذه الفتاة بكلّ تأكيد الكثير من الأشياء، فقد سبق وعلمتني احترام الخصم. إنّ النصر الحقيقي من وجهة نظرها يتحقق دائماً بصعوبة وعلى فارق ضئيل. «إن انتصرنا بسهولة جداً على الخصم، فهذا ليس مهماً».

– هيه، هل تسخر منا؟ سأل زعيم العصابة.

– كلّا.

نصيحة أخرى من مارتين. يكفي التحدث بعقلانية مع الغاضبين كي تبلبلهم.

أكملت طريقي بهدوء. تردّد قاطعو الطريق. عندما يتردّد المهاجم فإنّه

يضيّع على نفسه فرصة، هذا ما تعلمته أيضاً من الشطرنج. لذا استغليت الأمر كي أتجاوزهم بأقصى هدوء ممكن. 

كان تنفسي منتظماً، كما دقات قلبي أيضاً. ليس هناك أيّ زيادة في إفراز الأدرينالين. جيد، إنّني أتجاوز بشكل حسن الاختبار، وأعرف رغم ذلك، أنّني بعد دقائق قليلة، ما إن أعي جيداً حجم الخطر الذي تجاوزته، سأشعر بموجة فزع هائلة. سوف تتسارع دقات قلبي وسأرتجف من الخوف. ولكن ما إن يصبح العدو بعيداً لن يعود بإمكانه الاستمتاع بالرهبة التي تملّكتني.

ظاهرة غريبة، لطالما يأتيني الشعور بالخوف متأخراً. مهما يكن الأمر، فأنا أحافظ فوراً على أعصابي باردة، وأبدو بمظهر الهادئ، ومن ثمّ، وبعد مضي ربع ساعة من الأمر، أشعر أنّ كلّ ما يجرى يعود ليتفجّر في رأسي.

يا للغرابة!

تحدثت بهذا الموضوع مع مارتين. تقول إنّه نوع من ردّ الفعل الذي لا بدّ وأنّني طوّرته مذ كنت طفلاً صغيراً. فأول مرة تعرضت فيها للاعتداء، كنت خائفاً لدرجة أنّ دماغي ابتكر طريقة للنجاة. تعتقد أنّ هناك رابطاً وثيقاً بين رغبتي في كتابة القصص وبين هذا الخوف القديم. إنّني أنتقم وأطلق العنان لنفسي عبر الكتابة. فكم من الأشرار والوحوش والتنانين، والقتلة قمتُ بالفعل بتقطيعهم إلى أشلاء فقط باستخدام قلمي؟

إنّ الكتابة حماية وضمان لي. طالما أنا أكتب، فإنّ الأشرار لا يخيفونني، وأعتمد على الكتابة كثيراً كي أمنح نفسي طرق هروب أكثر إثارة.

أكتب قصة أخرى لمارتين؛ تحكي قصة صبيّ ضعيف وجبان جداً يلتقي بامرأة تجعله يكتشف ذاته كما تقوم أيضاً بحمايته.

## 64. إيغور– 8 أعوام

أنا الذي كنت أشتكي دوماً من دار الأيتام في سان بطرسبرغ، كم كنت مخطئاً. فمركز إعادة تأهيل الأحداث في نوفوسيبيرسك أسوأ بكثير. صحيح أنّنا في دار الأيتام لم نكن نأكل سوى بقايا اللحوم، ولكنّها كانت على الأقل لحوماً طازجة. أمّا هنا، فجميع اللحوم فاسدة. منذ وصولي إلى هنا، لا بدّ وأنّني طورت وسائل دفاع مناعية خارقة.

في دار الأيتام، كان السرير متعفناً بعض الشيء. أمّا هنا، فالفراش مليء بحشرات الفسفس الضخمة كإصبعي، حتى الفئران تخاف منه. كانت تنبعث روائح البول في كلّ مكان في دار الأيتام، أمّا هنا، فرائحة الجيف تملأ المكان.

ندمت طويلاً على اختياري الانتقام لفلاديمير عوض الرحيل مع الكولونيل، ولكنّني علمت مؤخراً أنّ والدي المستقبلي السابق تمّ اعتقاله، فقد كان ينتمي بالفعل لشبكة من مغتصبي الأطفال. إنّ رفاقي كانوا محقين. إن لم نعد قادرين على الوثوق بالميداليات العسكرية، فيا للهول إذاً...

منذ اليوم الأول سُرقت أغراضي حينما كنت نائماً. في الليل، يعجّ المبنى بالضجيج. تصدح فجأة أصوات صرخات فتتسارع التخيلات إلى رأسي دون أن أقدر على إيقافها.

فانيا هنا أيضاً. بما أنّه هو من أعطاني الخنجر، فقد اعتبره المدير شريكاً أيضاً في الجريمة. وقع منذ اليوم الأول في مشاجرة مع الآخرين، وبما أنّه كالمغناطيس في جذب المتاعب لنفسه... تدخلت لإنقاذ حياته. قال لي إنّه سيكون ممتناً لي إلى الأبد. أصبح فانيا تقريباً مثل أخٍ صغير لي.

نعمل هنا أيضاً في ورش حرفية. إنّ دور الأيتام، ومراكز تأهيل الأحداث، والسجون، تُعتبر كلها أيادي عاملة رخيصة بالنسبة للصناعيين. أتابع تصنيع الألعاب لأطفال الغرب.

## 65. فيما يخصّ نتالي كيم

اختبرتُ تكتيك الحار والبارد على فينوس بالمناوبة بين شعورها بالفخر من عملها كعارضة أزياء وبين إحساسها بتفاهة الشجار المتواصل بين والديها.

اختبرتُ خطة البلياردو على إيغور من خلال إلهام أصدقائه بدفعه لتحمّل المسؤولية أثناء المواجهة مع بيوتر.

اختبرتُ تكتيك العصا والجزرة على جاك بإعطائه رغبة في كسب إعجاب مارتين، وذلك بإخافته من تلك العصابة. إنّ أرواحهم في طور التكوّن. أكمل عملي باستخدام الحدس والأحلام والقطط. ولكن أعي مع ذلك أنّ جُلّ ما

أقوم به هو مجرد دفع الأشياء في مسارها الطبيعي. إنّ إدموند محق، فالقطيع يتقدم لوحده. أعدتُ إضاءة كراتي وأدركت أنّه رغم جميع محاولاتي فإنّ النتيجة ليست إيجابية كما تمنيتها. إنّ القطيع في الواقع، لا يتقدم بهذا القدر الكافي، وعندما يتقدم فهو لا يأخذ الطريق المستقيم تماماً.

بدا مظهر راؤول سعيداً عندما رأى إحباطي.

- لا نستطيع مساعدتهم حقاً. لا نستطيع سوى منعهم من ارتكاب الحماقات الأكثر خطورة.

بما أنّني أعرف عن ظهر قلب مدى تشاؤم صديقي، لذا فضلت تغيير الحديث.

- وماذا بخصوص المدعوّة نتالي كيم هذه التي ذكرها الإنكا العظيم؟

قال راؤول إنّه درس حالتها وإنّ هذه الفتاة لا تملك حقاً أيّ شيء مميز. ولا يفهم علاوة على ذلك لماذا يمكن أن تمتلك شيئاً خاصاً. فهي تأخذ الطريق الأكثر كلاسيكية كأيّ كائن بشري، سواء بحسب كارما روحها أو جيناتها الوراثية أو أولى خيارات إرادتها الحرة.

- بمعنى؟

- يعني ذلك أنّها لا تتوقف عن القيام بالحماقات.

مدّ لي بيضتها التي رحت أتفحصها.

الاسم: نتالي

الكنية: كيم

الجنسية: كورية

لون الشعر: أسود

العينان: سوداوان

علامات مميزة: كثيرة الضحك

نقطة الضعف: السذاجة

نقاط القوة: ناضجة جداً، شجاعة جداً

وجه كالقمر، ضفائر بنية طويلة، عينان سوداوان لوزيتان، نتالي كيم فتاة شقية عمرها اثنا عشر عاماً. ترتدي ملابس تتطابق مع أزياء الهيبيز في السبعينيات، قباقيب وفساتين هندية، وتعيش مع عائلتها في مدينة ليما في البيرو، حيث يعمل والدها سفيراً لكوريا الجنوبية.

عائلة مشرفة، حضانة حسنة، علامتها عند الولادة: 564.

قفزت فرحاً.

– 564! 564 من 600! فإذاً هي عملياً تُعتبر... ناجحة في اختبارات التجسدات.

ظهرت ملامح الإحباط على وجه راؤول.

– أيّ كلام هذا! الأمر وما فيه أنّها روح قديمة فقط، ومن كثرة التكرار، مثل أيّ تلميذ، انتهى الأمر بها بالتقدم. ولكن، في نهاية المطاف، سيتلكؤون جميعهم قبل خط النهاية.

– إنّها جميلة كالقمر، وغنية، وذكية، وتعيش في كنف عائلة تحبها، من هي بالضبط نتالي كيم، هل هي بمثابة سيارة رولز رويس الفخمة من بين «موكليك»؟

– أنا لم أشطح بالأوهام إلى هذا الحدّ على كلّ حال.

أتفحّص من جديد البيضة المدهشة. إنّ نتالي كيم وأخويها اللذين يكبرانها سنّاً، تلقّوا تعليمهم في مقر السفارة من قبل مدرسين خاصين. يشعرون بالملل كثيراً في البيرو حيث لا يستطيعون الخروج بحرية من منزلهم كما يحلو لهم، لذلك اخترعوا ألعاباً لثلاثتهم فقط. في الوقت الحالي، تنشغل نتالي في قراءة كتاب لأخويها عن التنويم المغناطيسي البسيط وهو بعنوان: *التنويم المغناطيسي في متناول الجميع*. انحنيت على البيضة ولاحظت أنّها على وشك اختبار درس من الكتاب على أخيها الأكبر، جايمس، والذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً.

طلبت من أخيها المراهق أن يغلق عينيه ويسترخي ويتخيل أنّه لوح صلب. أغلق جايمس عينيه، وحاول التركيز، ومن ثمّ انفجر ضاحكاً.

– إنّ هذا لا ينجح! قالت نتالي متأسفة.

– لنبدأ من جديد، أعدكِ ألّا أضحك هذه المرة، قال جايمس. ولكنّ نتالي كانت حاسمة.

– مذكور في الكتاب أنّه إذا ضحك المرء مرة، هذا يعني أنّه غير قابل للتنويم المغناطيسي.

– ولكن بلى، لنبدأ من جديد، سوف ينجح الأمر.

– أعتذر يا جايمس. قلة قليلة فقط من الأشخاص يستجيبون للتنويم المغناطيسي، بالكاد 20 % من الناس بحسب هذا الكتاب، وأنت لستَ واحداً منهم لأنّك لا تملك هذه الهبة. فالمُنوِّم مغناطيسياً يجب أن يكون لديه دافع كبير لإنجاح الأمر، لأنّه هو من يقوم بالعمل كلّه. فالمنوِّم المغناطيسي يقتصر عمله على الكشف للمنوَّم أنّه قادر على الوصول إلى هذه الحالة.

تبرّع ويلي ذو الثلاثة عشر عاماً للقيام بمحاولة جديدة. أغلق عينيه بضراوة شديدة وكونه رأى أخاه الأكبر قد فشل، يرغب أن يثبت لأخته أنّه «قابل للتنويم المغناطيسي». كما لو أنّ هذا مدعاة للفخر.

– أنت صلب مثل اللوح، ردّدت نتالي بصوت منخفض. جميع عضلاتك متشنجة، لم يعد بإمكانك الحركة.

أحكم الصبي قبضتيه وجفنيه، وتمدّد وتشنج.

– أنت متصلّب، وقاس، وجاف، لم تعد سوى قطعة خشب قاسية...

أشارت نتالي لجايمس أن يقف وراء أخيه، ومن ثمّ قالت:

– أنت لوح، ومثل اللوح سوف تسقط إلى الخلف.

أصبح ويلي مستقيماً وصلباً وتراجع إلى الخلف. أمسكه جايمس من كتفيه ونتالي من قدميه. وضعا رأسه على وسادة كرسي وقدميه على وسادة كرسيّ آخر، دون وجود أيّ دعامة له، ورغم ذلك لم يسقط.

– لقد نجح الأمر! قال جايمس مسحوراً.

– يقولون في الكتاب إنّ الجسد يصبح قاسياً لدرجة أنّنا نستطيع الجلوس عليه.

– هل أنت متأكدة من ذلك؟ ألا نخاطر بكسر عموده الفقري؟

غامرت الفتاة بالجلوس على أخيها المتصلّب الذي لم يبدِ أيّة حركة. وبعدها وقفت على بطنه. تجرّأ عندها جايمس بالانضمام لأخته. سُعد المراهقان إذاً بالتحقق من فعّالية كتاب *التنويم المغناطيسي في متناول الجميع*.

– إنّ العقل البشري يحوي قدرات مجهولة، قالت نتالي بكثير من الإعجاب. لنرجعه الآن كما كان واقفاً.

أمسكا من جديد قدمي وكتف ويلي، وكانت عيناه ما تزالان مغلقتين وجسده ما يزال صلباً.

– والآن، سأبدأ العد التنازليّ، وعندما أصل إلى الصفر سوف تستيقظ، أعلنت نتالي.

ثلاثة، اثنان، واحد... صفر!

لم يستجب ويلي، ولم يتحرّك جسده ولا عيناه. أصبحت اللعبة أقلّ متعة بشكل واضح.

– ماذا يحدث! إنّه لا يستيقظ. قالت نتالي قلقة.

– ربما مات. ماذا سنقول لوالدينا؟ قال جايمس بكدر.

أمسكت الفتاة بالكتاب مجدداً بغضب.

– «إن لم يستيقظ المنوَّم، عليك إعادة العد العكسي بنبرة توجيهية حادة مع التصفيق بقوة كبيرة عند نطق الرقم صفر».

بدآ من جديد العد العكسي، صفّقا بقوة كبيرة، وهذه المرة، فتح أخاهما «المنوّم مغناطيسياً» عينيه.

وأخيراً...

– بماذا شعرت؟ سألت المنومة المغناطيسية.

– لا شيء، لا أذكر أي شيء، ولكن كان ذلك لطيفاً. ماذا جرى؟

يبدو راؤول رازورباك متشكّكاً. أنا أعتقد أنّ نتالي كيم تملك بالفعل شيئاً استثنائياً. إنّني أتفحّص عن قرب أكثر مسار حياتها السابق. كانت هذه الكورية راقصة باليه قبل حياتها هذه، وقد ماتت غرقاً في تلك الحياة.

في الماضي، عاشت عدة حيوات كفنانة؛ فقد كانت عازفة طبول في

ساحل العاج، ورسامة منمنمات في مالطا، ونحاتة وجوه خشبية في جزيرة القيامة. عندما كنت كائناً بشرياً، لم أكن أؤمن كثيراً بالتقمص. كما كنت أتفاجأ أنّ جميع الناس المتقمصين يروون أنّهم كانوا في الماضي قواداً عسكريين ومستكشفين وفنانين ونجوماً ومحظيات ورهباناً. باختصار، أبطالاً لكتب التاريخ. وهذا قد يبدو فعلاً أمراً استثنائياً عندما نعلم أنّه حتى عام 1900م، كان 95% من السكان في العالم يعملون في الزراعة.

لاحظت أنّه بين كل حياتين، كانت نتالي كيم تقضي عموماً وقتاً طويلاً في المطهر.

- لماذا تقضي كلّ هذا الوقت الطويل كي تتقمص من جديد؟

حاول راؤول تفسير الأمر:

- بعض الأرواح تكون قليلة الصبر، وتقوم بمزاحمة حشد الموتى للوصول بأقصى سرعة للمحاكمة. وبعض الأرواح الأخرى تأخذ كلّ وقتها في ذلك، كما سبق ورأيت هذا بنفسك.

أتذكر في الواقع أنّني صادفت في العالم البرتقالي أثناء العبور أرواحاً تتقدم بلا مبالاة، ودون أيّ استعجال نحو محاكمتهم.

- يأخذ هذا الطريق بالنسبة للبعض قروناً وقروناً. وبالنسبة لآخرين، ما إن تنتهي حياتهم حتى، هوب! يستعجلون للعودة إلى حلبة المصارعة ويحاولون الحصول في النهاية على كأس الخروج من دورة التجسدات الأرضية. لقد اختبرت نتالي هذا بلا شك في الحياة السابقة، فقد أخذت إذاً الوقت الكافي في تنفس الصعداء قبل أن تقرّر العودة إلى القميص البشري.

أشار لي راؤول أنّ نتالي سبق وأن تجسّدت مائة وثلاث عشرة مرة، ولكن في نهاية الأمر، لم تعرف سوى ثماني حيوات مهمة.

- ما الذي تعنيه بعبارة «حيوات مهمة»؟ ما الذي يجري في الحيوات «غير الهامة»؟

- لا شيء مميّز فعلياً. يولد المرء ويتزوج وينجب الأطفال ويحصل على عمل مريح ويموت في السرير في الثمانينات من عمره. إنّها حياة لا جدوى منها، دون رسالة، ودون إنجازات خاصة، ودون صعوبات عظمى.

- هذه الحيوات تكون إذاً غير مفيدة على الإطلاق؟

لا يؤيد راؤول هذا الرأي. إنّه يعتبر أنّ فائدة هذه الحيوات الهامشية تكمن على وجه الدقة بكونها استراحة بين حياتين «مهمتين». فبعض الشهداء، وبعض الفنانين الذين يُساء فهمهم، وبعض المناضلين لقضايا خاسرة يصلون إلى الجنة متعبين جداً من حياتهم لدرجة أنّهم يستجدون الحصول على تجسدات قادمة هيّنة ومريحة.

- عرفت موكلتي نتالي مائة وخمس حيوات مريحة، وثماني حيوات مهمة ولكنّها كانت على الأرجح مؤلمة لدرجة يصعُب تحملها.

ألاحظ في الواقع، أنّه إن جمعنا كل الأعمال التي أنجزتها عبر حيواتها السابقة وعرضناها في متحف، سيكون هناك الكثير من الغرف الفخمة والمتنوعة لزيارتها.

- إذاً لماذا لم تتحرر حتى الآن من دورة التجسدات؟

- إنّها على وشك بلوغ الهدف، قال راؤول. ولكنّ سلوكها لم يكن روحياً بما يكفي ليسمح لها بعبور خطّ النهاية.

- ما كان عائقها؟

- نقص الحب. إنّ روح نتالي كيم حساسة جداً لمخاطر العواطف. سواء تجسدت كرجل أو امرأة، لطالما كانت حذرة من شركائها، ولم تسمح لنفسها مطلقاً بالانغماس كلياً في المشاعر، مع أنّها كانت في أغلب الأحيان، محقة بذلك. ولكن بتجنبها الوقوع في هذه «الأخطاء»، فقد فوّتت على نفسها الكثير من المعارف والتجارب وكل ما يمنحه الحب الكامل للقلب.

بدأت أفهم بشكل أفضل تشاؤم صديقي، فليست الحماقة هي من تعيق موكلته عن التقدم، وإنّما بالضبط منطقها السليم!

عدنا لمراقبتها في السفارة الكورية في ليما. يتمّ تقديم بعض الحلوى للشبان الصغار. الولد الأكبر يحب التارت بالليمون، والولد الثاني يحب كعكة الشوكولا، وتحبّ نتالي حلوى الجزر العائمة.

الجزر العائمة...

## 66. موسوعة

طريقة تحضير حلوى الجزر العائمة: لنبدأ بتحضير «المحيط» الأصفر والمُحلّى حيث سنطفو عليه الجزيرة، الكاسترد:

نغلي الحليب أولاً. نكسر ست بيضات ونفصل البياض عن الصفار. نضع البياض جانباً. ومن ثمّ نخفق في وعاء صفار البيض مع 60 غراماً من السكر، ونضيف بعدها الحليب الساخن. نخلط المزيج جيداً. نضعه على نار هادئة ولا نتوقف عن تحريكه حتى يتماسك ويتكاثف. يجب ألّا يغلي المزيج.

أصبح المحيط جاهزاً لاستقبال «جزيرته»: جبل جليدي أبيض. نخفق بياض البيض حتى يصبح رغوة متماسكة مع 80 غراماً من السكر ورشة ملح.

نسكب في القالب 60 غراماً من الكاراميل، ونضع بياض البيض. نسخّنه على البخار مدة عشرين دقيقة داخل غلّاية مزدوجة. وبعد ذلك نتركه يبرد. نسكب الكريما في طبق مجوف ومن ثم نضع بحذر البياض فوقه. تُقدّم باردة جداً.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة المطلقة والنسبية، المجلد الرابع.*

## 67. صديق قديم

لا يزال راؤول رازورباك يعتقد أنّ المدعوّة نتالي كيم ليست سوى موكلة عادية مثل الآخرين. وكي نمضي قدماً في أعمالنا، لديه فكرة أخرى.

– اتبعني.

حلّقنا بانسجام على الجانب الجنوبي الشرقي. يتجمع عدد من الملائكة فوق إحدى التلال، محتشدين مثلما يحتشد المعجبون حول مغنيهم المفضل. إنّه فنان فكاهيّ يتحدث محركاً يديه. عرفته على الفور...

فريدي ماير!

لم يتغير هذا الحاخام العجوزَ الأعمى. لا يزال قصيراً وسميناً وأصلعَ، ذا أنف معقوف ويضع نظارة سوداء سميكة، إلّا أنّ فقدانه للبصر لم يعد يزعجه هنا. ففي عالم الأرواح، يستطيع الملاك الأعمى الرؤية مثل الآخرين تماماً.

نبّهني إليه راؤول بإشارة من يده، لم يكن هناك داعٍ لهذه الإشارة فقد تذكرته. مع فريدي لم يكن من الممكن لأيّ مسعى لاستكشاف ما أو بحث أو تقصٍّ للحقائق إلّا أن يكون سامياً. لقد كان الأكثر حزماً، والأكثر حماساً، والأكثر كمالاً من بين أبطال ملحمة الثاناتونوتسية. هو من كان صاحب فكرة تجديل الحبال الفضية معاً لضمان قوة ومتانة الرحلات الجماعية. وهو من تخيل الاستراتيجيات الأولى لحروب الإكتوبلازما. أيّ بهجة ستكون أكثر جمالاً من خوض مغامرة بصحبة رجل كهذا!

أخذنا مكاناً في حشد المتفرجين الصغير، ورحنا نستمع نحن أيضاً لصديقنا. إنّه يروي... نكتة.

– إليكم قصة متسلق جبال يسقط ويجد نفسه معلقاً بيد واحدة بغصن شجرة فوق منحدر خطر جداً. «النجدة! النجدة! هل هناك أحد يستطيع إنقاذي؟». صرخ الرجل يائساً. ظهر له ملاك وقال له: «أنا ملاكك الحارس، ثق بي، سوف أنقذك». فكّر متسلق الجبال برهة قبل أن ينطق: «إيه... أليس هناك شخص آخر؟».

راحت الملائكة تضحك، وأنا أيضاً ضحكت. إنّ هذا هو حس الفكاهة الملائكيّ. يجب أن أعتاد على ذلك.

أنا سعيد للغاية بلقاء شريكنا القديم من جديد. من الذي زعم أنّنا سنسأم في الجنة؟ بوجود فريدي، سنكون بأمان من هذا. لوّحت له من بعيد، فانتبه إلينا وجاء مسرعاً.

– مايكل! راؤول!

تعانقنا جميعنا.

اجتاحت ذاكرتي جميع ذكرياتنا المشتركة: لقاؤنا الأول، أعمالنا اليدوية، كراسي الإقلاع الأولى، أولى رحلات الاستكشاف نحو الجنة، حروب الإكتوبلازما الأولى ضد الحشاشين[1].

– أرغب أن أقدم لكم أصدقائي الجدد! أعلن فريدي.

---

1– طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية مشرقية، انشقّت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار ابن المستنصر بالله ومن جاء مِن نسله. المترجمة.

أحاطت بنا مجموعة من الكائنات النورانية، واستطعت أن أميّز من بينهم عدة وجوه معروفة مثل: غروتشو ماركس، وأوسكار وايلد، وولفغانغ أماديوس موزارت، وباستر كيتون، وأريستوفان، ورابيليه...

– يطلقون علينا فرقة كوميديي الجنة. قبل القدوم إلى هنا، كنت أجهل أنّ موزارت يملك هذا الحسّ الفكاهي، لا يدع نكتة بذيئة تفلت منه! إنّه بهذا لا يمتّ لبيتهوفن بصلة، فبتهوفن بالأحرى هو قاتل البهجة.

سألت:

– ماذا بخصوص موكليك؟

بدا فريدي لامبالياً. فهو لم يعد يؤمن بطبيعة عمله كملاك، ولم يعد يهتمّ كثيراً بأرواح موكليه، لأنة محبط من الكثير منهم. لقد ضاق ذرعاً من البشر. أمّا بشأن إنقاذهم؟ فهو لم يعد يؤمن بذلك، تماماً مثل راؤول، لقد اقتنع أنّ القيام بتطوير البشر هو عمل يصعب تحقيقه حتى بالنسبة للملائكة الأكثر براعة.

يقول كاتب الكوميديا الإغريقية الشهير أريستوفان إنّه عمل مع ستة آلاف وخمسمائة وسبعة وعشرين موكلاً، وجميعهم قد أخفقوا. يشتكي أيضاً الممثل الكوميدي باستر كيتون أنّه لا يملك سوى اللابيين[1] المحبطين بسبب قلة تعرّضهم للضوء. أجابه أوسكار وايلد أنّ حال هؤلاء لا يُقارن بحال موكليه الهندوسيين، حيث تقوم الحماوات بإشعال النار في ساري زوجة الابن من أجل الحصول على التأمينات. ويبذل غروتشو ماركس قصارى جهده مع حزب الخمير الحمر الذين يواصلون تسوية خلافاتهم في الغابات. ويعبّر رابليه من جهته أيضاً عن يأسه حيال موكليه الأطفال في أحياء سان بولو الفقيرة الذين يستنشقون الغراء من الصباح حتى المساء، والذين لا يتجاوز متوسط العمر المتوقع لهم الأربعة عشر عاماً.

إنّ هذا يؤكد أنّ الحالات الأكثر دراماتيكية يُعهد بها إلى شخصيات كوميدية.

---

1- Laponie، هم أقلية عرقية من البدو الرحل، يقطن سكانها في المنطقة الشمالية لعدد من دول شمال أوروبا. المترجمة.

- هذا صعب للغاية. الغالبية من بيننا ينتهي الأمر بهم إلى التخلي عن مهماتهم. لا نستطيع مساعدة البشر.

كرّرت حجة إدموند ويلز:

- ومع ذلك، فإنّ وجودنا هنا هو الدليل بذاته على أنّه من الممكن الخروج من دائرة التجسدات. إن كنا قد نجحنا نحن، فالآخرون قادرون على النجاح أيضاً.

- ربما يكون حال البشر بالضبط مثل حال الحيوانات المنوية التي سبقتهم، عبّر راؤول. أيّ إنّ واحداً فقط من أصل ثلاثين مليوناً ينجح في عبور جدار البيضة. وبالنسبة لي، ليس لدي الصبر لاختبار ثلاثين مليون روح في انتظار أن يُسمح لي أخيراً بعبور باب الزمرد.

من الواضح جداً أنّ صديقي سعيد ليس هو الوحيد الذي يريد الاستسلام. إنّ فريدي ماير من صفّه، فهو أيضاً لم يعد يحتمل الاعتناء بهذه الأرواح التي قام بهجرها، غير آبهٍ بشأن ارتقائها. لم يعد لديه طموح، فهو ينوي أن يُمضي بقية حياته في الضحك وفي نسيان عالم البشر الفانين. لقد ضاع كلّ أمل له في البشرية. لم يعد يؤمن سوى بالفكاهة.

ماذا جرى ليتحوّل هذا الحاخام الألزاسي المرح إلى كائن نوراني محبط إلى هذا الحد؟

- إنّها المحرقة، تنفس الصعداء. الإبادة الجماعية لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

أخفض رأسه مهزوماً.

- من هنا نرى بشكل أفضل، ونفهم كلّ شيء. نستطيع الوصول إلى جميع المعلومات. أعرف الآن كل ما جرى فعلياً، وهذا أسوأ من كلّ ما قد سبق وقرأته على الأرض. إنّ هذا أشدّ رعباً ممّا يمكن تصوره.

- أنا...

- كلا، لا تعرف. صفوف الانتظار أمام غرف الغاز، والأطفال الذين تمّ انتشالهم من أحضان أمهاتهم ليقذفوهم، ورؤوسهم مطأطئة على جدران

محارق الجثث، والتجارب الطبية الحية على البشر... يجب الصعود إلى هنا كي نرى كلّ شيء ونشعر بكلّ شيء. لم أعد أستطيع التخلص من هذه الصور.

أحاول تفسير الأمر:

- ربما وقعت هذه الفظائع لأنّ الملائكة فقدوا الاهتمام بعملهم، مثلك أنت الآن.

ولكنّ فريدي لم يعد يستمع إليّ. أمسكني بكتفي وضحك.

- لم أعد أريد معرفة المزيد. أريد فقط الضحك، والضحك، والضحك... أريد أن أثمل من الضحك والنكت حتى نهاية الزمن. هيا، لنضحك يا أصدقائي. لنضحك وننسَ.

كم تغيّر صديقي العزيز فريدي! هل يمكن أن تكون الفكاهة إدماناً؟ صفّق بيديه.

- هيه، لقد بدأت الأمور تأخذ طابعاً حزيناً هنا. بسرعة، نريد نكتة جيدة، الأمر مستعجل. نريد نكتة! أعلن الحاخام الثاناتونوتس السابق.

من الصعب متابعة سرد النكت بعد هذه الذكريات الصعبة، ومع ذلك، تقدم أوسكار وايلد أخيراً للتخفيف من وطأة الذكريات المؤلمة التي أثارها فريدي.

- إليكم قصة عن يسوع أثناء ترحاله مع أمه. فقد توقف في إحدى القرى ورأى امرأة زانية على وشك أن تُرجم بالحجارة. لذا تدخّل من فوره وقال: «من منكم بلا خطيئة فليرمِها بحجر». ضجّ الحشد ومن ثمّ وضع كلّ واحد منهم الحجر من يده. وحين همّ يسوع بتحرير المرأة الشابة تحت وقع التصفيق، وإذ بحجر ضخم يطير في الهواء ويسقط ليسحق المرأة المسكينة. استدار يسوع وقال: «إيه يا أمي، ألا تعتقدين أنّك في بعض الأحيان تبالغين كثيراً؟...».

سُمعت بعض الضحكات القسرية.

- لحسن الحظ أنّ يسوع لم يكن في الجوار، أشار الممثل باستر كيتون بجديته المعتادة. فهو لا يحب أن يسخر الناس من والدته...

تابع غروتشو ماركس:

- إليكم قصة رجل يندب حظه طوال الوقت لعدم فوزه باليانصيب، فظهر له أخيراً ملاكه الحارس وقال له: «اسمعني، أريد حقاً أن أجعلك تفوز بالجائزة ولكن... اشترِ بطاقة على الأقل!».

هذه النكتة معروفة للجميع، ولكنّهم رغم ذلك ضحكوا لها من جديد.

لم نشارك أنا وراؤول في هذا المرح العام الذي يبدو لنا مبالغاً به قليلاً.

ظهرت في تلك اللحظة مارلين مونرو، واندفعت من فورها لأحضان فريدي. حتى وهي ملاك، ما زالت تمتلك هذه الروعة وهذا السحر اللذين جعلا من نورما جان بيكر أسطورة. أفكر أنّه من غير العادل أن تحتفظ النجمات اللواتي يمتن في زهرة شبابهنّ بسحرهنّ وجمالهنّ، في حين أنّ النجمات اللواتي يمتن بعد شيخوخة طويلة، مثل لويز بروكس أو غريتا غاربو، يحتفظن إلى الأبد بآثار الترهل الذي عانين منه لسنوات.

- لن أقدم لكم هذه الآنسة، قال الحاخام ساخراً.

داعب أسفل ظهرها، ولولا علمي أنّنا جميعنا هنا توقفنا عن القيام بأيّ نشاط جنسي، لكنت قد تخيلت ببساطة أنّ هناك علاقة عاطفية بينهما. في الواقع، إنّهما يستمتعان بتقليد الحركات القديمة الحميمة حتى ولو أنّ أصابعهما لم تعد تشعر بأي شيء ملموس. تساءلت عمّا تجده هذه الجميلة في هذا الرجل البدين والأصلع، فحضر الجواب إلى ذهني بكلّ وضوح: إنّها الفكاهة. إنّ مارلين تضفي سحرها على فريدي، الذي يمنحها بالمقابل الضحك.

- آنسة مونرو، ألا تستطيعين إقناعه، قال راؤول.

- أنا آسفة، أنا أيضاً مصدومة بفظائع الهولوكوست. تعرفون أنّني اعتنقت اليهودية قبل زواجي بآرثر ميلر.

رغبت أن أسألها عن الظروف الحقيقية لموتها، ولكنّ الوقت لم يكن مناسباً.

- في البداية، تابعت مارلين، نزل فريدي إلى مواقع معسكرات

الاعتقال القديمة لمساعدة الأرواح التي كانت ما تزال هائمة للصعود إلى الجنة، ومن ثم استسلم للأمر. فقد كانت هناك بكل بساطة أعداد هائلة. الكثير من الناس الذي عاشوا آلاماً ثقيلة جداً وسط لامبالاة عامة سواء من السماء أو من الدول. إنّ النوع القادر على ارتكاب جرائم كهذه ليس جديراً أن يتمّ إنقاذه. أنا من جهتي أفهمه كما أنّني لم أعد أرغب أيضاً بفعل أيّ شيء للبشر، قالت بشكل حاسم، وقد بانت نبرة الغضب في صوتها.

– عوضاً عن اليأس، أليس الأجدر بنا محاولة الفهم؟ اقترح راؤول.

– عظيم. حسناً سوف أطرح عليك هذا السؤال. لماذا تحدث مثل هذه الجرائم وتمرّ دون عقاب؟ أطرح عليك هذا السؤال، لماذا؟ لماذا؟ لـــمـــااااذا؟؟!! صرخ فريدي.

بعد برهة من الارتباك، تابع راؤول:

– لأنّ نظام العالم الآخر أكثر تعقيداً ممّا يبدو عليه. وعلينا نحن اكتشاف من يقرر هذه الأمور من فوق عالمنا، عالم الملائكة. طالما أنّنا لم نكتشف آلية عمل الساعة الكونية بمجملها، فسوف تبقى الهولوكوست لغزاً وربما تكرّر حدوثها لاحقاً. وعوضاً عن حصر نفسك بالألم، سيكون من الأفضل مساعدتنا في الكشف عن أسرار عالم كائنات 7 بغية منع وقوع كوارث جديدة.

ولكنّ الحاخام ماير أصرّ قائلاً:

– البشرية عاجزة عن التطور، وهي سائرة باتجاه التدمير الذاتي. البشر لا يحبون بعضهم بعضاً، ولا يتمنون الخير لبعضهم. إنّ التّزمت والأممية والأصولية والتطرف تنتشر في كلّ مكان... لم يتغير أيّ شيء، ولن يتغير شيء حقاً. إنّ التعصب هو الذي يفرض نفسه اليوم أكثر من أيّ وقت مضى.

جاء دوري للترافع لصالح البشر الفانين:

– إنّ البشرية تتلمس طريقها، تتعثر، تتقدم ثلاث خطوات إلى الأمام، وتتراجع خطوتين، ولكنّها تتقدّم في النهاية. لقد وصلت إلى 333 نقطة، وسوف تصل كما يبدو لي إلى 334. كلّ هذا لا يمكن إنكاره. إن كنا نحن، الملائكة أنفسنا، قد استسلمنا، من بإمكانه إذاً إنقاذ البشر؟

أدار فريدي لنا ظهره فجأة، كما لو أنّه سئم من توسلاتنا.

- دعوا البشر الفانين يهتمون بأنفسهم لوحدهم. فربما عندما يصلون إلى أسفل القاع، تتحرض لديهم غريزة البقاء ويقومون بدفع أنفسهم عكسياً إلى الأعلى.

صرخ من جديد وهو عائدٌ للانضمام إلى أصدقائه:

- هيا يا رفاق، لنضحك، ولنتركِ البشر لمصيرهم!

## 68. موسوعة

**فانواتو: اكتشف البرتغاليون أرخبيل فانواتو في بداية القرن السابع عشر في واحدة من المناطق التي لم يكن قد تم استكشافها بعد في المحيط الهادئ. كانت تضمّ بضعة عشر آلاف نسمة، تحكمهم أعرافهم الخاصة.**

**لا يوجد في هذه الجزيرة مثلاً، مفهوم الأكثرية الحاكمة التي تفرض خيارها على الأقلية. إن لم يوافق السكان على أمر ما، فسيتناقشون فيما بينهم إلى أن يتمّ التوصل إلى إجماع حول تلك النقطة. ومن الطبيعي إذاً أن يستغرق كلّ نقاش وقتاً طويلاً. وبما أنّ بعضهم عنيدون ويرفضون الاقتناع، لذا فإنّ سكان فانواتو يمضون ثلث أيام حياتهم في المناقشات بغية إقناع مواطنيهم بجدوى آرائهم. عندما يتعلق النقاش بإقليم ما، يمكن أن يستمرّ النقاش لسنوات وحتى لقرون، قبل التوصل إلى توافق في الآراء، وأثناء ذلك، تبقى القضية معلّقة.**

**من جهة أخرى، عندما تتفق جميع الأطراف أخيراً بعد مائتي أو ثلاثمائة عام، تكون القضية قد تمّ حلّها بالفعل، ولن يشعر أحد بالضغينة على الآخر لأنّه لن يكون هناك مهزومون في الأساس.**

**إنّ حضارة فانواتو تتبع النظام القبلي، وكلّ قبيلة تزاول مهنة مختلفة. هناك قبيلة متخصصة بصيد الأسماك، وقبيلة متخصصة بالزراعة، وأخرى بالخزف، إلخ. ويحدث تبادل بين هذه القبائل. فالصيادون يسمحون، على سبيل المثال، بدخول أفراد القبيلة الزراعية إلى البحر مقابل أن يسمح لهم هؤلاء الأخيرين، باستخدام النبع في الغابة.**

**بما أنّ لكلّ قبيلة مهنة مختصة بها، فحينما يولد طفل في قبيلة زراعية**

ويُظهر مواهب فطرية في صناعة الخزف، سيهجر قبيلته لتتبناه عائلة من قبيلة صناعة الخزف كي تساعده في تنمية هوايته. وسيكون الحال ذاته لطفل يولد في قبيلة صناعة الخزف وتجذبه مهنة الصيد مثلاً.

صُدم المستكشفون الغربيون الأوائل عند اكتشافهم هذه الممارسات لأنهم تخيّلوا للوهلة الأولى أنّ سكان فانواتو يسرقون أطفال بعضهم بعضاً. ولكن لم تكن تلك سرقة، وإنّما تبادل من أجل حصول كلّ فرد على أقصى درجات التطور والازدهار.

عند نشوب خلافات شخصيّة، يستخدم سكان فانواتو نظاماً معقداً من التحالفات. إن قام رجل من القبيلة (أ) بالاعتداء على فتاة من القبيلة (ب)، فلن تدخل القبيلتان مباشرة في الحرب. بل تقوم كلّ قبيلة باستدعاء «ممثلتها في الحروب»، أي قبيلة أخرى تكون قد عاهدت القبيلة الأولى أن تتكفّل بالحرب نيابة عنها. ستلجأ بالتالي القبيلة (أ) إلى القبيلة (ج)، وستلجأ القبيلة (ب) إلى القبيلة (د). إنّ نظام الوسطاء هذا يزجّ في المعارك أناساً غير متحمسين للقتل كونهم غير معنيين بشكل مباشر بشكاوى بعضهم على بعض. لذلك عند أول إراقة للدماء، يفضل كل فريق صرف النظر عن الحرب باعتبار أنّه أكمل واجبه تجاه حليفه. لا يوجد بذلك في فانواتو سوى حروبٍ بلا كراهية وبلا استبسال في القتال بدافع الكبرياء العقيم.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 69. جاك- 14 عاماً

إنّ عالم المدرسة هو سجني، والمرحاض ملجئي. عندما أكون فيه، من الطبيعي أن أقوم بتقييم نفسي. تحسّنت علاماتي في المدرسة قليلاً، ولكن إن لم أملك ذاكرة قوية بما يكفي لن أستطيع التفوق أبداً.

تركت مارتين الثانوية، فقد رحل السيرك حيث كان والدها، سيبليوس، يمارس فيه التنويم المغناطيسي. أعتقد أنّني سبق ورأيته على التلفاز. والآن

بعد أن أنهى فنانو السيرك جولتهم في منطقة بيربنيان، سيسافرون إلى البيرو. قبل أن ترحل، كرّرت لي مارتين:

– عزّز نقاط قوتك بدلاً من البحث عن سدّ نقاط ضعفك.

رحلت مارتين إذن، وأشعر أنّني فقدت برحيلها الكثير من قوتي. في الصف، جاءتنا لهذا العام أستاذة لغة فرنسية شابة ذات شعر أحمر طويل، وترتدي قميصاً ضيقاً للغاية، تدعى الآنسة فان ليزيبيث. جميعنا معجبون بهذه الأستاذة الرائعة. ومن باب التعرف علينا بشكل أفضل، طلبت منا كتابة قصة قصيرة حول أيّ موضوع نختاره.

حدثت إثر ذلك جلبة في الصف. إنّ النظام المدرسي الحالي لم يعوّدنا أن نتسلّم زمام الأمور بأنفسنا. راح بعض الطلاب يتذمرون، وبعضهم الآخر يتشكّى.

– ولكن يا معلّمة، نحن لا نعرف القيام بذلك. يجب أن تحدّدي لنا موضوعاً معيناً.

– حاولوا على أيّة حال. سوف تشاهدون بأنفسكم النتيجة.

إنّها المرة الأولى التي يخفّف فيها أستاذ ما الخناق عن رقبتنا. هذه الحرية الجديدة تناسبني تماماً. شرعتُ أكتب قصة أسميتها: «وكيل البابا». تخيلت أنّه أثناء المجمع المغلق[1] القادم، سيكون للحاسوب مكان بين *الكرادلة*. ليس هناك خيار أفضل من حاسوب لتمثيل المسيحيين. فلن يكون هناك مجال للتورط بتسويات مع الأوساط الاقتصادية أو السياسية، ولا مجال أيضاً للطموحات الشخصية المتزايدة. وضع الكرادلة إذاً جميع المبادئ المسيحية العظيمة في برنامج معلوماتي ووضعوه بعدها في رجل آلي شبيه بالإنسان وقاموا بتعميده باسم «باي 3,14». إنّهم لا يرون في اختياره سوى المحاسن، لأنّ باي 3,14 هو الوحيد الذي يمكن تعيينه مدى الحياة دون خشية وصوله إلى سن الشيخوخة. إضافة إلى أنّه في حال أصيب بخلل في التوازن، سوف يكون بالإمكان دائماً تصليح برنامجه. علاوة على أنّ باي

1– الطريقة الرسمية والمعتمدة منذ القرن الثاني عشر الميلادي لانتخاب بابا الكنيسة الكاثوليكية. المترجمة.

3,14 ليس مقتصراً لفترة زمنية محددة من تاريخ البشرية، بل يمكن تحديث معلوماته تدريجياً حسب تطور المجتمع آخذين ذلك بعين الاعتبار. إنّ الرجل الآلي يقوم «بتحسين» نفسه بنفسه بشكل مستمر للتكيف مع المعايير والأعراف الجديدة. وبالتالي تصبح المسيحية، بفضل التكنولوجيا الحديثة، الديانة الأكثر تناغماً مع أتباعها.

من الواضح أنّ باي 3,14 مجهز ببرنامج ذكاء اصطناعي يسمح له بتطوير منطقه الخاص الذي يقوم من جهة، على فكر يسوع المسيح الذي يفهمه جيداً، ويرتبط من جهة أخرى بملاحظاته واستنتاجاته الخاصة التي توصل إليها من العالم الأرضي.

في نهاية قصتي، يبدأ البابا المعلوماتي، باي 3,14 بإدراك ماهية الله حقاً، وهذه هي المهمة الفعلية للبابا حسب وجهة نظري. المشكلة أنّه يدرك أنّ الله أيضاً غير معصوم عن الخطأ، وأنّه سيكون من الأفضل استبداله أيضاً بحاسوب... هذه كانت نهاية قصتي.

في الأسبوع التالي، حينما وزّعت لنا الآنسة فان ليزيبيث أوراقنا تنازلياً بحسب العلامات التي حصلنا عليها، احتفظت بورقتي وطلبت مني البقاء في الصف بعد انتهاء الدرس.

– ما تكتبه مدهش، قالت المعلمة. ما هذا الخيال الذي تملكه! هل تجد كلّ هذه الأفكار على التلفاز؟

– كلّا، بل في الكتب.

– أيّة كتب؟

رحت أسرد لها:

– كافكا، وإدغار آلان بو، وتولكين، ولويس كارول، وجوناثان سويفت، وستيفان كينج...

– لماذا تقتصر في قراءاتك على الأدب الخيالي ولا تهتم أيضاً بقراءة الكلاسيكيات العظيمة؟

انحنت، وبحثت في الجارور، وبعدها أعطتني كتاب سلامبو لجوستاف فلوبير.

– تفضل، اقرأ هذا. لديّ سؤال آخر، ما هي علاماتك المعتادة في اللغة الفرنسية؟

– بين 6 و9 من أصل 20 يا آنستي، ولكن... في الغالب أحصل على 6. أعادت لي القصة، مع كتابة بالحبر الأحمر في أعلاها 19/ 20، مزركشة إياها في الهامش بتعليق: «هناك الكثير من الأفكار الأصيلة. سُعدت جداً بقراءتك».

تحب الآنسة فان ليزيبيث الحديث معي كثيراً بعد انتهاء الدرس. فنحن نتحدث عن تاريخ الأدب في العالم كله. سواء من تحقيقات القاضي تي التي ترجمها عن الصينية فان جوليك، إلى الكتاب الهندي الشهير *المهاباراتا*، إنّ المعلمة تفتح لي آفاقاً جديدة. في إحدى الليالي، اقترحت عليّ أن توصلني إلى منزلي بالسيارة. دُهشت لأنّها لم تسلك الطريق الصحيح ولكنّني لم أتجرّأ على قول شيء. أوقفت المحرك في طريق خالٍ ونظرت إليّ مباشرة في عينيّ، وبقيت صامتاً عندما تركت يدها المقود لتستقرّ فوق يدي.

– سيكون لك شأن كبير في الأدب، أكدت ذلك.

ومن ثمّ جاءت يدها لتفتح قميصي.

– أرغب أن أكون الأولى. أنا فعلاً الأولى، أليس صحيحاً؟

– أنا... حسناً... هذا يتوقف على ما... أوه... هذا يعني...، قلت متلعثماً.

تابعت يدها الاستكشاف ببطء محرج.

– هل سبق وقرأت النصوص الإباحية لجان دو لا فونتين؟

– أوه... كلا... هل النصوص جيدة؟

من باب الردّ على هذا السؤال، غامرت يدها بالدخول إلى مناطق حساسة جداً. تركت العنان لنفسي، وأنا معجب أيضاً بمبادرتها كما بغرابة هذا الوضع. مثل حيوان صغير متخفّ، راحت يدها اليمنى تحرّر جسدي من معوقاته، ويدها اليسرى تحرر مختلف الأشرطة المطاطية والأقمشة، والأزرار التي تأسر جسدها.

حلّ بعدها الذعر التام، الخوف المفرط، متبوعاً باطمئنان تدريجي، وفي

النهاية، اهتمام شديد بنصوص جان دو لا فونتين التي ربما كنت قد مررت عليها سريعاً.

## 70. إيغور- 14 عاماً

بدأت أشرب الكحول. كلما أشرب أكثر، تزداد كراهيتي تجاه الغرب. ستندلع الحرب في يوم ما بيننا وبين بلدان الغرب الغنية. إنّني أتطلع لهذا اليوم. في كل مرة أشعر فيها بالضيق، وفي كلّ مرة أسحق فيها حشرة، وفي كل مرة يطبقون علينا قيوداً جديدة، أقول لنفسي إنّ هذا كله بسبب فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية.

قرأت في إحدى الجرائد الملقاة في الجوار مقالاً عن فتاة شابة تدعى فينوس شيريدان، إنّها في عمري تقريباً وهي عارضة أزياء مليونيرة تعيش في أمريكا. قلت لنفسي إنّنا عندما سنغزو هذه البلدان المنحلة، سوف أريها ما الذي يمكن أن يفعله صبي سلافي قوي وعامل مكافح، ليس كمثل أولئك الناس خائري القوى الذين يحيطون بها هناك بالتأكيد.

في الليل، أتأمل نجوم السماء عبر النافذة. لا بدّ وأنّ هناك كوكباً من بينها يدعى فينوس. رحت أمارس الحب في خيالي مع صورة نجمتي الأمريكية. أعرف أنّني سألتقي بها ذات يوم شخصياً. وحينها...

## 71. فينوس- 14 عاماً

«كل عام وأنتِ بخير يا فينوس».

اجتاح جيش من صديقات أمي غرفة الاستقبال. من المستحيل أن أخرج من غرفتي، فبالأمس، ولأول مرة، جاءتني الدورة الشهرية. وظناً منها أنّها ستسعدني، قالت لي أمي إنّني أصبحت «أخيراً امرأة حقيقية»، وإنّني أستطيع الآن «معرفة حبّ الرجال».

أكره هذا الجسد. بقيت عدة أيام منزوية في غرفتي، رافضة رؤية كائن من كان، وأنا أحاول طمأنة نفسي.

ولكنّ نداء الضوء أقوى، لذا أقنعت نفسي أنّ الحياة سوف تستمرّ.

انتهى عهد الملابس الطفولية. أصبحت الآن مراهقة، نجمة ناشئة مُطالب بها في كلّ مكان. أقوم بتصوير إعلان تجاري لمشروب غازي، من المفترض أن أخطف علبة من شاب وسيم وأشربها أمامه لإثارته.

يتواصل الصراخ في المساء داخل منزلنا دائماً. يكره والديّ بعضهما بعضاً الآن علانية. لقد أعلنت الحرب المفتوحة بينهما.

فهمت أخيراً الآن أنّ «المشمشة» تعني النقود، وأنّه كلما حصلت على النقود أكثر، تزداد المشاجرات بين والداي. ولكنّ هذه الدولارات ليست ملكاً لأبي ولا لأمي، وإنّما ملكي أنا وحدي.

أرجو حقاً ألّا يلمسوها وأن يضعوها في حساب توفير في البنك كي تتضاعف بانتظار أن أصبح في سنّ يسمح لي بالتصرف فيها.

أعرف مسبقاً كيف سأصرف ثروتي. سأشتري لنفسي حُليّاً، وسأضطر إلى اللجوء لعمليات تجميل جديدة (غمازة ذقن على سبيل المثال، ستكون جميلة جداً عليّ، وسيجريها أمبروزيو بكل مهارة).

أحتاج في الوقت الراهن على وجه الخصوص لسدادات أذن، فهما يصرخان كل مساء. وكل مساء أسمع أبي أو أمي يقولان: «لولا وجود هذه الصغيرة، لكنت قد رحلت من هنا منذ زمن».

بدأت هذه النزاعات تثير حنقي.

خطرت في بالي في إحدى الصباحات فكرة لإثارة انتباههم، ألا وهي؛ الامتناع عن الأكل.

اختبرت أثر ذلك على وجبات العشاء. رفضت تناول أيّ نوع من الطعام. تجاوزت ردة فعلهم جميع توقعاتي. راحا يحدّثاني، لا شيء آخر سواي، وكلاهما معاً أيضاً. لم يحدث هذا منذ زمن طويل. قالا لي: «يجب أن تأكلي». أجبتهم: «بالنسبة لعارضات الأزياء، كلما قلّ الطعام كان هذا أفضل». أجابت أمي رافضة. فوبّخ أبي أمي كونها هي من زرعت في رأسي كل هذه الأفكار الغبية. إنّهما مجدداً على وشك الشجار، ولكنّني حدّقت بهما، وحصل بعدها شيء ما جعلهما يتراجعان. عادا إليّ لإقناعي بتناول بضع لقيمات على الأقل.

قبلت ولكن، في الأيام التالية، قمت بزيادة الضغط عليهما، وذلك بتصغير اللقيمات أكثر فأكثر.

أنا سعيدة. وجدت وسيلة للسيطرة على والديّ. عندما لا آكل، يتوقفان عن الشجار، وفوق ذلك، يهتمان بي.

لقد أمسكت بهما!

من الصعب بالتأكيد حرمان نفسي من هذه المتعة الصغيرة، وهي الطعام، ولكنّ القضية تستحق العناء. من جهة أخرى، كلّما خفّفت من الطعام، قلّ جوعي. كل هذا لصالحي لأنّ جسدي يلبي بالضبط المعايير القطعية للنجاح في هذه المهنة، مهنة عارضة الأزياء. إنّني الآن نحيلة تماماً كالخيط، غصن بان حقيقيّ. رائع! إنّني أنجح في التحكم في جسدي دون اللجوء إلى عمل جراحيّ.

بمزيد من الجدّ أيضاً، توقفت منذ فترة عن تناول الطعام، كما انقطعت الدورة الشهرية. هذه مكافأة مضاعفة. فقط لو أنني اكتشفت باكراً هذه الطريقة البسيطة جداً كي أسيطر على جسدي من جهة وعلى والديّ من جهة أخرى!

والآن وقد أصبحا يهتمان بي، لم أعد أرغب بسماعهما يتشاجران مطلقاً.

## 72. الأمنيات الصالحة

أجلس الآن على ضفاف بحيرة الإخصاب تحت ظل شجرة صنوبر كبيرة ذات ظلال فيروزية. أدرت راحتي كفيّ فحضرت أمامي كراتي الثلاث اللواتي يدرن ببطء، وتتشعشع انعكاسات أرواح موكليّ فيها. كثّفت زوايا النظر واستقصيت الحال الذي وصلوا إليه في الرابعة عشرة من أعمارهم. إنّ جاك تلميذ كسول، ولكنّه يكتب قصصاً قصيرة. بعد أن لاقى موضوع البابا نجاحاً جيداً، أرسلت له في الحلم المزيد من القصص الأكثر أصالة.

فينوس فتاة سطحية، ولكنّها تجني المال منذ الآن من عملها كعارضة أزياء. تريد أن يتوقف والداها عن الشجار... أممممم... سوف أدفعهما إلى الطلاق.

إيغور عالق في مركز إعادة تأهيل الأحداث ولكنّه يكوّن صداقات بسهولة، وهو أساساً ناضج جداً بالنسبة لمن في مثل سنّه. سأفعّل قليلاً خطة «البليياردو» للتأثير على محيطه بغية إخراجه من هذا المركز. فقد آن الأوان الآن ليلتقي بأناس آخرين.

ظهر خيال إدموند ويلز أمامي.

– أين أصبح موكلوك؟

أظهرت له بيوضي، وأنا سعيد أنّهم لم يواجهوا حتى الآن مصائب كبيرة.

– يجب أن أعلمك شيئاً، قال لي مدرّبي. هؤلاء الموكلون الثلاثة، لم تتكفّل بهم هكذا مصادفة. إنّهم تعبير عن طبيعتك الخاصة، عن روحك الدفينة. كل واحد منهم يتوافق مع واحد من جوانب شخصيتك الخاصة التي يجب تحسينها. إنّ شخصيات موكليك الثلاثة تشكل بمجموعها شخصية الملاك. فينوس زائد إيغور زائد جاك يساوي مايكل. أنت هو ثالوثهم.

هكذا إذاً! بالاعتناء ببيضاتي الثلاث، أنغمس في نوع من التحليل النفسي العميق... إنّ إدموند ويلز يبدو على الأرجح معتاداً على الأثر الذي يحدثه هذا الكشف، لذا أمسكني بذراعي.

– ألم تلاحظ النقاط المشتركة بينك وبين موكليك؟ أنت مثل جاك ترغب في الكتابة، ومثل إيغور ترغب أن تكون صلباً، ومثل فينوس ترغب أن تثير الإعجاب.

– على هذا الأساس فإنّ جاك سيكون مخيلتي، وإيغور شجاعتي، وفينوس سحري...

– كما أنّ جاك سيكون جُبنك، وإيغور وحشيتك، وفينوس نرجسيتك. إنّ موكليك بمجموعهم سيكونون خلاصك ووعيك بما كنت عليه حقيقية.

إذاً بتأثيري عليهم، أؤثر بشكل غير مباشر على ذاتي شخصياً... أشعر هذه المرة أيضاً أنّني لا أفهم سوى نصف قواعد هذه اللعبة المعقدة بالفعل.

ابتعد إدموند ويلز، واقترب راؤول رازورباك.

– ماذا قال لك؟ هل فهمتَ الآن؟ لا أعرف من الذي يمسك بالخيوط هناك في الأعلى، ولكن أيّة تسلية منحرفة هذه التي يمارسونها! إنّ هؤلاء كائنات 7 أو هؤلاء الآلهة يمرحون على حسابنا. يجعلوننا نواجه مواقف مختلفة ويراقبون كيف نتصرف.

– تقصد بذلك أنّ كائنات 7 يتفحصون الملائكة أمثالنا، كما نتفحّص نحن البشر الفانين؟

أومأ صديقي.

– كلّ شيء يتناسب مع بعضه تماماً مثل الدمى الروسية. الفاحِص مفحوص، والمُراقِب مراقَب.

– إذاً يمكن أن تكون كائنات 7 هي نفسها مُراقَبة من قبل كائنات 8 وهلمّ جرّا.

– على رسلك، على رسلك! أنت تشطح بعيداً في الخيال العلمي، قال راؤول. في الوقت الراهن، دعنا نركز اهتمامنا فقط على أولئك الذين يتلاعبون بنا: وهم كائنات 7!

نطق راؤول هذه الكلمة بشيء من التحدي. إنّه يعتبرهم الآن خصوماً له. أعرفه جيداً، يكره أن يجبر على فعل أيّ شيء كان رغماً عنه. كبرياؤه الأسمى هو أن يعتبر نفسه حراً!

يتفحّص راؤول بيوضي.

– هل تحقّق باستمرار جميع أمنياتهم؟

– نعم.

راح يضحك.

– وأنا أيضاً كنت أمارس معهم دور الملاك –الأب الحنون– ورأيت نتائج ذلك. كلّما حاولنا إسعادهم، أصبحوا متقلبين ومزاجيين.

– أيّاً كان، فليس لدينا خيار آخر سوى مساعدتهم، ألا تعتقد هذا؟

– أنت مخطئ، يؤكّد راؤول. نستطيع أيضاً أن نرسل إليهم «اختبارات». لا بدّ وأنّ إدموند قد حدثك عن تكتيك العصا والجزرة. بعد أن تعرض موكليّ لعدة إخفاقات مبسّطة وخفيفة، اخترت ركلهم بقدمي كي أجعلهم

يتقدمون، وقد سار الأمر بشكل جيد، صدقني! إنّهم جميعهم كالأطفال، يجب ضربهم على قفاهم، فلا شيء صحيح سوى هذا.

– ما الذي تعنيه فعلياً «بضربهم على قفاهم»؟

– أنفّذ أمنياتهم بالطبع، ولكن أفرض عليهم اختبارات تجبرهم على تجاوز أنفسهم أو على الأقل، تجبرهم على طرح الأسئلة على أنفسهم. نصيحة مني: لا تتردد بوضعهم في مآزق تجبرهم على مراجعة أنفسهم. إنّ إدموند ويلز نفسه يذكر هذه الطريقة في موسوعته. يسمّي هذا بِـ أ.م.ذ.م أي: «أزمة مراجعة الذات المستمرة».

– وما هي الطريقة التي توصيني باتباعها؟

– عوضاً عن حماية موكليك، ضعهم في خطر. عوضاً عن إنقاذهم من المنحدرات، ارمِ بهم فيها، فهذا يعلّمهم معرفة حدودهم بشكل أفضل، وبالتالي زيادة ثقتهم بأنفسهم. أؤكد لك أنّني لا أجنّب موكليّ كلّ ذلك، وفي نهاية الأمر، إنّهم يعملون بشكل أفضل. يقدرون الحياة أكثر، ويتفكرون بأمنياتهم أكثر وهي: البقاء على قيد الحياة دون معاناة من المرض... جميع الأرواح العظيمة عانت كثيراً أثناء التغلب على الاختبارات العظيمة، فهذه الاختبارات هي من تصنع أيضاً أسطورتهم...

ما زلت غير مقتنع.

– لا أظن أنّني أستطيع أن أكون قاسياً مع موكليّ. لقد بدأت أتعلق بهم كثيراً.

نظر راؤول إليّ بعينين يائستين.

– إذاً استمرّ في مداراتهم وحمايتهم وسوف نرى في النهاية هل طريقتك أم طريقتي ستحصل على أفضل درجة للكارما.

– هل هذا تحدٍّ؟

– إن أردت ذلك، أومأ برأسه. لكلّ منا أسلوبه في الإدارة الملائكية وسوف نتحقق من سيكون الفائز!

سألته أين أصبح مع نتالي. فنادى بيوضه ورحنا نتفحص أرواحه، إنّها كأسماك صغيرة تتخبط كلّ واحدة منها في حوض سمك كروي.

- هل فهمت لماذا نصحنا الإنكا العظيم بالتعامل معها كمفتاح لحل لغز كائنات 7؟

- تظن ذلك، تنهد. منذ ذلك الحين وأنا لا أتوقف عن مراقبتها. نتالي، نتالي، نتالي... فتاة صغيرة عاطلة عن العمل في سفارة أمريكا الجنوبية.

- وقبل حيواتها البشرية، أين كانت نتالي هذه؟

- في حالتها الحيوانية عاشت كمحارة لؤلؤ. لم يلتقطها أحد. لذا ماتت من الشيخوخة مع لؤلؤتها.

دُرت حول الكرة.

- لنعيد شريط حيواتها السابقة. لا بدّ وأنّ هنالك شيئاً لم نلاحظه، فمن غير الممكن أن يكون شخص ذو بصيرة عالية مثل الإنكا العظيم قد أخطأ بالتقدير.

بدأنا نشاهد فيلم حياتها بشكل متواصل مع كارما جميع حيواتها السابقة. وفجأة، اقشعرّ جسدي وقلت؛ التواريخ! هناك مسافة هائلة بين تواريخ وفاتها وولادتها، ومع ذلك فقد أخفقنا حين ظننا أنّها قضت هذه الأوقات في المطهر.

- أوه نعم، أقرّ راؤول. أنت على حق. لم تكن على الأرض ولا في الجنة... ولكن أين كانت إذاً؟ هذا أيضاً من أسرار الساعة الكونية المخفية عنا... يوجد مكان آخر غير الأرض والجنة تهاجر إليه الأرواح...

- هل هذا المكان مخصص للأشخاص الموهوبين أمثال نتالي كيم؟ وهل تظن أنّه يمكن أن يكون عالم كائنات 7؟

- لمَ لا؟ إنّها الوحيدة التي تعرف ذلك.

## 73. موسوعة

الديانات الأنثوية: يلاحظ أنّه في بدايات أغلب الحضارات الإنسانية كانت تمارس طقوس عبادة للإلهة الأم، تحتفل بها النساء. تقوم طقوسها على الأحداث الأساسية الثلاثة في حياة المرأة: 1) الحيض؛ 2) الولادة؛ 3) الموت. ومن ثمّ حاول الرجال تقليد هذه الأديان البدائية، فاستعار الرهبان فساتين النساء الطويلة.

وكذلك الشامانيون في سيبيريا يواصلون ارتداء ملابس النساء أثناء ممارستهم الطقوس[1]، كما نجد في جميع الديانات، إلهة أمّ مؤسّسة.

كما قام المسيحيون الأوائل من جهتهم بغية ترويج الديانة الكاثوليكية عند الشعوب الوثنية، بتقديم شخصية مريم العذراء، إذ كانت أصالة هذه الإلهة الجديدة بكونها إلهة عذراء. وفي العصور الوسطى فقط، قررت المسيحية قطع الصلات مع عبادة الأنثى القديمة. لذا صدرت الأوامر في فرنسا بمطاردة عبدة «العذارى السود»، وانتشرت المحارق في كلّ مكان مستهدفة «الساحرات» (أكثر من استهدافها للساحرين).

يحاول الرجال في الوقت الحالي استبعاد النساء بشتى الوسائل من الأوساط الدينية. لم تنعدم فقط عبادة الأنثى بل لم يعد هناك كاهنات أصلاً. إنّنا نرسم الصليب الآن باسم الآب والابن والروح القدس.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 74. جاك- 16 عاماً

في هذه السنة، تمّ نقل الآنسة فان ليزيبيث بعيداً عن بيربنيان. أشعر بالإحباط ذاته الذي شعرت به حينما رحلت مارتين. لماذا تهجرني النساء في اللحظة التي يزداد فيها حبي لهنّ؟

قبل أن تتركني، قدّمت لي الآنسة فان ليزيبيث نصيحة كما فعلت مارتين: «ابحث عن مكانك. ما إن تجده، لن تعود بحاجة إلى الكفاح»، هكذا قالت لي. وأعطتني ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة طالبة مني التبحر في معانيها.

بعد أن تُركت وحيداً، تفحصت باهتمام الميراث الذي بقي لي؛ ورقة مصورة تحوي مقطعاً مأخوذاً من موسوعة *المعرفة النسبية والمطلقة*، لإدموند ويلز، المجلد الثاني.

المقطع الذي اختارته الآنسة فان ليزيبيث يتحدث عن تجربة أُجريت على الجرذان عام 1989م في مدينة نانسي الفرنسية. هذا ما يقوله النص:

---

1- إنّ ممارسة الشامانية قديماً كانت للنساء. المترجمة.

«إنّ الجرذان سباحون ماهرون. للتحقق من هذه القدرة، قام علماء من قسم الدراسات السلوكية في جامعة نانسي بوضع قفص فيه مخرج وحيد، وهذا المخرج عبارة عن نفق يؤدي تحت الماء إلى حوض سباحة صغير. وليس هناك إمكانية للصعود إلى السطح، فقد تمّ سدّ السطح العلوي بلوح. يتوجب على الجرذان إذاً أن يحبسوا أنفاسهم ويسبحوا لاجتياز المسبح والذهاب لإحضار الطعام من آلة توزيع الحبوب الموضوعة في الطرف الآخر للمسبح. في البداية، جربت جميع الجرذان السباحة. ولكن شيئاً فشيئاً، قاموا بتقسيم الأدوار فيما بينهم. فقد ظهر تلقائياً في كل قفص يتضمن ستة جرذان، جرذان استغلاليان، وجرذان مُسخَّران، وجرذ مُستقِل، وجرذ مُستضعف.

سبح الجرذان المُسخَّران وأحضرا البذور، فقام الجرذان المُستغِلّان بانتزاع ما أحضراه الجرذان المُسخَّران. وما إن شعر الجرذان المستغلان بالشبع، سمحا للجرذين المُسخَّرين بالذهاب لإطعام نفسيهما.

سبح الجرذ المستقل للحصول على بذوره وكافح بقوة عند عودته ليأكلها وحيداً. وبالنسبة للجرذ المُستضعَف، بما أنّه لم يكن قادراً على السباحة ولا على إخافة الآخرين، لم يكن لديه خيار آخر سوى الاكتفاء بما يحصل عليه من فتات قليل.

قامت جميع الجرذان بالاعتداء على الجرذ المُستضعَف، ومن جهتها، قامت جميع الجرذان المُستغلّة بضربِ الجرذان المُسخَّرة، كي يتذكر كل منهم بلا شك دوره. ولكن أكثر ما حيّر العلماء هو أنّه إذا تمّ وضع جميع الجرذان المستغِلة في قفص واحد، فإنّها سوف تتقاتل طوال الليل فيما بينها، ليظهر في الصباح من جديد: جرذان مستغلّان، وجرذان مُسخَّران، وجرذ مستقل، وواحد مستضعف.

سيحدث الشيء ذاته سواء قمنا بجمع الجرذان المسخرة أو المستقلة أو المستضعفة. ففي جميع الأحوال، سوف تقوم الجرذان بتقسيم الأدوار على هذا النحو.

ضاعف الباحثون من عدد الجرذان فوضعوا مائتي جرذ في القفص،

فحدثت معركة ليلية طويلة. وفي الصباح ظهرت طبقة عليا من المستغلين التي خلقت عدة شرائح من التابعين لها بغية تمرير سلطتها بجهد أقل. فلم يعودوا بحاجة لبث الرعب في المسخرين، فهناك شريحة أخرى تقوم بذلك عوضاً عنهم. والمفاجأة الأخرى: في الطرف الآخر من السلسلة، كانت الجرذان المُستضعفة تعاني بشدة أكثر. وكنوع من التحذير، تعرضت ثلاثة جرذان للقتل من قبل رفاقها وتمّ تعليقها على سياج القفص.

ذهب باحثو جامعة نانسي أبعد من ذلك أيضاً في بحثهم. لقد فتحوا جماجم جرذانهم وقاموا بتشريح أدمغتها. اكتشفوا أنّه من كان يعاني أكثر من غيره من التوتر والإجهاد ليست الجرذان المستضعفة أو المُسخَّرة، وإنّما في الواقع هي الجرذان المستغِلة التي كانت تخشى فقدان مكانتها المميزة وأن تصبح مجبرة على السباحة بدورها للحصول على طعامها».

قرأت وأعدت قراءة هذا المقال عدة مرات كي أفهم جيداً جميع المعاني التي يحملها. لماذا أعطتني الآنسة فان ليزبيث هذا النص بالتحديد لقراءته؟ كي تساعدني دون شك على «إيجاد مكاني»، حسب هذه المصطلحات. إنّ الأمر ينطبق ذاته على البشر، ما إن يصبحوا أكثر من اثنين، حتى يظهر منهم المُستغلّون والمُسخّرون. هذا ما حصل إذاً مع متمردي *باونتي*[1]، الذين كانوا في البداية متمردين مثاليين، ولكن انتهى الأمر بهم بالاقتتال فيما بينهم لاحقاً. هذا ما يفسر أيضاً إخفاق الشيوعية، وإخفاق المسيحية، وإخفاق كل الحركات السياسية، سواء كانت تمردية أو طوباوية أو روحانية.

ما يصفه إدموند ويلز هذا، هو لعنة الحياة ضمن جماعة. فمهما كانت النوايا الأساسية، سيكون هناك دائماً من يصعد على أكتاف الآخرين. وفي حال رفض المُستغلون القيام بدورهم، فسوف يجبرهم المُسخرون على ذلك! فالعمال يطالبون بوجود الرؤساء، والطلاب يطالبون بوجود المعلمين، والمواطنون يطالبون بوجود القادة. يخشى الناس كثيراً من الحرية، إنّهم يخافون بالفعل من أن يفكروا ويتخذوا القرارات بأنفسهم، يهابون جداً تحمّل المسؤولية...

---

1- فيلم أمريكي اسمه: «تمرّد على سفينة باونتي» ظهر سنة 1935م. المترجمة.

أريد أن أكون مستقلاً.

مستقلّ... إضافة إلى ثلاث كلمات أخرى:

أناركي[1]، عصامي، لاأدريّ[2].

## 75. فينوس - 16 عاماً

تحققت رغبتي وتوقف والداي عن التشاجر. مضى على ذلك ستة أشهر، وعوض أن يقول والدي «إلى اللقاء»، قال: «لقد سئمت العيش مع امرأة هيستيرية وأخرى مصابة بفقدان للشهية! سوف أعمل على إجراءات الطلاق، وسيخبركم محاميّ بكلّ جديد». عمري ستة عشر عاماً، وقد أصبحت كبيرة، كما أنني أكسب عيشي بنفسي. لذا لم أعد أرغب بإضاعة صلواتي متمنية أن يتصالحا. أفضّل الآن أن أطلب ما يجلب السعادة لي أنا.

رأيتُ البارحة مساءً في نومي أنّني أفوز بمسابقة ملكة الجمال. كان الجميع حولي يقولون إنّني الأكثر نحافة والأكثر جمالاً. بدا لي ذلك هدفاً جديداً عليّ بلوغه؛ أن أفوز في مسابقة «ملكة جمال الكون». إنّه تعبير مضحك، «ملكة جمال الكون»... كما لو أنّ لجنة التحكيم قد حسمت أمرها أنّه، خارج كوكب الأرض وخارج سكانه، لا يوجد جمال آخر في الكون كله...

## 76. إيغور - 16 عاماً

قمتُ في مركز إعادة تأهيل الأحداث بتطوير مهاراتي وفنوني في لعبة البوكر. لم أصبح بارعاً فقط في علم الفِراسة وإنّما أيضاً أصبحت قادراً

---

1- الأناركية هي فلسفة سياسية فكرتها أنّ وجود الدولة أمر غير مرغوب فيه، كما تروّج لفكرة قيام مجتمع بلا دولة. المترجمة.

2- اللاأدرية أو الأغنوستية، توجّه فلسفي يُؤمن بأن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها، خاصة تلك المتعلقة بالقضايا الدينية كوجود الله وعدَمِه وما وراء الطبيعة، والتي تُعتبر غامضة ولا يمكن معرفتها. المترجمة.

على فك شيفرات أدق حركات اليدين، والأكتاف، كما التقلصات البسيطة لقزحية العين.

أستطيع حتى دون أن أنظر مباشرة إلى الشخص، الإحساس بحركة حواجبه حينما تبدي أدنى شعور طفيف بالمفاجأة أو بالرضا. كما هناك أيضاً عروق الوجه التي بتّ أعرف قراءتها، كالشريان الصدغي أو الوريد الوداجي الذي قد ينبض فجأة بسرعة ملحوظة. كما أنتبه إلى الحلقوم الذي يُظهر البلع. والعضو الذي يخبرني أكثر من كلّ ما ذكرته سابقاً هي الشفاه. إنّه لأمر مدهش كيف تخون هاتان العضلتان الورديتان أفكار خصومي. هناك قلة قليلة من اللاعبين يعرفون التحكم بأفواههم. ومن جهتي، وجدت حلاً لهذه المعضلة، فقد تركت شاربي ينمو ويغطي فمي. كان لشاربي فائدة أخرى وهو أنّه يخفي المئزاب العميق أكثر من اللازم تحت أنفي، والذي يبدو مظهره كأنّه شفة مشقوقة.

ألعب مع الحراس، ونراهن على السجائر. إنّهم يصرون أن أشرب الفودكا لأنهم يعتقدون أنّني إذا ثملت سأكون أقل حظاً. هم يجهلون أنّني أعرف الفودكا منذ كنت في بطن أمي. تظاهرت بالثمل قليلاً، وواصلت الربح أيضاً.

– النجدة!

تعرّفت على صوت فانيا. ركضت من فوري تاركاً الستريت فلاش[1] التي كنت قد راهنت عليها بمائتي سيجارة. مرة أخرى، حشر صديقي نفسه في موقف صعب للغاية. هنالك رجل مفتول العضلات على وشك أن ينال منه. كالعادة أنقذت من التجأ إليّ، ولكنّ فانيا استغلّ تثبيتي للآخر وأمسك بزجاجة وقام بكسرها على جمجمته، فسقط الآخر من فوره.

بعد ذلك وصل الحراس، وتبعهم المدير بعد بضع دقائق، وسأل من قام بهذا العمل المشين. أخذ فانيا يحدّق بي. أدركت فجأة أنّه يكرهني. يكرهني مذ كنا في ملجأ سان بطرسبرغ لأنّه يدين لي بكل شيء منذ زمن طويل. وكان

1- تشكيلة أوراق تعتبر ثاني أقوى تشكيلة في البوكر تحتوي على 5 بطاقات متوالية العدد من الرمز نفسه واللون نفسه. المترجمة.

يكرهني أكثر في كلّ مرة آتي فيها لأساعده، فكونه غير قادر على ردّ ديونه المتراكمة لي، سقط في الكراهية.

يمكننا غفران الكثير للآخر، إلّا قيامه بمساعدتنا.

هذا هو الدرس الثاني الذي تعلمته في المركز. لا تساعد سوى الناس القادرين على تحمل مساعدتك دون أن يلوموك عليها لاحقاً. وهم ليسوا كثراً.

بعد ذلك سار كلّ شيء بسرعة جداً. لم أكلف نفسي حتى عناء إظهار الحقيقة، فأنا أعرف أنهم لن يصدقوني. فعندما ينظرون إلى هزالة وضعف فانيا بمقابل جسارتي وقوتي، سوف يحزرون فوراً أياً منا قد قضى على الضحية.

لم أكن أرغب بالبقاء في هذا المركز، وجاء هذا الحادث في وقته. لقد تمّ إرسالي إلى مصحّ المرضى الخطرين في بريست ليتوفسك.

## 77. سيبليوس

تحضر نتالي كيم مع أخويها عرض تنويم مغناطيسي في صالة صغيرة مطلية باللون الأحمر. وكونهم شغوفين جداً، فقد حجزوا مقاعدهم في الصف الأول.

ذُكر في لوحة الإعلان أنّ المنوم المغناطيسي سيبليوس قد جاء من فرنسا. ظهر تحت الأضواء الكاشفة ببدلة سوداء مزينة بالحرير، وما إن ارتفعت الستارة حتى بدأ بمقدمة يمجّد فيها قوى الإيحاء. وبعدها ألقى محاضرة بصبغة علمية قصيرة تقول إنّه يكفي أن يؤكد المرء على أيّة فكرة يريدها بقوة كي يصدقه الناس. كما يجزم أنه قادر على إقناع أيّ شخص من الحضور بالتشنج كقطعة خشبية. لذا طلب متطوعاً من الجمهور للقيام بهذه التجربة، وعلى الفور وقف بجانبنا رجل شاب يرتدي الجينز جاعلاً الكرسي المتحرك يصدر صوتاً عند وقوفه.

تحقق سيبليوس سريعاً من أنّ المتطوع يستجيب لمطالبه. «أنت متيبس، متيبس للغاية»، صرخ قبل أن يقول مؤكداً: «أنت لوح خشبي! متصلّب مثل لوح

خشبي، لم تعد تستطيع الحركة، أنت متشنج، أنت لوح خشبي، لوح خشبي!»
وبمساعدة مراهقة ليست أكبر من نتالي بكثير، وضع المتطوع بين كرسيين، رأسه على كرسي، وقدماه على كرسي آخر. قام بعدها بدعوة ثلاثة من الحضور للجلوس على بطن المنوِّم مغناطيسياً الذي كان متخشباً كاللوح ولم ينحنِ.

استُقبل هذا المشهد بحفاوة.

صفّقت نتالي كيم بكلّ قوتها. إنّ هذا العرض بالنسبة لها بمثابة اعتراف وتقدير لعملها الخاص. فهي إجمالاً، بوسائلها المحدودة، استطاعت التصرف تماماً كمحترفة.

دعا سيبليوس هذه المرة خمسة متطوعين للصعود إلى المسرح. فكانت نتالي بتنورة الموسلين الهندية والقميص الأزرق الفاتح، والشعر الأسود الطويل المنسدل على أكتافها، أول المندفعين.

وزّع المنوم المغناطيسي على المتطوعين موزاً وطلب منهم تقشيرها وتناولها. فراحوا يأكلون الموز، الواحدة تلو الأخرى.

- ما طعم هذه الفاكهة؟ سأل المنوم المغناطيسي.

- موز، أجاب الجميع بصوت واحد.

- رائع. سوف أؤكد لكم الآن أنّها لم تعد موزاً بل ليموناً. ليموناً، ليموناً، ليموناً حامضاً!

شرعت نتالي تتفحص بإصرار الموز الذي تمسكه بيديها فأسرع سيبليوس بسؤالها على الفور.

- تضعين نظارات مذهبة جميلة يا آنستي. هل تعانين من قصر أم بعد في النظر؟

- قصر نظر، أجابت الفتاة الشابة.

- إذاً، عذراً، هذا العرض ليس مخصّصاً لمن يعانون من قصر النظر. ارجعي إلى مكانك. هل هناك متطوع آخر لو سمحتم، يفضل أن يكون بلا نظارات.

عادت نتالي وجلست بجوار أخويها:

- لقد طردني لأنّني اكتشفت خدعته. هناك فتحة صغيرة في قشرة الموز، لا بدّ وأنّه حقن عصير الليمون باستخدام الحقنة.

همّ جميع المتطوعين على المسرح بتقشير فاكهتهم مؤكدين واحداً تلو الآخر، أنّهم شعروا حقاً بطعم الليمون في نهاية الموز.

ارتفع صوت التصفيق. فوقفت نتالي وأعلنت:

– إنّه محتال! قالت نتالي غاضبة وكشفت حيلته، بعد أن سيطرت على الضجيج.

عمّت القاعة لحظة من الذهول، ومن ثمّ صدحت أصوات تقول «أعد لنا ثمن التذكرة، أعد لنا ثمن التذكرة». وتحت أصوات الصفير والهتاف، ركض سيبليوس واختفى خلف الكواليس. نزلت الستارة بينما عاد المتطوعون إلى أماكنهم، وهم كامدون.

استغلت نتالي من ناحيتها الهرج والمرج الحاصل كي تتسلل إلى داخل غرفة الملابس، فوجدت الفنان يجلس أمام منضدة الزينة يمسح المكياج بحذر كي لا تتلطخ بدلة المسرح.

– أيّة وقاحة هذه منكِ أن تأتي إلى هنا! أم أنّك تنتظرين أن أشكرك يا آنستي؟ لقد أفسدتِ عملي، اخرجي من هنا فوراً، لو سمحتِ.

لم تتأثر نتالي.

– يا للعار! أنت تشوّه التنويم المغناطيسي، لا بدّ وأنك لا تثق كفاية به. أمّا أنا فأعرف أنّه يعمل حقاً، وأنّه يجب ألّا ينحصر استخدام هذه الطريقة في عروض السيرك، والبرامج الترفيهية ويتم تدريسها في الجامعات والمختبرات.

– أنت محقة، قال سيبليوس بهدوء أكبر، وهو يتابع تمرير الإسفنجة على وجهه. التنويم المغناطيسي فعّال ولكن ليس دائماً. لذا، فأنا لا أستطيع المخاطرة بإخفاق عرضي، ولهذا أنا مجبر على أخذ «احتياطاتي».

– أيّة احتياطات؟

– بما أنّك مهتمة بالتنويم المغناطيسي، فأنت تعرفين أنّ التنويم المغناطيسي لا ينجح إلّا مع 20% فقط من الناس. نبّه إلى ذلك سيغموند فرويد عندما استخدم هذه الطريقة مع مرضاه. لذلك أنا مجبر في عروضي إلى اللجوء لشركاء يقومون بتدريب المتطوعين الحقيقيين.

قطبت نتالي كيم حاجبيها.

- هل أنت خبير حقاً بالتنويم المغناطيسي؟

- بالطبع! أعلن الفنان. لقد درست ذلك بجدية تامة. حتى إنّني قمت ببعض التجارب العلمية.

عندما قرأ ملامح الاستنكار على وجه محاورته الجميل، تنهد قائلاً:

- يجب حقاً كسب لقمة العيش. فأنا لديّ عائلة! لا تحكمي على الناس بهذه السرعة. ستفهمين قصدي عندما تكبرين لاحقاً ويكون عليك تدبّر أمورك لتطعمي عائلتك.

كي لا يفوتنا شيء من المشهد، قمت أنا وراؤول بإلصاق أنوفنا على البيضة. أسرّ لي صديقي بكلّ سعادة، أنّ هذه فرصتنا الوحيدة لحل لغز هذه الكورية.

- بمساعدة هذا الدجال؟

- إنّه ليس دجالاً بالفعل، أجابني رازورباك. حتى إنّه وسيط روحي جيد. أشعر وكأنني استحوذت عليه.

- حقاً؟

- نعم، نعم، أنا أتواصل معه ببساطة كما لو أنّني أتواصل مع قطة.

في الواقع، يبدو سيبليوس في الأسفل، أنّه يعاني من صداع نصفي. حين وضع يده على جبهته، همّت نتالي كي تخرج متسلّلة.

- لا تذهبي، قال سيبليوس. أنتِ لا تزعجينني. هناك... شيء ما يقول لي إنّه لا بدّ لي من تنويمك مغناطيسياً...

استوعبت فكرة شريكي القديم. حقاً إنّها فرصتنا الوحيدة لمعرفة المزيد عن نتالي.

- هل تعرفين التنويم المغناطيسي؟ سألها سيبليوس.

- نعم، تعلمت مع إخوتي، دون التفاخر بذلك، التنويم المغناطيسي كهواة بفضل أحد الكتب، وقد حصلنا على نتائج جيدة جداً.

قاطعها الرجل:

- هل سبق وخضعت لتجربة تنويم مغناطيسي تراجعي؟

- كلا، ما هذا؟

- إنّه تنويم مغناطيسي يعود فيه المرء لزيارة حيواته السابقة، شرح سيبليوس.

بدت نتالي كيم مندهشة. إنّها خائفة ومتحمسة في الوقت ذاته من الاستجابة لعرض المنوم المغناطيسي.

- هل هذا خطير؟ سألت من باب كسب الوقت.

- مثل التنويم المغناطيسي، لا أكثر ولا أقل، أجابها الفنان وهو يصفف شعره.

- ما الذي سوف تجعلني أعيشه من جديد؟

- ولادتك، وربما حياتك السابقة.

حثَّ راؤول الفتاة الموهوبة على القبول. وافقت كما لو أنّها تفعل ذلك رغماً عنها. أغلق سيبليوس باب الغرفة بالمفتاح، وفصل الهاتف وأمر الفتاة الشابة بإغلاق عينيها والاسترخاء.

بدأت التجربة.

طلب منها أن تتصوّر وجود سلّم، ومن ثمّ أمرها أن تنزل الدرجات العشر باتجاه لاوعيها. إنّ التنويم المغناطيسي يجري بالتدريج وعلى مراحل تماماً كما هو الحال في الغوص تحت البحار. عند نزول الدرجات العشر الأولى شعرت بحالة من الاسترخاء الخفيف. وبعد الدرجات العشر الأخرى شعرت باسترخاء عميق. وبعد الدرجات العشر التالية دخلت في تنويم مغناطيسي طفيف. وعند الدرجة الأربعين دخلت في حالة تنويم مغناطيسي عميق.

- تذكري يومك السابق واروي لي ما جرى.

أطبقت جفنيها على عينيها السوداوين، ومن ثمّ ذكرت نتالي نهاراً عادياً قضته بصحبة أخويها في السفارة وهم يدرسون كتب البوذية التيبيتية وكتب الشامانية.

- تذكري الآن اليوم نفسه، ولكن من الأسبوع الفائت.

تابعت وصف صباح وعصر نهار هادئ آخر.

- احكي لي الآن ما الذي جرى تماماً قبل شهر من الآن.

كانت تتردّد أحياناً، ولكنّها تنجح أخيراً في مسك طرف الخيط في التذكر. والشيء ذاته بالنسبة لتذكر ما قبل عام، ومن ثم خمسة أعوام، وبعدها عشرة

أعوام. تبحث، تتعثر قليلاً ومن ثمّ تحكي ما جرى. لذا قرر سيبليوس جعلها تعيش ولادتها من جديد.

بصوت متفاجئ ومتأثر على حد سواء، أعلنت الكورية أنّها ترى نفسها تخرج من بطن أمها.

– رائع. تذكري وجه الجنين الذي كنت عليه وتذكري أيضاً الوجه القديم، ذاك الذي يعود للشخصية التي كنتِ عليها قبل هذه الحياة. ركّزي على هذا الوجه، وعيشي من جديد لحظات حياته الأخيرة.

اجتاحت القشعريرة جسد نتالي كيم. بدأت حرارتها ترتفع، وراح خداها يرتعشان بتشنجات لا إرادية. أخبر راؤول سيبليوس بدقة ماذا سيسألها. إنّه يسيطر عليه بطريقة مدهشة.

سألت صديقي:

– هل لنا الحق بالقيام بهذا؟

– لا أعرف، سنكتشف ذلك.

انتفض جسد موكلته النحيل بسبب التشنجات، وراحت الفتاة الشابة تكافح.

– توقف يا راؤول. أنت ترى جيداً كم تعاني. قل لسيبليوس أن يوقف هذه الجلسة.

– مستحيل، طالما بدأنا الجلسة فيجب إكمالها حتى النهاية.

فتحت نتالي عينيها على اتساعهما، ولكنّ نظرتها لم تعد ترى فعلياً الغرفة. لقد عادت إلى الماضي.

ماذا تشاهدين؟

تبدو نتالي تعاني من نوبة هلع. إنّها تتنفس بصعوبة، بل إنّها تختنق تقريباً. بدت خطوط من العرق تغطي قميصها.

– توقف يا راؤول، توقف.

– بعد أن أصبحنا بهذا القرب من الهدف؟ مستحيل. وإلّا سوف يتعين علينا بدء كل شيء من جديد.

– ماذا تشاهدين؟ ماذا تشاهدين؟ قال المنوم المغناطيسي بصوت قويّ.

اهتاجت من جديد قبل أن تعود وتتجمد، كما لو أنّها مذعورة من مشهد رهيب. بدأت تتحدث بصوت مختلف عن ذاك الذي عهدناه حتى الآن:

- أنا أموت. أنا أغرق. أنا أختنق. النجدة!

- كل شيء سيسير على ما يرام، أنا هنا، هدّأ سيليوس من روعها. غوصي أكثر في حياتك السابقة وسوف تخرجين من الماء.

عاد لها الهدوء حقاً، وراحت تروي بسلام كيف غرقت. كانت تسبح في بالي في أندونيسيا عندما سحبتها موجة بعيداً في البحر. لم تعد تستطيع العودة إلى الشاطئ. شعرت بالماء يملأ رئتيها. ولهذا السبب تعاني في حياتها الحالية من فوبيا جنونية من الماء، وتصيبها نوبات ربو متكررة.

إنّ النجاح في حل لغز حياتها الحالية منحها الثقة، ودفعها للذهاب بعيداً أكثر. راحت تروي الحياة اليومية على هذه الجزيرة من الأرخبيل الأندونيسي، مع موسيقاها وطعامها وقوانينها المعقدة للحياة الاجتماعية، وتعلّمها الرقص، وصعوبات جمعها المال اللازم لشراء اللباس المسرحي، والعمل الشاق على الأصابع لتعليم الانحناء قدر المستطاع بمساعدة مجموعة من البذور.

- لقد نجحنا! قال راؤول متفاخراً. إنّنا في أعماق روحها. لا أحد سواها، استطاع الوصول إلى هذه الخزنة العميقة لروحه.

قصّت نتالي حياتها كراقصة باليه ومن ثمّ، توغلت أكثر نحو حياتها السابقة كعازفة طبول في ساحل العاج، ومن ثمّ حياتها كرسامة منمنمات في مالطة، وبعدها حياتها كنحاتة على الخشب في جزيرة القيامة.

يركز راؤول كي يقود وسيطه بشكل جيد.

- ولكن بين هذه الحيوات، ما الذي جرى؟ قال سيليوس.

استغرقت نتالي بعض الوقت قبل أن تجيب.

- ما الذي جرى بين هذه الحيوات؟ أصرّ المنوم المغناطيسي.

بقيت الفتاة الكورية صامتة. لم تعد تتحرك، وبالكاد تتنفس. يبدو عليها السكينة والراحة، كما لو أنّها عادت إلى وضعها الطبيعي الذي لم يعد يقلقها.

- أنا...

- أين أنتِ؟

– أنا... أنا... أنا... في مكان آخر.
– أين؟ أين؟ في أيّة قارة؟
أصابتها قشعريرة من جديد.
– في مكان آخر، ليس على الأرض.
أكاد أسمع صوت راؤول بدلاً من صوت سيبليوس.
– لستِ على الأرض؟
– قبل... في حياتي قبل هذه الحياة، كنت أعيش... كنت أعيش في... كوكب آخر.

## 78. موسوعة

ثلاثة ردود أفعال: يشير عالم الأحياء هينري لابوريت في كتابه *مديح الهرب* أنّ الإنسان حين يواجه محنة ما فإنّه يكون أمام ثلاثة خيارات: 1) المواجهة. 2) عدم القيام بأيّ شيء. 3) الهروب.

*المواجهة*: وهي أكثر سلوك طبيعي وصحّي. لا يخضع الجسم لخسائر نفسية – جسدية، فالضربة التي يتلقاها الفرد تتحول إلى ضربة مضادة. ولكن هذا السلوك يتضمن بعض السلبيات؛ فالمرء يدخل في دوامة من العنف المتكرر، وينتهي به الأمر دوماً بمواجهة شخص أقوى منه يوجه له الضربة القاضية.

عدم *القيام بأيّ شيء*: يعني السكوت على الضيم والتصرف كما لو أنّ الاعتداء لم يحدث. إنّه السلوك الأكثر قبولاً وانتشاراً في المجتمعات المعاصرة، وهو ما يسمى «بتثبيط الفعل». يرغب المرء بتحطيم وجه الخصم، ولكن نظراً لخوفه من الظهور بطريقة شائنة في الأماكن العامة، والتعرض بالمقابل أيضاً للكمات، والدخول في دوامة من العنف، فإنّه يكظم غضبه. لذلك فإنّ الضربة التي لا يلحقها المرء بخصمه، يكون قد وجهها لذاته. في هذا النوع من المواقف تزدهر الأمراض النفسية – الجسدية؛ كالقرحات، والصدفية، والآلام العصبية، والروماتيزم...

الخيار الثالث هو *الهروب*: يوجد عدّة أنواع منه:

*الهروب الكيميائي*: الكحول والمخدرات والتدخين ومضادات الاكتئاب

والمهدئات والمنوّمات. يسمح هذا النوع بمحو أو على الأقل التخفيف من المعاناة الحاصلة. ننسى. نهذي. ننام. إذاً تمضي الأمور. ولكن هذا النوع من الهروب يضعف الواقع أيضاً، وشيئاً فشيئاً، لا يعود الفرد قادراً على تحمل العالم الواقعي.

*الهروب الجغرافي*: يكون بتغيير الأماكن دون توقف. تغيير العمل، والأصدقاء، والأحباب، وأماكن الإقامة. وهكذا يقوم المرء بترحيل مشاكله معه، لا يقوم بحلّها وإنّما يقوم بتغيير إطارها العام، الأمر الذي يعدّ بذاته أكثر انعاشاً.

وأخيراً، *الهروب الفني*: يقوم على تحويل المرء لغيظه وغضبه وألمه لأعمال فنية؛ أفلام، وموسيقا، ونحت، ورسومات... كلّ ما لا يسمح المرء لنفسه بالإعلان والتصريح عنه، بجعل بطله المتخيّل يقوله. هذا يمكن أن ينتج عنه لاحقاً أثر تطهير الذات.

هؤلاء الذين سيشاهدون الأبطال ينتقمون من الإهانات التي يتعرضون لها سوف يستفادون أيضاً من هذا الأثر.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 79. فريدي معنا

– كوكب آخر! هل تمزحان!

لقد تأثر هذه المرة فريدي ماير. إنّ صديقنا مقتنع بالطبع أنّ البشرية في طريقها إلى الهلاك، ومع ذلك فقد تملّكه الفضول. يريد اكتشاف آلية عمل «البشرية الأخرى» في مكان آخر. يريد معرفة إن كان التدمير الذاتي يشمل جميع الكواكب التي تحوي أنواعاً ذكية أم إنّه محصور فقط بالنوع البشري الأرضي.

جلس ودعانا للجلوس أيضاً بجانبه. لا توفر وضعية الجلوس هذه راحة كافية كونه لا وجود حقيقة لأرض تحتنا، ولكنّها عادة بشرية نستمتع بتكرارها. إنّها تذكرنا بلا شك بمناقشاتنا الطويلة التي كنا نقوم بها في الماضي على العشاء حول الطاولة الكبيرة في مبنى بوت شومون.

- لن يكون من السهل اقتفاء أثر هذا الكوكب، قال الحاخام. إنّ مجرتنا، درب التبانة، تضم وحدها 200 مليار نجمٍ، ويدور حول كلّ نجم ما معدّله عشرة كواكب. لدينا الكثير من العمل يا صديقيّ.

عقّب راؤول أنّه بعد تحررنا من الجسد، نستطيع السفر بسرعات هائلة.

- نعم، ولكن في فضاء بهذا الحجم الشاسع، سيكون الأمر مماثلاً تماماً للسفر البطيء في أراضٍ صغيرة... كلّ شيء نسبي، أشار فريدي.

- ومن ثمّ، من أين سنبدأ؟ بأيّ اتجاه سنذهب؟ إنّ العثور على كوكب مأهول من بين جميع الكواكب غير المأهولة، لهو مشابه للبحث عن إبرة في كومة من القش، عبّرتُ بدوري بشيء من الأسى.

فجأة، يبدو أنّ ملاحظتي قد أيقظت ذهن فريدي.

- إنّ الأمر يتعلق بالطريقة. لإيجاد الإبرة في كومة القش، يكفي إشعال القش والبحث في الرماد بمساعدة مغناطيس.

أضاء وجهه بشكل مختلف. لو لم يكن ملاكاً وأعمى، فعلى الأرجح أنّني كنت سأتعرف على الشعلة ذاتها التي حركتنا في السابق عندما انطلقنا معاً لغزو العوالم العليا.

- هيا... إلى الأمام لتخطي حدود المجهول!

أكمل راؤول الذي اضطرب فرِحاً:

- إلى الأمام لغزو... بلاد الآلهة!



## -2-

# بيوض ونجوم

### 80. فينوس- 17 عاماً

منذ رحيل والدي وأنا أعيش مع أمي، وهذا بالفعل ليس سهلاً، فجميع عيوبها الصغيرة تصبح لا تطاق أثناء الحياة اليومية.

غالباً ما نتناول العشاء لوحدنا، ونشرع بالتشاجر. تلومني أمي على عدم مراقبة رشاقتي بما فيه الكفاية. أعترف أنني أتبعتُ مرحلة فقدان الشهية بحالة من الشره المرضي. إنّ غياب والدي هو ما يجعلني أشعر بالجوع. آكل الكثير من الحلوى، فالحلوى تساعدني على تحمل الحياة؛ فأمي من جهة وأجواء استديوهات التصوير التي أصبحت لا تُطاق بالنسبة لي من جهة أخرى.

التحكم بالجسد شيء جيد، والاستسلام أيضاً أجمل وأجمل.

أصبح عمري سبعة عشر عاماً، ويبدو لي أنني أساساً قد عشت طويلاً وأكلتُ كثيراً. في الفترة التي عشت فيها فقدان الشهية، انخفض وزني حتى خمسة وثلاثين كيلوغراماً. والآن في مرحلة الشره المرضي، أصبح وزني اثنين وثمانين كيلوغراماً. يجب القول إنّه حين آكل، فأنا آكل حقاً. ليس فقط كعكاً بالمناسبة، بل أيضاً معلبات فاصولياء بالطماطم التي أبتلعها باردة دون تسخين، وآكل قطع السكر، والمايونيز أمتصه مباشرة من العلبة مثلما يمتص الطفل الحليب من الرضاعة، كما آكل الخبز بالزبدة الذي أرشّ عليه بودرة الكاكاو، وهذا الأخير، أستطيع أن آكل منه بالأطنان.

لا تكلّمني أمي إلّا لتوجه لي اللوم والعتاب. مع أنني أخبرتها أنّه كلما زاد

صراخها عليّ، زاد إحساسي بالجوع أكثر. إنّه تأثير البمرنغ[1]، فبعد اكتشافي القدرة على التحكم بجسدي من خلال التحكم بالطعام، أصبح جسدي يثير اشمئزازي أكثر فأكثر. أعتبره مثل سلّة نفايات أملؤها كي أعاقب نفسي.

يجب أن يكون هناك شيء ما طوال الوقت في فمي؛ إمّا علكة أو سكاكر أو قطعة من عرق السوس آكلها وأتأمل.

منذ أن زاد وزني، تراجع إصرار وكالات عروض الأزياء على طلبي. حتى إنّه كان هناك بعض الأشخاص الماكرين الذين اقترحوا عليّ عرض إعلان يتضمن صوراً على نمط بعد/ قبل، على أن نقوم بعكسها في الإعلانات لتصبح قبل/ بعد، حيث نقوم بالترويج لأنظمة غذائية إعجازية يفترض أنّها هي من جعلتني نحيلة.

تمطرني أمي باللوم. لم أتوقف فقط عن كسب المال، وإنّما علاوة على ذلك، أصبح إطعامي يكلف غالياً. وكلما وجّهت لي أمي ملاحظات حول هذا الموضوع، يزداد جوعي أكثر.

مصدر الرضا الوحيد بالنسبة لي هو جيم، جيم هو فتى لطيف. في أحد الأيام بعد أن رمت أمي الصحون في وجهي كي تقنعني أنها محقة في رأيها، صفعت الباب خلفي عاقدة العزم على الهروب فالتقيت بجارنا جيم. إنّه طالب في كلية الجغرافيا. أما أنا فمن ناحيتي، لم أتقدم كثيراً في مجال الدراسة بحجة مسيرتي المهنية المبكرة كعارضة أزياء، لذا فقد أثار إعجابي.

تحدثنا مطولاً عن بلدان بعيدة. شرح لي مدى ضخامة العالم وكم تبدو مشاكلي نسبياً صغيرة بمقابل هذا الاتساع. أعجبني ذلك. قبّلنا بعضنا تحت ضوء القمر.

مارسنا الحب بعد أسبوع. كانت تلك أول مرة بالنسبة لي، ولم تسر الأمور بشكل جيد.

حاولت التوقف عن تناول الطعام، ولكنّني لم أستطع ذلك. إنّ صراعي مع الطعام صعب حقاً. لذا قررت ابتلاع حبوب مسهلة كي لا يبقى الطعام

---

1- هي نظرية في علم النفس تقول إنّ محاولات مقاومة حرية شخص ما، غالباً ما تُحدث تأثيراً غير مطابق أي «تأثير بمرنغ». المترجمة.

طويلاً في جسدي. ومنذ وقت قصير، بدأت حتى بتطوير تقنية جديدة للتقيؤ. يكفي أن أُدخل إصبعي عميقاً في حلقي كي ألقي كل ما في معدتي داخل المرحاض.

سألت جيم إن كان يجدني بدينة جداً.

– أحب البدينات، هكذا أجابني جيم.

قلت إنّني قبل أن أصبح بدينة، في الأيام الخوالي، كنت بغاية الجمال لدرجة أنّني كنت عارضة أزياء وقد حلمت يوماً أن أصبح ملكة جمال الكون. فكان جوابه أنّه شخصياً يجدني أجمل فتاة في الكون.

كي أبقى محافظة على هذا الانطباع الجميل، فضلت ألا نمارس الحب في تلك الليلة، وأن نفترق بقبلة عفيفة. ضاعف هذا من تصميمي. أريد أن أعيد مسك زمام أمور جسدي. سأصبح ملكة جمال الكون!

أقنعت أمي أن تسمح لي بإجراء عملية شفط دهون. عدنا إلى الطبيب أمبروزيو دي رينالدي، مايكل أنجلو المشرط، الذي تكفل بالأمر. تحت تخدير موضعي، حضرتُ كلّ ما جرى. قام بإدخال أنابيب في فخذيّ ومن ثمّ قام بتشغيل مضخة الشفط. مع ضجيج محرك الديزل، سمعت صوت بصق السائل الذي يصب في أسطوانات شفافة. تفاجأت في البداية لأنّني لم أر سوى الدماء تخرج من الأنابيب، وخفت أن أتعرض للنزيف، ولكن رويداً رويداً، أخذ الدم يخف ويأخذ لوناً وردياً قبل أن يصبح وردياً فاتحاً ومن ثمّ أبيض مثل الكريما. يشبه لون هذا المزيج حلوى الكريما بالرمان. شرح لي أمبروزيو دي رينالدي أنّه يجب زرع الأنابيب في أماكن مختلفة بغية تجنب إحداث ما يشبه الحفر، وهذا ما يسميه في لغته «أثر الصفائح المتموجة».

ربما تكون عمليات أمبروزيو مكلفة جداً، ولكن لحسن الحظ أنّه بارع في فن تجنب إحداث «صفائح متموجة».

بعد تحسين المحتوى الكريمي، جاء دور المحتوى العجينيّ. لقد أزال مني الفائض في فخذيّ، وهذا ما جعلني أشعر بالسعادة أكثر لأنّني حتى في أسوأ فترات فقدان الشهية التي عشتها، كنت أفقد وزني من الجزء العلوي أكثر بكثير من الجزء السفلي.

عند خروجي من العيادة، أحضر لي جيم الزهور. ولكن الآن، بعد أن أصبحت نحيلة وجميلة، من غير الممكن أن أبقى مع شخص يحب البدينات!

أريد أن أصبح ملكة جمال الكون.

## 81. إيغور - 17 عاماً

أنا الذي كنت أشتكي من مركز إعادة تأهيل الأحداث في نوفوسيبيرسك، كم كنت مخطئاً. إنّ المصحّ العقليّ في بريست - ليتوفسك أسوأ بكثير.

في المركز، كنا نأكل بقايا اللحوم الفاسدة، ولكن هنا، لا نأكل اللحوم على الإطلاق. على ما يبدو أنّها تزيد من جنونهم.

في مركز إعادة التأهيل، كانت الأسرّة مليئة بحشرات الفسفس. أمّا هنا، فننام على أراجيح مصنوعة من الشبك المقاوم للصدأ.

في مركز إعادة التأهيل، كانت تفوح رائحة العفن، أمّا هنا، فتفوح رائحة أكسيد الإيثيل. كلّ شيء كان هناك متسخاً، أمّا هنا، فكل شيء نظيف.

كنت أشتكي من سماع الصراخ ليلاً في مركز إعادة التأهيل، ولكن هنا أسمع أصوات الضحكات. إنّ الضحك رهيب.

ليس لديّ هنا سوى زميل واحد في الغرفة وهو ألكسندر.

يتحدث ألكسندر مع نفسه طوال الليل. يقول إنّنا سنموت جميعنا، وإنّ الفرسان الأربعة في سِفر الرؤيا قد أسرجوا خيولهم. الحديد والنار والماء والثلج سوف تخترق أجسادنا وسندفع ثمن خطايانا. ومن ثم يجثو على ركبتيه ليصلي إلى أن يصرخ: «الخلاص! الخلاص!» يقضي ساعات ضارباً صدره، ليتوقف فجأة، ويجمد في مكانه ومن ثم يصرخ باكياً: «سوف أموووووت»، هكذا يفعل طوال الليل.

توفي البارحة ألكسندر. لقد قتلتُه. لم يكن لديّ أيّ شيء شخصيّ ضده، أو بالأحرى كانت لديّ رغبة بإسداء معروف له. لقد خنقته بجورب لأخلّصه من هذه الحياة التي لم يجد لنفسه مكاناً فيها. قرأت في نظراته الكثير من الامتنان عوضاً عن الغضب.

بعد ذلك، اقتادني الممرضون إلى جناح العزل الحسي العصبي. كان هذا

النفي يعدّ تعذيباً في عهد ستالين، وقد أصبح قبواً للمجانين الذين يصعب جداً السيطرة عليهم. يؤكد الممرضون أنّه بعد شهر من العزل الحسي العصبي، يتوقف المعزولون عن تذكر أسمائهم، فإذا وضعنا أمامهم مرآة سيقولون: «صباح الخير يا سيدي».

أمسكوني. حاولت المقاومة، فتكاثر أربعة عليّ ليزجوا بي داخل الزنزانة.

– كلّاااااااااااا!

صُفع الباب!

الغرفة بيضاء، دون نوافذ. لا يوجد فيها أيّ شيء. الجدران بيضاء، والمصباح العاري يبقى مضاء ليلاً ونهاراً، وليس هناك زر للتحكم به. لا وجود لأيّ ضجيج، ولا لأيّ صوت، ولا أية إشارة أخرى تدل على الوجود البشري باستثناء أنّه يأتيني كل ثماني ساعات حساء بلون البيج الفاتح عبر فتحة صغيرة. هل هذا الحساء نباتي أم حيواني؟ يشبه البطاطا المهروسة فهو مالح وحلو في الوقت ذاته، مثل الطعام الذي يقدم للحيوانات الأليفة تقريباً. وبما أنّها الوجبة ذاتها غير المعروفة والوحيدة التي تُقدم، فلم أعد أعرف إن كانت هذه وجبة الفطور أو الغداء أو العشاء.

فقدت الإحساس بالوقت. أصبح دماغي مشوشاً. لا أستطيع حتى الانتحار بضرب رأسي بالجدران لأنّها مبطنة. حاولت رغم ذلك ابتلاع لساني في حلقي، ولكن كانت تحدث دائماً ردة الفعل العكسية التي تجبرني على السعال كي أتنفس.

كنت أظنّ أنّني وصلتُ إلى الحضيض، ولكن يبدو أنّني لم أصل إليه بعد.

فهذه المرة، حتى مع أقصى جهودي في التخيل، لا أستطيع تصوّر كيف يمكن أن يزداد وضعي سوءاً. لو أنّهم ألقوا بي في غرفة تعذيب، كنت سأعيش على الأقل قليلاً من الإثارة، سيكون هناك جلادين يمكن الحوار معهم، سيكون هناك آلات وأدوات وديكور.

أمّا هنا، لا يوجد شيء.

لا شيء.

لا شيء سوى وجه أمي الذي يظهر كلّ صباح كي يقول لي: «بما أنّك لم تكن لطيفاً، سوف أبقيك محبوساً في الخزانة حتى آخر أيام حياتك».

إنّهم يعاملونني أسوأ ممّا يعاملون الحيوانات. لا أحد يجرؤ على حبس حيوان لسنوات في غرفة بيضاء عازلة للصوت مع الاستمرار بإطعامه. سوف يتركونه يموت ببساطة، لا أكثر. أمّا أنا، فإنّهم يطعمونني كي لا أموت وكي أصبح مجنوناً. لا يعالجون المجانين هنا. إنّهم يحضرون أناساً طبيعيين ويخرجونهم من هنا مجانين. هل يا ترى من الممكن أن تكون هذه وسيلة للسيطرة على السكان؟

يجب أن أصمد.

أشعر الآن أنّ رأسي عبارة عن مكتبة هائلة تُقذف منها الكتب وتسقط أرضاً. هناك كتب صغيرة، عندما تسقط تهرب الكلمات منها وأنسى المفردات.

ومن ثمّ صارت الكتب الكبيرة لذكريات حياتي السابقة تسقط. ما الذي كانت عليه حياتي قبل هذا؟ أتذكر البوكر، وبيوتر (هل كان اسمه بيوتر أم بوريس؟)، والفاءات الثلاثة (فاسيلي وفانيا و... اللعنة، ماذا كان اسم الشخص الثالث؟ البدين، اسمه...). أتمسك بما يبقى. في لعبة البوكر هناك يد وان بير، ويد تو بيرز، ويد ثري أوف آ كايند و... (سحقاً، ما اسم اليد التي تضم ثلاث بطاقات يحملن الرقم نفسه بالإضافة لبطاقتين تحملان رقمين متشابهين؟)

تولد الأفكار في رأسي ومن ثمّ تقفز كما لو أنّها على أسطوانة معطوبة كي تترك مجالاً لغيرها. لديّ انطباع أنّني لا أستطيع المتابعة حتى نهاية الفكرة الواحدة.

أمي هي الوحيدة التي بقيت محفورة في ذهني، كما لو أنّه تمّ نقشها بالحديد الساخن داخل دماغي. أتذكر جميع تعابير وجهها في اليوم الذي تركتني فيه على درج الكنيسة. أتعلق بهذا الألم. شكراً يا أمي، لقد قدّمت لي خدمة على الأقل في هذا. إنّ أمي هي آخر دليل على هويتي. فمن خلال غضبي عليها أعرف نفسي. قد أنسى في يوم ما اسمي، وربما لن أتعرّف على نفسي في المرآة يوماً ما، وربما لن أتذكر كلّ ما حصل معي في طفولتي، ولكنّني سأتذكرها هي.

أخيراً، في صباح أو ظهر أو مساء أحد الأيام (هل مضى أسبوع؟ أم شهر؟ أم سنة؟)، فُتح الباب، وتمّ استدعائي لمقابلة مدير المركز.

في طريقي إليه، رحت أستمتع بأبسط وأقل تنبيه يصل إلى ذهني؛ رائحة المطهرات، صورة الدهان المتفسخ في الممرات، الضحكات التي ترن بعيداً، صوت خطواتي على الأرض الصلبة، الأجزاء الصغيرة من السماء التي تظهر من بين الفتحات الصغيرة للشبابيك الحديدية، احتكاك أيدي الممرضين التي تمسك بي من ذراعيّ المقيدتين وراء ظهري، وكلّ صرخة من الممرضين تقول: «تقدم»، «اتبعني»، تبدو لي كموسيقا عذبة.

دفعوني داخل مكتب المدير. كان هناك رجل يرتدي زياً رسمياً يقف بالقرب منه. أشعر أنّني أعيش المشهد ذاته إلى الأبد. ذاك المشهد لشرطي ينقذني على درج الكنيسة، ذاك المشهد لكولونيل في طيران الجو جاء ليأخذني من الملجأ كي يمنحني عائلة. وهذا المشهد الآن، ما الذي سيقترحه عليّ؟

ألقى المدير عليّ نظرة تشي بالاشمئزاز، ففكرت في أمي. ربما كانت قد خمنت ما الذي سأصيره في المستقبل وأرادت تخليصي من كلّ هذه الآلام.

– نريد أن نمنحك فرصة أخيرة لخلاصك. لقد تجدد القتال في الشيشان، والخسائر أكبر بكثير مما توقعناه. يحتاج الجيش لمتطوعين للذهاب إلى الجبهة. الكولونيل دوكوسكوف الحاضر هنا، هو على رأس القوات الأمامية. الخيار إذاً لك أنت: هل تفضّل البقاء هنا في العزل أم تؤثر أن تكون من القوات الخاصة في الخطوط الأمامية على الجبهة.

## 82. جاك– 17 عاماً

نجحت في بيع قصصي لمجلة خيال علمي، وحصلت بذلك لأول مرة على النقود مقابل عملي. كي أكافئ نفسي، ذهبت في عطلة على شاطئ الباسك. وهناك التقيت بأناييس.

أناييس فتاة سمراء قصيرة وضحوكة تشبه مارتين قليلاً، ولكن بوجه دائري أكثر، وعندما تضحك أو تبتسم تظهر غمازتان على خديها.

عشت مع أنابيس نوبات ضحك مستمرة ومجنونة. دون أن نتكلم وبمجرد أن نتبادل النظرات ننفجر ضاحكين، هكذا دون سبب. إنّ مرحنا المستمر هذا كان يزعج الجميع ممّا قرّب بيننا أكثر.

بعد العطلة تعاهدنا أن نلتقي مجدداً كلما سنحت لنا الفرصة، ولكنّ المشكلة أنّها تسكن في بوردو وأنا في بيربنيان.

لديّ مشروع ضخم قيد الإعداد، وهو كتاب يتحدث عن البشرية ولكن بلسانٍ «غير بشريّ». إنّها قصة بوليسية أبطالها هم... جرذان حيث تجري أحداثها في المجاري. التزمت بالطبع بجميع القوانين التي تحكم مجتمعات الجرذان، وقد انتهيت بالفعل من كتابة المسودة الأولى التي جاءت في مائتي صفحة، وقمت بتقديمها لأنابيس كي تقرأها.

قرأتها سريعاً.

– هـذا مثير. شخصيتك الرئيسية هي جـرذ لديه خصلة شعر حمراء على رأسه.

– جميع الروايات الأولى تتضمن عادة جزءاً صغيراً يذكر فيه الكاتب مقتطفات من سيرته الذاتية، هكذا أجبتها. كما أنّ شعري الأحمر يعنيني جداً.

– لماذا الجرذان؟

شرحت أنّ الجرذان ليست سوى ذريعة، أي نظرة تحليلية عامة للحياة ضمن مجموعة. إنّني أبحث عن شكل مثالي للمجتمع حيث يشعر الجميع فيه بالرضا. لقد اخترت في قصة كتبتها سابقاً، كريّتي دم بيضاء قمت بإدخالهما في مجتمع الجسد البشري المثالي. والآن، على العكس، أريد إظهار كيف يكون المجتمع الشرس. الجرذان هم مثال لمجتمع فعال، ولكنه خالٍ تماماً من الرحمة. إنّهم يستبعدون بشكل منهجي الضعفاء، والمرضى، والمسنين، والأطفال المشوهين. تكون المنافسة مستمرة والنصر يكون للأقوى. خلال كتابتي عن هذا العالم المجهول، أرغب أن يكون قرّائي مدركين لجانب «الجرذان» الموجود بداخلهم.

في زيارتي التالية، عرّفتني أنابيس على عائلتها. إنّ منزل العائلة مذهل. يحوي لوحات لكبار الرسامين، وأثاثاً عتيقاً، ومنحوتات ثمينة. لم أكن قد رأيت في حياتي معروضات بهذه الفخامة. والدها طبيب أسنان، وأمها

أيضاً طبيبة أسنان، ومن الواضح أنّهما ناجحان في مهنتهما. أنابيس أيضاً تريد أن تصبح طبيبة أسنان. أخوها الصغير فقط لم يقرر بعد ما سيصبح عليه في المستقبل. يتحدث عن نيته بدراسة المعلوماتية، ولكن سيدهشني حقاً إن تابع في ذلك. إلّا إن كان سينتهي المطاف به مهندس معلوماتية مختص ببرامج تعنى بطب الأسنان.

تظهر العائلة بأكملها بأسنان بيضاء لامعة. بدأنا بتناول العشاء سوية، فسألني الأب ما الذي أفكر أن أصبح عليه في المستقبل، فقلت إنّني أرغب أن أصبح كاتباً.

– كاتب... ولكن لماذا لا تخوض في مهنة... طبيعية أكثر؟

أجبته أنّ الكتابة هي شغفي وأنّني أفضل كسب نقود قليلة شرط ممارسة مهنة تروق لي. ولكنّ والد أنابيس لا يضحك، ولا أنابيس أيضاً.

بعد العشاء، سألني والدها عن المهنة التي يزاولها والديّ، فأجبته أنّهما بائعا كتب. هزّ رأسه وراح يذكر لي أسماء كتّابه المفضلين: سيلين، مارغريت دوراس... اعترفت أنّه سبق وتصفّحت أعمالاً لدوراس وسيلين ولكنّني شعرت بالملل إلى حدٍّ ما.

هنا، لا بدّ لي من ذكر أنّ أم أنابيس قد قطبت حاجبيها. أمّا أنابيس فكانت ترسل لي إشارات ولكنّني لم أكن ألتقطها في الوقت المناسب.

سألني والدها عن النوع الأدبي الذي أفضله. فذكرت له أعمال إدغار آلان بو وكافكا، فانبرى معبراً: «آه! نعم، أرى ذلك»، ومنذ تلك اللحظة كان من الأفضل لي أن أصمت عوضاً عن متابعة ذكر روائع الفانتازيا والقصص البوليسية والخيال العلمي.

اعترف أنّه لم يسبق له أن اطلع على هذه الأنواع بتاتاً. وهنا شعرت أخيراً أنّ الأمور ليست على ما يرام، لذا، وحرصاً مني على إظهار شيء من التوافق، ختمت قائلاً:

– أوه، حسناً، في النهاية لا يوجد سوى نوعين من الكتب؛ كتب جيدة وكتب سيئة.

بقي الجميع صامتاً ومحدقاً في الصحون.

ومن ثمّ وقفت الأم وذهبت لإحضار التحلية، بتنورة تتمايل بقوة واضحة.

وبعدها، وبما أنّ أنابيس سبق وأن أخبرت والدها أنّني ماهر أيضاً في لعبة الشطرنج، أصرّ على أن نقوم بجولة، وبكل تواضع، أعلن أنّه ليس سوى لاعب هاوٍ يلعب الشطرنج أيام الأحد.

فزت عليه بأربع حركات فقط، متبعاً خطة «ضربة الراعي» التي علمتني إياها مارتين. لم يرغب الأب في الثأر لنفسه بلعب جولة أخرى.

منذ تلك الليلة، لم نعد نلتقي كثيراً أنا وأنابيس. وقد اعترفت لي في أحد الأيام أنّ والدها لا يتخيلها متزوجة من «مهرج».

تلك كانت نهاية الحب البريء.

أتأمل الآن صوري معها، إنّها تظهر ضاحكة في كلّ لقطة. لقد كنت مخطئاً ببساطة عند قبولي لقاء والديها.

ومن أجل نسيان مخاوفي البشرية، أهرع إلى الكتابة وأحاول جاهداً معرفة ماذا يمكن أن يشغل بال الجرذ في حياته اليومية.

## 83. موسوعة

**وجهة نظر:**

**نكتة: «يحكى أنّ رجلاً ذهب إلى طبيبه وهو يضع قبعة طويلة على رأسه، وحين وصل جلس ورفع قبعته، فرأى الطبيب ضفدعاً على رأس المريض الأصلع. اقترب واكتشف أنّ الضفدع يبدو ملتحماً بالجلد.**

**– هل تعاني من هذا منذ زمن طويل؟ قال الطبيب مندهشاً. فإذ بالضفدع يجيبه:**

**– أوه، في الحقيقة يا دكتور إنّ هذا في البداية لم يكن سوى ثؤلولاً صغيراً تحت قدمي».**

**هذه النكتة تشرح الفكرة. نخطئ أحياناً في تحليل حدث ما لأنّنا نحصر أنفسنا بوجهة نظر واحدة تبدو لنا بغاية البديهة.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

***(مأخوذة من نكتة لفريدي ماير).***

## 84. بيوضي

قبل أن أذهب في الفضاء باحثاً عن كوكب آخر، يجب بداية أن أحلّ جميع مشاكل بيوضي.

أتحقق من أنّ جميع أمنياتهم قد تمّ إنجازها بالفعل. يريد إيغور ترك المصح العقلي في بريست - ليتوفسك، وقد تمّ تجنيده في الجيش. يرغب جاك في الهروب بعيداً أكثر في عالم الكتابة، وقد شرع بكتابة روايته الأولى. كما أنّ فينوس قد استعادت زمام السيطرة على نفسها.

- كيف تسير أمور حضانتك؟ سألني راؤول.

أظهرت له بيوضي برضا.

- على أحسن حال.

أشار لي راؤول أنّه ربما عليّ أن أكون أقل تباهياً. فهم في الواقع، لا يبلون بلاء حسناً... لقد تمّ تحقيق أمنياتهم ولكنّ حالهم لا يتحسن. لم يعد لفينوس عائلة، ولا حب، حتى إنّها لم تحصل على دراسة جدية كي تواجه بها الحياة. ليست سوى فتاة ضعيفة وسطحية.

إنّ المصح النفسي قد أرجع إيغور تقريباً إلى الحالة النباتية، فهو يعاني من حرمان عاطفي هائل. إضافة إلى أنّه وحيد دون مال أو أصدقاء ودون أن يعرف حتى كيف تكون قبلة عادية من امرأة على خده وقد بلغ عمره الآن سبعة عشر عاماً! لقد تمّ إرساله إلى خطوط الجبهة الأمامية في الشيشان مع القوات الخاصة لدوكوسكوف المكونة من حثالة المجتمع المحكوم عليهم بالقيام بأكثر المهمات خطورة. أمّا بالنسبة لجاك، فمن كثرة عيشه في عوالمه المتخيلة، فقد أضاع صلته مع الواقع وأصبح شيئاً فشيئاً مفصولاً تماماً عن الواقع.

- تسمّي هذا «أحسن حال»؟!.

بعد نظرة ثانية لهؤلاء البشر الثلاث الذين من المفترض أنّهم يمثلون الجوانب الثلاثة لشخصيتي، شعرت بالأحرى بالخزي.

- ها! ها! مرحباً بك في عالم الملائكة، قال راؤول شامتاً. من كان يقول

إنّه عمل هادئ، أيّ كلام فارغ هذا! إنّ إخراج إنسان من ظروفه لهو أصعب من تطوير الجماد إلى الحالة النباتية!

بدا على راؤول أنّه مشغول التفكير.

– في جميع الأحوال، لم تعد المغامرة بالنسبة لنا تكمن في هذا العمل الملائكي الروتيني. يجب علينا الآن الخروج من هذا الجحيم العاطفي المتكلّف.

نظر راؤول هذه النظرة الغريبة التي كانت تسحرني وتخيفني في الماضي عندما كنا بشراً من لحم ودم. هذه النظرة تعني: «هيا بنا نمضي بأخطائنا حتى النهاية، وإلّا لن نعرف مطلقاً لماذا يتوجب علينا عدم ارتكابها».

طلبت من صديقي مهلة قصيرة من أجل ترتيب أمور حياة موكليّ، هكذا أكون مطمئناً وأتمكن من الرحيل بسكينة أكبر.

لذا قمت بعملي في التأثير على رئيس لجنة الحكم في مسابقة ملكة جمال الكون بغية أن يختار المرشحة فينوس. وخلقت حالة طبيعية من التعاطف لجميع أفراد القوات الخاصة لذئاب الكولونيل دوكوسكوف تجاه إيغور. أرسلت في الحلم بعض المشاهد المثيرة لرواية جاك.

– لا تضيع وقتك معهم، زمجر راؤول، فالكون بأكمله بانتظارك.

وبعدها مال نحو أذني وهمس لي:

– علاوة على أنّ البشر الفانين يتدبرون أمورهم أحياناً بشكل أفضل بكثير من دوننا.

## 85. فينوس – 17 عاماً ونصف

إنّ جسدي المُعاد تأهيله من خلال عملية جراحية تجميلية، أعدت ترميمه كما يُعاد ترميم سيارة مستعملة. أعدت تصحيح الهيكل والمحرك ولوحة القيادة... عدتُ لشكلي الطبيعي. أدهن باستمرار الكريمات والمراهم على بطني وفخذيّ ومؤخرتي. أصبحت رياضية من جديد: أمارس السباحة، والركض، وتمارين التمدد. كما عدت أيضاً وبشكل تدريجي للسيطرة على شهيتي للطعام.

بعدها، وجدت طريقي مجدداً إلى استديوهات التصوير. فبدأت من

جديد مع حملة دعائية لمنتجات غذائية متنوعة، ومن ثمّ عدت لتصوير الملابس والجينزات، وأخيراً... لتصميم الأزياء! الطريق الكلاسيكي المعهود لعارضات الأزياء.

رفعتني هذه العودة القوية إلى مستوى أعلى، وحتى أعلى من المستوى الذي كنت قد وصلت إليه في محاولاتي الأولى. إنّ الانحدار نحو الهاوية والذي جاء عقب نجاحاتي الأولى، جعلني أكثر قوة. لم أعد أسمح لأحد أن يسيء معاملتي. لقد تعلمت احترام نفسي.

اخترت كصديق حميم، شاباً يعمل أيضاً في عروض الأزياء. بالرغم من أنّنا نمارس المهنة ذاتها، ولكنّه لا يحب القيام بها، فهو يخجل من الوقوف والاستعراض. يقول إستبان إنّه يقوم بذلك «المرحلة مؤقتة».

لقد اخترته لجماله الجسدي فقط. إنّه فاتن حقاً، ومن أصل «لاتيني». لمّحت له أنّني بمجرد أن أملّ منه، فسوف أبصقه مثل بذرة الكرز. عوض أن يتراجع، فقد جعله هذا الاحتمال متعلقاً بي أكثر، وأجابني بلكنته اللاتينية: «آه يا فينوس! أنت الوحيدة التي تفهمينني...». إنّه لمن السهل جداً خداع الرجال. يبدو لي أنّني عرفت كيف يفكرون. يكفي ألّا تتعلق المرأة بهم كي تتملكهم الرغبة بالتمسك بها.

أمّا عن إستبان في السرير، فهو عدّاء شره للحصول على الكأس. لا يوفر أيّ جهد، لدرجة أنّني أشك في تعاطيه للمنشطات. هل يفعل كل هذا من أجل إسعادي! حاولت في البداية طمأنته، ولكن سريعاً فهمت أنّه على العكس من ذلك، من الأفضل تركه في حالة عدم يقين. لم أعد أقول له شيئاً، وهو يحب ذلك.

أنا أستحق هذا في النهاية. عمري سبعة عشر عاماً ونصف وأنا ساحرة الجمال.

كي أسترخي من أجواء التصوير، بدأت أدخن. تساعدني السيجارة في التخفيف من الضغط الذي أعيشه، والحاجة للنيكوتين تجبرني على خلق لحظات من الاسترخاء. كما أنّ السيجارة تبعث السلام أيضاً، فأمي تدخن كذلك، وفقط عندما ندخن سوية، نتبادل الولاعة ونتوقف عن الشجار.

أعرف جيداً أنّ أمي تحبني، ومع ذلك، أشعر أنّها في أعماقها تلومني على رحيل والدي. لقد تحوّلت جميع علاقاتها العاطفية اللاحقة منذ ذلك الحين، إلى كوارث. يبدو أنّها ما إن تُعجب بشخص ما حتى تتحضر نفسياً لمواجهة الفشل. لا بدّ وأنّ شركاءها يدركون ذلك وهذا ما يوترهم.

يجب أن أتخلص من تأثيرها. كما أنني حين أنظر إلى مسيرتها المهنية، أجد أنّ هناك بالفعل ما يدعو للاكتئاب. ففي المجال المهني، تعتبر أمي امرأة «عجوزاً». لم تعد مطلوبة إلا من أجل كتالوجات للبيع عن بعد عبر البريد.

تشرب الويسكي في المنزل، وتتابع مشاهدة أفلام الرعب. إنّها تتعرض لرحلة سيئة[1].

فهمت قواعد المهنة على ما أعتقد. نصعد بسرعة ونهوي بسرعة، ولكن كلما كان صعودنا عالياً، يكون لدينا حظ كبير بعدم السقوط.

يجب عليّ أن أصعد عالياً جداً. عليّ أن أصبح ملكة جمال الكون. وبهذا اللقب، سأحصل على جواز سفر مدى الحياة لأفضل وكالات عروض الأزياء، وسيصبح جميع أنواع الرجال رهن إشارتي.

أراقب عن كثب نظامي الغذائي. آكل الكثير من الخضار من أجل أليافها، والكثير من الفواكه من أجل ليونة البشرة، كما أشرب الكثير من المياه المعدنية لتصريف السكريات والدهون.

## 86. جاك- 17 عاماً ونصف

في الامتحان الشفهي لمادة «الفلسفة» في الشهادة الثانوية العامة، طُرح عليّ السؤال التالي: «هل للحرية الفكرية وجود؟»

بعد أن استمع إليّ، أجابني الأستاذ الفاحص:

- أنت تستشهد بأقوالك لكتب الزن والبوذية والطاوية... لسنا بحاجة للاستشهاد بمراجع من آسيا. أعد قراءة مونتين وسبينوزا ونيتشه وأفلاطون، وسوف ترى أنّهم فهموا كل شيء.

1- فترة تسمم حاد من المهلوسات، يطلق عليها اسم رحلة لأن تصورات المريض عن العالم قد تتغير بشكل كبير. المترجمة.

أزعجني هذا التعليق:

– ما يثير اهتمامي في الفكر الشرقي هو استناده إلى تجارب روحانية مُعاشة. فعندما يبقى راهب زن دون حركة لساعة من الزمن كي يصفي ذهنه كلياً، عندما يقوم ممارس اليوغا بإبطاء تنفسه ودقات قلبه، عندما يقوم طاوي بالضحك لدرجة الإغماء، هذه ليست جملاً بسيطة، إنّها تجارب حية.

رفع الأستاذ كتفيه لامبالياً.

– حسناً، أنا لا ألومك.

قال ذلك وهو يمرّر يديه على سترته الأنيقة، كما لو أنّه يريد تصحيح طيات وهمية.

شعرت أنّ هناك موجة تتصاعد في داخلي وسوف تتملكني عمّا قريب. موجة من غضب قديم قد تحرّر فجأة. إنّ هذا الرجل يمثل كلّ ما يغضبني مذ كنت طفلاً. كل هؤلاء الناس الذين يعتقدون أنّهم يعرفون كلّ شيء، والممتلئون باليقين والذين لا يريدون على وجه الخصوص سماع أي شيء جديد يمكن أن يثير تساؤلاتهم حول عاداتهم اليومية البسيطة. إنّ هذا الفاحص يثير غضبي بهذه الهيئة القنوعة لرجل يمتلك سلطة محدودة، وينوي فعلياً استخدامها ليعطي معنى لوجوده.

انفجرت قائلاً:

– طرحتَ عليّ سؤالاً وهو: «هل للحرية الفكرية وجود؟» وفي الواقع، أنت هنا بالضبط لمنعها! إنّ أصالة أفكاري لا تهمك. كلّ ما يهمك هو التحقق من أنّ أفكاري تشبه أفكارك أو على الأقل، إن كنتُ قادراً على تقليدها.

– إنّ سبينوزا لديه جملة رائعة تشرح خطأك. يقول فيها...

– إنّ أفكارك ليست سوى نسخة رديئة عن أفكار كبار المفكرين الذين تستشهد بهم. هل تساءلت يوماً ما هي أفكارك أنت الشخصية بعيداً عن كبرى الأفكار التأسيسية الخالدة؟ هل سبق وأن خطرت ببالك في حياتك كلها فكرة واحدة شخصية من بنات أفكارك؟ كلا. أنت لست سوى... شخص... (أبحث عن أسوأ إهانة)... شخص... مُقلّد مثل آلة التصوير.

خرجت صافعاً الباب خلفي. إنّها المرة الأولى في حياتي التي أجد فيها نفسي في خضمّ تمرّد مفتوح. ترك هذا في داخلي شعوراً بالاشمئزاز من نفسي. كيف لهذا الفاحص عديم الجدوى أن يجبرني على الخروج عن طوري؟

رسبت في امتحان شهادة الثانوية العامة. لذا سيتوجب عليّ النجاح في الحياة من دونها.

لقد ازداد الشعور في داخلي أنّني «جرذ مستقل». وأفضل الآن الخروج من النظام.

وبّختني عائلتي. لقد ضاقوا ذرعاً من كسلي ونزواتي. كان أمامي ثلاثة خيارات: إمّا المواجهة، أو عدم القيام بشيء، أو الهروب.

اخترت الهروب.

في اليوم التالي، فتحت حصّالتي، وجمعت المال الذي حصلت عليه بفضل بيع قصصي القصيرة، واستقليت القطار إلى باريس بصحبة القطة موناليزا وحاسوبي الشخصي فقط. وبعد ظهر ذلك اليوم، وجدت غرفة في الطابق السادس لمبنى دون مصعد بجانب محطة إيست. كان السرير يشغل تسعين بالمائة من مساحة الغرفة.

غضبت موناليزا لأنّني لا أملك تلفازاً، فراحت تقفز بهيستيرية. أخذت تشير لي بأقدامها إلى المأخذ الكهربائي والمأخذ الهوائي، في حال كنت لم ألاحظ ذلك بعد.

بعد مضي بضعة أيام على المنوال ذاته دون تلفاز أصاب موناليزا وهن شديد. لم تعد تتناول الطعام، وصارت ترفض مداعباتي، كما توقفت عن المواء، وصارت تبصق ما إن أقترب منها.

وجدت البارحة موناليزا ميتة على الطاولة حيث كان من الممكن أن أضع عليها التلفاز... دفنتها خلف حرش في حديقة عامة. وكشاهدة للقبر، وضعت فوق القبر الصغير جهاز تحكم للتلفاز جلبته من سلة قمامة. عدت بعدها إلى جمعية رعاية الحيوانات، وتبنيت موناليزا اثنان تشبه تماماً موناليزا الأولى في شبابها؛ الفراء ذاته، والنظرة ذاتها، والسلوك ذاته.

هذه المرة، لم أقع في الخطأ نفسه. اقتصدت من ميزانية الطعام لأقوم

بالدفعة الأولى اللازمة لشراء تلفاز مستعمل. وبعد شرائه، ظلّ يعمل من الصباح حتى المساء، حيث تبقى موناليزا II مزروعة أمامه، وهي ترف بجفنيها بهدوء.

ربما تكون هذه الحالة نتيجة التطور العام للنوع. فلم يعد هناك أيّ شيء في أعماق قططي يربطها بالقطط السنورية البرية. لم يبقَ سوى حيوانات بدينة ومتأقلمة ليس على عيشة الأدغال وإنّما على مشاهدة التلفاز، والعيش في صالونات بأرضيات مغطاة بالسجاد، رافضة اللحوم النيئة ومفضلة ابتلاع طعام القطط المعلب والجاهز.

لاحظت رغم ذلك فرقاً بسيطاً بين قطتيّ الموناليزا: كانت الأولى تحب مشاهدة برامج المسابقات، في حين أنّ الثانية ترتعش مسرورة بمشاهدة الأخبار اليومية. لا أعرف لماذا تفضل هذه القطة الحروب، والأزمات الاقتصادية والهزات الأرضية. إنّها حيوان منحرف بلا شك.

بما أنّه صار يتوجب عليّ دفع إيجار الغرفة وأقساط التلفاز، ولم تكن عوائد مبيعات قصصي كافية، لذا رحتُ أتنقل بين الوظائف الصغيرة. فعملت موزّع إعلانات أضعها في صناديق البريد، وعامل توصيل للبيتزا.

والآن أعمل نادلاً في إحدى الحانات.

أعمل من الساعة الواحدة ظهراً حتى منتصف الليل. إنّ حياة عامل المطعم ليست ممتعة حقاً. فعمال المطبخ سريعو الغضب، والزبائن متقلبون وصبرهم قليل، والمدير يزيد علينا الضغط. شرح لي زميل متعاطف أنّ علينا الانتقام لأنفسنا، كي لا نبقى دائماً في حالة خضوع، وخشية من الإصابة بالأمراض بسبب هذا الكبت. أظهر لي كيف يفعل ذلك قائلاً: إن كان أمامي واحد من الزبائن غير المرغوب فيه، أبصق فوراً في صحنه.

– هذا ليس أمراً ذا أهمية، ولكنّه يجنبني أن أصاب بالقرحة.

من كثرة الركض من الصالة إلى المطبخ ومن المطبخ إلى الصالة، نبت لديّ مسمار لحم في قدميّ. إنّ البخشيش الذي أحصل عليه قليل. حينما أعود في المساء أكون منهكاً، فأجلس لأشاهد الأخبار.

هناك حرب في الشيشان.

هلع في أوروبا بسبب أزمة جنون الخنازير. (استهلاكه يسبب تنكساً في خلايا الدماغ وأعراضاً شبيهة بأعراض مرض باركنسون). يتظاهر المزارعون ضد قرار لجنة بروكسل بقتل قطعانهم المصابة.

مقتل ممثلة مشهورة من قبل مهووس يُعجب بأجمل ممثلات هوليوود، ويقوم بخنقهنّ برباط الحذاء.

ارتفاع أسعار البورصة. إصلاح جديد في النظام الضريبي أدى إلى ارتفاع الضرائب. إضراب وسائل النقل العامة. مسابقة اختيار ملكة جمال الكون. اختيار بابا جديد للفاتيكان...

البابا... فكرت للحظة بإعادة العمل على قصتي القصيرة، «وكيل البابا»، لأصنع منها رواية، ولكن نظراً للسرعة التي يتغير فيها العالم، فإنّ قصة الخيال العلمي هذه تخاطر بأن تجد نفسها قد عفا عليها الزمان. فهم قادرون حقاً على اختيار حاسوب ليكون البابا. لذلك استأنفت العمل على روايتي حول الجرذان.

وضعت قواعدَ للعمل. قررت الكتابة كل الأيام منذ الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة والنصف، مهما جرى، أو أينما كنت، أو مع أيّ كائن كنت. اشتريت عبر بطاقة الائتمان حاسوباً آخر محمولاً ذا شاشة مسطحة، ودخلت في دورة لتعلم الكتابة على الحاسوب كي أتمكن من الكتابة بأسرع ما يمكن.

## 87. إيغور– 17 عاماً ونصف

ضربت الرجل على بطنه حتى تكلم، فكشف لنا في نهاية الأمر أنّ المدافع المضادة للدبابات مخبأة في الحظائر أعلى الجبل. هنّأني الرفاق على عملي.

لقد تمّ إرسالنا إلى الجبهة الجنوبية بعد تدريب سريع ومكثف لمدة ثلاثة أسابيع. تعلّمت العمل بسرعة. نهجم، نقتل، نحضر أسرى، نعذبهم، فيعترفون، ونعلم بذلك ما هو هدفنا لليوم التالي.

لا حاجة للقول إنّه بعد جناح العزل الحسي في المصحّ، فإنّ الحرب في الشيشان تُعتبر جنة بالنسبة لي.

إنّ مجموعة قواتنا الخاصة تمّ تعميدها باسم «الذئاب» من قبل الكولونيل

دوكوسكوف، ووضعنا جميعنا شعاراً يمثّل رأس ذئب على بدلتنا العسكرية. أشعر بالارتياح خلف جلد الذئب. الغابة والصراع ومشاعر الأخوة مع الذئاب الأخرى تبدو لي جميعها وكأنّها كانت محفورة في داخلي منذ الأزل. كلّ ما فعلته هو إيقاظ الوحش الغافي في داخلي.

قمنا بالتخييم وتناولنا العشاء حول النار. لست اليتيم الوحيد في القوات الخاصة، ولست الوحيد أيضاً الذي كنت في مركز إعادة تأهيل الأحداث في نوفوسيبيرسك، ولست الوحيد الذي كان في مصح المجانين في بريست - ليتوفسك.

لا حاجة لنا للتحدث مع بعضنا بعضاً. لقد تعرضنا لجراح رهيبة في شبابنا وقد أتينا إلى هنا على وجه التحديد لنسبّب مثل هذه الجراح للآخرين.

لم يعد لدينا أيّ شيء لنخسره.

غرس الرقيب الأول في أذهاننا هذه الفكرة: «ليس للقوة أيّة أهمية، ما يؤخذ بعين الاعتبار هي السرعة». وقد أصرّ على شعار مجموعة قواتنا الخاصة، قوات الذئاب ألا وهو: «كن سريعاً أو ستموت».

قال لنا أيضاً: «بين اللحظة التي يقرّر فيها الخصم توجيه الضربة واللحظة التي ستتلقى فيها الضربة في وجهك، يمر وقت لا نهاية له».

منذ ذلك الحين، أنجح في إنجاز الكثير من الأشياء بين اللحظة التي ألمح فيها أبسط لمعة تحدٍّ في نظرة الخصم وبين الضربة التي توجّه لي.

أجبرنا الرقيب على القيام بجميع أنواع التدريب لتطوير هذه الإمكانية للتحكم بالوقت. كما علّمنا أيضاً من بين الأمور الأخرى، فن رمي الكرات. لممارسة هذه اللعبة، نقذف الكرة الأولى وقبل أن تسقط من جديد، نكون قد قذفنا بالكرة الثانية وهكذا تباعاً. إنّ مفهوم الثانية أصبح فجأة واسعاً جداً. إن كان أغلب الناس ينجحون في إطلاق كرتين بثانية واحدة، فأنا أنجح بقذف سبع كرات. هذا يعني أنّني أملك حظاً مضاعفاً بالبقاء على قيد الحياة أكثر من «أغلب الناس».

سوف تلتحق بنا بعد قليل مجموعتان جديدتان من القوات الخاصة، وسنصبح مجموعة مؤلفة من خمسة وثلاثين رجلاً مكلفين بالسيطرة على

موقع محتل في قمة الجبل من قبل ما يقارب خمسين محارباً شيشانياً مدعومين من أبناء القرى المجاورة.

هذه المرة أيضاً، لم يتدخل القادة الاستراتيجيون ذوو السترات الأنيقة في مركز القيادة، وقاموا بمنحنا تفويضاً مطلقاً بالقيام بما نراه مناسباً. إنّ هذا من حسن حظنا! أتفحص الهدف من خلال المنظار. لن يكون الأمر كشربة الماء، فهناك غابة قريبة جداً يمكن أن تكون تعزيزات الخصم مخبأة فيها.

مرّرنا علب دهان التمويه فيما بيننا، وقمنا ندهن وجوهنا.

## 88. فينوس

أضع المكياج. أرسم خطّ كحل على جفنيّ، وأغطي شفتيّ بأحمر شفاه خفيف البريق، وأحدّد الزوايا بقلم بنيّ.

لم أبدِ أسلحتي بشكل كافٍ حتى الآن. كي أكون مثيرة تماماً، وبصرف النظر عن أنّ اللجنة تمنع ذلك، ولكنّني اشتريت حمّالة صدر «وندربرا» بغية إضفاء حجم أكبر لثدييّ.

جميع الوسائل أصبحت جاهزة للفوز بالمعركة.

## 89. موسوعة

النصر: يهدف التعليم الحالي بمعظمه إلى تعليم كيفية إدارة الخسائر. يتم تحذير الأطفال في المدارس من أنهم قد يواجهون صعوبات في إيجاد عمل حتى وإن حصلوا على شهادة الثانوية العامة. وضمن نطاق العائلة، نجبر أنفسنا على تحضير الأبناء لفكرة أنّ أغلب الزيجات تنتهي بالطلاق، وأنّ أغلب رفاق الحياة سيثبت الزمن أنهم مخيبون للآمال.

كما تحافظ شركات التأمين من جهتها على تشاؤمها العام: عقيدتهم هي: هناك احتمال كبير أن تتعرضوا لحادث سيارة أو حريق أو فيضان. لذا كونوا حذرين، وقوموا بالتأمين على أنفسكم.

أمّا بالنسبة للمتفائلين، فإنّ الأخبار تذكرهم صباحاً وظهراً ومساءً أنّه ليس هناك مكان في العالم يعيش فيه الناس بأمان. استمعوا إلى الدعاة المبشرين؛ جميعهم ينذرون باقتراب نهاية العالم أو بوقوع الحروب.

**فشل عالمي، وفشل محلي، وفشل فردي، والوحيدون الذين يتم سماع أقوالهم هم أولئك الذين يتحدثون عن غد قاتم. أيّ منجم يجرؤ على الإعلان أنّ كلّ شيء سيتحسن في المستقبل؟ وعلى المستوى الفردي، من يجرؤ في المدرسة على تعليم الأطفال: ماذا تفعل إذا حصلت على أوسكار أفضل دور؟ كيف تتصرف إن ربحت في مسابقة جراند شلام لكرة المضرب؟ ماذا تفعل إن توسعت شركتك الصغيرة وأصبحت متعددة الجنسيات؟**

**النتيجة: عندما يأتي النصر، يجد الفرد نفسه وحيداً في حالة لم يعتد عليها، وفي كثير من الأحيان يكون مرتبكاً لدرجة أنّه يقوم سريعاً بترتيب أموره كي يفشل ويجد نفسه من جديد في حالة «طبيعية» معهودة.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 90. جاك

أنتعل حذاء المنزل، وأجلس على كرسي مريح. أفصل الهاتف الأرضي، وأوصد الباب بالمفتاح جيداً، وأضع القطة على ركبتيّ. أغلق عينيّ برهة كي أركز على المشهد، وأستعد للكتابة. ها قد بدأت الشخصيات تنبض بالحياة في ذهني.

## 91. إيغور

أراهم، إنّ جميع أعدائنا هناك في أعلى التلة. أحمل ذخيرتي، أدس خنجري في حذائي، حتى إنّني أحشر حبة السيانيد الصغيرة في سني المنخور. هذه هي التعليمات. يقال إنّ الشيشانيين ساديون، ولكن سوف أتفاجأ بشدة إن استطاعوا جعلي أتكلم. إنّ جلدي سميك. شكراً يا أمي، منحتني هذا على الأقل.

## 92. فينوس

سحقاً. لقد كسرتُ ظفري. اللعنة! اللعنة! اللعنة! ليس لدي الوقت لإصلاحه بوضع ظفر اصطناعي. لقد أشاروا الي أنّ دوري قد اقترب. لا تجزعي.

## 93. إيغور

إنّها الإشارة. هيا، جاء دورنا. يقف على يميني ستانيسلاس. لماذا أنا صديق جيد له؟ لأنّه المسؤول عن إطلاق قاذفة اللهب. إن كنت غير راغب بأن أصاب عن طريق الخطأ برمية من الوقود المشتعل، فمن الأفضل البقاء بجانبه. إرادتي بالبقاء حياً تقرر الآن من هم أصدقائي. علمتني تجربتي مع فانيا عدم اختيار أصدقائي وفقاً لما أستطيع أنا أن أقدمه لهم، وإنما وفقاً لما يستطيعون هم تقديمه لي. انتهى زمن الشفقة، أصبحت المصلحة فقط هي التي تؤخذ بعين الاعتبار.

أتفحص بالمنظار هدفنا من جديد على التلة.

– لن يكون الأمر سهلاً. قلت ذلك لستانيسلاس.

– لا أخشى شيئاً، لديّ ملاكي الحارس الذي يحميني. هكذا أجابني.

ملاك حارس...

– نعم. لدينا جميعنا ملاك حارس ولكنّ الكثير منا ينسون استدعاءه عندما يحتاجونه. أمّا أنا فلا أنسى. قبل أن أبدأ بالهجوم، أناديه وأشعر أنني محميّ.

أخرج ميدالية ذهبية مزخرف عليها صورة ملاك باسطٍ جناحيه، وقام بوضعها على شفتيه.

– أيها القديس ستانيسلاس، خاطبه بذلك.

أمّا أنا، فعلى الميدالية التي أضعها حول رقبتي، توجد صورة لأبي، ولكن حتى وإن عثرت عليه في يوم ما فليس كي أباركه.

ابتلعت جرعة من الفودكا كي أدفئ نفسي. وضعت في جهاز المسجل شريطاً يعطي طاقة حماسية عالية. لن أضع بالطبع موسيقا غربية منحطة بل قطعة كلاسيكية جميلة من بلدنا تشعل الروح السلافية لديّ: *ليلة على الجبل الأجرد*. إنّها ملائمة جداً لأنّه هناك في الأعلى، على هذا الجبل الشيشاني الأجرد، ستكون هذه ليلتهم الأخيرة.

## 94. تقنية السيطرة على السرعة

أعمل أنا وفريدي وراؤول ومارلين مونرو على تطوير إجراء للملاحة

الفضائية يتناسب مع حالتنا كملائكة. كي نتدرب بشكل أفضل، ابتعدنا عن الجنة ورحنا نتمرن تقريباً فوق النظام الشمسي، في منطقة الفراغ النجمي.

نختبر أولاً الدفع.

بما أنّنا متحررون من الجسد المادي، فإنّنا لا نخضع بالتأكيد للاحتكاك ونحلق أسرع بآلاف المرات من صاروخ من صنع البشر. ولكن بسبب المسافات الشاسعة تبدو كلّ هذه السرعة وكأنّها بغاية البطء.

من كثرة المحاولات، نجحنا في الوصول إلى ما يقارب ألف كيلومتر في الثانية، ومن ثمّ إلى خمسة آلاف كيلومتر في الثانية.

– نستطيع أن نسرع أكثر، قال فريدي.

أفكر إذاً بمسافة أبعد من هذا، وأنا ألقي بنظري إلى البعيد. إنّنا جميعنا نسرع أكثر. وصلنا إلى عشرة آلاف كيلومتر في الثانية، ومن ثمّ ثلاثين ألف كيلومتر في الثانية، وبعدها مائة ألف كيلومتر في الثانية.

مائة ألف كيلومتر في الثانية! مجرد التفكير في الأمر، يجعلني أصاب بالدوار.

كما دائماً، يسعى راؤول إلى المزيد:

– ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، أي سرعة الضوء، هذا ما يجب أن ننجح في الوصول إليه.

– لن نخسر شيئاً إن حاولنا. قال فريدي.

انطلقنا مع بعضنا. مائة ألف، مائة وخمسون ألفاً، مائتا ألف، ها نحن ذا: ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية! بهذه السرعة، نستطيع رؤية جزيئات الضوء، الفوتونات الشهيرة، التي تندفع بوتيرة اندفاعنا نفسها. إنّها تساعدنا في معرفة سرعتنا بالضبط. عندما تبدو الفوتونات ثابتة، هذا يعني أنّنا نسير بالسرعة نفسها. إنّني أنجح حتى في تجاوزها قليلاً!

لم يعد جسدي سوى عبارة عن سرعة، وسيولة هائلة. إنّني أتزحلق في الكون كما لو أنّني أتزحلق على طاولة هائلة الحجم بالكاد يشوّهها وزن بعض النجوم الموضوعة فوقها.

إنّنا نمضي بسرعة.

بل بسرعة هائلة.

«سرعة»، هذه الكلمة عاجزة عن وصف الإحساس. إنّنا مثل القذائف التي تجتاز الفضاء. لم تعد هذه رحلة. لم نعد مجرد كائنات سريعة. إنّنا... أشعة مضيئة.

## 95. موسوعة

**معضلة السجين: قام عالما الرياضيات ميلفين دريشر وميريل فلود في عام 1950م بابتكار نظرية معضلة السجين[1]. وهذا ما شرحاه: لنتخيّل أنّه تمّ توقيف مشتبهٍ بهما أمام بنك وتمّ سجنهما في زنزانتين منفصلتين. ومن أجل حثّهما على الاعتراف بمحاولتهما القيام بعملية السطو، قدمت لهما الشرطة اقتراحاً.**

**إن لم يعترف أيّ منهما، سوف يُحكم عليهما بالسجن سنتين. إن اتهم أحدهما الآخر وهذا الآخر بقي صامتاً، فسوف يُطلق سراح الأول وسيُحكم على من بقي صامتاً بالسجن مدة خمسة أعوام.**

**إن اتهم كلّ منهما الآخر، فسينالان كليهما عقوبة السجن لأربعة أعوام.**

**يعلم كلاهما أنّ الآخر قد عُرض عليه العرض ذاته. ماذا سيحدث إذن؟ سيفكر الاثنان: «أنا متأكد أنّ الآخر سينهار، وسوف يوجه التهمة لي وسأسجن بالتالي خمسة أعوام، بينما هو سيصبح حراً، إنّ هذا بالفعل غير عادل». إذاً وبشكل طبيعي، ستخطر في بال كلّ منهما الفكرة ذاتها: «من ناحية أخرى، إن اتهمت الآخر سأصبح على الأرجح حراً، ولن يفيد شيئاً أن نكون كلانا مسجونين في حين أنّه يمكن لأحدنا أن ينجو من هذا».**

**في الواقع، وبمواجهة هذا الموقف، فإنّ الغالبية العظمى من الأشخاص المُختَبرين يتهمون الآخر. ولكن نظراً لأنّ الشريك أيضاً يكون قد فكّر بالطريقة ذاتها، فإنّ الاثنين يجدان نفسيهما محكومين بالسجن لأربعة أعوام.**

---

1- من أهم نظريات الألعاب التي تعد وسيلة في التحليل الرياضي، ولها أهمية كبيرة في العلوم الاقتصادية، حيث تهتم بدراسة استراتيجيات التصرف أو العمل في ظل منظومة ذات قواعد معينة (هذه القواعد تسمى اللعبة). المترجمة.

**في حين أنّهما لو فكرا بالأمر، والتزم كلاهما الصمت لكانا أمضيا عامين فقط في السجن.**

**الأغرب من ذلك: إن أُعيد إجراء التجربة من جديد ولكن بترك الشخصين يتناقشان سوية، فسوف نصل مع ذلك إلى السلوك نفسه تقريباً. لأنّ الاثنين، حتى بعد توصلهما لخطة مشتركة، ينتهي الأمر بهما رغم ذلك بخيانة أحدهما للآخر.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 96. جاك

لا يزال ينقصني شيء ما لأنسجم بشكل تام مع شخصياتي. إنّها الموسيقا. اكتشفت أنّ الموسيقا يمكن أن تساعدني على الكتابة بشكل أفضل. أضع السماعات على أذني وأغرق في الاستماع إليها. لا تسمح لي السماعات فقط بإدراك الأصوات بشكل أفضل، بل تعزلني أيضاً عن العالم الخارجي حيث تنتشر الضجة «العادية» لهذا الواقع. إنّ الموسيقا تصبح عنصراً داعماً لفكري، فهي تعطي إيقاعاً لكتابتي. عندما تكون الموسيقا متقطعة، أكتب جملاً قصيرة. وعندما تتتابع معزوفات طويلة لآلة منفردة، تطول جملي. أختار الموسيقا الكلاسيكية من أجل مشاهدي الهادئة والمسالمة، وأختار موسيقا «الهارد روك» لمشاهد الحروب، وموسيقا «العالم الجديد» من أجل مشاهد أحلام اليقظة.

الموسيقا هي وسيلة حساسة للاستخدام. يكفي سماع القليل منها كي تتحول هذه المساعدة إلى إزعاج. وأحياناً يكفي سماع بضع كلمات غير ملائمة كي يتشتت تركيزي.

علمتني التجربة أنّ أفضل الموسيقا التي تتناسب مع الكتابة هي الموسيقا التصويرية الأصلية للأفلام، لأنّها تكون محملة أساساً بالكثير من المشاعر والتشويق. أحياناً، عندما تتزامن الموسيقا مع المشهد الذي أكتبه، أشعر كما لو أنّني في حلم يقظة جميل.

## 97. فينوس

تعلن الترتيبات الأولى لِـ «*هكذا تكلم زرادشت*» عن تقديم المرشحات لجائزة ملكة جمال الكون. أنا متوترة.

يجب على الأخص ألّا أرتجف، فهذا سيكون ظاهراً. هرعت إلى حقيبتي وأخرجت منها علبة مهدئات. أعرف أنّ أمي غالباً ما تلجأ إليها. حبتان كحد أقصى يومياً، هكذا تنصح النشرة. ابتلعت ست حبات. إنّني متوترة حقاً.

يجب أن أحصل على لقب ملكة جمال الكون. عليّ ذلك. بالكاد أستطيع التمايل والتبختر، إنّني أتقدم نحو الأضواء الكاشفة.

## 98. إيغور

طلع الفجر. ما زالت السماء ملونة بالأحمر الغامق. نلمح أضواء صغيرة على التلة، كما لو أنّها بقع نار في هذه السماء الملونة بالدم. يتصاعد الدخان من المدافئ. إنّ الخراف في الحظيرة، وعلى الذئاب مباغتتها.

## 99. رحلة كونية- إدارة الرحلة

بعد ضبط السرعة، نسعى الآن لتطوير وسيلة تساعدنا في معرفة مكاننا كي نستطيع التحرّك في الفضاء. إنّنا بحاجة لوضع خريطة ثلاثية الأبعاد للكون. إنّ العمل شاق جداً لأنّ الكون لا نهاية له، ومن الصعب جداً رسم خريطة لمكان لا نهاية له...

ما هي المنهجية التي يجب اعتمادها؟

اقترح فريدي رسم خط وهمي على سطح الجنة واعتبارها «الأرض»، «الأسفل». كل ما هو موجود فوق في الأعلى يصبح بالنسبة لها «الأعلى». إذاً، كلما ابتعدنا عن المجرة، «صعدنا» أكثر. وبالنسبة لجهة اليمين والشمال، يكفي الاستعانة بقواعد الإبحار، «ميمنة» كل ما يوجد على يمين وجهتنا، و«ميسرة» كل ما هو يسارنا.

- وكيف يمكننا تحديد الجهات الوسيطة؟

- مثلما يفعل الطيارون، دعونا نستخدم مقياس الساعة، قال راؤول.

عند الساعة الواحدة، نتوجه يميناً، وعند الساعة الثالثة نسير بخط متعامد مع الميمنة، وعند التاسعة نسير بخط متعامد مع الميسرة.

الآن، وكما في عهد الثاناتونوتس، لدينا طريقة لمراقبة اتجاه الطيران، وبفضلها سنحاول استكشاف *الأرض المجهولة* الجديدة.

## 100. جاك

كي أتخيّل بصورة أفضل المشاهد التي تجري في المجارير والسراديب، صرت أرسم الأماكن. لكل مشهد منها، أرسم الأشياء الموجودة في الجوار وأماكن تواجد الشخصيات ومنابع الضوء.

## 101. فينوس

أنا في دائرة الضوء، وأشعر بنظرات الجمهور ولجنة الحكم التي تدقق فيّ من أخمص قدميّ حتى شعري. أعطاني شخص من التنظيم بطاقة عليها رقم. شرح لي أنّه عليّ التلويح بها عالياً كي تستطيع اللجنة والجمهور التعرّف إليّ. رفعت البطاقة. لم يتملكني الخوف في حياتي مطلقاً كما يتملّكني الآن. أشعر بالبرد.

## 102. إيغور

يبدو أنّ هذا الصباح لا نهاية له. تحول لون السماء من الأحمر إلى البرتقالي. أصوات الرصاص تصفر في كلّ مكان حولنا. هناك إطلاق نار في شتى الأنحاء. من الصعب في خضم المعركة استيعاب ما يجري حقاً، ومن الطبيعي أن نكون نحن، جنود المشاة في أرض المعركة الأقل اطلاعاً بمجريات الأحداث. للحكم على الواقع، يجب أن تكون قادراً على الحصول على رؤية شاملة من الأعلى.

إنّ حالنا هنا يشبه من يعاني قصر نظر. إنّنا ملتصقون جداً بالأخبار لدرجة أنّنا لم نعد نميز بينها. الأسوأ من هذا، أنّه غداً أيضاً سيكون الغرب، بأقماره الصناعية، هو من يمتلك أفضل الصور عن إنجازاتنا. يجب أن نجتاح سريعاً بلادهم ونسرق منهم كلّ ذلك.

تجنّبت بصعوبة قذيفة تمّ إطلاقها من مكان قريب. ليس هذا هو الوقت المناسب للتفلسف.

## 103. فينوس

أنا جائعة. أقوم بدوري، أتمايل في مشيتي قليلاً، ومن ثم أبتسم، وأسير بعدها ثلاث خطوات، وأقف بعدها. أعود وأتمايل من جديد، أبتسم، أحرك قليلاً رأسي كي أظهر شعري. أحاول عدم رفع ذقني كثيراً، كوني لا أملك جبهة جميلة لأظهرها!

## 104. رحلة كونية- المعيّن

تلمع نجمة أمامنا، إنها نجمة النسر الطائر. قمنا بدورة حولها.

– عند الساعة العاشرة نتجه ميسرة إلى الأمام!

استدرنا نحن الأربعة بشكل جيد.

اقترح فريدي أن نقوم بتصويب مسارنا بشكل أفضل. لذا اقتربنا من بعضنا أكثر حتى شكّلنا معيّناً. كان راؤول في المقدمة الأمامية، لأنّه الملاك الأكثر جرأة بيننا. وفريدي يميناً وأنا شمالاً ومارلين مونرو في الخلف. رحنا نمدّ أذرعتنا كما لو أنّنا نسبح. سمح لنا هذا بتحديد المسافة بيننا أكثر. تشكل أجسادنا المجتمعة مركبة هوائية تخترق الفضاء.

– ميمنة، عند الساعة الثانية، اقترح فريدي.

استدرنا جميعنا نحو اليمين، ولكن بزوايا قليلة الاختلاف. يجب استعادة الشكل الذي كنا عليه.

– ميسرة، الساعة الثامنة.

كانت زاوية ضيقة أكثر جعلتنا نستدير. هذه المرة، نحن في انسجام أكبر. تغير المشهد أمامنا بوجود دليل واحد لنا هو كوكبة الطائر[1].

أدركت فجأة المصاعب التي تواجه فرق استعراض الطائرات البهلوانية

1- كوكبة الدجاجة أو الطائر، هي كوكبة في نصف الكرة السماوية الشمالية. المترجمة.

الجوية للوصول إلى توافق وانسجام في حركاتها في السماء. ولكن، بسرعة الضوء هذه، يكون الوضع أكثر تعقيداً. ولكنّ إعلان «انتباه، جاهزون؟» قبل «الساعة الثانية» أو «الساعة الثامنة» يسمح لنا رغم ذلك بالتحكم بالمنعطف.

– انتباه، جاهزون؟ إلى الخلف عند الساعة السادسة، اقترحت مارلين مونرو.

أصبح شكل المعيّن مثل فطيرة الكريب. بقيت مارلين مونرو ثابتة في مكانها، في حين أنّ راؤول أجرى نصف دورة للأعلى. عدنا ورأينا أمامنا كوكبة الطائر. نحن فخورون بتقدمنا.

نرسم حلقات، وشكل ثمانية، بالإضافة للشكل الحلزونيّ، إنّنا ننوّع من الأشكال لمحاولة جعلها تتطور إلى هياكل هندسية جريئة.

## 105. موسوعة

اختبار هندسي: اختبار نفسي صغير لمعرفة شخص ما جيداً باستخدام القوة الرمزية للأشكال الهندسية. ارسم ستة مربعات منفصلة على ورقة.

ارسم في المربع الأول دائرة.

ومثلثاً في المربع الثاني.

ودرجاً في المربع الثالث.

وصليباً في المربع الرابع.

ومربعاً في المربع الخامس.

وفي المربع السادس ارسم «3» بشكل معكوس كي تشكل حرف «m».

اطلب من أحد ما إكمال كل شكل هندسي حتى الحصول على رسم غير تجريدي.

وبعدها اطلب منه وضع صفة بجانب كل رسمة.

بمجرد انتهاء العمل، تفحص الرسوم مع العلم أنّ:

الرسم بجانب الدائرة: يعبر عن الطريقة التي ينظر فيها الشخص إلى نفسه.

الرسم بجانب المثلث: يعبر عن الطريقة التي يتوقع فيها المرء ماهيّة آراء الآخرين به.

**الرسم بجانب الدرج: يعبر عن الطريقة التي يرى فيها الحياة بشكل عام.**
**الرسم بجانب الصليب: يشير إلى كيفية رؤيته لروحانيته.**
**الرسم بجانب المربع: يعبر عن الطريقة التي يرى فيها العائلة.**
**الرسم بجانب «3» المعكوسة: تعبر عن الطريقة التي يرى فيها الحبّ.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 106. إيغور

إنّ مشاعر الحقد تجتاحني. قفزت على شيشانيّ، ووجهت له ضربة على رأسه وتحديداً على جبهته، فصدر صوت خشب جاف يتكسر. بدأ ينزف ويلوث ملابسي العسكرية بدمائه. في هذه الأثناء كان قد قفز فوقي واحد آخر، إنّه يتحداني. اتخذت من جديد وضعية المواجهة، فتبادرت إلى ذهني جملة ذكرتني أنّه: «يمر وقت لا نهاية له بين اللحظة التي يقرر فيها الخصم توجيه الضربة وبين تلك اللحظة التي ستتلقى فيها تلك الضربة».

إنّ لمعة التحدي واضحة في نظرته، ولا تفارق عينيه، والآن تنظر عيناه إلى الأسفل. قدمه اليمنى! إنّه ينوي توجيه ركلة إلى بطني. أضع نفسي في حالة من الإدراك البطيء للزمن. منذ هذه اللحظة، كل شيء سيجري كما في الأفلام، صورة إثر صورة.

تصعد قدمه اليمنى. حركة بسيطة من الورك وأستدير إلى الجانب، ويداي تتقدمان إلى الأمام.

إنّه لا يلمح حركتي ويكمل رفع قدمه تماشياً مع نيته الأساسية. أمسكت بحذائه، وهو يتابع حركته وقذفته في الهواء. سقط بشدة. أسرعت إليه، وبدأنا بالقتال جسداً لجسد. قام بعضّي، فأخرجت سكيني، فأخرج سكينه. إنّنا مثل وحشين برّيين غاضبين يتعاركان بأنيابهما. مشاعر ومعلومات تتدفق إلى دماغي. تتسارع ضربات قلبي. فتحات أنفي تبحث عن الهواء. إنّ هذا يعجبني.

تتردّد بقوة في أذني موسيقا *ليلة على الجبل الأجرد* للمؤلف موديست

موسورسكي. يصرخ خصمي كي يستجلب القوة لنفسه. تدخل صرخته في تناغم مع الموسيقا في رأسي.

إنّه نزال بالسكاكين.

ضربة من ركبتي جعلت سكينه تطير. لذا أخرج مسدسه.

ما زال غير سريع بما يكفي لإثارة قلقي. بنقرة من معصمي، سيطرتُ على سلاحه، وقمت بتصويبه تجاهه، وأجبرته على الضغط بنفسه على الزناد، فخرجت الطلقة، وأحدثت ثقباً في سترته القطنية الخضراء.

لم يكن سريعاً بما يكفي. لقد مات.

## 107. جاك

إنّ مشاهد المعارك بين الفئران في المجارير لا ترضيني، فهي ليست مقنعة. لا أشعر أنّني هناك عندما أعيد قراءة نصّي.

فجأة، أسمع جملة ترنّ في رأسي، كما لو أنّ ملاكاً همسها في أذني. تقول: «قُم بالعرض أكثر من الشرح».

يجب أن أضع أبطالي في حركة مستمرة دون توقف، وستظهر نفسياتهم عبر سلوكهم وليس من خلال حواراتهم. رحت أدرس حياة الجرذان أكثر.

هذا ليس كافياً بعد. يجب معرفتهم بعمق أكثر، وإلّا فسوف يشعر الجمهور بعدم التناسق. لذا ذهبت إلى متجر الحيوانات الأليفة واشتريت ستة جرذان. أربعة ذكور وأنثيين. هذه هي الطريقة الوحيدة لتحري الدقة، ألا وهي مراقبة الواقع فعلياً.

استقبلت قطتي هؤلاء الزوار بأنياب مهدّدة ونظرة قاتمة. لا أعرف إن كانت تتذكر أنّه من المفترض أن تقوم هي بصيدهم، ولكن نظراً لسلوكها يبدو بالأحرى أنّ ما يحدث هو العكس.

ضيوفي الستة الجدد ليسوا بحاجة للسباحة كي يحصلوا على قوتهم، ومع ذلك أدركت سريعاً أنّه قد تمّ فعلياً توزيع الأدوار فيما بينهم. فهناك ذكر واحد يُرهب الجميع وأنثى مستضعفة.

أتردّد، ومن ثمّ أتراجع عن التدخل، لسنا في فيلم والت ديزني. إن كان الجميع غير لطيف في الطبيعة، فليس بفرض القوانين سنغير سلوك النوع الحيواني.

أحاول إذاً مراقبتهم بطريقة حيادية وتسجيل ما أراه بدقة من جهة بالإضافة إلى تسجيل الطريقة التي يمكن بها تفسير هذا السلوك من جهة أخرى، وذلك بالقيام بأقل قدر ممكن من الأنسنة[1]. إنّ ملاحظاتي تثري نصوصي.

لإضافة التأثير البصري، أرسم وجوههم. إنّ الرسوم تتزايد. أصمم في عقلي كاميرا تحدِّد زوايا اللقطات. أمثّل في رسوماتي اللقطات المتحركة، والصور القريبة، واللافتات. هذا يساعدني بشكل هائل. والآن في معاركي، مع أنّها رواية أدبية، توجد لقطات مقرّبة على أنوف الجرذان تظهر أسنانهم، كما هناك صور شاملة لضفاف المجارير. تنزلق الكاميرا بين المقاتلين كي تصورهم أثناء أقوى اللحظات. وبالمقابل، أقوم بالتأكد من أنّ الانتقال بين اللقطات يتمّ دون أخطاء في الراكورات.

إنّني أطور نوعاً خاصاً من الكتابة ألا وهي الكتابة بالصور. أقوم بضبط المعارك المائية في أنفاق المجارير مثل تصميم رقصة للسباحة والممثلة الأمريكية إستر ويليامز وهي تلهو مع رفيقاتها في مسبح أزرق. ولكن بفارق أنّ المياه هنا خضراء وقاتمة، وتحمل الفضلات المنزلية، وتزداد حُمرتها تدريجياً منسجمة مع احتدام المعارك. وبمساعدة الأسهم والنقاط، أقوم بتوجيه تحركات جيوشي من الجرذان وتدخلات أبطالي في المعركة الكبرى المحورية التي تدور حولها روايتي.

## 108. فينوس

انتهى استعراضي القصير على المسرح. أنتظر الآن أن تنهي الفتيات الأخريات استعراضهنّ. يبدو لي أنّ هناك اثنتين أو ثلاث فتيات أجمل مني. يجب ألّا تصوّت اللجنة لهنّ. فقط لو أنّني أستطيع أن أعرقلهنّ كي يسقطن

---

1- تعني إسباغ الصفات والمشاعر والنوايا البشرية على الكائنات غير البشرية. المترجمة.

من على كعوبهنّ وتلتوي رقابهنّ! إنّهنّ يشبهن مالك الحزين بتمايلهنّ الخليع. من يظننّ أنفسهنّ؟ أنا أكرههن. أتخيل نفسي أخدش وجوههنّ بأظافري الحادة.

يجب أن أفوز.

أنا أصلي كي أحصل على لقب ملكة جمال الكون. إن كان هناك من يسمعني هناك في الأعلى، فأنا أرجوه أن يتدخل من أجلي.

## 109. رحلة كونية- مخاوف

- انتباه، جاهزون؟ ميمنة كلياً! ردّد راؤول، مستعيداً دوره كقائد سرب.

تملكني الحماس، ومع ذلك، لا أستطيع التوقف عن التفكير في موكليّ، أين هم في هذه اللحظة؟ إنّني بغاية البعد عنهم لدرجة لا يمكنني سماع نداءاتهم وصلواتهم.

أدرك راؤول قلقي فوضع يده فوق كتفي.

- لا تقلق، لن يحدث أيّ شيء كارثيّ مطلقاً. فالبشر مثل القطط، إنّهم بسبعة أرواح.

## 110. إيغور

نهضت من جديد. صرخت مثل ذئب مستجمعاً قواي وشجاعتي. لا يهمّني إن كان هذا سيجذب انتباه العدو. ردّت عليّ الذئاب الأخرى بالصرخة ذاتها. إنّ القطيع قويّ، وسريع، إنّهم عائلتي. رحنا نصرخ جميعنا كي يصل صراخنا لآخر السماء البرتقالية التي يزداد صفاؤها خلف القمر البيضاوي المثالي المتناقص.

ظهرت القوات الشيشانية التي كانت تكمن لنا في الغابة، مع تعزيزاتها. وصلت مع عتادها الثقيل: سيارات جيب مجهزة بمدافع رشاشات آلية. إنّهم كثر وأعدادهم تتجاوز أعدادنا، لذا سيتوجب على كلّ واحد منّا قتال عشرة منهم.

عشرة من رفاق السلاح قضوا نحبهم على الفور. ليس هناك وقت لكتابة

شاهدة قبورهم. ذئاب، لقد ماتوا مثل الذئاب، شفاه ملتوية، فرو مليء بالدماء على أرض تتناثر عليها جثث فرائسهم.

من جهتي، أنوي حقاً البقاء على قيد الحياة، لذا اختبأت. فالجنديّ الحيّ، حتى وإن كان جباناً، يحدث خسائر أكثر من جندي شجاع ميت.

تسلّلت تحت حطام سيارة مصفحة. الرقيب ما يزال حياً. أشار إليّ من وراء الجدار الصغير الذي يتحصّن خلفه، أن آتي إليه. سرعان ما تمّ نسف اليد التي كانت تلوح لي من قبل قذيفة، ورأيت رأس الرقيب يطير في الهواء.

أهكذا تُقبض الروح؟

لا أعرف لماذا، ربما صوت الموسيقا الذي يصدح في أذني، ومشهد الدماء هذه، والأضواء حولي، تشعرني برغبة في المزاح. وربما أيضاً لأنّ كل إنسان يشعر بحاجة إلى كتم مشاعره وطمأنة نفسه أمام هذا الرعب.

انفجرت ضاحكاً. هل جننت يا ترى؟ كلا، هذا طبيعي، إنّه الضغط الذي يتحرّر داخلي. أيها الرقيب المسكين! على أيّ حال، لم يكن سريعاً بما يكفي. لذا فقد مات.

استدارت المدافع الرشاشة باتجاهي. فقدت هذه المرة كلّ رغبة لي بالضحك. أغلقت عيني وقلت في نفسي إن كنت قد بقيت حياً حتى هذا اليوم، فهذا بالتأكيد لأنّ لديّ ملاكاً حارساً أنا أيضاً. حسناً، إن كان هذا هو الحال فعلاً، فهذه هي اللحظة المناسبة التي يجب أن يظهر فيها. أيها القديس إيغور، حان دورك.

وجهت صلاة قصيرة: «هيه، أنت في الأعلى، هل فهمت؟ هذه هي اللحظة التي يجب أن تنتشلي فيها من هذه الورطة، إمّا الآن أو أبداً!»

## 111. فينوس

ناداني المقدم من جديد لأقوم بجولة ثانية لأنّ بعض الحكام ما يزالون مترددين. قمت بإرجاع ذراعيّ للخلف جيداً لإظهار ثدييّ أكثر. لا تبتسمي، فالرجال لا يحبون النساء اللطيفات وإنّما يحبون الفاجرات. هذا ما كانت تقوله أمي دائماً. تجرّأت هذه المرة على النظر من فوق الأضواء. رأيت أمي

تجلس في الصف الأول وهي تقوم بتصويري بكاميرا فيديو. كم ستكون فخورة بي إن نجحت! لاحظت أيضاً وجود إستبان. إستبان الشجاع! أشجع الشجعان إستبان!

أقوم بدورتين ومن ثمّ أقف وفقاً للبروتوكول. انتهى الأمر. لم يبقَ لي سوى الصلاة. إن كان هناك في الأعلى من يهتمّ لشأني، فإنّني ألتمس منه مساعدتي.

## 112. رحلة كونية- أول نزهة

أشعر أنّ هناك واحداً من موكليّ يناديني. إنّه بلا شك شعوري بالذنب لأنّني تخليت عنهم.

استعجلني راؤول. إنّنا نطير بسرعة الضوء، ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية. الفوتونات المنبعثة من أقرب شمس لنا أصبحت بجانبنا، ومن ثمّ خلفنا. وصلنا بسرعة إلى نجم قنطور الأكبر، وهو أقرب نجم للمجموعة الشمسية، ويقع على بعد 4,2 سنة ضوئية. إنّنا نخترق نظامه ونبدأ بتفحص الكواكب فيه.

لا وجود للحياة في داخله.

خرجنا من جديد بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية باتجاه نجم رجل القنطوري.

لا شيء أيضاً. يجب توسيع منطقة البحث.

بعد أن استدرنا بزاوية ضيقة اندفعنا نحو الشّعرى اليمانية. مررنا ببعض الكواكب الدافئة، فوجدنا القليل من الأشنيات، والكثير من الأمونيا.

نجم الشعرى الشامية؟ لا شيء فيه أبداً.

كوكبة ذات الكرسي؟ لا شيء سوى الغبار والبخار.

نجم تاو سيتي؟ أفضّل عدم الحديث عنه.

نجم دلتا بافونيس؟ لا تذهب إلى هناك، فليس هناك من شيء لتراه.

إنّنا نمضي سريعاً، من نجم إلى آخر، ومن كوكب إلى آخر، حتى إنّنا نجتاز قلب النيازك الكبرى كي نرى إن كان هناك بالمصادفة آلهة تختبئ فيها.

المشكلة أنّ مجرتنا وحدها يبلغ قطرها مائة ألف سنة ضوئية وتضم مائة مليار نجم. بإمكاننا القول إنّنا نسبياً، نتسكع مثل حلزونات على أرض ملعب لكرة القدم، حيث كل ورقة عشب تقابل لقاءنا بكوكب ما.

لا أتوقف عن التفكير بموكليّ. آمل ألّا يكونوا بحاجة إليّ! أنا متأكد أنّهم في خطر. جاك حساس جداً، وإيغور معتز بنفسه كثيراً، وفينوس هشة للغاية.

يبعث لي راؤول بأفكار مطمئنة. يطلب مني التركيز أكثر على أعمال الاستكشاف، فأنا متراجع دوماً بجزء من الثانية في الانعطافات. حسناً، وعدته أن أنتبه أكثر.

زرنا أنا وراؤول وفريدي ومارلين مونرو مئات الكواكب. أحياناً كنا نهبط على سطحها ولا نجد عليها سوى الصخور، دون أيّ أثر يُذكر لذكاء ما.

اقترحت عليهم ألّا «نهبط» إلّا على الكواكب معتدلة الحرارة، والتي تحوي محيطات وغلافاً جوياً. أجابني راؤول أنّه ليس هناك أي سبب منطقي بأن يكون الكوكب الذي ذهبت إليه نتالي مطابقاً لكوكبنا، ولكنّ فريدي وافقني الرأي. كانت المعايير التي اقترحتها كافية لإنقاص عدد الكواكب التي علينا استكشافها إلى العُشر. عوضاً عن مائتي مليار، لن يكون لدينا الآن أكثر من عشرين مليار...

لم نتوقع أن يوقفنا هذا الخصم: رحابة الفضاء.

## 113. جاك

كلما كتبت أكثر، شعرت بأحاسيس غريبة. فأنا أرتجف من فرط المشاعر، وتجتاحني قشعريرة شبيهة برعشة الحب الجسدي. خلال بضع دقائق، أصير في «مكان آخر»، أنسى من أكون.

المشاهد تكتب ذاتها بذاتها كما لو أنّ شخصياتي تتحرّر من وصايتي. أراهم يحيون في روايتي مثل أسماك في حوض صغير. هذا جميل، ولكنّه يخيفني في الوقت ذاته. أشعر وكأنّني ألعب بالمتفجرات ولا أملك أيّ مرجع لطريقة استخدامها.

حينما أكتب أنسى من أكون، أنسى أنّني أكتب، أنسى كلّ شيء. أنا مع

شخصياتي، أعيش معهم داخل القصة. هذا يشبه أحلام اليقظة. أحلام يقظة مثيرة لأنّ جسدي يعبِّر بأكمله عن فرحه. إحساس بالنشوة، بالخدر، وهذه اللحظة السحرية لا تدوم طويلاً، فقط بضع دقائق، وأحياناً بضع ثوانٍ.

غير أنّني لست أنا من يقرر وقت حدوث لحظات النشوة هذه. تأتي حينما تأتي، وهذا كلّ ما في الأمر. تحدث عند المشهد المناسب، والموسيقا المناسبة، والأفكار المبدعة. عندما تنتهي، أجد نفسي منهكاً أتصبب عرقاً. وبعدها أصاب بشيء من الكآبة، أو الحنين، أو الأسف من أنّ اللحظة المدهشة لم تستمر طويلاً. لذا أخفض صوت الموسيقا، وأشرب النبيذ وأشاهد التلفاز كي أنسى ألم أنني لا أعيش على الدوام في تلك الذرى.

## 114. إيغور

أقفز وألقي بقنبلة يدوية وسط فرقة من الشيشان التي ظهرت للتو أمامي. ومن ثمّ أبتعد راكضاً غير آبه بالرصاص المتقطع الذي يمرّ بين رجليّ. أسرع باتجاه البئر الموجود في وسط القرية وأتعلق بالدلو المتدلي فيه.

تمّ القضاء على جميع الذئاب، حتى ستانيسلاس لم أعد أراه. أخفضت صوت الموسيقا. سكتت *ليلة على الجبل الأجرد*. أسمع الآن لهاث أنفاسي ومن خلفها طقطقة النيران، والأوامر العسكرية، والجرحى الذين يطلبون النجدة.

## 115. فينوس

تتفحصني اللجنة بصمت، وأتفحصها بدوري أيضاً وأنا واقفة على المسرح. أرى بطل الملاكمة للوزن الثقيل يجلس في الوسط ويدقق في صدري. وبجانبه، عدد من الممثلين المسنين والمنسيين، بالإضافة إلى مقدّمي برامج تلفزيونية، ومخرج أفلام إباحية، وعدد قليل من المصورين المختصين بفن العري، ولاعب كرة قدم لم يحرز أيّ هدف منذ مدة طويلة.

أهذه هي اللجنة؟ هؤلاء من سيقررون مصيري؟ خامرني الشك لوهلة. ولكن هناك كاميرات تلفزيونية عدّة موجودة لبث مجريات هذا الحفل في جميع أنحاء البلاد. هناك ملايين الناس ينظرون إليّ الآن. ابتسمت لهم

وغامرت بجرأة وأرسلت لهم غمزة من عيني. هذا ليس ممنوعاً حسب التعليمات التي أعرفها.

أنا خائفة، خائفة للغاية. لحسن الحظ أنّني متخمة بالمهدئات.

## 116. موسوعة

**لا أعرف إن كان هذا خيراً أم شراً (حكاية قصيرة من ثقافة الزن): قام أحدهم بإهداء ابن أحد المزارعين حصاناً أبيض، فجاء جار المزارع إليه وقال له: «أنت محظوظ جداً. فأنا لن يهديني أحد مثل هذا الحصان الأبيض!» أجابه المزارع: «لا أعرف إن كان هذا خيراً أم شراً...»**

**ولاحقاً، حينما حاول الصبي امتطاء الحصان، قام برفسه وطرحه أرضاً، فكُسرت ساق ابن المزارع. «أوه! كم هذا مروّع! قال الجار. كنت محقاً بقولك إنّ هذا قد يكون شراً. حتماً إنّ من أهداك الحصان فعل ذلك عمداً كي يؤذيك، والآن سيصبح ولدك كسيحاً مدى الحياة!»**

**لم يكن المزارع مضطرباً بهذا القدر، وقال له: «لا أعرف إن كان هذا خيراً أم شراً». بعدئذ وقعت الحرب وتمّ تجنيد جميع الشبان، باستثناء ابن المزارع بسبب ساقه المكسورة. عاد الجار لرؤيته وقال له: «ابنك سيكون الوحيد في القرية الذي لن يذهب إلى الحرب، إنّه محظوظ للغاية». أجابه المزارع: «لا أعرف إن كان هذا خيراً أم شراً».**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 117. عملية جرد

في كوكبة الجبار، ليس هناك سوى العدم.

في كوكبة الأسد، يوجد بضع ميكروبات وحيدة الخلية. إنّ مستوى الوعي ليس بعيداً جداً عن الحجر.

في كوكبة الدب الأكبر، توجد مجموعة كواكب غير مكتملة التشكل حتى.

وماذا وجدنا حول نجم لويتن؟ نيازك متجمّدة.

إنّنا نضيع وقتنا.

تباً! وفي هذه الأثناء ماذا يفعل موكليّ؟

## 118. إيغور

كنت مختبئاً تحت خرزة البئر عندما قام أحدهم مصادفة، برمي قنبلة باتجاهي. أمسكتها بمهارة في يدي اليمنى ورحت أتفحصها. إنّها موديل أفغاني ج34، مدرّعة. لم أضِع وقتي في الارتجاف، قمت بإرسالها من حيث أتت فوراً. فهم الرجل أنّ هناك أحداً ما في الداخل، لذا أسرع وأعاد رميها من جديد. لم أتردد وقمت برمي القنبلة مرة أخرى نحوه.

إنّها مسألة أعصاب. لحسن الحظ أنّ الرقيب علّمني رمي الكرات. وبما أنّ الآخر مصرّ، ألقيت نظرة فاحصة على القنبلة فأدركت أنّ الفتيل قد سُحب. هذه صناعة سيئة، إنّ الأفغان ليسوا مبدعين في التكنولوجيا، فهذه القنبلة لن تنفجر أبداً. لذا أمسكت بواحدة من القنابل التي أحملها. إنّها قنبلة روسية جيدة، صنعتها أمّ روسية طيبة، وأعرف عن ظهر قلب آلية عملها. أنتظر بالضبط خمس ثوانٍ ضرورية، وأحسب مساري جيداً، وأرميها بعدها على ذاك الرجل الذي قام بالتقاطها من جديد كي يلقيها عليّ، ولكنّها انفجرت هذه المرة في يده.

إنّ الحرب ليست للهواة. إنّها مهنة يجب فيها معرفة كيف تبقى منظّماً ومحافظاً على الوتيرة ذاتها. أعرف مثلاً أنّه يجب ألّا أنتظر طويلاً في هذا البئر. لذا قفزت خارجاً، التقطت بندقية قنص وركضت لأختبئ في أحد المنازل. وجدت فيه سكاناً محليين، ولكن تمكنت من التعامل معهم بسلاحي وقمت باحتجاز العائلة الصغيرة في المطبخ. وبعدها تمركزت بالقرب من النافذة ورحت أراقب المحيط بهدوء. بفضل منظاري الليزري، فأنا أمتلك ميزة إضافية على أعدائي. وضعت من جديد سماعات الموسيقا على أذنيّ. راحت *ليلة على الجبل الأجرد* تصدح من جديد في طبلة أذني. وقع نظري على أحد جنود العدو. لمع ضوء أحمر فوق جفنيه، وبعدها ضغطت على الزناد، وخرجت الطلقة.

## 119. جاك

أنظر إلى جرذاني الستة في قفصهم الزجاجي، وينظرون لي أيضاً بينما تقف القطة بعيداً. أشعر أنّهم فهموا أنّني أتحدث عنهم. لذا راحوا يستعرضون أكثر فأكثر خلف الزجاج. من المؤسف أنّني لن أستطيع أن أقرأ لهم كيف وظّفتهم داخل المشاهد.

تأتي مونا ليزا II لتفرك نفسها بي كي تتحقق من أنّني لم أستبدل مكانها في قلبي بهؤلاء الوحوش ذوي الأسنان المدببة.

أعاود قراءة نصّي.

إنّ هذه الرواية تتشعب في الواقع في جميع الاتجاهات. لا يفهم القارئ لماذا تتتابع المشاهد بهذا الشكل وليس بشكل آخر. أدرك أنّه يتوجب عليّ بناء هيكل داعم تستند عليه القصة بأكملها ويجعل الأحداث والمشاهد تتجه إلى مكان محدد بعينه، وليس إلى أيّ مكان آخر بطريقة عشوائية بحتة. هل أستخدم بناء هندسياً؟ هل أرسم القصة على شكل دائرة؟ أجرب ذلك. في نهاية القصة تواجه شخصياتي الموقف ذاته الذي كانوا عليه في بداية القصة. تمّ اختبار هذا من قبل. حسناً، هل أروي القصة متّبعاً الشكل الحلزوني؟ هذا يعني أنّه كلما تقدمنا أكثر، تتوسّع القصة أكثر وتكون نهايتها مفتوحة. تمّ اختبار هذا أيضاً. هل أبني قصتي على مسار خطّي؟ هذا أسلوب تقليدي، فالجميع يقومون بذلك.

أفكر في أشكال هندسية أكثر تعقيداً. المخمّس، المسدس، المكعب، الأسطوانة، هرم ثلاثي الوجوه، رباعي الوجوه، عشاري الوجوه. ما هو الشكل الهندسي الأكثر تعقيداً؟ هل أتبع نمط بناء الكاتدرائية. اشتريت كتاباً عن الكاتدرائيات واكتشفت أنّ أشكالها تتوافق مع بنى متعلقة بمواقع النجوم في الكون. رائع! سوف أكتب رواية على شكل كاتدرائية. اخترت نموذجاً وهو كاتدرائية شارتر، درّة القرن الثالث عشر، التي تعجّ بالرموز والرسائل المخفية.

أعدت رسم خريطة الكاتدرائية بدقة متناهية على ورقة رسم كبيرة ورتبت أموري كي تتناسب تطورات أحداث قصتي مع معالمها العريقة. إنّ

تقاطع الحبكات تتوافق مع تقاطع أجنحة الكنيسة، والأحداث المسرحية مع الأقواس الداخلية. تحرضني هذه الطريقة على الاستمتاع أكثر بتكثيف التطورات الموازية. أصبحت أكتب بسلاسة أكبر، كما أنّ مسارات شخصياتي تنسجم بشكل طبيعي ضمن هذا البناء المثالي.

أستمع إلى موسيقا باخ. يستخدم أيضاً جان سيباستيان باخ في مقطوعاته بُنى موسيقية شبيهة ببنى الكاتدرائية. يتقاطع أحياناً خطان لحنيان فيُخيّل للأذن سماعها لخطّ لحني ثالث لا تعزفه فعلياً أيّة آلة موسيقية. أحاول صنع هذا الأثر في كتابتي من خلال ابتكار حبكتين متداخلتين للرواية تخلقان انطباعاً بوجود حبكة ثالثة تكون في الواقع مُتخيّلة.

تشكل كاتدرائية شارتر وموسيقا جان سيباستيان باخ الهيكل السرّي لروايتي. مستندة على هذه الدعامة تسافر شخصياتي بعيداً وتتسارع كتابتي. أنجح في كتابة عشرين صفحة كاملة في اليوم عوضاً عن خمس صفحات معتادة يومياً. تزداد سماكة روايتي شيئاً فشيئاً، 500، 600، 1000، 1534 صفحة... إنّها أكثر من مجرد رواية بوليسية، إنّها رواية «الحرب والسلام عند الجرذان».

يبدو لي أخيراً أنّها أصبحت متكاملة ومتماسكة كي تُقرأ.

لم يبق لي سوى إيجاد ناشر. أرسلت مسودتي عبر البريد إلى العشرات من دور النشر الرئيسية في باريس.

## 120. فينوس

بدأت لجنة التحكيم بالتصويت. أقضم ظفري المكسور. سأضحي بحياتي من أجل سيجارة ولكنّ التعليمات تمنع ذلك. إنّ مصيري يُكتب في هذه اللحظة.

## 121. إيغور

أسدّد ومن ثمّ أُطلِق. أقتل الثاني، وأقتل الثالث، والرابع. ما أجمل العمل مع الموسيقا! أشكر الغرب المنحط لاختراعه مشغل الكاسيت هذا. صورة أمي تعبر أمامي. بدل أن أصوب على القلب، أصوب على الرأس. في كلّ مرة أفكر فيها بأمي، تتملكني الرغبة بالضغط على الزناد.

## 122. جاك

بدأت أتلقى في بريدي وعلى فترات متفاوتة، إجابات من دور النشر. ينتقد الناشر الأول الموضوع بأنّه غريب الأطوار بشكل مبالغ فيه. يقترح الثاني أن أعيد كتابة العمل على أن أختار القطط هذه المرة كأبطال للقصة، «تحظى القطط بتقدير كبير لدى عامة القراء».

نظرت إلى موناليزا II.

هل من الممكن أن تُكتب رواية حول موناليزا II، وهي القطة الأكثر بلادة في جميع أنحاء الغرب؟

يقترح عليّ الناشر الثالث نشر الرواية على حسابي الخاص، على نفقة المؤلف، وهو على استعداد تام أن يمنحني سعراً معقولاً.

## 123. فينوس

ها قد بدأ الإعلان عن الدرجات، إنّها قاسية إلى حد ما. أفضل متوسط حتى الآن تقريباً 4، 5 من أصل 10. حسناً، جاء دوري. بدأ أعضاء اللجنة يعلنون نتائجهم الواحد تلو الآخر: 4. 5. 6. 5... أحافظ على ابتسامة مرسومة على وجهي ولكنّني حقيقة منهارة. إن لم يعطيني أيّ أحد منهم علامة أعلى من هذه الدرجات الضعيفة، فسوف ينتهي أمري. أيّ ظلم هذا! أكره هؤلاء الناس بمظاهرهم المنافقة. علاوة على ذلك، فإنّ الفتاة التي حصلت على أعلى درجة حتى الآن مليئة بالدهون. ألم يلحظوا ذلك؟

## 124. موسوعة

**الإيدوسفير: الأفكار مثل الكائنات الحية. إنّها تولد، وتنمو، وتتكاثر، وتتواجه مع أفكار أخرى وينتهي الأمر بها بالموت.**

**ماذا لو كانت الأفكار مثل الكائنات الحية لها تطورها الخاص؟ ماذا لو كانت الأفكار تُنتقى فيما بينها لاستبعاد الأضعف وإعادة إنتاج الأقوى كما في نظرية داروين؟ وضع عالم الأحياء الفرنسي جاك مونو في كتابه *المصادفة والضرورة* الذي صدر عام 1970م، نظرية تقول إنّ الأفكار يمكن أن تكون لها استقلاليتها، ومثل الكائنات العضوية، تكون قادرة على إعادة إنتاج نفسها والتكاثر.**

ذكر عالم السلوك الحيواني ريتشارد دوكينز في كتابه *الجين الأناني* الصادر عام 1976م، مفهوم «الإيدوسفير».

إنّ الإيدوسفير بالنسبة لعالم الأفكار مثل المحيط الحيوي لعالم الكائنات الحية.

كتب دوكينز: «عندما تزرع فكرة خصبة في فكري، فإنّك تتطفل حرفياً على دماغي، وتحوِّله إلى وسيلة لنشر هذه الفكرة». ويستشهد بكلامه على مفهوم الله، قائلاً إنّها فكرة خُلقت في يوم ما ولم تتوقف أبداً عن التطور والانتشار والانتقال والتضخيم بالكلام والكتابة ومن ثم بالموسيقا ومن ثم بالفنون، ويعيد الكهنة إنتاجها وتفسيرها بصورة تتلاءم مع الزمان والمكان الذي يحيا به الإنسان.

كما يضيف أنّ الأفكار تتطفّر بسرعة أكثر من الكائنات الحية. فمثلاً مفهوم الشيوعية، ولد من فكر كارل ماركس وانتشر في زمن قياسيّ إلى أن عمّ نصف الكرة الأرضية. تطورت الفكرة، تطفّرت، ومن ثمّ تقلّصت حتى صارت تلامس عدداً أقل وأقل من الأشخاص، تماماً مثل نوع من الأنواع الحيوانية المهددة بالانقراض.

ولكن في الوقت ذاته، أجبرت الشيوعية فكرة «الرأسمالية» على التطفّر هي أيضاً.

ومن صراع الأفكار في الإيدوسفير ظهرت حضارتنا.

تعمل أجهزة الحاسوب في الوقت الحالي على إعطاء الأفكار تسارعاً في الطفرة. وبفضل الإنترنيت، يمكن للفكرة أن تنتشر بسرعة هائلة في المكان والزمان، وأن تتواجه بصورة أسرع مع منافسيها أو مفترسيها.

إنّ هذا أمر رائع لنشر الأفكار الجيدة، كما لنشر الأفكار السيئة أيضاً على حدٍّ سواء، لأنّه ضمن مفهوم الفكرة لا وجود لمفهوم «الأخلاق».

في علم الأحياء أيضاً، لا يخضع التطور للأخلاق. ولهذا السبب سوف يتوجب ربما التفكير مرتين قبل نشر الأفكار «الفاسدة». لأنّها الآن أقوى حتى من الإنسان الذي اخترعها ومن أولئك الذين ينقلونها.

في النهاية، هذه مجرد فكرة...

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 125. جاك

تواصل معي الناشر الرابع عبر الهاتف وشجعني على المثابرة: «تتطلب الكتابة تجربة حياتية غنية، من المستحيل وأنت في عمر السابعة عشرة والنصف الحصول عليها بشكل كاف»، هذا ما قاله.

لامني الناشر الخامس على مشاهد المعارك، فهي لا تحظى بشعبية كبيرة لدى الجمهور النسوي. ذكّرني أنّ غالبية القراء هم بأكثريتهم من النساء، وأنّ الفتيات الشابات يفضلن المشاهد الرومانسية أكثر. لماذا لا تفكر بكتابة «*قصة حب عند الجرذان*»؟

نظرت إلى جرذاني: هناك ذكر في طور التزاوج مع إحدى الإناث. إنّه يعضّها بقوة على رقبتها حتى إنّه أدماها، ويسحق رأسها ويغلق مؤخرتها بمخالبه كي تتلاءم بشكل أفضل مع رغبته. تصرخ المسكينة من الألم، ولكن يبدو أنّ هذا يثير شغفه أكثر.

*قصة حب* رومانسية عند الجرذان؟ لن يكون هذا واقعياً...

## 126. إيغور

خمسة، ستة، سبعة، وعشرة، هل من مزيد! لقد قتلت جميع جنود العدو الذين غامروا واعترضوا طريقي. إنّه وقت الظهيرة، والسماء بيضاء. الدخان يتصاعد من القرية والذباب ينقضّ على لحم المقاتلين الذي لا يزال دافئاً.

مات الأعداء، ولكنّ الأصدقاء ماتوا أيضاً. لم أعد أرى أيّ واحد من قواتنا. أطلقت صرخة ذئب، ولكنّ هذه الصيحة العالية لم تلقَ أيّ صدى. أعتقد أنّني كنت محظوظاً. أعتقد أنّ هناك أحداً ما هناك في الأعلى، في السماء، يقوم بحمايتي. أنا سريع بالطبع، ولكنّني تجنّبت بأعجوبة عدة مرات السيرَ فوق لغم أو التعرّض لرصاصة طائشة.

نعم، لديّ بالطبع ملاك حارس. أيّها القديس إيغور، شكراً لك.

أعلم أنّهم سيرجعونني إلى المخيم كي تتمّ إعادة دمجي مع مجموعة قوات ذئاب خاصة جديدة، وإكمال مهمات مشابهة لهذه المهمة. الحرب، إنّها الشيء الوحيد الذي أعرف القيام به جيداً. لكلّ امرئ عمله. وضعت سماعات الصوت على أذني وعدت لسماع موسيقا *ليلة على الجبل الأجرد*.

فجأة، سمعت عواء ذئب. هل هذا ذئب حقيقي؟
يا إلهي، هذا ستانيسلاس. إنّه محقّ، فهو لديه ملاكه الحارس أيضاً.

## 127. فينوس

أيضاً 5 على 10. كلّ شيء سينحسم حسب التصويت الأخير، أي تصويت لاعب الملاكمة.

– 10 على 10، أعلن الملاكم.

– هل هذا ممكن؟ هل سمعت جيداً؟

فجأة، قفز متوسط أرقامي إلى السماء. في هذه اللحظة، حصلت على أفضل علامة. ابتهجت في البداية ولكن سرعان ما تمالكت نفسي. فلم يتم حتى الآن الإعلان عن علامات الفتيات الأخريات. وهناك واحدة قد تتجاوزني.

في خضم الضجيج، أسمع الأرقام الأخرى تُعلن. في الصدارة، لا أزال في الصدارة. حسناً، ها قد تم الإعلان عن علامات الأخريات، لم يسبقني أحد.

أنا... أنا... ملكة جمال الكون.

قبّلت أعضاء لجنة التحكيم. راحت كاميرات التلفزة تصورني. كل البلد يراني. ناولوني زجاجة شامبانيا، وقمت برشّ الجميع برذاذها تحت عدسات المصورين.

لقد ربحت!

تحدثت على الميكروفون:

– أودّ أن أشكر بشكل خاص جداً أمي التي لولاها لما كنت سأجد الشجاعة في نفسي أبداً لخوض هذا الطريق الطويل نحو... المثالية.

في اللحظة التي أنطق بها هذه الكلمات، أشعر أنّ هذه هي الكلمات التي يجب قولها كي تعجب الجمهور والمشاهدين. لكن في حقيقة الأمر، إن كان هناك أحد ما يجب شكره فعلياً، فهو أنا، ولا أحد آخر سواي.

على المسرح، جاءت منافساتي السابقات لتهنئتي، وبين الجمهور راحت أمي تبكي فرحاً، وأخذ إستبان يرسل لي قبلات في الهواء.

وبعد ذلك: مقابلات صحفية وتهنئات وصور. أنا في القمة.
ومن ثمّ، في الخارج، أخذ الناس يتعرفون عليّ ويطلبون توقيعي.
عدت إلى الفندق منهكة مع إستبان المعجب فيّ أكثر من أيّ وقت مضى.
لقد ربحت!

## 128. جاك

لقد فشلت. إخفاق في جميع الاتجاهات. لا أحد من الناشرين يرغب *بجرذاني*.

«كاتب، هذه ليست مهنة، هكذا قال لي والدي عبر الهاتف. أيّه ترهات هذه، لو كنت أعلم! أنا بائع كتب وأعرف جيداً أنّ الكُتّاب المشهورين فقط من تُباع أعمالهم. عليك أن تصبح مشهوراً في البداية وبعدها تستطيع أن تكتب روايتك. أنت لم تتعامل مع المشكلة بطريقة صحيحة».

ليس هناك سوى موناليزا قريبة مني في أوقات الشدّة. إنّها تشعر جيداً بضعفي وبدأت تقلق بشأن قدرتي على تزويدها كل يوم بشطيرتها أو طعامها.

سأخلد للنوم وفي صباح اليوم التالي سوف أعود لعملي في المطعم، ومن ثمّ سأعاود قراءة مسودتي.

يبدو أنّ الجرذان في قفصهم يسخرون مني. إنّهم يثيرون أعصابي، من يظنون أنفسهم؟ إنّهم ليسوا سوى جرذانٍ في النهاية. سوف أطلقهم في المجارير، وليتدبروا أمرهم بأنفسهم.

وافقتني موناليزا بمواء ذي مغزى.

سوف أجلس أمام الآلة الكتابة. لم يعد هناك أيّ سحر. لم يعد هناك أيّ بصيص أمل. لن أنجح أبداً. الأفضل هو الاستسلام.

## 129. موسوعة

أزمة مراجعة الذات المستمرة: إنّ الإنسان مُسيطر عليه دائماً من قبل الآخر. طالما يظنّ نفسه سعيداً، فهو لا يجادل في هذه السيطرة. يجد الطفل مثلاً أنّه من الطبيعي أن يُجبر على تناول الأطعمة التي يكرهها، فهذا من طرف

عائلته. ويجد الإنسان البالغ أنّه من الطبيعي أن يهينه ربّ العمل، فهذا عمله. ويجد الزوج أنّه من الطبيعي أن توجه له زوجته لوماً مستمراً، فهذه زوجته. أما المواطن، فيجد من الطبيعي أن تقلص له حكومته دون توقف قدرته الشرائية، فهذه حكومته التي صوّت لها.

لا يجهل أنّه يتعرّض للتضييق والخنق فحسب، بل يدّعي فوق هذا أنّ عائلته وعمله ونظامه السياسي وغالبية سجونه كما لو أنّها شكل من أشكال «التعبير عن شخصيته».

الكثير من البشر مستعدون أن يحاربوا بأظافرهم وأسنانهم كي لا تُنتزع منهم قيودهم. بالنسبة لنا نحن الملائكة، إنّه من الضروري أحياناً إثارة ما يسمى في الأسفل «شرور» والتي نعتبرها نحن هنا في العالم العُلوي «أ.م.ذ.م»، أي «أزمة مراجعة الذات المستمرة»، والتي يمكن أن تظهر بعدة أشكال: حوادث، أمراض، تفكك أسري، نكسات مهنية.

ترهب هذه الأزمات البشر الفانين ولكنّها على الأقل تفسد تكيّفهم مؤقتاً. فسرعان ما يخرج الإنسان باحثاً عن سجن آخر. فيستعجل المُطلق للزواج من جديد، ويقبل المفصول من عمله عملاً شاقاً أكثر من الأول. ولكن، بين اللحظة التي تحدث فيها أزمة مراجعة الذات المستمرة، وتلك اللحظة التي يجد الإنسان من جديد سجناً آخر له، سيكون قد استمتع ببضع لحظات من التبصّر والصفاء. سيكون قد استشعر ولو بلمحة كيف تكون الحرية الحقّة، حتى وإن كان هذا عموماً يخيفه قليلاً.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 130. العودة من الرحلة الكونية

العودة إلى الجنة.

أوه، كم تطور موكليّ في هذا الزمن القصير! كما لو أنّهم ينضجون بسرعة أكبر عندما يتُركون دون مراقبة. خلّصت فينوس نفسها من مرض فقدان الشهية والشره المرضي وحصلت على لقب ملكة جمال الكرة الأرضية.

على كلّ حال هذا جيد، فقد كنت أنوي أن أحقق لها هذا الأمر. كما أنّ إيغور قد خرج من السجن ومن المصح العقلي وأصبح بطل حرب. ليس هناك سوى جاك متأخر عن غيره، فلم ينجح حتى الآن في شقّ طريقه. إنّه يبقى ممدداً أمام التلفاز في حالة لا تبشّر بالخير.

يظهر إدموند ويلز دوماً في اللحظة السيئة. تنهد:

– لقد خيّبت ظني بك كثيراً يا مايكل. لقد عقدت الكثير من الآمال عليك وقد أفسدت العمل...

– أنا جديد هنا، بالكاد بدأت أفهم آلية عمل البشر.

بقي مدرّبي مشككاً.

– آه، نعم، وماذا بشأن هذه النزهة القصيرة في الفضاء، كيف كانت؟

إنّه يعلم. اعترضت:

– باستثناء جاك نيمرود الذي ما زال متخلفاً عن الركب، فإنّ موكليّ الآخرين يبليان بلاء حسناً.

– يا مايكل المسكين، قال إدموند ويلز، ما زال هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن أشرحها لك. هل لاحظت أنّك عندما تقترب من الأرض، تلتقي بأرواح تائهة؟

– كلا، إيييه... حسناً...

إنّه إذاً على علم بزيارتنا لبابادوبولوس.

– هل لاحظت أنّ هذه الأرواح التائهة تنجح في فهم البشر أفضل منا، لأنها على وجه التحديد قريبة جداً من البشر.

– نعم... ولكن.

– حسناً، عندما يصلي موكل ما ولا يكون ملاكه الحارس موجوداً كي يستقبل هذه الصلاة، ما الذي يجري برأيك؟

– ... تتكفّل بها روح تائهة.

– صدقني يا مايكل، تكون هذه الأرواح التائهة بغاية السعادة، بإسداء تلك الخدمة عوضاً عنا. إنّهم عثّ حقيقي. فحين لا يقوم الملاك بعمله،

تتدخل الأرواح التائهة. ما الذي تظنه يا مايكل؟ تظنّ أنّ إيغور وفينوس محظوظان؟ كلا، لقد قاما كليهما بالصلاة، وقامت روح تائهة بالتدخل والقيام بالعمل عوضاً عنك. والآن، إنّ هذه الروح التائهة تتطفل عليهما.

يبدو مدرّبي حزيناً بالفعل.

- لهذا السبب فإنّني في كلّ مرة أستطيع فيها إيصال رسالة إلى البشر، أقول لهم: «لا تستدعوا الأرواح، لا تدخلوا في حالة انخطاف، ولا تلجؤوا إلى الوسطاء الروحانيين وكلّ من يدّعي أنّه يتواصل مع العالم الآخر. لا تصلّوا كيفما كان، لا تبحثوا عن ملاككم الحارس - فهو يعلم أين يجدكم. لا تحاولوا الخوض في الفودو أو الشامانية أو السحر. تظنون أنّكم تتلاعبون بمن تريدون ولكن في الواقع أنتم من يتمّ التلاعب بهم، فلكلّ مساعدة ثمنها».

أقرأ في نظرات أستاذي إحباطاً حقيقياً تجاهي.

- كيف أجعله يسامحني؟ كيف أصلح هذا؟ أقول في نفسي.

- أنا مسؤول عنك يا مايكل، تنهد إدموند ويلز. حسناً، كوني لم أجدك، تدخّلت شخصياً وقمت باللازم. لقد أنقذتهم من الأرواح التائهة التي كانت ملتصقة بظهورهم، و«تخلّصوا من العث مجدداً». ولكن ابتداء من الآن، انتبه جيداً! فلديك «رابحان» مقتنعان أنّه بمجرد أن ينادوك سوف تتصلح جميع أمورهم. حتى إنّ إيغور يطلق عليك اسم القديس إيغور لأنّه يتخيل أنّ كل إنسان يرعاه ملاك يُسمى باسمه. ارتفع إدموند ويلز محلقاً وهو يقول:

- سيأتي اليوم الذي يجيء فيه إيغور وجاك وفينوس إلى هنا ويواجهونك. ستكون هذه اللحظة رهيبة لك لأنّهم سيعرفون من أنت وسيتوجب عليك حينها أن تدفع الثمن.

خفضت رأسي وأنا محرج.

- شيء آخر أيضاً. لا تصغي إلى الطلاب السيئين. ليسوا أولئك الذين يجب أن تحتذي بهم. ليسوا هم من سيكونون حاضرين مكانك يوم وزن الأرواح ليشرحوا لموكليك ما يجري.

أشار مدرّبي بحركة من ذقنه باتجاه راؤول الذي يطير بالقرب منا.

– لحسن الحظ يا مايكل، أنّك التقيت بأرواح طيبة في البداية. هذا لا يعني أنّه في التوزيع التالي سيكون لديك أرواحاً جيدة أيضاً. في العموم، عندما نفشل مع موكلينا الأوائل ويتم توكيلنا بحضن بيوض أخرى، حينها فقط ندرك مدى جودة الخدمة التي حصلنا عليها في المرة الأولى.

تقوقعت على ذاتي، راغباً بالانكماش على نفسي بسبب نظرته تلك.

– الإخفاق بالنسبة للكائن البشري يعني إعادة التجسيد من جديد، قال بصوت يرعد. أمّا بالنسبة للملاك، يعني... استقبال موكلين جدد.

## 131. إيغور– 18 عاماً

تمّت مكافأتنا أنا وستانيسلاس وتقليدنا الأوسمة. قام الكولونيل دوكوسكوف بعناقنا.

– أنتما الآن برتبة رقيب أول.

وقف الحشد العسكري الذي يرتدي الزي الرسمي الأنيق وصفق الجميع لنا. رُفع علم الأمة ورنّ في مسمعي النشيد الجميل للوطن الأم. همس الكولونيل دوكوسكوف في أذني:

– أنتما الوحيدان اللذان خرجا حيين بعد أن قاتلتما واحداً ضد عشرة. ما هو سركما؟

أخذت نفساً عميقاً وترددت. بالتأكيد لا أريد أن أحدثه عن ملاكي الحارس.

– لقد نجوت من أمي، قلت ذلك.

ابتسم بعدها متفهّماً.

شعرت في هذه اللحظة بالسعادة لأنّ عمري ثمانية عشر عاماً وما أزال حياً.

## 132. فينوس– 18 عاماً

أنا في أحضان بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل الذي كان واحداً من أعضاء لجنة التحكيم. نحن نمارس الحبّ. إنّه شرس، يلهث كما لو أنّه في

حلبة مصارعة. الضجيج مصمّ للآذان. قام بيديه الضخمتين بوضعي تحته وأنا أكاد أختنق. مائة وعشرون كيلو غراماً من العضلات تنفث البخار وتضغطني، كما لو أنّك تمارس الحب مع قاطرة أو شاحنة، ليس هناك أيّ لطف.

مع أنّ الأمر كان قد بدأ بشكل جميل. فقد تواصل معي بعد التتويج وسألني إن كان بإمكاننا أن نرى بعضنا، وقد قبلت ذلك. وبعدها جاءني وأمطرني بالمجاملات قائلاً إنّني كنت بالفعل أجمل واحدة في المسابقة. ومن ثمّ بدأ بالمبالغة، فقد ذكّرني أنّه هو، بتصويته 10 من 10 من جعلني أفوز باللقب. عند سماعي ذلك، شعرت أنّني مدينة له بانتصاري! آه هؤلاء الرجال، من يسمعهم يظنّ أنّنا لن نستطيع تحقيق شيء دونهم. ولكنّني أعلم أنّني حصدت النجاح لأنّني وجّهت الصلاة المناسبة في الوقت المناسب، حتى إنّني شعرت بحضور ودّي جميل لأحدهم ظهر لي لأول مرة. إنّه ملاكي الحارس دون شك.

من باب اللطافة، تركته يحقق مبتغاه، وبعدها راح يغط في نوم عميق مصدراً شخيراً هدّاراً، لذا اغتنمت الفرصة كي أرحل.

إنّني لطيفة أكثر ممّا يجب.

## 133. جاك- 18 عاماً

قلّت كتاباتي بشكل تدريجي، كما قلّت قراءاتي أيضاً. أبقى في بعض الأحيان تحت الغطاء مسترخياً على أريكتي خمس ساعات متواصلة وأنا أتابع التلفاز، والقطة جالسة على ركبتيّ وهي تغمغم. لا أتابع حتى برنامجاً معيناً، بل أقوم بالتقليب فقط بين المحطات.

إنّ عملي كنادل يكفي لسدّ احتياجاتي. أنا لا أصرف الكثير من المال في كلّ الأحوال. آكل وعاء من المعكرونة المجففة التي يزداد حجمها عندما أصبّ عليها الماء الساخن.

إنّ موناليزا II سعيدة بمشاهدتي التلفاز، فهي مقتنعة أنّها دلّتني على درب الحكمة.

أعتقد أنّني مع كتاب *الجرذان*، كتبت عملاً جيداً. ولكن إذا لم يجده

الناشرون مثيراً للاهتمام فهذا يماثل كوني لم أفعل شيئاً، لذا ربما يكون من الأجدى فعلياً ألّا أقوم بشيء.

بهذا المعدل الذي يزداد وزني فيه بسبب المعكرونة التي آكلها، فإنّني أوشك أن أتحول إلى «موناليزا بشرية». وبدافع الكسل، تركت لحيتي تطول أيضاً.

وأنا أتابع التقليب بين المحطات، صرت أهبط شيئاً فشيئاً في مستوى البرامج التي أشاهدها؛ من برامج المعلومات، صرت أشاهد الأفلام السينمائية، ومن الأفلام السينمائية إلى الأفلام التلفزيونية، ومن ثم المسلسلات، وبعدها المسلسلات الفكاهية، إلى برامج الصباح البغيضة كألعاب «الإلمام» حيث يتنافس لاعبان محاولين الإجابة بأسرع ما يمكن على أسئلة سخيفة من نوع: «ما هي الأطعمة المفضلة لدى الكلاب؟»

أنا لا آبه للكلاب، لديّ قطة، ولكن على كلّ حال أتابع البرنامج.

أعتقد أنّني أستطيع أن أستمرّ في حياتي على هذا المنوال مدة أربعين عاماً. لقد استسلمت. ومع ذلك، فقد أثارني في أحد الأيام برنامج تلفزيوني.

إنّه برنامج أدبي. برنامج أسبوعي أدبي رائد. كنت أتجاهله في العادة، ولكنّني اليوم مأخوذ به بجاذبية مرضية.

موضوع الحلقة هو: الحب. الضيف الأول هو ممثل قدير كان له صولاته وجولاته في السابق. راح يتذكر ويعدد بهيئة ماكرة، الفنانات اللواتي كما قال «كرّمهنّ» بحبه. وتابع المقدم بالسياق ذاته معلقاً بتلميحات مبالغ بها.

الضيف الثاني: شاب في مثل سني. أوغوست ميريناك، قدّمه المذيع قائلاً؛ شاب جميل ذو لباس مرتب وابتسامة هادئة، نشر رواية سيرة ذاتية يدعى البطل فيها، كما لو أنّها مصادفة، أوغوست. يمتاز أوغوست بخصوصية تجعل جميع النساء مفتونات به. بعد ذكر بعض القصص الخليعة، أشار الكاتب أوغوست ميريناك أنه شغوف بالحب وأنّ هذا هو كنه جميع أعماله الأدبية.

الضيف الثالث: سيدة متخفية وراء قناع مخمليّ، ترتدي كعباً رفيعاً بعلو خمسة عشر سنتيمتراً، وتضع أحمر شفاه بلون الدم. تعمل في الدعارة في

«منزل دعارة» له شهرته للساديين - المازوخيين، ولهذا ترغب أن تظلّ هويتها مجهولة. تقول إنّ غالبية زبائنها هم أشخاص بارزون، رجال سياسة، وشخصيات من عالم الترفيه، وكبار الصناعيين. وبما أنّهم يُرهبون محيطهم، لذا فهم يعشقون أيضاً أن يكونوا خاضعين للهيمنة أيضاً. وصفت المرأة الآلام التي تخصصها لهم، وتشرح أنّها متعبة فيما يخص المتطلبات الأكثر غرابة للنجوم.

الضيف الأخير: اختصاصي في علم الجنس، جاء ليقدم وجهة نظر العلم. إنّ البشر تحركهم هرموناتهم، أكد ذلك، ويستشهد على ذلك ببعض التخيلات الغريبة التي سمعها أثناء ممارسة مهنته. منها رجل يُضطر للتنكر بزي ملكة إنكلترا للوصول إلى النشوة الجنسية، وامرأة كانت تحتاج لعشرة شركاء مختلفين كي تبلغ النشوة، بالإضافة إلى العديد من المشاهير (يفضل عدم ذكر أسمائهم) غير القادرين على إرضاء شغفهم دون مساعدة الحيوانات أو الخضار أو أشياء مختلفة أو الذهاب إلى أكثر الأماكن غرابة.

أطفأت التلفاز وأنا متضايق. ليس هناك أيّة قصة متخيّلة، ليس هناك أية شخصية مُختلقة، ليس هناك أدنى تشويق. لهذا السبب لا تثير *جرذاني* اهتمام أحد.

لقد أخطأت تماماً في اختياري لهذه المهنة. لذا قررت التوقف كلياً عن الكتابة. سأعلن الحداد على مهنة الكتابة. سأصبح نادل مطعم ومشاهد تلفاز، وسيكون هذا كافياً تماماً.

## 134. موسوعة

عن أهمية الحداد: تميل مظاهر الحداد في أيامنا هذه إلى الزوال. فبعد حدوث وفاة ما، تتوق العائلات للعودة بأسرع ما يمكن إلى مزاولة نشاطاتها اليومية.

إنّ حدث رحيل إنسان عزيز يميل تدريجياً لأن يصبح حدثاً قليل الأهمية. فقد اللون الأسود امتيازاته بصفته سيّد ألوان الحداد. لقد أدخله مصممو الأزياء إلى الموضة بفضل محاسنه التي تظهر النحافة والأناقة.

ومع ذلك، فإنّ التعبير عن نهاية مرحلة ما أو فقدان شخص هو أمر أساسي من أجل التوازن النفسي لدى الأفراد. يتبيّن لنا هذه المرة أيضاً، أنّ ما يسمى بالمجتمعات البدائية هي فقط من تستمرّ في التأكيد على أهمية الحداد. في مدغشقر مثلاً، حينما يتوفى أحدهم، لا توقف القرية بأكملها نشاطاتها للمشاركة في الحداد فحسب، بل تُجرى للمتوفى جنازتان. أثناء الجنازة الأولى، يُدفن جسد المتوفى في حالة من الحزن والتأمل. ومن ثمّ، في وقت لاحق، يتمّ تنظيم مراسم دفن متبوعة باحتفال كبير. هذا الاحتفال يسمى «تقليب العظام»[1].

إذاً، فإنّ فقدان الشخص يتمّ تقبّله مرتين.

لا يرتبط الحداد فقط بالوفيات، فهناك أيضاً «أحداث النهايات» مثل ترك عمل، أو ترك صديق، أو ترك مكان العيش.

يشكل الحداد في هذه الحالات شكلاً يراه الكثير من الناس أن لا طائل منه، ولكن مع ذلك فهو ليس كذلك. فمن المهم أن تكون المراحل محددة بوضوح.

يستطيع كلّ واحد خلق طقوسه الشخصية للحداد. فيمكن أن تبدأ هذه الطقوس بأبسط الأمور: حلق الشارب، وتغيير تسريحة الشعر، وتغيير أسلوب اللباس. وقد تصل إلى أكثرها جنوناً مثل إقامة احتفال كبير، والثّمل حتى فقدان العقل، والقفز المظلي...

عندما لا يأخذ الحداد مجاله الطبيعي عند الشخص، يظلّ التضايق معشعشاً كجذر عشبة ضارة لم تُجتث جيداً.

ربما يجب تعليم أهمية الحداد في المدارس. سيوفر هذا دون شك الكثير من سنوات العذاب لاحقاً.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

---

1- فاماديهانا: تقليد يحصل كل سبع سنين، يقوم على إخراج الجثة من الضريح وإعادة تكفينها من جديد، وتترافق هذه الطقوس بالرقص مع الجثة بمرافقة موسيقا صاخبة. المترجمة.

## 135. جاك- 21 عاماً

أحد زملائي في المطعم يريد الاتصال بالشرطة للتشكّي على زبونة لا تملك المال لدفع ثمن وجبة الطعام التي تناولتها.

تفحصتها؛ إنها نحيلة وهشّة، ترتدي الأسود الكامل. تشبه عصفوراً سقط لتوّه من العش، وتحمل في يدها كتاباً بعنوان زهور من *أجل ألغيرنون*، للكاتب داني كيز.

قمت بدفع الحساب عنها وسألتها عن موضوع هذا الكتاب. شكرتني قائلة إنّه لم يكن يتوجب عليّ فعل ذلك، ومن ثمّ وافقت على إخباري عن الكتاب. إنّها قصة رجل متخلف عقلياً، يزداد ذكاؤه بالتدريج بفضل علاج كيميائي تمّ تجريبه مسبقاً على فأرة اسمها ألغيرنون. يروي المتخلف عقلياً حياته وشفاءه ويتحدث بصيغة المفرد المتكلم وكأنّ دماغه يكتشف معانٍ جديدة[1]. إنّ لغة البطل نفسها تطورت، فعندما كان مختلاً، لم تكن تخلو أيّة كلمة يكتبها من خطأ إملائي، ولم يكن يستخدم علامات الترقيم، ولكن مع تقدم العلاج، صارت تتحسن لغته أكثر.

قدّمت نفسها لي، تُدعى غويندولين. أضافت أنّه على حدّ علمها، فإنّ هذا الكاتب، داني كيز، لم يكتب أي كتاب آخر، ورغم ذلك حسب رأيها، يستطيع الآن الموت بهدوء بعد هذه التحفة الفنية. فقد أكمل «مهمته بالنسبة للبشرية»، وأنجز العمل الذي ولد من أجله. تعتقد غويندولين أنّنا جميعنا لدينا مهمة يجب إنجازها، ونستطيع الموت بهدوء فقط بعد تحقيقها.

أنظر إليها، لديها عينان لوزيتان لامعتان وبشرتها فاتحة جداً. قلت لنفسي إنّ فتاة تقرأ الخيال العلمي لا يمكن لها إلّا أن تكون مثيرة بشكل عميق. كما أنّ ما أعجبني فيها هو أنّها تبدو تائهة أكثر مني.

سِرنا سوية. أخبرتني أنّها شاعرة متواضعة، فقلت لها إنّ هذا جيد جداً كوني أنا نفسي كاتباً متواضعاً.

---

1- الرواية مكتوبة بأسلوب الرسائل من طرف الشخصية الرئيسية على شكل تقارير. المترجمة.

تقول غويندولين إنّنا موجودون كي نتألم، وإنّنا نتعلم من خلال أخطائنا.

مشينا بعد ذلك دون أن نتكلم. أمسكت بيدها الباردة ودفأتها بيدي. توقفت، وراحت تحدق بي بهيئتها التي تشبه فأرة صغيرة تائهة، وقالت لي إنّها تجدني لطيفاً للغاية، وإنّها ترغب بممارسة الحب معي، ولكنّ المشكلة أنّها جعلت جميع الرجال الذين سبق وخرجت معهم تعساء للغاية.

– سأكون الاستثناء الأول.

– إنّني أجلب سوء الحظ، تنهدت قائلة.

– أنا لا أؤمن بالخرافات. هل تعرفين لماذا؟ لأنّ الإيمان بالخرافات... يجلب البؤس.

تظاهرت بالضحك، ومن ثمّ نصحتني مجدداً بالهرب منها.

بعد بضعة أسابيع، دعوت هذه الفأرة الصغيرة التائهة للعيش معي في غرفتي. سرعان ما أثبتت غويندولين أنّها ربة منزل ممتازة. المشكلة أنّني أشعر عندما نمارس الحب أنّها تقبل ذلك كما لو أنّها تسدي خدمة لي أو تدفع إيجار سكنها.

أحياناً تتفحصني بعينيها الواسعتين وتقول لي: «من الأفضل أن أرحل، فأنا عبء ثقيل عليك جداً». فأحاول مواساتها بعدة طرق؛ أهديتها ملابس ملونة، فاللون الأسود الذي ترتديه يصبح رتيباً على المدى الطويل، فجرّبتها مرة ومن بعدها لم ترتدِها أبداً. اصطحبتها إلى السينما لمشاهدة أفلام مونتي بايثون الفكاهية، فكانت الوحيدة في القاعة التي لم تضحك. حدّثتها عن «التأمل (الزّني) بمشاهدة التلفاز»: أي فلسفتي الجديدة لتغييب التفكير كلياً بفضل المشاهدة المكثفة للتلفاز، كذلك دون نتيجة. تأتي إليها موناليزا II كي تجعلها تداعبها، ولكنها تمرر يدها آلياً في فروها، دون أن تعيرها أدنى اهتمام.

في الليل، تنزلق بهدوء تحت غطائي، وتلصق قدميها الباردتين كمكعّبي ثلج بقدميّ، سائلة إيّاي إن كنت أرغب بممارسة الحب كما يسأل المسافر مفتش التذاكر إن كان عليه ختم التذكرة للسماح له بعبور البوابة، وبعدها تنام وهي تشخر بصوت عالٍ. في منتصف الليل، تركلني بضربات صغيرة،

وتنقبض ملامح وجهها ويبدو عليها كأنّها تصفّي حساباتها مع عدو وهميّ تخاطبه بشكاوى صغيرة.

قرّرت أنا وموناليزا II مواجهة هذا التحدي: إنقاذ هذه الآنسة من حزنها مهما كلّف الثمن.

نسيت إحدى المرات سيجارتها مشتعلة بين الملاءات وكان الحريق على وشك الاندلاع في غرفتي الجميلة. تركت صنابير المياه مفتوحة فعامت المياه في الحمّام. نسيت أن تقفل الباب بالمفتاح فجاء زوّار غير لطيفين وانتهزوا الفرصة وسرقوا جهاز المسجلة الخاص بي.

في كلّ مرة تخلق لنفسها أعذاراً، وتبكي بنحيب مرتفع وتأتي لتعانقني مذكرة إياي: «سبق وقلت لك إنّني أجلب النحس». وفي كلّ مرة أجيبها: «ولكن لا، لا...».

إنّ وجود غويندولين في حياتي يعطيني رغبة في إعادة كتابة وتحسين كتاب *الجرذان*. عليّ أن أنتصر من أجلنا نحن الاثنين.

وضعت القطة جانباً، ألقيت بالغطاء على التلفاز كي يتوقف مؤقتاً عن السخرية مني بعينه الكبيرة المربعة. جلست أمام آلتي لترتيب النص، وللمرة الثلاثين أبدأ من جديد كتابة روايتي عن الجرذان، الصفحة الأولى.

يجب أن أرفع من مستوى الرواية كثيراً. يجب أن تكون هناك حبكة تجذب اهتمام حتى الناشرين الأكثر بلادة.

جاءتني فكرة جديدة: خلق مكان في عمق المجرور حيث تجري فيه الأحداث الغامضة والمرعبة التي لن أصفها. فأكثر ما يثير الخيال هو ما لا يُعرض. سيشعر كل قارئ بأفظع الأهوال هناك في عمق المجرور.

أشارت لي موناليزا II بأنفها أنّه يتوجب عليّ الحديث عن المرآة، أي ابتكار مشهد يرى فيه الجرذ نفسه في المرآة. إيه... لا يخفى عليك شيء يا موناليزا! سوف أصغي إليك دوماً. ربما ليس هذا كوكبي، ولكنّك أنت من كوكبي. ربما أنا قادم من مملكة قطط سماوية. لم لا، فقد كانت القطط عند المصريين القدامى كائنات مقدسة يعتبرونها مثل الآلهة.

ربما تكون موناليزا II هي المُلهمة التي لطالما بحثت عنها.

كتبتُ طوال الليل.

## 136. إيغور – 21 عاماً

بصفتي رقيباً أول، أعدت إحياء فرقة الذئاب الخاصة. اخترت الأشرس من المجندين. علّمتهم كل مكامن القوة في جملة: «إمّا أن تكون سريعاً أو تموت». ابتكرت جميع أنواع الألعاب لمساعدتهم على تطوير ردود أفعالهم السريعة. إنّهم الآن ينفذون لعبة رمي الكرات واضعين مكان الكرات قنابل مسحوبة الفتيل، وينجحون في تجنب سهام تُرمى في وجوههم، ويقيمون مسابقات يضعون فيها أيديهم على طاولة ويقومون بالضرب بالسكين بسرعة متزايدة بين أصابعهم المتباعدة. بعضهم سريع للغاية حتى إنّه ينجح في التقاط صغار الأرانب بيده. لقد أيقظت شيئاً مهماً بداخلهم؛ الحيوان. إنّهم نادراً ما يتحدثون فيما بينها، ولم يعد أيّ أحد منّا يسمح لنفسه بالانخراط في نقاش فكري ممل.

عندما يتوجّه ذئب بالكلام لذئب آخر فكي يقول له: «انتبه خلفك». في الواقع، لا يلفظ حتى كلمة «انتبه»، يقول فقط «خلفك». إنّنا لا نتكلم إلّا كي نبقى على قيد الحياة. إنّ ذئابي تطيعني بالتمام والكمال. أنا أكثر من مجرد رقيب أول، أنا زعيم المجموعة.

لقد أنجزنا سوية العديد من الأعمال الباهرة التي لن تذكر على الإطلاق في كتب التاريخ، ولكن ربما سيكون مكانها في أفلام ممثليّ المفضلين، النجوم الأمريكيين مثل سيلفستر ستالون وأرنولد شوارزنيغر.

أصبح ستانيسلاس ذراعي الأيمن، هو الشخص الذي يوبِّخ الذئاب الذين لا يطيعونني بالسرعة الكافية أو الذين لا يفهمونني بلمح البصر. إنّه يقوم بعمله على أكمل وجه. إن استمرّ الوضع على هذا المنوال، سوف نصل إلى مرحلة نتوقف فيها عن الكلام تماماً وسيكون الجميع متصلين بعضهم ببعض كما لو أنّ هناك تخاطراً بيننا.

في إحدى المرات قابلت رجلاً قال لي: «يسعدني أن أصبح ذئباً لأنّه في كلّ مهماتي السابقة لم يحالفني الحظ». أجبته أنّ الناس غير المحظوظين ليس لهم مكان في مجموعتي، وقمت بفصله.

أعتقد أنّ هناك ثلاثة عوامل للنجاح في الحياة وهي الموهبة، والحظ،

والعمل. يمكننا النجاح بوجود اثنين من هذه العوامل، فالعمل إضافة للحظ يمكنهما أن يكونا كافيين إن لم تكن لدينا الموهبة، ويمكن للموهبة والعمل أن يعوضا نقص الحظ، ويمكن للموهبة والحظ أن يكونا كافيين دون القيام بالعمل، ولكن المثاليّ هو امتلاك الثلاثة. لذلك أطلب من ذئابي، إضافة إلى براعتهم الطبيعية، بالتدريب المتواصل، وصيانة مستمرة لحظهم.

علّمتهم نظريتي الجديدة ألا وهي أنّ لكلّ واحد منّا ملاكه الحارس.

عندما لا تسير الأمور على خير ما يرام، يجب عدم التردد برفع صلاة عاجلة. روى ستانيسلاس عدة حكايات عن ملاكه الحارس الذي أنقذ حياته، وأعتقد أنّني بذلك قد غرست في ذئابي بضع أساسيات الفكر الروحي.

القطيع يدمر كل ما يقف في طريقه. إنّ أعداءنا لا يؤمنون سوى بآلاتهم، فهذه الخراف تعتقد أنّها محمية بالرادارات والألغام والبنادق الهجومية الجديدة المُهداة من أعداء روسيا. إنّهم بسطاء ساذجون. إنّ أيّ واحد من ذئابي يحقق بيده العارية نتائج أفضل منكم ومن روبوتاتكم الإلكترونية. لأنّنا كالذئاب المصابة بداء الكلب، وليس هناك أيّة آلة إلكترونية يمكن أن تُصاب بالكَلَب.

تتزايد الميداليات على صدري، وهذا أمر له اعتباره في بلدي. خسرت بعض الرجال الذين لم يكونوا سريعين بما يكفي في لحظات حاسمة فماتوا من فورهم. هذا هو الانتخاب الطبيعي للأنواع، كما يقول دارون، فالأفراد الأقل قوة يختفون بسرعة.

إنّ ذئاب مجموعتي معجبون بي ويحترمونني، ولكنّني أُرهبُهم قليلاً. أود حقاً أن يحبّني أحد ما في يوم من الأيام. وأرغب الآن في عيش قصة حب طبيعية مع فتاة طبيعية.

لذلك، ربما يتوجب عليّ الحصول على ميداليات إضافية. فالميداليات تبهر الفتيات.

سيعجب هذا فينوس. رأيت صورتها من جديد على جريدة كانت تغلف ذخيرتنا. يبدو أنّها انتُخبت ملكة جمال الكون.

## 137. فينوس- 21 عاماً

منذ تتويجي ملكة جمال الكون، يطلبونني من جميع أنحاء العالم من أجل المشاركة في عروض الأزياء أو صور الموضة، ويجرون معي مقابلات على التلفاز ليسألوني عن رأيي في كلّ شيء. كما لو أنّ الجمال الباهر إشارة إلى الذكاء أيضاً!... ينصحني وكيل أعمالي بيلي واتس (الذي توجّب عليّ اعتماده بحكم مركزي الجديد)، أن أجيب بما يخطر في بالي. وبما أنه في جميع الأحوال لا يكون لديّ فكرة عن الموضوع المطروح، لذا لا يكون هناك خيار أمامي سوى الارتجال. وتنجح الأمور، حتى إنّها تنجح جيداً. يبدو أنّ هذا ما يعجب الناس فيّ، ألا وهو عفويتي. سألت بيلي واتس إن كانت عدم معرفتي بما يقوله المتحدث تسبب مشكلة، فأجابني أنّه على العكس، فعامة الناس «يرون أنفسهم» في «جهلي». كما أنّه من ناحية أخرى، هناك بعض رجال السياسة يستشهدون بأقوالي حول جميع المواضيع قائلين: «كما تعبر عن ذلك بشكل رائع فينوس شيريدان...».

هذا مسلٍّ. أنا التي لم أحصل على الشهادة الثانوية العامة، تصبح أقوالي مرجعاً لأولئك الحاصلين على أرقى الشهادات من جامعة هارفرد. هؤلاء السياسيون لا يعرفون ماذا يفعلون كي يُظهروا أنهم قريبون من الشعب.

عبّرت عن رأيي مرة فيما يخص الحرب في الشيشان، على أنّها «غير جيدة»، وحصد رأيي هذا إعجاب الكثيرين. عموماً يتشكّل رأيي تدريجياً أثناء إجاباتي على الأسئلة في المقابلات. في البداية، أعطي رأيي بعفوية وبعدها أفكر بالسؤال. يبدو هذا غبياً ولكنّه يجدي نفعاً. أدركت بذلك أنّني ضد الحرب، وبصورة أكثر عمومية، أنّني ضد العنف وضد التلوث وضد الفقر وضد المرض.

أقف موقفاً صارماً ضد كلّ ما هو أحمق، وشرير، وبشع. أنا جاهزة كي أوقع على جميع العرائض والمطالبات في هذا الاتجاه.

فيما يخص صغار الفقمة، فهذا يتطلب التفكير قليلاً، فإنّ الإفراط في حمايتها سوف يدمّر شعب الأسكيمو الذي يعيش على صيدها. وبخصوص رفع القيود عن المخدرات الخفيفة، وحظر حمل السلاح، وإلغاء عقوبة

الإعدام، عليّ أيضاً التفكير ملياً في الأمر. لا أميز بوضوح من هم الأخيار ومن هم الأشرار في هذا الأمر، ولكنّني وعدت أن أعطي رأيي قريباً في هذا الشأن. سألتني إحدى الصحفيات لصالح أيّ مرشح سأصوت في الانتخابات، لصالح الجمهوريين أم الديمقراطيين. فأجبتها: «الصاحب الهندام الأجمل». أثار هذا الرأي أيضاً إعجاب الناس. قال الصحفيون إنّ ملاحظتي هذه يجب أن تصنّف كأعلى درجة من درجات التلميح المبطّن. قاموا بعدها بتوضيح وجهة نظري على شاشة التلفاز بقرن كلامي مع عرض صور لطغاة من العالم الثالث، وكان من السهل ملاحظة أنّ هؤلاء الطغاة جميعهم يسيئون جداً اختيار ملابسهم.

انتقلت للعيش في شقة جميلة في أحد الأحياء الراقية ولم أعد أرى أمي إلّا مرة في الأسبوع. إنّها مخبولة بعض الشيء. فهي تشرب كثيراً وتبدّل الكثير من العشاق. وأنا أيضاً أضاعف مغامراتي، ولكنّني تعلمت ألّا أتعلق كثيراً، فأنا أحب التلاعب بعشاقي.

في البداية، كنت أشعر أنّني ملزمة بإيجاد أعذار مجدية نوعاً ما مثل: «أحبّ رجلاً آخر» أو: «لم أعد أحتمل أصدقاءك». أما الآن فلم أعد أكلّف نفسي حتى هذا العناء. يكفي أن أقول بتجهّم «لم تعد مثيراً للاهتمام بالنسبة لي».

هنالك فقط ظلّ أسود طفيف في هذه اللوحة المثالية من حياتي؛ إنّني أعاني من الصداع النصفي بشكل متزايد. استشرت عدداً من الأطباء، ولكن لم يستطع أيّ أحد منهم مساعدتي. هم لا يفهمون حالتي.

صرت أدخن بشراهة، لأنّ هذا يخفّف قليلاً من الألم في رأسي. كما أحتاج في الليل لجرعات منومة تتزايد يوماً بعد يوم. تتناوب عليّ نوبات من الصداع النصفي بالإضافة لمشكلة السير أثناء النوم. ولكن في جميع الأحوال، ما زلت أثق بأحلامي.

تلقّيت اتصالاً من بيلي واتس يخبرني فيه أنّني على وشك أن أصبح سفيرة لإحدى ماركات العطور الفرنسية الكبرى. إنّها صفقة القرن تلوح في الأفق. قفزت فرحاً. إن نجحت في توقيع هذا العقد، سأعيش برخاء حتى

آخر أيام حياتي. ولكن انخفض صوت بيلي واتس قليلاً وهو يقول إنّ سنتيا كورنويل مرشحة أيضاً لتوقيع هذا العقد. غضبت جداً، إنّ سنتيا كورنويل هي منافستي الرئيسية.

سنتيا سوداء مثلي، وطويلة مثلي، وخضعت لبعض العمليات التجميلية مثلي، ولها ابتسامتي. و... وهي أصغر مني. عمرها فقط سبعة عشر عاماً، وهذا قد يُرجح كفّة الميزان لصالحها.

ومع ذلك فإنّ بيلي واتس متفائل جداً، فقد أخبرته لوديفين، وسيطته الروحية، أنّني أنا من سيفوز في توقيع هذا العقد.

بالنسبة لي، أرغب كثيراً بالوثوق بالوسطاء الروحيين، ولكن لا أثق بشركات منتجات التجميل. فأنا أعرف الأطر القديمة التي تدير هذه المصانع. إنّهم يعطون الأولوية دائماً للشباب. أعرف أنّهم سيفضلون سنتيا. كما أنّهم لطالما شاهدوني كثيراً في وسائل الإعلام لدرجة أنّني في الحادية والعشرين من عمري أصبحت وجهاً مألوفاً ومتناولاً جداً بينما تتمتع سنتيا بميزة كونها منافسة حقيقيّة في طريقها للنجومية.

رفعت صلاتي. إن كان هناك شيء ما في الأعلى، إن كنت أملك حقاً ملاكاً حارساً، أريد... أريد أن تتشوه هذه المرأة الفاسقة!

## 138. موسوعة

طغيان الدماغ الأيسر: إذا فصلنا نصفي الكرة المخية، وقمنا بعرض رسم فكاهيّ على العين اليسرى (المتطابقة مع الجانب الأيمن) في حين أنّ العين اليمنى (المتطابقة مع الجانب الأيسر) لا ترى شيئاً، سوف يضحك الشخص، وإذا سألناه لماذا تضحك، فإنّه سيؤلف تفسيراً لسلوكه، على اعتبار أنّ الدماغ الأيسر ليس لديه أدنى فكرة عمّا يجري ويجهل النكتة، وسيقول مثلاً: «لأنّ سترة الباحث بيضاء وأجد أنّ هذا اللون مضحك».

يخترع إذاً النصف الأيسر من الدماغ منطقاً للسلوك لأنّه لا يستطيع قبول أن يضحك المرء دون سبب أو من أجل شيء يجهله. والأكثر من ذلك أنّه بعد السؤال، سيقتنع الدماغ كله أنّ السترة البيضاء هي التي جعلته يضحك

وسينسى الرسم الفكاهي الذي عرض على نصف الكرة المخية الأيمن. أثناء النوم، يترك النصف الأيسر النصف الأيمن بسلام. فيتابع نصف الكرة الأيمن فيلمه الداخليّ برؤية أشخاص سوف يغيّرون وجوههم أثناء الحلم، وأماكن تنقلب رأساً على عقب، وجمل وهمية، ومقتطفات خاطفة لقصص تتداخل بقصص أخرى لتبدأ من جديد دون ترابط في الأحداث. عند الاستيقاظ، وما إن يعاود الجزء الأيسر فرض هيمنته، يقوم بتفكيك ذكريات الحلم بطريقة تسمح بتكوين قصة متماسكة (مع وحدة الزمان والمكان والحدث) والتي ستصبح بشكل تدريجي مع مرور النهار ذكرى لحلم «منطقي» جداً.

في الواقع، بمعزل حتى عن النوم، نعيش حالة مستمرة من إدراك لمعلومات غير مفهومة يقوم نصف دماغنا الأيسر بتفسيرها. هذا الطغيان لنصف الكرة الأيسر يصعب أحياناً تحمله. فيقوم بعضهم بشرب النبيذ حتى الثمالة، أو يتعاطى آخرون المخدرات للهروب من العقلانية القاسية لنصف دماغهم. وتحت ذريعة التسمم الكيميائي الذي يؤثر على الحواس، يسمح النصف الأيمن لنفسه بالتحدث بحرية أوسع، متحرراً من مفسّره الدائم.

سيقول الناس عن هذا البطل: إنّه يهذي، هذه هلوسات، بينما لم يقم هذا الشخص سوى بالتفريغ عن الضغط المطبق عليه.

دون أدنى مساعدة كيميائية، سيكون كافياً أن نسمح لأنفسنا بقبول أنّ العالم يمكن أن يكون غير منطقي عند استقباله بشكل مباشر المعلومات «غير المعالجة» المُرسلة من نصف الدماغ الأيمن. في العودة إلى المثال المذكور أعلاه، إن نجحنا في التصالح مع فكرة أنّ النصف الأيمن يعبر بحرية، سنتمكن من معرفة النكتة الأولى. تلك التي جعلتنا نضحك بالفعل.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 139. إيغور– 21 عاماً وشهرين

بدأت بالتنفيذ. قمت أنا وذئابي بسحق الأخضر واليابس. اقتحمنا مواقع العدو متعرضين لخسائر مقبولة جداً من طرفنا. جاء الكولونيل دوكوسكوف

في أحد الأيام لملاقاتنا على الجبهة. بدت هيئته سعيدة. وضع يديه على كتفيّ وقال دون لفّ ودوران:

- أحمل أخباراً رائعة.

قلت لنفسي إنّه يلمّح بلا شك إلى بنادق الكلاشنكوف. فمنذ فترة وُعدنا أن يتمّ استبدال عتادنا القديم بأسلحة حديثة، ولا أرى خبراً جميلاً إلّا في هذا السياق. أعرف مسبقاً من هم الشبان الذين سأعهد إليهم بهذه الأسلحة الجديدة لاختبارها.

- انتهت الحرب.

توقفت عن التنفس. كرّر الكولونيل.



- إنّه السلام.

نطقت بصعوبة:

- السـ... ـسلام...

قرّر إذاً الفاسدون في الكرملين تحت سطوة مافيا الرأسمالية الأمريكية توقيع معاهدة مع ممثلين عن القوات الشيشانية. هذا أسوأ شيء يمكنني سماعه. ليت هذه اللحظة لم تأتِ مطلقاً. السلام. السلام؟!! بينما كنّا على وشك الانتصار؟! لا أجرؤ على سؤاله لماذا تراجعوا. لا أجرؤ على التصريح أنّه في هذه اللحظة، ربما تكون ذئابي قد استولت على موقع استراتيجي. لا أجرؤ على ذكر الفظائع التي فعلها الشيشانيون من استخدامهم الأطفال كدروع بشرية حية، إلى التعذيب الذي تعرض له رجالي الأسرى. هل مع هؤلاء سنقيم السلام؟ سألته بقليل من الأمل:

- هذه... هذه نكتة؟

تفاجأ بجوابي.

- كلا. إنّ الأمر رسمي وقد تمّ التوقيع عليه البارحة.

كما لو أنّني أصبت بالإعياء.

لا بدّ وأنّ الكولونيل دوكوسكوف اعتقد أنّ هذه هي علائم السعادة لذا أمسك ذراعي. هل يمكن أن يضلّ الناس لهذه الدرجة؟ هل يمكن ألّا يدركوا

حقاً ما يحصل؟ كنا على وشك الانتصار في هذه الحرب! كنا سنربح كلّ شيء! وإذ بنا... نتفاوض. نتفاوض على ماذا؟ حق خسارة كلّ شيء!

ماذا سيحصل لي الآن؟

تركتُ غابتي ومجموعتي الخاصة وشغفي الكبير. أرجعت بزتي العسكرية وأسلحتي وحذائي أيضاً. عدت بعربة إلى موسكو وغرقت في عالم المدن ذات الخطوط الهندسية.

يبدو أنّ جنكيز خان كان يمقت المدن. كان يقول إنّ مجرد حشر البشر في مساحة جغرافية صغيرة مسورة بجدران سوف تفضي إلى تعفن الأرواح، واكتظاظ القمامة، وانتشار الأمراض والعقليات التافهة. دمّر جنكيز خان ما استطاع من المدن، ولكن كان لسكان المدن الكلمة الفصل في النهاية.

عدت إلى الحياة المدنية. وقد توجّب عليّ إيجاد مسكن ولم تكن لديّ دراية بملء الأوراق الرسمية. أكره المعاملات الورقية... نجحت باستئجار شقة صغيرة قبيحة صاخبة وباهظة الثمن مع حشد من الجيران الذين ينظرون إليّ بريبة. أشعر بالحنين للمخيمات في العراء وسط الطبيعة. أين هي أشجاري؟ أين ذئابي؟ أين هوائي النقي؟

أشعر أنّني مقيد بملابسي المدنية متواضعة الأناقة وغير العملية. سروال وسترة وقميص تنقصه الجيوب كما أنّ القماش شديد الرهافة بحيث لا أستطيع تعليق الميداليات عليه.

أشعر بصعوبة في الاندماج مع المجتمع المدني. في الحرب، يكفي أن تقاتل كي تحصل على ما تريد. هنا، تسود قاعدة واحدة فقط وهي المال. يجب أن ندفع، يجب أن ندفع دوماً.

كنت أظنّ أنّ سجلات خدمتي سوف تساعدني، ولكن على العكس، فالخانعون لا يثقون بالمحاربين القدامى. أشاهد مراراً وتكراراً على جهاز تسجيل الفيديوهات أفلاماً لسيلفستر ستالون وأرنولد شوارزنيغر، وأشرب الكثير من الفودكا إلى أن أغطّ في نوم عميق. لا يسعني الانتظار حتى إعلان الحرب على الغرب، فأنا أكثر من جاهز.

في أحد الأيام رنّ ساعي البريد جرس شقتي. إنّه يحمل لي أول أجر

عن «تقاعدي». فتحت المغلف وعددت الأوراق النقدية. إنّ أجري «كمنقذ للأمة» يساوي نصف راتب شهري لبائع سندويش!

كنت أستحق أفضل من هذا. أريد المزيد من النقود. أريد الحصول على شقة واسعة. أريد منزلاً في الريف مثل كبار الموظفين. أريد سيارة ليموزين فارهة. لقد عانيت بما يكفي، والآن أريد أن أكون غنياً.

هيه، أنت في الأعلى! يا ملاكي الحارس، إن كنت تسمعني: أريد أن أكون غنياً.

## 140. الصلوات

أفرك عينيّ. مشاهد حياة موكليّ تنهكني جداً. إرسال أحلام لهم لا يفهمون معناها تثير غضبي. إرسال إشارات لا يرونها تثير حنقي. إرسال حدس لا يصغون له يثير سخطي. لقد سئمت. أريد فعلاً أن أكون تلميذاً نجيباً، ولكن يجب على الأقل الحصول على حدّ أدنى من النتائج الإيجابية كي تكون لديّ رغبة بالاستمرار. سأذهب إلى إدموند ويلز.

– أعرف أن أول واجب للملائكة هو تنفيذ أمنيات موكليهم ولكن من الصعب جداً تحقيق هذه الأمنيات، قلت ذلك لمدرّبي. لا يحلم جاك سوى بإيجاد ناشر لترهاته عن الجرذان.

– أعطه ما يريد.

– ويريد إيغور أن يصبح ثرياً. هل أجعله يربح اليانصيب؟

– لن تساعده إن جعلته يربح اليانصيب. سوف يزداد حزنه أكثر، فلن يحيط به سوى أناس مهتمين بثروته الجديدة. لا يكفي أن يرغب بأن يكون ثرياً، يجب أن يكون قادراً على تحمل مسؤولية هذه الثروة، وهو ليس مستعداً لذلك الآن. اجعله ثرياً ولكن بطريقة تصاعدية أكثر من ربح اليانصيب. وماذا بشأن الموكل التالي.

– ترغب فينوس أن تصبح منافستها، عارضة الأزياء السوداء الأخرى الأصغر سناً منها، أن تصبح ... مشوهة!

– حقّق لها ما تتمناه. قال مدرّبي ببرود.

يبدو أنّني لم أسمع جيداً.

– ولكن كنت أظنّ أنّنا هنا كي لا نقدم سوى الخير للبشرية.

– مسؤوليتك الأساسية هي إرضاء موكليك. إن كانوا يريدون فعل أشياء حمقاء، فهذه هي إرادتهم الحرة. احترمها.

أخذني إدموند ويلز لنحلق قليلاً فوق الجنة.

– أنا أتفهّم اضطرابك يا مايكل، إنّ عمل الملاك ليس سهلاً، فالبشر يرسلون أمنيات تافهة وبسيطة. يتملكني انطباع أحياناً أنّهم يخافون أن يكونوا سعداء. كل مشكلتهم تتلخص في جملة وحيدة: «لا يريدون بناء سعادتهم، يريدون فقط تقليص ألمهم».

كرّرت ذلك كي أفهم تماماً أبعاد هذه الجملة. «لا يريدون بناء سعادتهم، يريدون فقط تقليص ألمهم...»

تابع إدموند ويلز مرافعته:

– كلّ ما يرغبون به هو أن يخفّ الألم الذي يسببه التسوس، أن يتوقف أطفالهم الذين لطالما رغبوا بهم سابقاً عن الصراخ عندما يشاهدون التلفاز، وأن تتوقف الجدة عن القدوم لإفساد وجبة غدائهم يوم الأحد. فقط لو كان لديهم فكرة عمّا يمكننا تقديمه لهم! فيما يخص المسكينة سنتيا كورنويل، منافسة فينوس، يتوجب عليك التفاوض مع ملاكها الحارس بشأن «الحادث» الذي ستتعرض له، ولكن يجب ألّا يتسبب ذلك الحادث بموتها لأنّ موكلته سوف تحصل على نقاط باعتبار أنّها ستكون شهيدة. هناك عقبة أخيرة أودّ جذب انتباهك لها يا مايكل. لا أعرف إن كنت قد شعرت بذلك ولكن... ما عادت وسائل التدخل التي يعتمدها موكلوك هي ذاتها. كان إيغور يقظاً للإشارات، والآن أصبح مهتماً لحدسه. كانت فينوس تأخذ أحلامها بعين الاعتبار، أمّا الآن فقد بدأت الاهتمام بالوسطاء الروحيين. فيما يخصّ جاك، كان متأثراً سابقاً بقطته بشكل رئيسي، سوف يصبح من الآن فصاعداً حساساً لذكريات أحلامه.

## 141. جاك – 22 عاماً

رأيت كابوساً. كان هناك ذئب يبكي، ومن ثمّ رأيت فتاة قد تحوّلت إلى منطاد، وبعدها غادرت الفتاة–المنطاد الأرض وراحت تصعد، وتصعد.

شاهدها الذئب تصعد فراح يصرخ بطريقة حزينة للغاية. كان هناك عصفور ليس لديه أجنحة يضرب بمنقاره جدار الفتاة-المنطاد كي يجبرها على العودة إلى الأسفل، ولكنّ الجدار كان قاسياً جداً فاستدار العصفور الذي لا يملك أجنحة وطلب مني شيئاً ما، قال لي: «تكلم عن الموت»، «تكلم عن الموت».

كان الذئب يعوي، والعصفور يركل الفتاة. وأنا، استيقظت وأدركت أنّ غويندولين كانت توجه لي ركلات بقدمها من جديد.

كانت تحلم هي الأخرى، وتقول في نومها: «يجب أن يتوقف هذا»، ومن ثمّ بدت وكأنّها تجيب على شخص ما يحدثها: «كلا، ليس أنا، ليس هذا»، أو تقول: «لن يحدث الأمر هكذا، صدقني»، وتقوم من جديد بركلي بقدميها الصغيرتين كما لو أنّها تصارع أحداً ما.

فجأة، تلقيت ضربات من مخلب. إنّها موناليزا II، هي أيضاً تتحرك وهي نائمة. عيناها مغمضتان، ولكنّها تقطّب حاجبيها، وتمدّ قدميها وتُخرج مخالبها وترسل ركلات حادة وصغيرة. إن كان يبدو لي أنّه من الطبيعي شعور البشر بالخوف، ولكن أجد أنّه من المرعب أن ترى قطتي أيضاً الكوابيس.

كانت غرفة الانتظار عند الطبيب البيطري مكتظة، وكان الشخص الجالس بجانبي يحمل أيضاً قطة بدينة مثل قطتي، فسألته:

- ممّ تعاني قطتك؟

- قصر النظر. يزداد التصاق ميدور بشاشة التلفاز أكثر فأكثر.

- اسم الهرّ ميدور؟

- نعم، لأنّه يتصرف مثل كلب خاضع. لا يتمتع بأيّة استقلالية، فهو يسرع بمجرد أن نناديه... لقد أصبح يعاني في النهاية من قصر النظر ويجب ربما أن يضع نظارات.

- إنّها دون شك طفرة عامة لدى النوع الحيواني... فقطتي أيضاً تزداد التصاقاً بشاشة التلفاز يوماً بعد يوم.

- حسناً، إن لم ينجح هذا الطبيب البيطري العام بإيجاد حلّ، سوف أستشير طبيب عيون بيطري، وإن لم يجد هو الآخر حلاً، سوف أذهب لرؤية طبيب نفسي بيطري.

رحنا نضحك كلانا.

- وممّ تعاني قطتك؟

- إنّ مونالیزا II ترى كوابيسَ. إنّها متوترة طوال الوقت.

- حتى لو لم أكن طبيباً بيطرياً، قال الرجل، أستطيع مع ذلك أن أقدم لك نصيحة. إنّ سلوك القط غالباً ما يكون صورة عن سلوك سيده. هذه القطة تعيش معاناتك، لذا اهدأ واسترخِ وبعدها سوف تهدأ قطتك، تبدو لي متوتراً للغاية. ومن ثمّ، إن لم تنجح في ذلك، أنجب أطفالاً، فالقطط تتسلّى بالأطفال.

إنّنا ننتظر، ما زال أمامنا أيضاً عشرة زبائن، الأمر الذي سمح لنا بتبادل أطراف الحديث طوال الوقت. قدّم نفسه لي:

- اسمي رينيه.

- وأنا جاك.

سألني عن مهنتي. نادل في مطعم، أجبته. وهو ناشر. لم أتجرأ على مفاتحته بمسودة روايتي.

- إنّ الدور يسير ببطء، أشار قائلاً. هل تعرف اللعب بالشطرنج؟ لديّ رقعة شطرنج صغيرة أحملها في حقيبتي.

- موافق، لنلعب.

أدركت سريعاً أنّه لن يكون من الصعب هزيمته، ولكن عادت إلى خاطري نصيحة قدمتها لي مارتين. النصر الحقيقي يجب ألا يكون سهلاً جداً، يجب أن يتحقق دائماً بصعوبة و«بفارق ضئيل». لذلك أبطأت من حماستي القتالية ورتّبت أموري كي تتقارب النتائج ونصبح كلانا بالمستوى ذاته. بعد أن تخليت عن فكرة تفوّقي، هل سأقدر على التخلي عن الفوز؟ قد تكون بعض الهزائم مثيرة للاهتمام... تركته يتولى زمام الأمور، وبالفعل... مات ملكي.

- أنا لست سوى هاوٍ بسيط، قال رينيه متفاخراً. في مرحلة ما، ظننت أنّني سأخسر بالفعل.

أبديت مظهر المستاء، وأجبته:

- اعتقدت في مرحلة ما أنّني فزت حقاً.

في هذه اللحظة، وكما لو أنّه سحر، لم أعد خائفاً من مفاتحته بشأن مسودتي.

– أنا لست فقط نادلاً في مطعم، أنا أكتب أيضاً في أوقات فراغي.

نظر إليّ بشيء من الشفقة.

– أعرف، فالجميع يكتبون في أيامنا هذه. كلّ فرنسي من أصل ثلاثة لديه عمل قيد الإنجاز. بالنسبة لعملك أنت، سبق وأرسلته لناشرين وقوبل بالرفض، أليس كذلك؟

– من قبل الجميع.

– هذا طبيعي. فالقرّاء المحترفون يكتبون تقريراً عن كلّ نسخة يقرؤونها ويقبضون عليها ثمناً بخساً. ولذلك كي يكون عملهم مجزياً، فهم يقرؤون ما يقارب عشر نسخ في اليوم. وبشكل عام، يتوقفون عن القراءة في الصفحات الست الأولى لأنّ النصوص تكون مملة بغالبيتها. يجب أن تكون محظوظاً جداً كي تلتقي بقارئ متحمس.

إنّ محدّثي يفتح لي آفاقاً جديدة.

– لم أكن أعلم أنّ الأمور تجري على هذا النحو.

– يعوّلون في أغلب الأحيان على مقدمة الكتاب وعنوانه وعدد الأخطاء الإملائية في السطور الأولى. آه، من قواعد الكتابة في اللغة الفرنسية! كلّ تلك الحروف الساكنة التي تتالى، هل تعرف ما هو مصدرها؟

– إنّها اشتقاقات يونانية أو لاتينية، هكذا يبدو لي.

– ليس فقط هذا، فقد كان الرهبان الناسخون في العصور الوسطى يحصلون على المال حسب عدد الحروف في كل مخطوطة منسوخة. لذلك اتفق الرهبان فيما بينهم على تكرار الأحرف الساكنة. ولهذا السبب نجد مثلاً في كلمة «difficile» قد توالى حرف «f»، وأيضاً كلمة «développer» توالى فيها حرف «p». ونتابع نحن حتى الآن هذا التقليد بشكل صارم كأنّه كنز وطني وليس خدعة من الرهبان.

اقترب دوره. قدّم لي بطاقته الشخصية باسم رينيه شاربونيه.

– أرسل لي مخطوط روايتك. أعدك أنّني سأقرأ أكثر من أول ست

صفحات، وسأعلمك برأيي فيها بكلّ صدق وشفافية. ولكن في جميع الأحوال، لا تتوقع وتتوهم الكثير.

أرسلت في اليوم التالي روايتي إلى العنوان المُشار إليه في البطاقة. وبعد يوم تماماً، كتب لي رينيه شاربونيه ليعلمني أنّه وافق على نشر الرواية. إنّني في قمة السعادة لدرجة أنّني لا أصدق ذلك. وأخيراً، سأحصد ثمار كلّ هذه الجهود التي بذلتها! وأخيراً، كلّ ما قمت به لن يذهب سدى!

أعلمت غويندولين بهذه البشرى السارة، واحتفلنا بهذا الحدث بشرب الشامبانيا. أشعر أنّني تخلّصت من عبء ثقيل. يتوجب عليّ العودة إلى أرض الواقع، واستئناف عاداتي. وقّعت العقد وحاولت أن أنسى فرحي كي أركّز على الأعمال الواجب إتمامها بغية الدفاع الأمثل عن عملي.

بفضل الشيك الذي حصلت عليه من العقد، أهديتُ نفسي وغويندولين وموناليزا II ما كنا نحلم به منذ وقت طويل: اشتراك بث لقناة تلفزيونية. وللهروب من اضطرابي، جلست أمام هذا الضوء الذي يريحني كثيراً. التقطت بثاً لقناة أخبار أمريكية، حيث يقوم نجم لا بدّ وأنّه كريس بيترز بتقديمها. إنّه وجه جديد أعطاني إحساساً بالثقة. كما لو أنّه كان فرداً من عائلتي.

– تعالي يا غويندولين، سوف نشاهد التلفاز، علّ ذلك يريح رأسنا.

لم تجبني غويندولين وأنا أسمعها في المطبخ تحضّر الطعام للقطة.

بدأ فعلياً كريس بيترز بتقديم أخبار هذا اليوم. حرب في كشمير مع تهديد باستخدام السلاح الذري. أعلنت الحكومة الباكستانية الجديدة التي تولت السلطة عقب انقلاب عسكري، عزمها الانتقام لكرامة جميع الباكستانيين، كونها لا تملك ما تخسره، لذا ستقوم بسحق الهند المقيتة. موضة جديدة: يتزايد عدد الطلاب المسجلين في البورصة كي يموّل المساهمون تكاليف دراستهم، ومن ثمّ يسدّدون ما عليهم بما يتناسب مع نجاحهم. قرّر شعب أوا، سكان الغابات الأصليين في الأمازون، الانتحار إن استمرّ الإصرار على استخراج النفط من أراضيهم المقدسة، معلنين في الواقع، أنّ النفط هو دم الأرض...

عملية اغتيال جديدة لقاتل متسلسل باستخدام ربطة الحذاء. قام هذه المرة بقتل الفنانة المشهورة وعارضة الأزياء صوفي دوناهو. وقد فعل ذلك بالطريقة التالية...

– هيّا، تعالي لنتابع التلفاز يا غويندولين!

جاءت غويندولين بهيئة تبدو حزينة، وقالت بتجهّم.

– أنا لا آبه.

– هل هناك خطب ما؟ قلت ذلك، وأنا أُجلسها على ركبتيّ مداعباً شعرها كما أفعل مع قطتي.

– أنت من ستُنشر أعماله، وليس أنا.

## 142. موسوعة

**المازوشية: المازوشية في الأصل هي الخوف من احتمال وقوع حدث مؤلم. يخاف الإنسان لأنّه يجهل متى سيقع في الشِّدة وكم سيكون وقعها أليماً. وقد أدرك المازوشي أنّ إحدى طرق ردع هذا الخوف هي أن يتسبب بنفسه بوقوع هذا الحدث الموجع. لذلك، فهو يعرف على الأقل متى وكيف سيقع هذا الحدث. وبذلك فإنّ استثارة الحدث المؤلم ذاتياً من قبل المازوشي يجعله يدرك أنه يتحكم بمصيره.**

كلّما أوجع المازوشي نفسه، قلّ خوفه من الحياة. لأنّه يعرف أنّ الآخرين لن يستطيعوا مجاراة الألم الذي يتسبّب به هو لنفسه. لم يعد هناك ما يُخشى من أيّ أمر كان لأنّ المازوشي هو ألدّ عدوّ لنفسه.

لاحقاً، يسمح له هذا التحكم بالذات بالهيمنة ببساطة شديدة على الآخرين.

لذلك، ليس من المستغرب أنّ العديد من القادة والأشخاص المتمتعين بالسلطة لديهم إلى حدّ ما ميول مازوشية في حياتهم الشخصية.

ومع ذلك هناك ثمن يجب دفعه. لأنّ الربط بين مفهوم العذاب ومفهوم التحكم بالمصير الشخصي، يجعل المازوشي مناهضاً لمذهب المتعة. لا يعود يتمنى السعادة لنفسه، يبقى فقط في حالة بحث عن آلام جديدة أكثر مرارة وتعذيباً. ويمكن لهذا أن يصبح مثل المخدرات.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 143. إيغور – 22 عاماً

أحتاج المال؟ حسناً، ليس أمامي سوى الحصول عليه أينما وجد. إذن بدأت بامتهان السطو. ماذا يمكن أن أخسر؟ في أسوأ الأحوال، سينتهي المطاف بي في السجن بحيث يمكن أن أجد الكثير من ذئابي هناك. أصبح ستانيسلاس شريكي. إنّنا نستخدم الأدوات ذاتها التي تُستخدم في الحروب. بعد قاذفة اللهب، يأتي دور موقد اللحام. لا يقف في طريقنا أيّ قفل أو أيّة خزنة. هناك ساعة سحرية من أجل السرقة، إنّها الساعة الرابعة والربع صباحاً، حيث تختفي حركة السيارات في مثل هذا الوقت، كما أنّ أواخر الساهرين يكونون قد ناموا أخيراً، وأوائل العمال لا يكونون قد استيقظوا بعد. في الساعة الرابعة والربع صباحاً تكون الجادات الرئيسة خالية تماماً.

نقوم بالاستطلاع عن الموقع في النهار وعند الساعة الرابعة والربع ننفذ العمل. كما في الحروب، يجب وضع خطة واستراتيجية للعمل.

كنا في طور سرقة قصر فخم للغاية في الحي الشمالي عندما لوّح ستانيسلاس بصورة كانت على منضدة، وقال لي:

– هيه يا إيغور، أليس هذا الشخص ذو الشارب المعقوف مثل مقود الدراجة، هو نفسه الشخص الذي تعلّق صورته على ميداليتك؟

أصابتني القشعريرة. هرعت أقارن بين الصورتين، ليس هناك مجال للشك؛ الشارب ذاته، والمظهر المتغطرس ذاته، والنظرة الماكرة ذاتها. لقد دخلنا لاقتحام منزل... أبي. تفحّصت المكان. بحثت في الدروج. وجدت أوراقاً وألبوم صور عائلية تؤكد أنّ أبي الجيني قد أصبح رجلاً غنياً ومهماً، وأنّه يمتلك عدة منازل، والكثير من الأصدقاء، ويتردّد على الأشخاص النافذين.

تخلّى والدي عن أمي حين كانت حاملاً بي، ولكنّه مع ذلك لم يحرم نفسه من الذرية. هناك العديد من غرف النوم للأطفال في هذا القصر!

أمسكت موقد اللحام وقد تملّكني غضب عارم، وأحرقت الألعاب في غرف الأطفال واحدة تلو الأخرى. كان يجب أن تكون هذه الألعاب لي. كان من المفترض أن تملأ طفولتي أنا بالفرح. لم أنتفع منها، لذا «فالآخرون» أيضاً لن أجعلهم ينتفعون بها.

ومن ثمّ استلقيت على الأريكة منهكاً من إحساسي العميق بالظلم.

– تمّ إعلان السلام وفوق ذلك وجدت أبي، هذا كثير!

– خذ هذا، اشرب، ستكون على ما يرام، ستكون على ما يرام، قال ستانيسلاس وهو يعطيني زجاجة ويسكي أمريكي.

لقد حطّمنا كل شيء في منزل والـدي، الأثـاث والأطباق وجميع الأغراض. سيُعلمه ذلك بوجودي. شربنا المزيد من النبيذ كي نلحق أكبر الأضرار الممكنة إلى أن أعيانا التعب وسقطنا على وسائد ممزقة. في الصباح، أيقظتنا الشرطة وقادتنا مباشرة إلى المخفر. يبدو رئيس المخفر الجالس خلف كرسي مكتبه شاباً في مقتبل العمر. على الأرجح أنّه حصل على وظيفته بالواسطة. وجهه ليس بغريب عليّ. إنّه فانيا، لم يتغير كثيراً منذ أيام الملجأ. وقف من فوره، وقال لي إنّه ساخط عليّ كثيراً. إنّ العالم يسير بالمقلوب، فهو على الأرجح ساخط عليّ بسبب الألم الذي سبّبه لي، ولأنّني لم أعامله بالسوء ذاته.

– اعذرني، قلت له، كما لو أنّني أخاطب مختلاً عقلياً.

– آه... وأخيراً! هذا ما كنت أتمنى دائماً سماعه منك. لقد سبّبت لي الكثير من المعاناة، هل تعرف ذلك! لطالما فكرت فيك بعد أن غادرت مركز إعادة تأهيل الأحداث.

وددت أن أقول له: «أمّا أنا، فقد محيتك سريعاً من ذاكرتي»، ولكنّني فضّلت الصمت.

يبدو بمظهر وهيئة لم أعهده بها من قبل، هيئة متعالية.

– أنا متأكد من أنّك مقتنع أنّني أنا من أساء التصرف.

عليّ عدم الاستجابة لهذه الاستفزازات بتاتاً.

– فكرت بهذا، أليس كذلك؟ ألا تريد الاعتراف؟

سواء أجبته بنعم أو لا فسوف يغضب في كلتا الحالتين. إذاً عليّ الصمت، إنّه الخيار الأفضل. في الواقع، لم يعد يعرف كيف يتعامل معي. وفي خضمّ الشك الذي خامره، فسّر صمتي على أنّه إذعان، وأخبرني أنّه قبل اعتذاري وأنّه لم يعد مستاء، وهو مستعد لمساعدتنا في مسألة السطو.

وحتى إنّه يملك ما يكفي من السلطة التي تخوّله إخراجنا كالشعرة من العجين من هذه التهمة.

– ولكن حذار، قال فانيا، لا تعد لأعمال السطو، ولا تكرر ما فعلته، وإلّا سأكون مجبراً في المرة القادمة على اعتقالك.

صافحته واكتفيت بقول كلمة شكراً بأقصى حيادية ممكنة. تشاو.

– هنالك شيء آخر، قال فانيا...

– نعم، ماذا؟...

بقيت متسمّراً مكاني بكل رزانة، راجياً ألّا يتضاعف ثمن تساهله معنا.

– لديّ سؤال أطرحه عليك يا إيغور...

– هيّا قله...

– لماذا لم تهشّم وجهي؟

الآن، يجب أن أبقى متمالكاً نفسي. يجب ألّا أغضب، بل يجب على وجه التحديد ألّا أغضب. إنّ يدي ترتجف. أتخيل في رأسي وجه هذا الماكر الصغير وأنا أسحقه بقبضتي الضخمة المليئة بالعظام القاسية. أشعر في ذراعي بقوة الضربة التي يمكنني توجيهها له، ولكنني نضجت. لطالما قلت لذئابي: «لا تتصرفوا مثل الثيران التي تندفع إلى المعركة ما إن يلوح أمامها قماش أحمر. لا تدعوا العواطف تتغلب عليكم، أنتم وليس عدوكم من يقرر أين ومتى توجهون الضربة».

إنّ فانيا رئيس مخفر وهو محاط بجمع كبير من زملائه المسلحين، لن أستطيع قتالهم جميعاً. ومن ثمّ، إن أراد النيل مني، فيستطيع الطلب من أحد عناصره قتلي. لن أغامر بخسارة كلّ شيء بسبب فانيا. إنّ هذا من شأنه أن يمنحه هذه المرة أيضاً، شرفاً عظيماً. لقد قاومت أمي، وقاومت البرد، والأمراض، ومركز العزل العصبي النفسي، والرصاص، والقذائف، ليس من أجل أن أموت مقتولاً في مركز شرطة بسبب مجرد سؤال.

دون أن أستدير، نجحت في قول:

– إمممم... لا أعرف. ربما لأنني أحبك رغم كلّ شيء، قلت ذلك وأنا ألوي فمي مجبراً نفسي على نطق هذه الكلمات.

تنفس، تنفس ببطء. إنّه لمن الأسهل عليّ مهاجمة معقل شيشاني كامل على أن أتمالك أعصابي لسحق صديق سابق. هيّا، جملة أخيرة بعد:

- سعيد برؤيتك مجدداً يا فانيا، تشاو.

- أحبك يا إيغور، قال فانيا.

أفضّل عدم الاستدارة للخلف.

- ماذا سنفعل الآن؟ سألني ستانيسلاس.

- سوف نلعب بالورق.

بصحبة ستانيسلاس، بدأت بارتياد جميع حلقات البوكر في المدينة. استعدت سريعاً مهاراتي القديمة؛ فك رموز الإشارات في الوجوه والأيدي، تميز الصحيح منها من الخاطئ، إرسالي لإشارات مضلّلة... أجد في الأمر امتداداً طبيعياً لمواهبي الحربية السابقة.

سرعان ما تطورت طريقتي في اللعب. لم أعد أحتاج لملاحظة أدق الارتعاشات، فقد أصبحت أحزر ما سيفعله اللاعبون حتى دون النظر إليهم. كما لو أنّهم ينفثون من فوق دخان سجائرهم الكثيفة روائح تخبرني بحُسن حظهم أو سوئه. إضافة إلى أنّني أحاول التواصل مع شيء أكثر دقة. كما لو أنّ هناك موجة تخترق كلّ شيء وتعطيني المعلومات التي أحتاجها. أستطيع الشعور بها أحياناً، وبالتالي أعرف فعلياً ما سيلعبه جميع خصومي.

بفضل البوكر، جمعت ثروة لا يُستهان بها، وهي أكبر بكثير من تلك التي اكتسبناها عن طريق عمليات السطو. هنا على الأقل، لست بحاجة إلى اللجوء إلى تاجر السلع المسروقة لأبيعه ما لدي، وإنّما أستطيع إظهار أرباحي في وضح النهار.

أنا أربح وأكسب.

صرت ألعب مع خصوم أقوى وأقوى، ولكنّهم لم يخوضوا الحرب مثلي، أي لا يملكون الأعصاب الباردة، كما أنّ خوفهم من الخسارة يجعل من السهل توقع تحركاتهم... كلما ارتفعت المزايدة يصبحون مثل الحيوانات المطاردة؛ يتوقفون عن التفكير ويشرعون بالصلاة، ويبدؤون

بالتماس تمائمهم، وتعاويذهم، ويتوسلون لملائكتهم الحارسة، وآلهتهم، وأشباحهم. إنّهم مثيرون للشفقة، يشبهون الخراف التي تُساق إلى المذبح.

بدأت شهرتي المتزايدة تخولني المشاركة في جولات مخصّصة للأثرياء والنافذين الكبار. عرفت أنّ والدي كان من بين هؤلاء وبذلت كلّ ما بوسعي كي أجلس معه على الطاولة ذاتها.

ها هو ذا.

لطالما انتظرت هذه اللحظة. وجهه مخفيّ خلف قبعته. لم نقدّم أنفسنا لبعضنا. في هذه الصالة الفخمة حيث تأملنا الكثير من صور الأجداد بقسوة، أجلس على أريكة ذات قماش دمشقي تحت الضوء الساطع الذي يضيء وسط الطاولة. الرهانات ضخمة، ولكن بفضل انتصاراتي السابقة، فليس لديّ نقص في الذخائر. يعلن اللاعبون الواحد تلو الآخر خسارتهم، فقد انخسف جبل رقائق الرهانات أمامهم، وأجد الآن نفسي وحيداً مع والدي. إنّه يلعب بشكل جيد.

أعزّز تواصلي مع تلك الموجة التي تخترق كلّ شيء.

– كم عدد الأوراق التي تريد تغييرها؟ سأل موزع الأوراق بعد انتهائه من التوزيع.

– ثلاث.

– وأنت؟

– لا شيء، قال والدي دون أن ينظر إليّ ودون أن يُبدي من وجهه سوى مقدمة قبعته.

لديّ الكثير من الأسئلة لأطرحها عليه، أريد أن أعرف لماذا أنجبني، ولماذا تخلّى عنا أنا وأمي، وعلى وجه الخصوص، لماذا لم يسعَ مطلقاً للبحث عني.

بدأنا الرهان.

– خمسون.

– خمسون وأنا أزيد عليها مائة.

لم أكن مركزاً بما فيه الكفاية، لذا جاءت العقوبة فورية. ارتفع الرهان

وخسرت. لا يزال أبي صامداً. لم يرمقني حتى الآن ولو بنظرة واحدة. أرغب أن أقول له: «أنا ولدك»، ولكنّني أتمالك نفسي. جولة جديدة مع خسارة أخرى. إنّه ماهر، فهمت الآن أنّ براعتي في البوكر لم تأتني فقط من شرح وتعاليم فاسيلي، فهي محفوظة أيضاً في جيناتي الوراثية. إنّ أبي أفعى حقيقية. على ما يبدو أنّ عملية السطو وتدمير منزله لم يؤثرا عليه.

- كم عدد الأوراق التي تريد تغييرها؟

- اثنان.

الخطأ ذاته، والعقوبة ذاتها.

جولة جديدة، بدأت أتنفس بقوة أكثر. إمّا الآن أو أبداً، قررت أن أُلقي في هذه المعركة السلاح الأمضى، ألا وهو حيلة فاسيلي الأقوى. لم أقلب أوراقي، ودون أن أرمقه بأية نظرة، أعلنت:

- لن أبدّل أيّاً من أوراقي!

بدرت منه أخيراً حركة بسيطة. رفع قبعته وكشف لي عن شعره الرمادي الكثيف. أعلم أنّه قد تساءل في البداية إن كنت مجنوناً، ويتساءل الآن عن المناورة التي أقوم بها. مهما كان الأمر، لم يعد هو سيد الموقف. إنّه دوري الآن لأكسب الجولة.

طلب ورقة. ورقة واحدة، هذا يعني أنّه يملك تشكيلة تو بيرز[1] ويأمل أن يحصل على تشكيلة فول هاوس[2].

أخذ البطاقة وضمها بشكل عشوائي لأوراقه كي لا يكشف إن كانت تتوافق مع غيرها. لا وجود لأية إشارة. وليس هناك أدنى حركة للأصابع. ركزت حدسي على الموجة. أشعر أنّه لم يحصل على تشكيلة فول هاوس.

- كم هو الرهان؟

- ألف، أعلن والدي وعيناه مسمّرتان على أوراقه.

إنّه يراوغ، يريد أن ينهي الأمر معي. يرفع الرهان عالياً كي يجبرني على

1- Two pairs يعني زوجين متشابهين بالإضافة لأي ورقة أخرى. المترجمة.

2- Full house يعني ثلاث أوراق من الفئة ذاتها، وزوج من أيّ فئة أخرى. المترجمة.

الاستسلام. ولكن بما أنّ الأمر يتعلق بجولة لا أرى فيها أوراقي، فعلى العكس إنّها اللحظة التي لن أستسلم فيها. قمت بالمزاودة عليه.

- ألف وخمسون.

لم يستطع الموزع منع نفسه من التدخل:

- هيه... أنت تصعد حتى ألف وخمسين دون أن ترى أوراقك ودون تغيير أيّ منها؟

- ألف وخمسون.

- ألفان، قال والدي.

- ألفان وخمسون.

- ثلاثة آلاف.

رغم البرودة التي تسري في ظهري، تابعت بكلّ رباطة جأش:

- ثلاثة آلاف وخمسون. 

بدأ يصبح المبلغ كبيراً جداً حتى عليه نفسه. لم يوجه لي أية نظرة خاطفة حتى الآن. لا بدّ وأنّ هذه هي حيلته الخاصة التي يستخدمها؛ إيهام الخصم أنّه ليس بحاجة حتى لمراقبته والنظر إليه كي ينتصر عليه. بقي رأسه منخفضاً، ولا يظهر منه سوى شعره الرمادي، طلب وقتاً للتفكير. شعرت أنّه سيرفع رأسه ليتفحصني، ولكنه تمالك نفسه.

- عشرة آلاف، قال متضايقاً.

- عشرة آلاف وخمسون.

لا أملك هذا القدر الكبير من المال. إن خسرت هذه الجولة، سيتوجب عليّ دفع هذا المبلغ على مدى سنوات طويلة لإيفاء ديني لهذا الأب الذي لم يمنحني شيئاً في الحياة.

- عشرون ألفاً.

- عشرون ألفاً وخمسون.

أخيراً، تحرك شعره ومال. نظر إليّ أخيراً، ونظرت إليه عن قرب. له

الشارب المعقوف ذاته الذي يشبه مقود الدراجة الموجود في الصورة التي أحتفظ بها. ليس جميلاً، يبدو أنّه قد تعرض للكثير من المتاعب. أحاول تحديد الأشياء التي جعلت أمي تعجب به. راح يحدق فيّ محاولاً فهمي. عيناه رماديتان، لا تعبران فعلياً عن أيّ شيء.

– ثلاثون ألفاً.

– ثلاثون ألفاً وخمسون.

بدأت الهمسات تعلو. ترك اللاعبون طاولاتهم وتحلّقوا حول طاولتنا بعد أن جذبتهم رهاناتنا المرتفعة.

راحت تسري الشائعات.

ينظر إليّ والدي محدّقاً بشكل مباشر في عينيّ. وأبادله النظرة ذاتها، لا بل إنّني أسمح لنفسي بإظهار طيف ابتسامة خفيفة. إنّني أتعرق كثيراً. صمت الناس حولنا وحبسوا أنفاسهم.

– خمسون ألفاً.

– خمسون ألفاً وخمسون.

إن خسرت، لن يكون أمامي سوى أن أبيع دمي وأبيع أعضائي. آمل أن يكون ملاكي الحارس قد راقب الجولة منذ البداية ولن يتركني أهزم. أيّها القديس إيغور، إنّني أعتمد عليك.

– هل تتابع؟ سأله الموزع.

– خمسون ألفاً وخمسون... لنرَ، قال والدي.

توقف عن المزايدة، وانتهى التشويق. إنّها لحظة قلب الأوراق. بدأ يقلب أوراقه واحدة تلو الأخرى. لديه زوج من الشبان، فقط زوج واحد من الشبان. وأنا، ماذا لدي؟ ورقة ثمانية الزهر، وآس البستوني، وملك الديناري، وملكة الكبة. هذا لا يعني شيئاً حتى اللحظة. ليس عليّ سوى قلب الورقة الأخيرة...

ساد الصمت.

ملكة الزهر.

شكراً أيها القديس إيغور. لديّ زوج ملكات! فاسيلي، أنت الأفضل. لقد

ربحت بفارق بسيط، ولكنّني فزت. لقد هزمت والدي! التهم الذئب الأفعى! أطلقت عويل الذئاب بقوة كبيرة. لم يتجرّأ أحدهم على قول شيء. ومن ثمّ، أطلقت ضحكة رنّانة. ضحكت وضحكت وضحكت.

تفرّق الحشد الصغير الذي كان حول الطاولة والتأثر باد عليه.

شكراً يا قديس إيغور، شكراً يا فاسيلي. أثبتت التجربة أنّ البوكر ليست سوى مسألة نفسية. نستطيع اللعب جيداً دون أوراق. أكاد أجنّ من الفرح.

راح والدي يتفحّصني بدقة متسائلاً من هذا الشاب الذي أطاح به. يشعر أنّ هناك ثعباناً تحت الصخرة. إنّ كلّ ذرة من جيناتي تصرخ: «أنا امتدادك من لحمك ودمك الذي رفضته والذي جاء الآن لينقلب ضدك!»

أضع في جيبي الأوراق التي أعطاني إياها. إنّني الآن غني. هذا هو ميراثي.

إنّه على وشك أن يتكلم، أشعر أنّ لديه رغبة بالتحدث. سوف يطرح عليّ سؤالاً. سوف نتناقش. سوف أحدثه عن أمي. ومن ثمّ كلّا. ارتجف فمه، لم ينبس ببنت شفة ورحل بعدها.

## 144. فينوس – 22 عاماً

وأنا أقلّب الجريدة اكتشفت الخبر في الصفحة الأولى: تعرّضت سنتيا لحادث سيارة. قرأت تفاصيل الخبر. اجتازت قطة الشارع بشكل غير متوقع، فانحرف السائق عن الطريق ليتجنّبها واصطدم بعمود إنارة الشارع. لم يُصب السائق بأذى لأنه كان قد وضع حزام الأمان. ولكنّ سنتيا اصطدمت مباشرة بزجاج السيارة الأمامي كونها لم تجد من الضروري وضع حزام الأمان. لم تتعرض حياتها للخطر ولكن شظايا الزجاج شوّهت وجهها.

احتفلت في المساء بهذا الحدث مع وكيل أعمالي. قدّم لي بيلي واتس مفاجأة بقدومه مع ضيفة؛ لوديفين، الوسيطة الروحية التي كانت هي من أعلمته بفوزي.

إنّ لوديفين امرأة تشبه بمظهرها فلاحة بدينة وقد جاءت لتوّها من الريف. شعرها أبيض، صدرها ضخم، تتكلم بلكنة قوية، وتفوح منها رائحة الملفوف.

لماذا تستخدم الملائكة أمثال هؤلاء الناس البسيطين للتواصل مع البشر؟ ما هذا اللغز، ولكنّني استمعت إليها بعد أن صدقت نبوءتها.

إنّها تقرأ خطوط كفّي. قالت لي إنّ عملي كعارضة أزياء لن يستمر سوى لمرحلة معينة، وإنّني سوف أصبح ممثلة مشهورة، وليس هذا كلّ شيء، قالت إنّني سأعيش أيضاً قصة حب عظيمة وصادقة نادراً ما يعيشها المرء في الحياة.

– وماذا بالنسبة لي، ماذا ترين لمستقبلي أنا، سأل بيلي واتس، النّهم مثل مدمن مخدرات يطالب بجرعته.

## 145. لا شيء

لا شيء.

لا يوجد شيء. لا شيء البتة.

تابع أصدقائي الثلاثة جولاتهم في الفضاء بينما كنت أراقب موكليّ بطواعية. لم يجدوا شيئاً. اجتمعنا في الزاوية الجنوبية للجنة. أنا سعيد لعدم إضاعتي للوقت بهذه الرحلات الاستكشافية غير المجدية.

– ربّما نكون قد وصلنا إلى حدود مقدرتنا، قالت مارلين مونرو متنهدة. يخطر في بالي أنّ البشر، في السابق، كانوا يخشون أن يتمّ غزوهم من قبل كائنات فضائية اعتقدوا أنّهم أشرار ومخيفون. يا ليتهم موجودين فعلاً...!

نهض فريدي. أنا أعرفه جيداً، عندما يتحرك بهذا الشكل فهذا يعني أنّ لديه فكرة. إنّه مضطرب مثل كلب صيد يشمّ رائحة فريسته.

– انتظروا... انتظروا، انتظروا، انتظروا. هل تعرفون قصة الرجل الذي أضاع مفاتيحه في الشارع ليلاً؟

أبدى راؤول تعبيراً يشير بوضوح أنّه ليس بوارد سماع النكات حالياً. أكمل فريدي كلامه بكلّ ثقة:

– أخذ يبحث عن مفاتيحه تحت عمود الإنارة. انضمّ إليه شخص آخر وراح يساعده في البحث. فسأله: «هل أنت متأكد من أنّك أضعتها هنا؟»، «كلا»، أجابه الرجل. «لماذا إذاً تبحث عنها هنا؟»، فأجابه الرجل: «لأنّه تحت عمود الإنارة يوجد ضوء على الأقل».

لم يضحك أيّ أحد. لم نجد رابطاً بين هذه النكتة وأبحاثنا.

– ربما يكون خطؤنا أنّنا كنا محدودين في استكشافنا، قال فريدي. إنّنا نبحث هنا حيث يسهل علينا البحث، مثل ذاك الرجل الذي يبحث عن مفاتيحه تحت ضوء عمود الإنارة.

– ولكن نحن ليس لدينا حدود، اعترضت مارلين. لقد اجتزنا مليارات الكيلومترات بسرعة الضوء.

– نحن محدودون! أصرّ الحاخام الألزاسي. إنّنا مثل الميكروبات داخل زجاجة. اعتقدنا أنّنا اجتزنا أبعاداً مذهلة، ولكنّنا لا نزال في الزجاجة ذاتها، في حين أنّنا نستطيع الخروج منها. هيّا لنرَ ما وراء ذلك.

لا أفهم إلى أين يريد صديقنا الوصول. من حيث المبدأ، مهما ابتعدنا، فلن نصل إلى الجدار الزجاجي الذي يمثل الحدود بالنسبة لنا.

– وما هي «زجاجتنا»؟ سألته.

– إنّها مجرّتنا.

– لقد زرنا بأفضل تقدير 0,1 % من الكواكب التي من المحتمل أن تكون مسكونة في مجرة درب التبانة. لماذا نبحث في مكان آخر؟ سألت مارلين.

قطّب راؤول رازورباك حاجبيه الثخينين. يبدو أنّ فكرة فريدي قد وصلته.

– نعم، بالطبع! فعندنا هنا، تقع الجنة في وسط المجرة. ربما يكون هنالك جنات أخرى تقع في وسط المجرات الأخرى.

أنا أحبّ هذه اللحظات من الغليان الفكري حيث، فجأة، تتسع شاشة مخيلتنا بعض الشيء.

– إنّ فريدي على حق، ردّد راؤول. يجب الخروج من مجرتنا. ربما لا يوجد سوى كوكب واحد في كل مجرة يتمتع بالوعي... تخلق الطبيعة إذاً في كل مرة مائتي مليار من الكواكب كي تمنح الحياة والوعي لكوكب واحد فقط من بينها؟ أيّ تبذير هذا!...

إنّ هذا في جميع الأحوال يمكن أن يفسر لماذا لم نجد شيئاً.

– المشكلة، قال فريدي، هي أنّ المسافة بين نجمتين هي مسافة هائلة

بالأساس، وبالتالي فإنّ المسافة بين مجرتين سوف تكون أكبر من ذلك بكثير، ملايين السنين الضوئية.

– هل نحن قادرون على تحقيق مثل هذا الإنجاز؟ سألت مارلين مونرو.

أجابها راؤول من فوره.

– لا مشكلة. نستطيع أن نسافر بسرعة أكبر من قبل.

أدرك تبعات مثل هذه الرحلة الهائلة. زيارة مجرة أخرى يعني التخلي عن موكليّ فترة من المحتمل أن تكون فعلياً طويلة جداً جداً.

– اذهبوا من دوني. لقد تعهّدت بالالتزام مع إدموند ويلز. أعتقد أنكم سوف تقومون بحماقة كبيرة جداً، قلت ذلك.

– لن تكون هذه هي المرة الأولى، أشار راؤول. إنّ هذا في النهاية، يعتبر جزءاً من «إرادتنا الحرة كملائكة».

## 146. جاك– 22 عاماً ونصف

طلب مني رينيه شاربونيه تقليص حجم الرواية. من ألف وخمسمائة صفحة إلى ثلاثمائة وخمسين صفحة، وبالتالي من ثماني معارك إلى معركة واحدة، ومن عشرين شخصية رئيسية إلى ثلاث شخصيات، ومن مائة وثمانين مشهداً إلى اثني عشر.

على كل حال، إنّ التمرين الذي ينص على عدم الاحتفاظ سوى بالجوهر الأساسي بدا لي مفيداً بالفعل. أعدت مراراً وتكراراً كتابة وتنسيق كل سطر في الرواية. ومن ثمّ اقتطعت تقريباً كامل بداية ونهاية النص، وبذلك يدخل القارئ سريعاً في خضمّ القصة التي تنتهي بصورة أسرع أيضاً. إنّ هذا يشبه المنطاد الذي أقوم بتنفيسه كي يستطيع أن يرتفع بشكل أفضل.

كلما تحسّنت الرواية، تزداد عصبية غويندولين. تتمتم: «نعم، بالنسبة لك كلّ شيء على أحسن حال. أما أنا فلم يحصل معي هذا الأمر». وأنا أجيبها: «إنّ نجاح واحد منا على الأقل هو أمر جيد لكلينا. هكذا نستطيع مساعدة بعضنا».

كان اختيار الجملة سيئاً. تفضل غويندولين أن تكون الأدوار معكوسة.

أن تكون هي وليس أنا من تنشر أعمالها بغية أن تظهر لي أنّها هي أيضاً قادرة على مساعدة الآخرين. إنّ نجاحي لم يقم سوى بتعميق إحساسها بعدم نجاحها.

كلما اقترب موعد النشر، تصبح غويندولين عدوانية، وأجد نفسي مضطراً تقريباً للاعتذار كون الرواية سوف تنشر. انتهى الأمر بها أن أعلنت صراحة: «إن كنت تحبني فعلاً، عليك أن تجد الشجاعة في نفسك كي تتخلى عن فكرة نشر هذا الكتاب».

لم أكن أتوقع أن تعبّر عن رغبتها بكلّ هذا الوضوح والصراحة. وعدتها أن أصحبها في عطلة إن حقق كتاب *الجرذان* عائداً مالياً جيداً. أجابتني أنّها تكره الأعطال وأنّ روايتي، في جميع الأحوال، بغاية السوء لدرجة أنّها لن تلفت انتباه كائن من كان.

مضى وقت قصير قبل أن تتركني غويندولين لتعيد بناء حياتها مع جان بونوا دوبويس، المعالج النفسي المتخصص بالنوبات العصبية التشنجية.

– سأهجرك لأكون مع جان بونوا دوبويس، فهو على الأقل امتلك الشجاعة لنطق الكلمة الوحيدة التي لم تستطع أنت قولها لي طوال فترة علاقتنا ألا وهي «أحبك».

شعرتُ أنّه تمّ التخلي عني، وموناليزا أيضاً شعرت بذلك. كنا قد بدأنا نعتاد على وجودها الخفي.

عدت من جديد لأقضي وقتي حابساً نفسي في الحمام للقراءة.

لا تتوانى غويندولين عن الاتصال بي لتعبّر لي عن شعورها بالسعادة: «وجدت الرجل الذي يناسبني. جان بونوا هو رجل مثالي». ومن ثمّ صارت تبالغ: «لقد أصبح مجنوناً عندما علم أنّني أهاتفك».

رغم ذلك، تابع الاتصال بي دوماً. غير أنّ الأمور على ما يبدو بدأت تتكشّف لها. فهي تظنّ أنّ معالجها النفسي يعاني من عقدة نقص بسبب قصر قامته. إنّه يكره كلّ الناس الأطول منه قامة. وبما أنّه متخصص بالنوبات العصبية التشنجية، فهو يتعامل بشكل عام مع زبائن محبطين ومن السهل خداعهم. يستمتع بالتدخل في حياتهم ليرى إلى أيّ مدى يمكن أن تصل

قدرته على التلاعب. وبعد عدة محاولات انتحار لكثير من مرضاه، طالب أهالي هؤلاء المرضى بسحب ترخيص مزاولة العمل منه. ولكن بما أنّ وزير الصحة صديق له، لم يستطع أحد إيقافه.

في أحد الأيام، التقيت غويندولين مصادفة في الشارع، كانت ذاهبة إلى مغسلة الثياب لوضع سترات جان بونوا. كانت يدها معصوبة ومعلقة إلى رقبتها، ووجهها متورماً، وتخفي كدمات عينها خلف نظارتها الشمسية.

رأتني. ولكنّها في البداية أرادت التهرّب مني، ومن ثمّ تمالكت نفسها. صافحتني برقة، وابتسمت في النهاية، وقالت:

– لا تستطيع أن تفهم، إنّه الحب. دوبويس يحبني كثيراً.

ومن ثمّ رحلت.

بعد ذلك، لم تعد تصلني أيّة أخبار منها.

هذه القصة تصيبني بالاضطراب.

التجأت إلى هروبي المعتاد، ألا وهو الكتابة: تتمّة كتاب *الجرذان*، كون المجلد الأول على وشك الظهور. في هذه اللحظة قرّر حاسوبي خذلاني. وقع عطل مجهول السبب وخسرت كلّ النصوص التي كنت أحتفظ بها على القرص الصلب!

كان لهذا وقع غريب عليّ، خسارة خطيبتي وخسارة كلّ أعمالي، يشبه هذا الموت إلى حدٍّ ما. قررت الولادة من جديد، ومرة ثانية، بدأت بالكتابة مجدداً. خطرت في بالي فكرة شخصية إضافية، تمثيل لشخصية دوبويس.

فعلياً، هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها في حياتي مع رجل «شرير» حقاً. كان قد أشار إلى ذلك المخرج الأمريكي ألفريد هتشكوك قائلاً إنّ ما يعطي القصة قيمتها هو نوعية الشخصية الشريرة فيها. وهكذا يكون لديّ مع دوبويس شخصية البطل المضاد التي هي أكثر إقناعاً لأنّها موجودة بالفعل. قمت بتقديم هذه الشخصية في *قصيدة غنائية للجرذان* وبناء عليه، صار لجميع شخصياتي الأخرى عمق آخر في الرواية.

أكتب بمواظبة، ولكن لا أعرف لماذا لا تتوقف قصة غويندولين عن

تعذيبي. أدركت مع غويندولين أنّه من المستحيل مساعدة الآخرين رغماً عنهم، وهذا الاكتشاف يشعرني بالأسف. أنا أكتب ولكنّني بدأت أعيش أزمة جديدة من الانهزامية. كالعادة، يأتيني الشعور بالألم متأخراً. حتى إنّني نسيت فرحتي بكتابي الذي سينشر قريباً.

أغلق الباب على نفسي في المرحاض، وعوضاً عن القراءة، أعود وأفكر: «ما هو الهدف؟» أعتقد أنّني لم أحقق أمنية الآنسة فان ليزيبيث، ولم أجد مكاني. ربما أكون بعيداً كلّ البعد عن مهمتي في هذه الحياة... ربما ليست مهمتي أن أكون كاتباً على الإطلاق. إذاً لماذا هذا الإصرار؟...

## 147. موسوعة

لكلّ امرئ مكانه: إنّ السمات النسائية وفق عالم الاجتماع فيليب بيسيل، تتجلّى في أربع نزعات:

1. الأمهات
2. العاشقات
3. المحاربات
4. المستنيرات

تعطي الأمهات الأولوية في حياتهنّ لأهمية بناء الأسرة، وإنجاب الأطفال، وتربيتهم. وتحب العاشقات الإغواء وعيش قصص الشغف والحب العظيم.

تريد النساء المحاربات احتلال أماكن في السلطة، والانخراط في القضايا أو التحديات السياسية. أمّا النساء المستنيرات فيتجهن نحو الفن والروحانيات أو العلاج. هنّ الملهمات والمعلمات والطبيبات. وهؤلاء كنّ في الماضي عذارى فستال[1].

تكون هذه النزعات مختلفة التطور عند كلّ امرأة.

تقع المشكلة عندما لا تجد المرأة نفسها في الدور الأساسي الذي

---

1- هنّ كاهنات الإلهة فستا العذراء المكلفات بالحفاظ على بقاء النار المقدسة مشتعلة وفقاً للأساطير الرومانية. المترجمة.

يفرضه عليها المجتمع. أي إذا أجبرت العاشقات أن يكنّ أمهات، أو أجبرت المستنيرات أن يكنّ محاربات، فهذا الإكراه يولّد أحياناً صدمات قد تكون عنيفة.

هنالك أيضاً بالنسبة للرجال أربعة مراكز تفضيلية:

1. المزارعون.
2. الرعاة.
3. البنّاؤون.
4. المحاربون.

في الكتاب المقدس كان هناك هابيل البدوي الذي كان يُعنى بتربية المواشي، وقابيل المزارع الذي كان يُعنى بالمحاصيل.

قتل قابيل هابيل، فعاقبه الله قائلاً: «سوف تهيم في الأرض». إذاً أُجبِر قابيل أن يكون راعياً في حين أنّه بالأساس كان مزارعاً. يجب عليه أن يقوم بما لم يُخلق من أجله. ومن هنا يأتي عذابه العظيم.

إنّ التركيب الوحيد الذي يمكن أن يقود إلى زواج مستمر هو اجتماع «الأم – المزارع». فكلاهما يرغبان بحياة هادئة ومستمرة. أمّا التركيبات الأخرى قد تؤدي جميعها إلى عيش حالة من الشغف العظيم ولكنّها تسفر على المدى الطويل عن نشوء صراعات.

إنّ هدف المرأة المثالية أن تكون أمّاً وعاشقة ومحاربة ومستنيرة. وحين يتحقق ذلك، يمكننا القول إنّ الأميرة قد أصبحت ملكة.

وهدف الرجل المثالي أن يكون مزارعاً وراعياً وبنّاءً ومحارباً. وحين يتحقق ذلك، يمكننا القول إنّ الأمير قد أصبح ملكاً.

عندما يلتقي الملك المثالي بالملكة المثالية يحدث شيء سحريّ. يكون هناك الشغف والاستمرارية. بيد أنّ هذا الأمر نادر الحدوث.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 148. فينوس- 22 عاماً ونصف

مسيرتي المهنية تسير الآن في طريقها الصحيح. أجريت عملية تجميل للثديين، فعندما أستلقي على ظهري تبقى الحلمتان متجهتان نحو السماء مثل الأهرامات المصرية.

قام مصفف الشعر بقص شعري، وتولّى طبيب أسنان متخصص «بتجميل الفك» بتبييض أسناني. من المؤكد أن الفروع الطبية في طريقها لأن تصبح مهناً فنية.

أصبحت تتزايد بانتظام في الأكشاك أغلفة المجلات التي تتزين بصور جسدي ووجهي. كما أنّه تمّ تصنيفي في أحد الاستبيانات كواحدة من بين النساء العشر الأكثر إثارة في العالم. وغنيّ عن القول إنّني بهذه الميزة أجد جميع أنواع الرجال رهن إشارتي. لذلك وضعت نصب عينيّ ذلك الرجل الذي لا يزال يحتلّ المرتبة الأولى من بين الرجال الأكثر إثارة بالنسبة لي وهو ريتشارد كونينجهام. رجل أحلام مراهقتي.

أوكلت لمدير أعمالي بيلي واتس هذه المهمة. فسارع للامتثال لطلبي لأنّ وسيطته الروحية كانت قد أكّدت له أنّنا سنشكل قريباً أنا وكونينجهام ثنائياً جميلاً. أقنع وكيل أعمالي بسهولة وكيل أعمال كونينجهام بعقد هذا اللقاء، وبعد بضعة أيام، تمّ الاتفاق على كلّ شيء وتوقيعه والتفاوض والتصديق عليه. يجب أن ألتقي «مصادفة» بريتشارد في مطعم سانتا مونيكا الياباني. تمّ إخبار جميع المصورين بالسبق الصحفي متبعين أسلوب: «لا تقل هذا لأحد ولكن يبدو أنّ...»

ارتديت لهذه المناسبة ملابس حمراء لأنّني سمعت كونينجهام يقول في إحدى المقابلات إنّه يحبّ النساء اللواتي يرتدين الأحمر. ومن ناحيته، كان يضع عطر «إيفوريا» الفرنسي الذي أروّج له.

أخذ وكيلانا يتناولان الطعام على طاولة غير بعيدة متفحصين قائمة عملائهم الآخرين من النساء والرجال الذين يمكن جمعهم في ثنائيات أيضاً. أنظر إلى ريتشارد. يبدو لي أجمل مما يبدو عليه في أفلامه. اندهشت من نعومة بشرته، بالطبع لم يقم بعملية تجميلية! لا بدّ وأنّه يستخدم كريماً

خارقاً... شيئاً ما لم أعرفه بعد. إنّ رؤيته أمامي هكذا بشحمه ولحمه بعد أن سبق ورأيته كثيراً على واجهة دور السينما وأغلفة المجلات، جعلتني أضطرب قليلاً. أمّا من جهته هو فقد راح يتفحّص ثدييّ الجديدين. لم أتضايق من أنّهما لفتا الانتباه بهذه السرعة. طلبنا السوشي وبعدها جاءت اللحظة الرهيبة حيث يتوجب علينا أن نبدأ حديثنا. لم نعرف ماذا نقول لبعضنا.

– إمممم، وكيل أعمالك... هل هو جيد؟ سأل ريتشارد. كم يأخذ منك؟

– إيه... يأخذ 12% على جميع ما أقوم به. ووكيلك؟

– وكيلي يأخذ 15%.

– ربما عليكَ التفاوض معه من جديد؟

– إنّ وكيلي يهتمّ بكل شيء. إنّه يسدّد فواتيري، وإيصالات الضرائب، ويدفع ثمن مشترياتي، حتى إنّني أستطيع معه الارتياح تماماً من فكرة حملي للنقود. أظنّ أنّ آخر مرة اضطررت فيها لحمل محفظتي الشخصية، كانت قبل عشرة أعوام، أي قبل نجاحي في فيلم *عارية أمامي*.

– آه... *عارية أمامي*؟

– نعم...

– أمممممم...

ماذا نقول الآن؟ ساد صمت مزعج. لحسن الحظ، أحضروا لنا الطعام ورحنا نأكل. لم نجد موضوعاً آخر نخوض فيه إلّا أثناء التحلية. فتحدثنا عن بعض مستحضرات التجميل التي تسبب الحساسية وتلك التي تصلح لجميع أنواع البشرة. وأخيراً شعر بالاسترخاء، فأخذ يسرد لي كل ما يعلمه من شائعات في مجال عمله، من ينام مع من، إضافة إلى انحرافات بعض المشاهير. إنّ هذا بالفعل مثير حقاً، فهذا النوع من المحادثات لا نجريها مع أيّ رجل كان.

– أنا أراكِ جميلة جداً، قال ذلك بنغمة احترافية عالية.

ألم يرَ كلّ هذه الأخطاء فيّ؟ إنّني أعرف تفاصيلها غيباً: شحمتا أذنيّ قصيرتان جداً، ورموشي بشعة، وإصبع قدمي يشكل زاوية مع بقية أصابع قدمي، وركبتاي متقاربتان نوعاً ما...

بعد الطعام، اصطحبني إلى أحد القصور التي يملك حق الدخول إليها واستعدينا لممارسة الحب. في البداية، رتّب ثيابه بعناية على الكرسي ومن ثمّ طلب زجاجة شامبانيا، وضبط الأضواء بشكل جيد كي تمنح جواً هادئاً.

- إذاً، هل تشعرين بالقلق يا صغيرتي؟ سألني ريتشارد.

- قليلاً، تهربت بقولي هذا.

- هل تذكرين ما فعلناه بالمخدة أنا وغلوريا رايان في فيلم *العيش على الحب وحده*، هل تريدين أن نقوم بالشيء ذاته؟

- عذراً، لم أشاهد هذا الفيلم. ماذا فعلتما بالضبط بالمخدة؟

ابتلع ريقه، ومن ثمّ سألني السؤال الذي يبدو أنّه يشغل باله منذ بداية لقائنا.

- ما هي الأفلام التي شاهدتها لي؟

ذكرت له حوالي العشرة أفلام.

- ألم تشاهدي فيلم *دموع الأفق*؟ ولا فيلم *ليس عليك المبالغة*؟ ولا فيلم *هكذا جرى وهذا كلّ شيء*؟ هذه أفضل أفلامي. حتى إنّ هذه الأفلام الثلاثة حازت على إجماع النقاد.

- آآآه...

- نستطيع أن نجدها على أقراص DVD، على ما أظن. حسناً، وما هو فيلمك المفضل من بين الأفلام التي شاهدتها لي؟

- فيلم *عارية أمامي*، قلت وأنا أخفض عينيّ.

وأنا أيضاً ماهرة في التمثيل.

انتهز هذه الفرصة كي يجردني من ملابسي. من باب الاحتياط، كنت قد اخترت ارتداء ملابس تحتية من الدانتيل الحريري ماركة «رافاج». إنّ هذا هو فيلمي الصغير الخاص الذي حقق نتائج جيدة على ما يبدو. فعلى الفور ضمّ صدري إليه من فوق القماش، وقبّل رقبتي، وداعب طويلاً فخذيَّ. أوقفته قبل أن يلمس ركبتيّ المتقاربتين. ومن ثمّ رحت أداعبه بدوري. اكتشفت وجود أكثر من وشم على جسده تمثل نسخاً لملصقات أفلامه الثلاث المفضلة له والتي ذكرها لتوّه لي. إنّها طريقة بارعة للترويج لنفسه.

وبعدها التصق جسدانا ببعضهما. لم أصل معه إلى النشوة. إنّه شديد الحرص على متعته الشخصية لدرجة أنّه لا يهتمّ بمتعتي أنا.

أدركت مع الأيام التالية، أنّ ريتشارد ليس على الأرجح الرجل المثالي الذي ذكرته الوسيطة الروحية لوديفين. ولكنّني أدركت أنّ مواعدته تدخلني في عالم الاستعراض. قررت إذاً أن أصبح حرم السيد كونينجهام، فالميزة الأخرى لهذا الزواج أنّ جميع منافساتي الأخريات تأكلهنّ الغيرة الشديدة من هذا الزواج، ومن أجل تحقيق هذه الغاية فقط، أجد أنّ الأمر يستحق العناء.

كنت أخشى أن يجعلني هذا الزواج أخسر استحسان الجمهور العريض ولكن على العكس، فإنّ تصنيفي لا يزال يرتفع. بعد حفل الزفاف بثلاثة أيام، تمّت دعوتي إلى نشرة أخبار الثامنة مساء التي يقدمها الأسطورة كريس بيترز. أيّ امتياز هذا! كريس بيترز، نجم ربات البيوت اللواتي أعمارهنّ أقل من خمسين سنة، الصحفي الأكثر شهرة منذ ظهور قناته الإخبارية الأمريكية ذات البث المستمرّ، والتي تغطي أخبارها كامل أصقاع الكرة الأرضية. إنّه هو من يقول للناس ما ينبغي عليهم التفكير فيه حول كلّ ما يجري في الأقاليم الخمسة. وله يقوم أعتى الطغاة بتسليم الرهائن الذين يصعُب التعرّف عليهم بعد قضائهم أشهراً طويلة داخل أقبية وهم مقيدون إلى المدافئ، لأنّ الطغاة أنفسهم يشاهدون نشرة أخبار كريس بيترز.

وصلت إلى الاستديو مع قليل من التأخير، تماشياً مع مكانتي الجديدة كنجمة، وكان الصحفي هناك لاستقبالي بابتسامته الشهيرة. أكّد قائلاً إنّه لشرف عظيم له استقبال نجمة مثلي أنا. قال لي إنّه تابع مسيرتي المهنية منذ البداية وإنّه لطالما عرف أنّه سيكون لي شأن عظيم.

رحت وأنا جالسة على أريكةٍ بالقرب منه، أعلّق على الصور التي تعرض: حرب الشيشان (أصرّ بشدّة على الإعلان أنّني ضد جميع الحروب)، الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس (أنا أؤيد ممارسة الجنس ولكن شرط ألّا يكون ثمن ذلك الموت)، التلوث (إنّه لمن المشين وجود كل هذه المصانع التي تسبّب التلوث)، الهزات الأرضية (كم من المروع موت كلّ هؤلاء الناس لأنّ المتعهدين لم يبنوا منازل متماسكة وقوية بما يكفي، يجب

أن يُزجّ بهم في السجن)، الحب (ليس هناك ما هو أجمل منه)، ريتشارد (إنّه الأفضل من بين كلّ الرجال، نحن سعداء جداً ونرغب بإنجاب الكثير من الأطفال).

بعد انتهاء البرنامج، قال لي كريس بيترز إنّه يرغب بالحصول على عنواني كي يرسل لي تسجيل الحلقة على شريط كاسيت. في المساء ذاته، وبينما كنت أستعد لأنال قسطاً من الراحة، وأنا منهكة من التعب، سمعت الباب يُطرق. وبما أنّني لا أزال أعيش وحيدة (الزواج مع ريتشارد حدث إعلاميّ أكثر من كونه واقعياً)، نظرت عبر عين الباب فرأيت كريس بيترز، ففتحت له على الفور.

لم يعد يبتسم. دفعني للخلف، وأخذ يجرّدني من ملابسي وهو يقودني نحو غرفة النوم حيث ألقى بي بطريقة وحشية على السرير. وفي هول هذا الرعب رأيته يسحب من سترته رباط حذاء أسود طويل.

قام بليّ ذراعي وثبّت ظهري بركبته بحركة حازمة. ومن ثمّ عقد الرباط حول رقبتي وراح يشدّه. أكاد أختنق. حاولت يدي الحرة انتزاع شيء ما منه. ولكنّ ركبته أبعدت صدري ودفعته بعيداً عن متناول اليد. ومع ذلك شعرت بوجود خيط ما بين أطراف أصابعي. سحبته بكلّ قوّتي.

و... بقي شعره في يديّ. هذا شعر مستعار! ارتبك كريس بيترز بعد أن وجد نفسه أصلعَ. تردّد قليلاً ومن ثمّ عاد أدراجه، وأغلق الباب خلفه.

رحت أتأمل الشعر المستعار بكلّ ذهول وارتياب.

بعد ساعة من الحدث، هرعت إلى الشرطة لأقدّم شكوى ضده برفقة ريتشارد الذي قمت باستدعائه للقدوم إليّ على جناح السرعة. لم أركّز في التفسيرات التي قدّمتُها وأنا لا أزال مذعورة، ولكنّني قلت ما يكفي كي يقوم المحقق بأخذنا جانباً في مكتبه العازل للصوت. وعندها شرح لنا بصبر أنّ كريس بيترز في الحقيقة مشهور بتصرفاته «الطائشة» وأنّه سبق وتسبّب بالأذى لعدة فتيات أخريات. حتى إنّه يعترف بأنّه قد يكون هو نفسه القاتل المتسلسل ذي رباط الحذاء. ولكن... المشكلة هي أنّ معدل مشاهديه يتخطى الأرقام القياسية. إنّه نجم الشعب. يعجب النساء أكثر مما يعجب

الرجال، ويعجب الفقراء أكثر من الأغنياء، وهذا الأمر على مستوى العالم بأسره. إنّه... ما هو التعبير المناسب؟... إنّه «واجهة أمريكا». وهذا ما يجعل من كريس بيترز محمياً من قبل قناته، ومحمياً من قبل الحكومة، ومحمياً من جميع النافذين وأصحاب السلطة في هذه البلاد. لا نستطيع فعل شيء ضده.

رفعت الشعر المستعار كدليل وغنيمة. صحيح أنّ المفتش لا يشكّ بأنّها تعود لكريس بيترز ولكنّه رغم ذلك يصرّ على عجزه حيال الأمر.

– لو أنّ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو من اعتدى عليكِ، لكان بمقدورنا مساعدتك. الرئيس ليس فوق القوانين، ولكن كريس بيترز، هو بالتحديد لا يمكن المساس به مطلقاً.

– ونحن أيضاً لسنا أناساً عاديين. هي فينوس شيريدان وأنا زوجها، أنت تعرفني أيضاً على أي حال!

– نعم، حضرتك ريتشارد كونينجهام. وماذا في الأمر! تظهر في فيلم كلّ ستة أشهر، بينما هو يظهر كل مساء ويشاهده مليارا مشاهد حول العالم كله! إنّه رمز عالمي!

لم أعد أفهم شيئاً. كلّ قيمي تنهار. أفهم من هذا أنّه يوجد حتى اليوم أناس يتهربون من القانون. بدأ الشرطي يشرح لي:

– في البداية، كانت السلطة ملكاً للأشخاص الأقوياء جسدياً، أي الذين يملكون القوة لضرب أقرانهم بأكبر عنف ممكن مستخدمين عصاهم أو سيفهم، فهؤلاء من يعيشون فوق القانون. ومن ثمّ ارتبطت السلطة «بنسل» النبلاء. فهم يملكون الحق في إحياء أو قتل عبيدهم أو فلاحيهم. ومن ثمّ ارتبطت السلطة بالأغنياء والسياسيين. لا تتجرأ العدالة على اتخاذ أيّ موقف ضدهم مهما فعلوا. وفي الوقت الحالي، فإنّ السلطة بيد مقدمي البرامج التلفزيونية. يستطيعون القتل والسرقة والغش، ولا يجرؤ أحد على قول أيّ شيء لهم. لأنّ الجمهور يحبهم. كريس بيترز هو أكثر رجل يظهر بشكل متواصل على التلفاز. لن يجرؤ أيّ كان على مهاجمته. وعلى الأخص أنا. إنّ زوجتي تحبه جداً.

– إن لم نكن نستطيع الاعتماد على الشرطة، فسوف نلجأ إلى الصحفيين

لنشر هذه الفضيحة. من المستحيل ترك مثل هذا المجنون الخطير حراً طليقاً! انفجر ريتشارد قائلاً.

– افعل ما تشاء، قال المفتش بكلّ هدوء. ولكنّني أؤكد لكم مسبقاً إن التجأتم إلى العدالة فسوف تخسرون، لأنّه يستطيع أن يدفع لمحامٍ أفضل من محاميكما. وحتى أيامنا هذه ما يهمّ ليس أن تكون على حق ولكنّ أن يكون لديك محام خبير.

أخذ يحدّق فينا الشرطي الفيلسوف وكأنّه يشفق علينا.

– للقضاء على مثل هذا الحصن المنيع، يلزمكما أيضاً المزيد، والمزيد من المجد، اعترف المفتش بكلّ صراحة. ومن ثمّ ورغم ذلك... هل أنتما مستعدان للمخاطرة فعلياً بمسيرتكما المهنية من أجل هذا الحادث البسيط؟ لو كنت أنا في مكانك، هل تعرفين ماذا كنت سأفعل؟ سوف أرسل رسالة صغيرة لكريس بيترز أعلمه بها أنّني غير حاقدة عليه. لربما بعد كلّ ما جرى، يقبل أن يستضيفك من جديد في برنامجه...

ومع ذلك، التجأنا لبعض الصحفيين الذين تمّ اختيارهم بعناية لجرأتهم وموهبتهم في الاستقصاء. ولكن لم يقبل أيّ واحد منهم تبني موقفنا. فجميعهم لا يحلمون سوى بالعمل في التلفاز مع كريس بيترز. لذا على عكس توقعاتنا، طالب بعضهم «بوقفة تضامنية مهنية» مع كريس بيترز. وتكلّم بعضهم الآخر عن «سخرية» الحادثة، قائلين إنّها شكوى لاعتداء لم يحدث...

– ولكنّه سوف يهاجم فتيات أخريات! هذا الرجل مريض! إنّ مكانه في السجن.

– نعم، الجميع يعلم ذلك، ولكن ليس هذا هو الوقت المناسب للحديث في هذا الموضوع.

أنا مذهولة. أفهم أنّني لن أكون في مأمن أبداً في حياتي. إنّ جمالي وثروتي وريتشارد وحشد المعجبين، لا شيء يحميني في وجه الحيوانات المفترسة التي لا يمكن لأحد المساس بها من أمثال كريس بيترز.

لم أعد أشاهد قناة الأخبار الأمريكية ذات البث المتواصل ونشرة أخبارها المسائية. هذا هو انتقامي الصغير.

تعود لذاكرتي كلمات الشرطي. «المهاجمة مثل هذا الحصن المنيع، يتوجب عليكما الحصول على المزيد والمزيد من المجد». رائع، سيكون هذا هو هدفي القادم.

## 149. إيغور – 22 عاماً ونصف

توجّب عليّ الانفصال عن ستانيسلاس. لأنّه أصبح مفتعل حرائق حقيقياً. عندما يضايقه شخص ما، يبدأ بإشعال النار في صندوق بريده ومن ثمّ يحرق سيارته. وكلّ هذا لم يكفِه. ففي إحدى المرات ألقى قنبلة حارقة على نصب تذكاري يمثّل الشيشان في موسكو.

نصحه الطبيب النفسي بعدم لمس أعواد الثقاب، والولاعات وحتى أحجار الصوان. ولكنّه عاد لتوّه لاقتناء قاذفة لهب من أحد متاجر الأسلحة، وأنا أخشى الآن من الأسوأ. أيها المسكين ستانيسلاس... إنّه ضحية أخرى من ضحايا السلام.

أصبحت لعبة البوكر مهنة اعتيادية لي، صحيح أنّ الكازينو أصبح مكتبي، ومطعم الكازينو هو مطعمي الشخصي، ولكن ليس لديّ راتب تقاعدي ولا ضمان اجتماعي كما أنّ أوقات العمل غير منتظمة. حضر إلى طاولتي هذه المرة رجل ملتح ذو شعر طويل، وثياب غير أنيقة. يا للدهشتي، هو أيضاً لا ينظر إلى أوراقه قبل أن يراهن. هل قمت بإطلاق موضة جديدة في اللعب؟ هل سأجد نفسي من الآن فصاعداً أمام منافسين آخرين يلعبون بأسلوبي أنا؟ ورغم ذلك انسحب الرجل قبل أن تنتهي الجولة.

– كان هذا شرف عظيم لي أن ألعب معك يا سيدي، قال الرجل.

أتبع كلامه بغمزة من عينه.

بدا صوته مألوفاً دون أدنى شك. أعرف هذا الصوت. إنّه يرنّ في أذني كما لو أنّه يعود لفرد من أفراد عائلتي...

– فاسيلي!

لم أستطع التعرف إليه للوهلة الأولى بسبب شعر ذقنه. لا يزال هادئاً وما تزال السكينة تملؤه. تركنا الطاولة للاعبين آخرين وذهبنا إلى مطعم الكازينو. جلسنا بمفردنا ورحنا نتحدث ونحن نتناول طعام العشاء.

أصبح فاسيلي مهندس معلوماتية. قام بتطوير برنامج ذكاء اصطناعي يمنح أجهزة الحاسوب بداية للوعي. لقد بحث طويلاً عن وسيلة لإعطاء البرامج الرغبة بتطوير ذاتها بذاتها. ونجح في ذلك. إنّه يحفزّها بغرس الخوف من الموت في داخلها.

– يعرف البرنامج أنّه في حال عدم نجاحه في المهمة المحددة له من قبل مبرمجه، فسوف يتمّ تدميره. هذا الخوف يحثّ البرنامج على تجاوز نفسه.

الخوف من الموت... من الممكن إذاً نقل مخاوفنا إلى الأجهزة... لقد أصبحت مخلوقاتنا... دعاني فاسيلي إلى منزله للعب البوكر مع برنامج حاسوبي محفّز بالخوف من الموت. بقدر جمود وصرامة برامج الذكاء الاصطناعي المستخدمة في لعبة الشطرنج، فإنّ برنامج فاسيلي في البوكر سلس ومرن. حتى إنّه قادر على «الخداع» أيضاً. منافسي في البرنامج يُدعى «سابتيتلي». من الصعب التغلب عليه لأنّه، كما هو واضح، لا يأبه بتاتاً سواء نظرت أم لم أنظر إلى أوراقي. بالإضافة إلى أنّه يطور ذاته آخذاً بالحسبان ما يجري في الجولات السابقة التي يخزّنها في ذاكرته ويقوم بمقارنتها دون توقف كي يستنتج استراتيجيتي في اللعب.

استطعت رغم ذلك هزيمته باتباعي سلوكاً غير متوقع بتاتاً.

– هذه هي حدود برنامجك يا فاسيلي. إنّ حاسوبك يعمل بصورة منطقية دائماً بينما أنا أستطيع أن أقوم بسلوك لامنطقي كلياً.

وافقني فاسيلي الرأي ولكنّه ينوي إصلاح هذه الثغرة من خلال تصعيد تقنية الخوف من الموت.

– عندما ستكون الآلة قلقة فعلاً من فكرة الخسارة والموت، سوف تبتكر لوحدها وسائل وطرقاً للفوز لم يسبق لإنسان التفكير بها من قبل. سوف تصبح بارعة في السيطرة على اللاعبين اللاعقلانيين وحتى المجانين.

سألني فاسيلي عمّا جرى بعد «حادثة الملجأ». فحدثته عن إنجازاتي الحربية ولقائي مع فانيا ووالدي.

– والآن، قلت له، لم يبق لي سوى إيجاد أمي وقطع الحبل السري نهائياً. وبعدها، أصبح حراً.

– يا عزيزي، لقد حضّرت وجبة متواضعة لك ولصديقك! قال صوت قادم من المطبخ.

– إنّنا قادمان.

لقد نجح فاسيلي. لديه زوجة وأطفال وعائلة ومهنة ثابتة تعجبه. ذاك الطفل الصغير في ملجأ سان بطرسبرغ قد كبر فعلاً واستطاع تجاوز ما مضى. أدركت حينها أنّني أيضاً أرغب أن تكون لي زوجة تحبني. لقد سئمت من فتيات الهوى وراقصات الليل في الكازينو.

كنت ذاهباً في أحد الأيام إلى أحد الكازينوهات في الريف لاكتشاف خصوم جدد، وربحت مبلغاً لا بأس به، وحين هممت بمغادرة المكان، لاحظت أنّني مُلاحق. هذا يحصل عادة في هذا النوع من المهن. غالباً ما يوجد لاعبون سيئون يبحثون عن استعادة ما خسروه. أحكمت قبضتي مستعداً للانقضاض. ولكن دون جدوى، فقد شعرت برأس سكين تلامس ظهري. استدرت، فإذ بصاحب الكازينو محاطاً بستة من حراسه.

– راقبتك طويلاً عبر الكاميرات الداخلية. لم أستطع أن أصدق أنّ هذا هو أنت. إنّ روسيا واسعة للغاية، ألم يقع اختيارك سوى على الكازينو الجديد الخاص بي كي تسلب أموال زبائني! لقد عرفتك في الحال، هل تعرف ذلك؟ هنالك وجوه لا ننساها أبداً.

أمّا من ناحيتي فلم أتعرّف إليه على الإطلاق. ولكن بما أنّني لا أستطيع قتال سبعة رجال في آن معاً، انتظرت بهدوء ما سيجري.

– لديّ نظريتي الخاصة، أعلن صاحب الكازينو. هنالك أناس نلتقي بهم في حياتنا... كيف أقول ذلك؟ يكون لقاؤنا بهم نوعاً من «الموعد مع القدر». حتى وإن رحلوا عنّا، ولكنّهم يعودون. وإن فوّتناهم مرة، يعودون مراراً وتكراراً، إلى أن نصفّي حسابنا معهم. وهذا ما يسميه أغلب الناس «بالصدفة» أو الديجافو[1]. ومن جهتي، سبق ورأيت هذه اللحظة التي ألتقيك فيها. لقد رأيتها عدة مرات ولم يكن ذلك كابوساً. أوه كلّا!

---

1– Déjà vu يعني شُوهِد من قبل حيث يتهيأ للمرء تكرار حدوث موقف أو مشهد بالرغم من أنه لم يسبق وأن حدث فعلاً. المترجمة.

أخذ يمرّر سكينه على بطني متابعاً كلامه:

– وفق البوذيين، إنّ هذه اللقاءات تعود وتتكرر في حيوات عدّة. نكون أعداء في هذه الحياة، وأعداءً في الحياة التالية. ووفقاً للعديد من الديانات، هناك عائلات من الأرواح تظلّ تلتقي مع بعضها إلى الأبد بغية تصفية الحسابات فيما بينها، سواء للأفضل أو للأسوأ. ربّما كنتَ في حياة سابقة زوجتي وكنا نتشاجر باستمرار. أو ربما كنت والدي وكنت توسعني ضرباً. أو ربّما كنت في حياة سابقة رئيساً لبلد كنت أحارب ضده. منذ زمن طويل وأنا أكرهك جداً...

تقدّم باتجاه حلقة الضوء. كشف ضوء الشارع عن وجهه. تقاطيع وجهه وملامحه لا تبدو مألوفة لي.

يبدو أنّه قرأ أفكاري.

– لا بدّ وأنك التقيت بأصدقائك، فمن الطبيعي إذاً أن تلتقي الآن بأعدائك.

حدّقت فيه، ولكنّ ذاكرتي ما تزال فارغة. بدأ يغزّ مقدمة سكينه عميقاً في جسدي. سالت بعض الدماء.

إنّه بيوتر.

تضمّ روسيا مائتي مليون نسمة وواحداً تلو الآخر عثرت من جديد على والدي ومن ثمّ فانيا وبعده فاسيلي والآن بيوتر! إنّ هذه بالفعل أكثر من كونها مجرد مصادفات. لم تبقَ سوى أمي التي لم ألتقِ بها بعد. أعتقد أنّ الأمر لن يطول أكثر.

هل كلامه صحيح؟ هل توجد عائلات روحية لا تتوقف عن الالتقاء مراراً وتكراراً؟ إن لم يكن هذا صحيحاً فلماذا تعترض طريقي دوماً الشخصيات ذاتها؟

سألته بصوتي المليء بالسكينة:

– يكفيك كلاماً، ما الذي تريده يا بيوتر، هل ترغب بخوض عراك مثل الأيام الخوالي؟

– كلّا، أريد فقط أن يقوم رفاقي بالإمساك بك ريثما أسوّي الأمر معك.

هذا ما يُسمى بالانتقاء الدارويني. في هذه اللحظة، أنا متأقلم مع الطبيعة بشكل أفضل منك، لأنك الآن وحيد وأنا لديّ رفاق أقوياء. هل تتذكر هذا؟

كشف عن ندبة فوق سرّته.

– في اليوم الذي تسبّبتَ لي بهذا الجرح، حدث تنافر في الكون، وعليّ الآن أن أعيد الانسجام والتوافق على ما كان عليه.

استجمع القليل من الزخم وقام بغرز سكينه في بطني. كان هذا مؤلماً جداً. كلّ شيء يحرقني ويشع من أحشائي. رحت أتلوّى من الألم، وسالت دفقات من الدماء على ركبتيّ.

– هذا ما يعيد التوازن، قال بيوتر. عاد الكون للانسجام من جديد. تعالوا أيها الرفاق.

سقطت منهاراً على الرصيف. سالت الدماء بدفقات ضخمة وانسكبت حولي. حاولت الضغط بقوة للحفاظ على كلّ هذا السائل الدافئ الذي أحتاجه بشدة كي أبقى حياً.

أشعر بالبرد.

أشعر بالبرد الشديد. أشعر بخدر في أصابعي، لم أعد أحسّ بنهاياتها. وصل هذا الخدر ذاته إلى ذراعيّ، ومن ثمّ قدميّ حتى أطراف أصابع قدميّ. أشعر كأنني أتقلص. الموت، إنّه في النهاية مؤلم بشكل لا يوصف. لا أنصح به أحداً. أشعر بألم في كلّ مكان. إنّ الخدر يصيبني بأكملي. أشعر بالبرد الشديد، إنّني أرتجف من البرد.

أصبحت الآن أجزاء كبيرة من جسدي مخدّرة. لم أعد أستطيع توجيه الأمر ليدي بالحركة. عندما آمرها بالحركة، تبقى ثابتة، في مكانها، لا تزال تضغط على بطني. أنظر إليها. إنّها مثل شيء لم يعد يخصني. ما الذي سيجري الآن؟ أشعر بوجود ضوء جميل يسحبني نحو الأعلى.

أنا خائف.

أغمي عليّ.

أنا أموت.

## 150. هل البشرية مستساغة؟

إيغور سوف يموت! إنّ هذا باكر جداً. يجب إنقاذه بسرعة.

ركّزت قواي على قطة كي أجعلها تتوجه نحو الشرفة وتقوم بالمواء. ومن ثمّ أجبرت مالكتها التي كانت تغطّ في نوم عميق على الاستيقاظ بجعلها ترى كوابيسَ. استيقظت أخيراً وسمعت القطة، فذهبت لإحضارها من الشرفة. أرسلت لها حدساً بالنظر إلى اليسار في الأسفل. فرأت إيغور مطعوناً. أغلقت النافذة كردة فعل غريزية منها، ولم تقم بأيّ شيء. فقمت بإرسال إشارات تشاؤمية: صورة السيد المسيح المصلوب معكوسة، أبواب تغلق بقوة، وطنين في الأذنين. انتهى الأمر بها أن ربطت بين هذه الإشارات وذاك الجسد في الأسفل. وكونها تصدّق الخرافات، اتصلت بالنجدة.

عناصر النجدة كانوا نائمين في مقرّهم. عليّ هنا أيضاً إيقاظهم بالكوابيس.

أخيراً انطلقت سيارة النجدة في الليل. ولكن هناك أزمة سير خانقة وصافرة الإنذار كانت معطلة. يتوجب أن أركز على كل سائق بدوره كي أحثّه على النظر في مرآة السيارة لفتح الطريق لسيارة النجدة.

وجد رجال النجدة إيغور. تبعته حتى المستشفى وهناك رتّبت أموري كي يعتني به أمهر فريق طبي.

هذا هو الأول.

قمت بتدوير مثلث كراتي الثلاث. فينوس أيضاً تمرّ بوقت عصيب. ولكن كيف ينجحون بإقحام أنفسهم بكلّ هذه المتاعب! أرى أنّ رغبتها بالانتقام تستحوذ عليها. لذا سريعاً، قمت بالتأثير على لوديفين. أمرتها بالذهاب لرؤية بيلي واتس، وذهبا سوية لرؤية فينوس. والآن يجب رفع معنوياتها. شرحت لها لوديفين أنه حتى وإن لم يُعاقب كريس بيترز من قبل البشر، فسوف يحاكم في الأعلى. يبدو أنّ هذا لم يقنع موكلتي التي ترى أنّنا نعيش في عالم دنيء حيث يبقى فيه المجرمون دون عقاب، لذا فهي لا تفهم لماذا يتوجب عليها بذل قصارى جهدها لتتصرف بطريقة حسنة. إنّها أيضاً، في النهاية، تستمتع بالقيام بالأذى أكثر من استمتاعها بعمل الخير.

حسناً، سيكون الوضع صعباً هنا.

يجب إخراجها من دائرة الانتقام التي توشك روحها على الوقوع بها. إنّ الانتقام هو «وظيفة بدوام كامل» وليس لديها الوقت لتضيعه في إيذاء الآخرين.

التفاوض صعب. في النهاية، حصلت على اتفاق منها: توافق على التخلي عن كرهها، ولكنّها تطلب الحصول على المجد كي تتوقف عن الخوف من الشخصيات البارزة أمثال بيترز. يا إلهي إنني أتفاوض مع موكلي بشأن معجزاتي! أجبتها أنني سأبذل أقصى ما أستطيع.

بالنسبة لجاك، فقد حصل أخيراً على ما كان يرغب به، وهو أن تُنشر أعماله، وها هو الآن يصاب بانهيار عصبي! ما الذي يريده؟ الحب؟ تباً، إنّ هذا بالفعل لا يصدق! منذ قصته مع غويندولين، واحتياجاته العاطفية تتضاعف. من التي سأتمكن من إيجادها لأقدمها له كحبيبة؟... بما أنني في الغابة الفيروزية حول البحيرة، سألت جاري إن كانت لديه موكلة عزباء هنا أو هناك، يمكنها أن تملأ فراغاً عاطفياً لأحدهم؟

لقد اضطررت لسؤال عشرات الملائكة قبل العثور على امرأة تستطيع تحمّل السمات الشخصية المميزة لموكلي. جعلتها تظهر له في الحلم. يجب أن ينجح الأمر.

أراقب الملائكة الآخرين حولي، راؤول ومارلين مونرو وفريدي، وهم يستعدون لرحلتهم الكبرى إلى مجرة أخرى. أخبرتهم أنّني لن أستطيع مرافقتهم هذه المرة أيضاً ولن أشارك بالتالي بالإعداد للسفر.

يطلب منّي راؤول الاقتراب. ولكنّني أتظاهر أنّني لم ألاحظه وأتوجه نحو الأم تيريزا. يبدو أنّها بدأت تتلمس طريقها. بعد أن أدركت أخطاءها في السابق، فهي تقضي الآن معظم وقتها بالقرب من الملائكة المرشدين. تحمل لهم بيوضها مثل التلميذ المتحمس. لم تعد تتردد الآن إطلاقاً من توجيه النصائح لموكليها بطرد الخدم المهووسين بالسرقة أو نصحهم بالاستثمار في المصانع التي تقوم على عمالة أطفال العالم الثالث. تقول لمن يريد سماعها: «بهذه الطريقة سيكون لديهم على الأقل عمل يقومون به». أتساءل فيما إذا كانت الأم تيريزا قد انتقلت من تطرف إلى تطرف آخر.

يجب رؤية حالة موكليها. لقد أصبحوا جميعهم ماديين، مدمنين على الجنس والكوكايين.

أحلّق بعيداً، أقطع هضاب الشرق الشاسعة كي أصل إلى المنحدرات الشمالية الشرقية. وجدت المدخل الذي سبق وأظهره لنا إدموند ويلز. كيف يمكنني تتبع طريقي في هذه المتاهة؟ قمت بتوجيه راحتي كفّي نحو الأعلى فأتت بيوضي في الحال. يكفيني أن أتتبّع المكان الذي تأتي منه بيوضي، ومن ثمّ أجعلها ترحل من جديد كي أكتشف الطريق. وهكذا، شيئاً فشيئاً، باتباع بيوضي، نجحت أخيراً في الوصول إلى الغرفة الكبيرة حيث تتمركز كرات القدر الأربع.

إنّ مشهد الكرات الأربع حيث تنبض بداخلها كلّ قضايا العالم لا يزال يبهرني.

التصقت بجدار الكرة البشرية ورحت أفكر. ربما يكون جاك محقاً. ما الفائدة؟

أرى موكليّ الثلاثة ضائعين وسط ستة مليارات إنسان. إن عرفوا أنّ ملاكهم الحارس قد تخلّى عنهم بعض الوقت ليحقق طموحاته الاستكشافية الشخصية، كيف سينظرون إلي؟ رأيت أيضاً المعذّبين الذين يضايقون موكليّ. لماذا يقلق هؤلاء المزعجون الناس جميعهم؟ ألا يستطيعون عيش حياتهم بسلام مع جيرانهم؟...

كان إدموند ويلز قد صار بجانبي، ووضع ذراعه بحنوّ حول كتفي.

– ألا تفهم إذاً؟ سألني.

– كلّا، لا أفهم لماذا بيترز ودوبويس وبيوتر وغيرهم من الناس يسببون الكثير من الأذى ليكونوا أشراراً هكذا...

– هم ليسوا أشراراً. إنّهم جهلة، إذاً هم خائفون. إنّ الأشرار هم أناس خائفون يعتدون على الآخرين خوفاً من أن يُعتدى عليهم. إنّ الخوف يفسر كلّ شيء. من جهة أخرى، سمعتك منذ قليل تشرح لفينوس ما جرى بشكل جيد قائلاً: إنّ العضو الذكري لبيترز صغير لذلك يخاف من نظرة النساء له، ولذلك فإنّه يفضّل... قتلهنّ.

- ولكن بيترز وبيوتر ودوبويس يستمتعون بتعذيب إخوانهم البشر!
ارتفع إدموند ويلز قليلاً فوق الكرات الضخمة.

- هذا أيضاً هو دورهم. إنّهم بمثابة مؤشرات على جُبن وضعف الآخرين. كان يجب أن يُطرد بيترز من التلفاز منذ زمن طويل ولكن، بما أنّ معدل مشاهديه في ارتفاع متزايد، لذا فهو يتمتع بالحماية ويتشبث بمكانه بأيّ ثمن. كما كان ينبغي فصل دوبويس من نقابة الأطباء ولكن نظراً لارتباطاته السياسية، فإنّ زملاءه يخشونه، ويفضلون دائماً تجنبه لا بل وحمايته إن لزم الأمر. وبيوتر يستغل الفساد العام في المجتمع الروسي. إنّه زعيم عصابة صغير في عالم كلّ واحد فيه يطبّق قانونه الخاص. إنّه الافتقار إلى النظام الذي يسمح بارتكاب الأخطاء. كلّ هذا طبيعي جداً بالنسبة لمستوى البشرية العام. إنّهم في المستوى 333، لا تنسَ هذا.

أصابني الإحباط. فنهرني معلّمي.

- لا تكن عجولاً، ولا تطلق الأحكام. ومن ثمّ... فإنّ موكليك أيضاً ليسوا طيبين. فهذا إيغور مثلاً، قام بالقتل. وفينوس صلّت كي تتشوّه منافستها. أمّا بالنسبة لجاك، فهو يعيش مراهقة متأخرة حيث يُقحم نفسه في عوالم مُتخيلة خشية مواجهة الواقع.

حدّق بي إدموند ويلز بجدية.

- أنت لا تعرف كلّ شيء. فقد كان كريس بيترز في الماضي منقباً عن الذهب وصياد هنود. وكان هو، مع مساعديه الاثنين، من قام بلفّ الحبل حول عنق جاك نيمرود. هل ترى، إنّ الحياة ليست سوى دورات تتكرر بشكل لانهائي. وفوق ذلك، لا يزال يتباهى بوضع شعر مستعار[1]... ويواصل جرائم شنق الناس.

قطّبت حاجبيّ.

- يوجد ستة مليارات نسمة على الكوكب. أيّة مصادفة عجائبية هذه أن يكون المعتدي على فينوس هو أيضاً المعتدي السابق على جاك؟

---

1- إشارة إلى عمليات سلخ فروة الرأس التي كان يقوم بها في حيواته السابقة. المترجمة.

– هذه ليست مصادفة حقاً، قال مدرّبي. إنّ الأرواح تتجمع كعائلات عبر العصور. ويستمر حدوث اللقاءات الكونية إلى أن تصل إلى نهايتها ومبتغاها. وقد استطاع بيوتر بحدسه فهم ذلك.

أشار لي إدموند ويلز عبر الجدار إلى بضع بيوض تسبح حول بيوضي.

– مارتين، صديقة جاك الأولى، سبق أن كانت في الماضي أمّه.

– ألهذا السبب وضعت هذا الحاجز العاطفي بينهما؟

أومأ إدموند ويلز موافقاً وتابع.

– ريتشارد كونينجهام، سبق أن كان في الماضي أختاً لفينوس، وبيلي واتس كان كلبها، لم يكونا إذاً في مستوى تطور الوعي ذاته. وسبق أن كان ستانيسلاس ابن إيغور في حياة سابقة، كما كان في إحدى الحيوات السابقة أحد مضرمي النيران في محرقة الساحرات، وقد عمل قبل تلك الحيوات تحت إمرة نيرون في روما. كان حاضراً أثناء حريق المكتبة الضخم في الإسكندرية وفي الزمن القديم أكثر، كان واحداً من أولئك الذين اكتشفوا أنّه بفرك حجريّ صوان يمكن إشعال النيران. قبل قتل نيمرود، كان كريس بيترز فاتحاً وقام بقتل الكثير من شعب الإنكا.

إنّ الأرواح تلمع داخل كراتها مثل نجمات صغيرة. وهكذا، فإنّ كلّ شيء له علته في الوجود، ولكلّ شيء جذوره الضاربة في الماضي السحيق، ومنطقه الخاص واللامرئي. إنّ السلوكيات الغريبة والرّهاب والوساوس ستكون جميعها غير مفهومة إن لم نأخذ في الحسبان أمر الحيوات السابقة. اعتقد فرويد أنّه يستطيع شرح سلوك الإنسان البالغ انطلاقاً من فترة الرضاعة في حين إنّه لفهم السلوك الإنسانيّ حقاً كان يجب على فرويد العودة إلى أولى التجسدات البشرية للشخص، وحتى تجسداته الحيوانية، بل وحتى أولى تجسداته النباتية. ربما يحب بعضهم اللحوم لأنّهم كانوا حيوانات برية في السافانا. وربما يحب بعضهم الآخر النوم تحت أشعة الشمس لأنّهم كانوا نبتة عبّاد الشمس. لكلّ روح تاريخها الطويل والذي هو تاريخ رحلة تجسداتها.

– إذاً راؤول وفريدي والثاناتونوتس...

– سبق وعرفتهم في الماضي بأشكال أخرى. فقد كان راؤول والدك. أنتما تسيران جنباً إلى جنب منذ زمن طويل جداً. والحاخام فريدي ماير كان في السابق أمّك في عدة حيوات...

عبر الجدار، رحت أتأمل البشرية أمامي.

– لا تنسَ هذا مطلقاً، المسألة ليست مسألة لطافة، وإنّما تطور مجال الوعي. عدوّنا ليس الشر، وإنّما الجهل.

## -3-

# ما الذي يوجد في العالم العلوي

### 151. إيغور– 22 عاماً ونصف

أنا أموت. أخرج من جسدي. يجذبني الضوء للبعيد، فأطير بخفة نحوه. ومن ثمّ فجأة، توقفت مكاني غير قادر على الذهاب بعيداً، فقد خرج حبل فضي من بطني وقام أحدهم بسحبه كي ينزلني من جديد. إنّني أعود نحو الأرض.

– أخيراً، لقد استعدناه!

إنّهم يصرخون فرحاً كما لو أنّني ولدت لتوّي. ومع ذلك فقد كان هذا الضوء جميلاً للغاية هناك في السماء.

وضعوني في سرير، وقاموا بتغطيتي جيداً ومن ثمّ نمت. لم أعد ميتاً. عندما استيقظت رأيت فتاة شقراء بعينين خضراوين واسعتين وقميص مكشوف الصدر تنحني عليّ.

هل هذا ملاك وأنا في الجنة! حاولت الاقتراب منها، ولكنّ الحقن والأنابيب المتعددة في ذراعي والتي تمنعني من الحركة، أزالت فوراً كلّ الأوهام، وزاد عليها أيضاً هذا الألم الحارق في بطني.

قالت لي هذه الفتاة الفاتنة إنّني بقيت أسبوعاً في الغيبوبة، وإنّ الفريق الطبي اعتقد أنّني لن أستيقظ مطلقاً، ولكنّ بنيتي الجسدية القوية مكّنتني من الصمود. قالت لي إنّني حتماً قد تعرضت لاعتداء من عصابة في الشارع وقد نزفت كثيراً. ولحسن الحظ، أنّ فصيلة دميAB إيجابي شائعة جداً، وكان لديهم مخزون كافٍ منها لتعويض ما خسرته من الدماء.

تشير بطاقة التعريف في أعلى سترتها الطبية أنّ هذا الملاك يدعى تاتيانا، تاتيانا مونديلييف. هي الطبيبة المسؤولة عن حالتي. إنّها معجبة بصمودي، وقد تحدّيت قوانين الطب، هكذا تقول الطبيبة، ولكن رغم كلّ ذلك، فلديها خبر بغاية السوء سوف تخبرني إيّاه. أخفضت عينيها.

– كن قوياً، أنت مصاب بِـ... السرطان.

هذا هو إذاً «الخبر السيئ»؟ أوه! بعد أن اقتربت من ضوء الموت العظيم في السماء هناك في الأعلى، بعد أن واجهت أمي، وتعرضت للقصف، وشظايا القذائف اليدوية وصواريخ الشيشان، وبعد ضربة خنجر بيوتر، يأتيني السرطان، يبدو لي هذا حميداً نوعاً ما.

أمسكت الطبيبة يدي بحنان.

– ولكنّ سرطانك هذا ليس كأيّ سرطان عادي. إنّه سرطان غير معروف حتى الآن. يسمى سرطان السرّة!

سرطان السرّة أم سرطان إصبع البنصر، لا أرى أنّ هذا يغيّر شيئاً. سوف أموت بسبب هذا المرض، وهذا هو جوهر الكلام. يجب أن أستمتع بأقصى ما يمكن ممّا تبقى من حياتي قبل المضي في رحلتي القادمة نحو ضوء السماوات.

– لديّ رجاء خاص أطلبه منك، تتابع الطبيبة الجميلة كلامها دون أن تترك يدي. أرغب أن تكون مريضي أنا، لو سمحت، اسمح لي بدراسة مرضك عن قرب.

أخذت تشرح لي تاتيانا أنّ حالتي فريدة من نوعها، فالسرة منطقة ميتة وغير نشطة، وهي كلّ ما تبقى من الرابط مع الأم. لذلك ليس هناك أدنى سبب للسرطان كي يتطور في هذه المنطقة بالذات.

إنّ الطبيبة مولعة بالتحليل النفسي، لذا أخرجت دفتر ملاحظات وقلماً وبدأت تسألني عن تفاصيل معينة. لست بحاجة لإضافة المزيد عن: أمي التي كانت ترغب فعلياً بقتلي، والمبارزة بالسكين في الملجأ في اليوم ذاته الذي كان مُقرّراً فيه أن تأتي عائلة لتتبناني، ومركز تأهيل الأحداث، والمصحّ النفسي، وحرب الشيشان... وهي مندهشة، كانت تاتيانا تضغط بقوة أكثر على يدي. قالت إنّني طورت قدرات فريدة للبقاء حياً.

ولكن ما يثير اهتمامها فيّ هو السرطان، هذا السرطان غير المتوقع الذي أصاب السرّة، والذي بعد أخذ موافقتي، أطلقت عليه تسمية: «متلازمة مونديلييف». سوف أصبح ما تسميه هي «مريضاً خاضعاً للتجارب». إن كان ما فهمته صحيحاً فإنّ «المريض الخاضع للتجارب» هو مريض مهني. ستتكفل وزارة الصحة بمسكني وطعامي وملبسي وتكاليف علاجي ومصاريفي المختلفة، وبالمقابل، سوف أكون تحت تصرف الفريق الطبي وبالتحديد أكثر تحت تصرف تاتيانا. سوف أرافقها في مؤتمراتها حول العالم كله وسأكون مستعداً لكلّ الاختبارات التي تسمح لها بمتابعة تطور المرض. ومقابل كلّ هذه الخدمات، عرضت عليّ تاتيانا راتباً شهرياً.

ذكرت رقماً أعلى بأربع مرات من راتبي التقاعدي. وراحت تنظر إليّ بشيء من التضرع بعينيها الخضراوين الواسعتين.

في أيّ عالم غريب نعيش؟ عندما تكون بطل حرب يُبصق في وجهك، وعندما تعاني من مرض السرطان يدللونك.

- إذاً، هل تقبل؟

قبّلتُ يدها كإجابة عن سؤالها.



## 152. موسوعة

**الإيحاء العكسي: عندما كان في السابعة من عمره، شاهد الصغير إريكسون والده يحاول إدخال عجل إلى الحظيرة. كان يسحبه بالحبل بقوة، ولكنّ العجل ثار ورفض التقدم. انفجر الطفل إريكسون ضاحكاً وسخر من والده. فقال له والده: «حسناً، قم بالعمل بدلاً مني طالما تعتقد نفسك ذكياً».**

**فخطرت فكرة في بال الصغير إريكسون؛ وقام عوضاً عن شدّ الحبل، بالاستدارة خلف العجل وشدّ ذيله، وكردة فعل منه، اندفع العجل على الفور وركض إلى الأمام داخلاً الحظيرة. بعد أربعين سنة، ابتكر هذا الطفل «التنويم المغناطيسي الإريكسونيّ»، وهي طريقة تقوم على استخدام الإيحاء اللطيف، والإيحاء العكسي لتحريض التحسن لدى المرضى.**

**تأكيداً على ذلك، تستطيع التحقق من الأمر إن كان لديك طفل لا يهتمّ بترتيب غرفته أبداً، وطلبت منه بشكل مباشر ترتيبها فسوف يرفض حتماً. ولكن بالمقابل، إذا قمتَ بمفاقمة الفوضى في غرفته وذلك بجلب المزيد من الألعاب والملابس ورميها في كلّ مكان، فسوف يصل الأمر بالطفل أن يقول لك: «توقف يا أبي، لم يعد هذا يحتمل، علينا ترتيب الغرفة».**

**إنّ السحب في الاتجاه المعاكس يكون في بعض الأحيان أكثر فعالية من السحب في الاتجاه الصحيح لأنّ هذا يحرض صحوة الوعي.**

**إن عدنا إلى التاريخ، نجد أنّ «الإيحاء العكسي» قد استخدم بشكل مستمر سواء بقصد أم بغير قصد. فقد كان يجب أن تقع الحربان العالميتان، وأن يذهب جرّاءها ملايين القتلى كي ننشئ عصبة الأمم ومن ثمّ منظمة الأمم المتحدة. وتطلب الأمر المزيد من الانتهاكات من قبل الطغاة كي ننشئ منظمة حقوق الإنسان. كما كان يجب أن يحدث ما حدث في تشيرنوبل كي يعي الناس لمخاطر محطات الطاقة الذرية غير المؤمّنة بشكل جيد.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 153. جاك– 22 عاماً ونصف

ها قد جاء اليوم المنشود. خرج كتاب *الجرذان* من المطبعة، ويستطيع الناس اعتباراً من الغد إيجاده في المكتبات. لقد اكتمل كلّ شيء. أمسكت الكتاب بين يديّ، داعبته. نعم، لقد فعلتها، من أجل هذا ناضلت منذ فترة طويلة. أيّة مفاجأة هذه! ها هو، كما لو أنّه طفل ولد بعد سنوات من الحمل.

*رواية الجرذان.*

مضت النشوة الأولى والآن أشعر بقلق عظيم. هذا الكتاب كان يملؤني من الداخل أمّا الآن... أنا خاوٍ. لقد حققت المهمة التي أتيت من أجلها إلى الأرض، وانتهى كلّ شيء. إنّ الرحيل في ذروة النجاح وقبل الهبوط الحتمي، سيكون هو الحل الأمثل.

لم يعد لحياتي أيّ معنى. لم يعد أمامي سوى الموت. يجب أن أقتل

نفسي الآن ولن تكون حياتي بذلك سوى محض سعادة مطلقة. سوف أنتحر إذاً. ولكن كيف أقوم بذلك؟ كالعادة، تربكني المشاكل العملية.

كيف أحصل على مسدس كي أطلق رصاصة في رأسي؟ لا أرغب برمي نفسي في النهر كي أموت غرقاً، فالماء يبدو لي بارداً جداً. لا أتجرأ على القفز من أعلى أحد المباني، فهذا يشعرني بالدوار. هل أتناول أدوية؟ أيّة أدوية أساساً يجب أخذها؟ كما أنّني متأكد أنّه مع حظي هذا، سوف أتقيؤها كلها. بقي قطار الميترو، ولكن لا أجد في نفسي الشجاعة كي ألقي بجسدي تحت عجلاته.

علاوة على ذلك، قرأت في مكان ما، أنّ أربع حالات من أصل خمس لا ينجحون في الانتحار. فأولئك الذين يطلقون رصاصة في أفواههم، يتمزق ببساطة فكّهم السفلي وينتهي الأمر بهم مشوهين. وأولئك الذين يلقون بأنفسهم من الطابق السادس يتكسر عمودهم الفقري وينتهي الأمر بهم مشلولين على كرسي متحرك. وأولئك الذين يتناولون الحبوب الدوائية يخربون جهازهم الهضمي وينتهي الأمر بهم مصابين بحروق مِعدية مزمنة.

قرّرت أن أموت شنقاً. إنّ هذا يخيفني ويجذبني في الوقت ذاته لأسباب لا أعيها. أعرف أنّني ولدت كي أموت بهذه الطريقة.

أقفلت الباب، وأغلقت الستائر، وعهدت بالقطة (التي لم تضطرب على الإطلاق) إلى جارتي، أغلقت على نفسي باب الحمام، وقمت بتعليق ربطة العنق على المصباح.

لطالما شعرت في حياتي أنّني بأفضل حال داخل المرحاض، ويبدو لي من الطبيعي أن أموت فيه. صعدت فوق كرسيّ صغير، وقمت بالعدّ حتى الثلاثة ومن ثمّ أبعدت الكرسي من تحت قدمي. ها أنا الآن معلق فوق الأرض.

العقدة تشدّ بقوة، أشعر بالاختناق. ليس هذا هو الوقت المناسب كي أكون مرهف الإحساس، ولكن رغم ذلك أنا مجبر على ملاحظة أنّه يزعجني شنق نفسي هكذا في حالة من الضيق التام بانتظار الموت.

تسلّق عليّ عنكبوت كان مختبئاً منذ مدة طويلة في الركن العلوي الأيمن

للمرحاض. يبدو أنّه سعيد بهذا الجسر الجديد الذي يشكله جسدي المعلق. شرع ينسج شبكته بين أذني ونهاية قطعة خشب السقف. وكان في كل مرة يعبر فيها بالقرب من شحمة أذني أشعر بالدغدغة.

إنّ هذا أطول ممّا كنت أعتقد. كان يجب أن أقفز فجأة كي أتسبّب بصدمة مباغتة في فقرات العنق.

قلّ الهواء الذي أتنفسه، وبدأت أشعر بطنين في رأسي. حاولت عبثاً أن أسعل كي أحرّر الضغط الواقع على حنجرتي. إنّ الحبل يشد فعلاً بقوة كبيرة. أعدت التفكير في حياتي، وفي روايتي، والجرذان، والقطط، وغويندولين، ومارتين، والآنسة فان ليزيبيث، والناشر شاربونيه... لقد كانت حياتي بالأحرى فيلماً جيداً.

هل عرفت حقاً كلّ أحداثها؟ تباً، ربما كان هناك نساء أخريات سأحبّهنّ، وكتب أخرى أكتبها، وقطط أداعبها على هذا الكوكب. أكد لي العنكبوت ذلك باستقراره في أذني مصدراً فيها طنيناً مزعجاً للغاية.

إنّ هذا بالتأكيد هو التردد الخلقي الذي أعاني منه، ولكنّني لم أعد أرغب بالموت. انحنيت وحاولت فك العقدة. لقد تأخرت قليلاً، ورغم ذلك، لحسن الحظ، بما أنّني لست عامل تصليحات متمكن، لم أكن قد ثبّت المصباح جيداً في مكانه، لذا تحرّر البرغي وسقطتُ أرضاً، وتبع ذلك سقوط المصباح على حافة رأسي مسبباً تورماً مكانه.

آخ، هذا موجع.

إذاً، ما أزال حياً. حصّنتني هذه التجربة كلياً ضد الانتحار، فهو حقيقة مؤلم جداً ومن ثمّ، قلت في نفسي إنّ الانتحار هو أسوأ نكران للجميل. الانتحار هو اعتراف بعدم القدرة على تحمّل هبة الحياة.

كما أنّني أشعر بالمسؤولية تجاه كتابي. لقد نُشر، ويجب الدفاع عنه وتقديمه وشرحه.

في أول لقاء إعلامي لي حول الكتاب، تعامل معي الصحفي كخبير جرذان قام بتأليف كتاب إرشادي حول الموضوع. كما أنّ القليل من البرامج الإذاعية أو التلفزيونية التي دُعيت إليها نادراً ما ذهب محاوريّ في قراءاتهم

لأبعد من صفحة الغلاف. يُطلب مني عادة اختصار روايتي. تعرّضت للنقد بسبب الصورة التي كانت مرسومة على معطفي، كما لو أنّني أنا من اختارها... المقالات القليلة التي ناقشت كتابي فعلاً لم تظهر في الزاوية الأدبية وإنما في قسم «الحيوانات» أو «العلوم». كما لم يتردد أحد الصحفيين في قول إنّني عالم أمريكي مخضرم.

لم يلحظ أيّ صحفي غرض الرواية الأساسي: أنا أتحدث عن الإنسان عبر سلوك الحيوانات في المجتمع. إنني مستاء. في المرات القليلة التي سمحوا لي بالحديث، لم تكن الأسئلة تمكنني من توضيح أفكاري. فقد كانت الأسئلة على النحو التالي: «ما هو متوسط عمر الجرذ؟» كم صغيراً ينجب الجرذ في كل مرة؟» أو أيضاً: «كيف نتخلص منها بطريقة فعلية؟»

كم كنت أرغب في النقاش لمرة واحدة على الأقل مع فلاسفة، وعلماء اجتماع، وسياسيين، والحديث عن شبكات الأدوار المحددة مسبقاً، وصعوبة الخروج من حلقة المستغلين -المُسخرين- المستقلين – المستضعفين. ولكن المحاور الوحيد الذي اقترح عليّ الراديو أن أتحاور معه هو متخصص «بتسميم الفئران» الذي راح يعدّد برضا، كل ترسانة المواد الكيميائية التي يمتلكها الإنسان للتخلص من الفئران! من الصعب رفع مستوى النقاش. لقد فقدت الأمل من الإعلام، وأعوّل الآن على تداول الرواية بين الناس. لم أعد أستطيع أن أقدم شيئاً لهذا الكتاب. لقد انتهت مهمتي، ويجب أن أريح رأسي. كيف ذلك؟ بمشاهدة التلفاز ومتابعة الأخبار!

يظهر كريس بيترز بشكل مختلف. تغيّر لون شعره. لا بدّ وأنّه صبغه. أعلن المقدم أنّه في ولاية أركنساس قامت مجموعة من تلاميذ المدرسة بإطلاق النيران على أطفال آخرين باستخدام رشاشات خفيفة في باحة مدرستهم. راح ضحيتها واحد وثلاثون قتيلاً وأربعة وخمسون جريحاً. توجد كلمة لوصف هذه الظاهرة وهي: «آموك»[1]. حيث يرغب الشخص قبل قتل نفسه، بقتل أكبر قدر ممكن من أقرانه.

---

1- Amok متلازمة آموك: هي اضطراب نادر يسبّب غضباً عارماً لدى الشخص ويحرضه على القتل. المترجمة.

إنّ للأخبار دائماً وقعاً مريحاً عليّ. مصائب غيري تجعلني أنسى مصائبي وتمنحني في الوقت ذاته أفكاراً لقصص جديدة. تابع كريس بيترز سلسلته من الأهوال اليومية الصغيرة منها والكبيرة.

فضيحة في بنك للسائل المنوي: قام عدد كبير من النساء باختيار السائل المنوي ذاته لمتبرع واحد يُدعى هانس جوستافسون، رجل رياضي أشقر بعينين زرقاوين. وبذلك سيكون هذا الرجل الآن والداً لنصف مليون طفل على الأقل. أشار هانز أنّه لم يكن على علم بهذا النجاح الذي حققه سائله المنوي وأنّه لم يقم بالتبرع به إلّا بغرض تمويل دراسته. ولكنّه من الآن فصاعداً، سوف يحتفظ به لنفسه.

وقوع زلزال خفيف في لوس أنجلوس. يقدّر علماء الزلازل أنّ الهزات الأرضية يمكن أن تكون مرتبطة بكثرة التفجيرات النووية التي تحدث تحت الأرض.

في مجال الطب: اكتشاف مرض غريب في روسيا ألا وهو سرطان السرة.

حال الطقس: صاف ومستقر.

البورصة: انخفاض سعر سهم داو جونز.

تحسّن وضعي. كلّ هؤلاء البشر الذين يتصارعون من أجل الأرض أو الاستيلاء على السلطة يذكرونني بالجرذان في روايتي. ألقيت نظرة على الطاولة نحو كتابي. *الجرذان*. يبدو لي هذا العمل ساحراً وحيّاً. ولكن عليه الآن أن يحيا وحيداً من دوني.

## 154. فينوس – 22 عاماً ونصف

بعد اعتداء كريس بيترز، طلبت من ريتشارد البقاء في المنزل أغلب الأوقات، وعلى إثر هذا اكتشفت ماذا يعني العيش مع رجل في مسكن واحد. جميع العيوب الصغيرة التي كان ريتشارد قد نجح في إخفائها عني ظهرت أمامي فجأة على العلن.

كنت أعلم سابقاً أنّ الرجال أنانيون بشكل عام وأنّ الممثلين بشكل خاص مزهوون بأنفسهم، ولكن لم أكن أتوقع أنّهم سيتفوقون بغرورهم هذا حتى على عارضات الأزياء أنفسهن.

يتعاطى ريتشارد المخدرات. يحتاج منذ الصباح إلى استنشاق القليل من الكوكايين مع قهوته وقطعة الكرواسان. لا يستطيع العيش دون ذلك. ويحتاج إلى كميات تتزايد أكثر وأكثر أثناء تصوير الأفلام. يقول إنّها تحسّن من إمكانياته. إنّ هذا الهوس على كل حال، ينهك ميزانيتنا بشكل كبير.

حينما يكلمني عن السينما يجعلني أحلم. تبدو لي مواقع تصوير الأفلام أكثر جاذبية من استديوهات التصوير الفوتوغرافية. يحكي لي قصصاً لا تصدق عن مخرجين تعاركوا مع مدراء التصوير لمجرد أنّهم لم يتفقوا على موقع كاميرا.

يتخيل الجمهور دائماً أنّ الممثلين أكثر ذكاء منّا، نحن عارضات الأزياء، وهذا لأنّ كُتاب السيناريو يجعلونهم يقولون جملاً مثيرة، ولكن بالنسبة لي، أدرك جيداً أنّ آرائي التي أقولها في مقابلاتي تكون محدودة وضيقة. أشعر بالندم لأنّني لم أتابع دراستي بشكل جدي، فالعلم يمنح التفكير عمقاً أكبر. كم أرغب عندما يُطرح عليّ سؤال، أن يكون لديّ في مكان ما كاتب سيناريو أصلع بنظارات سميكة، يُملي عليّ الإجابة.

دعونا نواجه الأمر بكل وضوح، إنّ كلام ريتشارد في حياته الخاصة واليومية، أقل بكثير منه في أفلامه. بالنسبة له، تعتبر نوتر دام إبتكاراً خالصاً لاستديوهات والت ديزني، وأنّ باريس هي مدينة في ولاية تكساس.

لا يعرف ريتشارد أين تقع البرتغال ولا الدانمارك، ولا يهتم أصلاً بذلك. لم يغادر موطنه الأصلي كنتاكي إلّا لاستعراض عضلاته المفتولة في هوليوود، وبفضل معجزة السينما، أصبح هذا القروي النجم المفضل لدى جميع فتيات العالم.

أمّا الحوارات التي تدور بيننا فهي: «أنت بخير يا عزيزتي؟» أو: «كلّ شيء على ما يرام يا حبيبتي؟» أو أيضاً: «الطقس جميل، أليس كذلك؟»

يبقى ريتشارد قلقاً دائماً بخصوص قدرته على الإغواء.

فقد كشفته في إحدى المرات وهو يمسك بالمرآة الموضوعة بجانب السرير أثناء ممارستنا الحب بحجة أنّه يريد رؤية وجهه أثناء بلوغه النشوة الجنسية، وهذا من باب تحضيره لمشهد ساخن للغاية في سيناريو فيلمه الجديد، كان ريتشارد يدرس كيف يُظهر وجهه بأفضل زاوية ممكنة.

لا أحبّ ريتشارد كثيراً، ولكن أنوي الاعتماد عليه كنقطة انطلاق للدخول في عالم السينما. أنا أيضاً أعرف أنّ الزمن يمضي. البارحة مثّلت له مشهداً بغية أن يجعلني أشارك في فيلمه الجديد. بدأ بالادعاء أنّ التمثيل مهنة لا يمكن لأيّ كان امتهانها. فكاني جوابي أن سردت له قائمة بالممثلات غير الموهوبات اللواتي دخلن هذه المهنة معتمدات على جمال أجسادهنّ فقط. وبما أنّ هذا لم يكن كافياً لإقناعه بمواجهة المتنجين، قمت بتكسير الصحون، ومن ثمّ أخرجت له صوراً يظهر فيها بصحبة صبية صغار تحت السن القانونيّ، كانت هذه الصور قد وصلتني عبر البريد من امرأة مجهولة كتبت عليها: «صديقة تريد لكِ الخير». وهي بلا شك واحدة من الحاسدات والغيورات...

- بوجود صور كهذه، لا أستطيع فقط الحصول على الطلاق، وإنّما أستطيع أيضاً سلبك كلّ أموالك، وتشويه صورتك بصفتك الرجل الأكثر جاذبية.

بعد ذلك، أقنع ريتشارد المتنجين بإعطائي دوراً في فيلمه الجديد، *الثعالب*، وهو دور جندية روسية تحارب في الشيشان. وأسند له هو دور البطل، الرقيب الأول في وحدة القوات الخاصة التي تدعى «الثعالب»، وأنا واحدة من أتباعه الماهرات جداً، ملكة قاذفة اللهب. دوران متكاملان.

لحسن الحظ، جعلني الكاتب أقول الكثير من الحوارات المذهلة. لقد أظهرت أخيراً حسّ الفكاهة الرائع الذي لطالما حلمت بامتلاكه والذي لا يمكن لأيّ جراح أن يزرعه في الدماغ.

من المتوقع تصوير فيلم *الثعالب* في روسيا من أجل المصداقية من جهة، وتوفير أجور الممثلين الكومبارس من جهة أخرى.

والآن أشعر بالرهبة. أريد أن أصبح نجمة كبيرة، أريد أن أكون ليز تايلور السوداء.

## 155. موسوعة

تورينغ: قدر غريب وقع لآلان ماتيس تورينغ المولود في لندن عام 1912م. كان طفلاً وحيداً بقدرات تعليمية متواضعة، ومهووساً بالرياضيات لدرجة أنّه وصل بها إلى مستوى شبه ميتافيزيقي. فقد وضع في سن العشرين

خطوطاً عريضة لتصاميم حاسوبية بتمثيلها غالباً بكائنات بشرية حيث كلّ آلة حاسبة تعتبر عضواً.

حين وقعت الحرب العالمية الثانية قام بتطوير آلة حاسوبية ذاتية تسمح للحلفاء بفك رموز الرسائل التي يتم تشفيرها بواسطة آلة «الإنجما» النازية. بفضل اختراعه هذا، أصبح يُعرف منذ ذلك الحين المكان المتوقع فيه حصول التفجيرات، وقد استطاعوا بذلك إنقاذ أرواح آلاف الناس.

عندما طور العالم جوهان فون نيومان في الولايات المتحدة الأمريكية مفهوم الحاسوب المادي، طوّر تورينغ من جهته مفهوم «الذكاء الاصطناعي». في العام 1950م، كتب مقالاً سيصبح لاحقاً مرجعاً بعنوان: *هل تستطيع الآلات التفكير؟* كان لديه طموح كبير أن يهب الآلة روحاً بشرية. اعتقد أنه بمراقبة الكائن الحي، سيجد مفتاح آلة التفكير المثالية.

قدّم تورينغ مفهوماً جديداً للعصر وللمعلوماتية ألا وهو «جنسانية التفكير». اخترع ألعاب الاختبارات كان الهدف منها تمييز التفكير الذكوري من التفكير الأنثوي. أكد تورينغ أنّ التفكير الأنثوي يتصف بغياب الاستراتيجية. كراهيته للنساء لم تكسبه إلا الأصدقاء الذكور، وهذا يفسر أنه سقط في النسيان إلى حدٍّ ما.

كان يمتلك نظرة خيالية لمستقبل البشرية وهي التوالد العذري، يعني التكاثر دون إخصاب. أدانته المحكمة في العام 1951م، بتهمة المثلية الجنسية. كان عليه الاختيار بين السجن وبين الإخصاء الكيميائي. وافق على الخيار الثاني فخضع للعلاج بحقن الهرمونات الأنثوية. جعلته هذه الحقن عاجزاً جنسياً وحرضت لديه نمواً في الثديين.

في السابع من حزيران من عام 1954م، وضع تورينغ حداً لحياته بتناوله تفاحة منقوعة بسمّ السيانيد. جاءت إليه هذه الفكرة من خلال شخصية فلة والأقزام السبعة في الرسوم المتحركة. ترك ملاحظة شرح فيها أنه فضّل الموت بهذه الطريقة لأنّ المجتمع قد أجبره على التحول إلى امرأة، لذا اختار الموت كما كان من الممكن أن تفعل أنقى امرأة فيهم.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 156. إلى المجرة المجاورة

إن كان الهدف من عملنا كملائكة هو النضال ضد الجهل، فلم أعد أرى ما يمنعني من الذهاب لاستكشاف مجرة أخرى. جاءتني هذه الفكرة فجأة. كنت على علم بأنّ شركائي سوف ينطلقون قريباً في رحلتهم، لذا انضممت إليهم في اللحظة الأخيرة.

لا بأس إن خذلت إدموند ويلز، لا بأس إن فشلت مع موكليّ الذين يفترض أنّهم انعكاس لي. أنا أتحمل المسؤولية. أنا أيضاً كائن مخالف وسأدفع الثمن اللازم كي لا أكون جاهلاً.

عدنا واجتمعنا مشكّلين معيّناً، أنا وراؤول وفريدي ومارلين مونرو. من غير المجدي أن نخوض في نقاشات جديدة، نعلم هذه المرة أنّنا ذاهبون للقيام بمغامرة عظيمة جداً جداً جداً نحو مجرة أخرى! لأول مرة ستخرج أرواح إنسانية من مجرتها الأم!

يجب على كريستوف كولومبوس وماجلان وماركو بولو أن يتنحوا جانباً. لم تكن رحلات استكشافهم إلّا نزهات بسيطة مقارنة برحلتنا العظيمة هذه. يوشك صبري على النفاد. أعرف أنّ موكليّ لن يستطيعوا التواصل معي أثناء رحلتي، ولكن لا يهمّ.

– ليس على الأطفال سوى أن يتدبروا أمرهم بأنفسهم، فالأهل سوف يخرجون في عطلة، أعلن راؤول ذلك. هيا... إلى الأمام نحو مغامرات جديدة.

غادرنا الجنة وانطلقنا في هذا الكون الفسيح، التقينا بآلاف النجمات قبل الوصول إلى أطراف مجرتنا. هنا، دعانا فريدي إلى الاستدارة إلى الخلف كي نتأمل المجرة تماماً مثلما سبق وفعل روّاد الفضاء الأوائل حين خرجوا لأول مرة من الأرض، مع قليل من الفارق البسيط.

يا للروعة!

تشكل مجرة درب التبانة دوامة حلزونية بخمسة أذرع تدور حول نفسها. في الوسط، توجد حوصلة المجرة التي تضم النواة المثقوبة بالحبل السري للجنة، ويدور حولها القرص مع موكبه من الغبار؛ ذراع حامل رأس الغول،

وهو الذراع الأبعد الذي لا يتوقف عن الدوران. والذراع الأكثر قرباً من المركز هو ذراع الدجاجة المجرّي، يكاد يلامس النواة بقطر يبلغ مائة ألف سنة ضوئية، وسماكة خمسة آلاف سنة ضوئية، إنّه حقاً «ضخم».

أشار لنا فريدي إلى نجمة صغيرة بالقرب من الذراع الحلزوني الكبير، هذه النقطة الصغيرة البعيدة عن الانتفاخ المركزي، إنّها الشمس الأرضية. رحت أفكر أنّ تحت هذا الوميض الصغير يكافح موكليّ لوضع الكثير من الأشياء في نصابها...

إنّنا نتجه نحو المجرة الأكثر قرباً. مجرة المرأة المسلسلة «أندروميدا». أعدنا تشكيل المعين بطيراننا ووصلنا في الحال إلى سرعة الضوء. بداية كانت الفوتونات ثابتة بجانبنا، ومن ثمّ تجاوزناها. إلى اللقاء أيتها الفوتونات، يجب أن نمضي بعشرة أضعاف سرعة الضوء.

ليست الرحلة ممتعة كثيراً. لا يوجد سوى الفراغ والفراغ والمزيد من الفراغ. لا بدّ وأنّ جميع المستكشفين العظماء قد عاشوا هذا الشعور في وسط البحار: لا توجد سوى المياه والمياه والمزيد من المياه ولا شيء يلوح في الأفق لفترات بدت لامنتهية. الفراغ والفراغ، قضينا سنوات من الفراغ بحسب مقاييس الأرض طبعاً، ولكنّ الهدف الذي وضعناه والأبعاد الهائلة للكون لا تترك لنا خياراً آخر. نجتاز ملايين الكيلومترات بعد ملايين الكيلومترات. تساءلت لتوّي عن إمكانية قدرتنا على إيجاد طريق العودة. ولكن عدت وقلت في نفسي؛ عندما يبدأ المرء القيام بحماقة، يجب عليه أن يكملها حتى النهاية. أمّا بالنسبة لموكليّ... فعليهم أن يتدبروا أنفسهم بأنفسهم!

## 157. إيغور– 23 عاماً

بدأت بخوض مسيرة مهنية ممتعة نوعاً ما «كمريض خاضع للتجارب». بدأت أنا والطبيبة تاتيانا مونديلييف بالقيام بجولات في المستشفيات داخل وخارج روسيا. الجميع مهتم بسرّتي المصابة بالسرطان. «هل تؤلمك؟» يسألونني. كنت أجيبهم في البداية كلّا، ولكنّني لمست بالفعل أنّ غياب هذا الألم يحبط المحاورين. كيف يمكننا الاهتمام بشخص لا يعاني؟ لذا بدأت

بالتصحيح: «نعم، إنّه يمنعني من النوم»، ثمّ «نعم، كونه يقع في وسط جسدي فإنّ الألم يتشعب في كلّ مكان»، وأخيراً صرت أقول: «إنّه يفوق كلّ تصور».

إنّها ظاهرة مثيرة للاهتمام، منذ أن بدأت أجيب «بنعم»، صرت أشعر فعلياً بالألم. حتى جسدي يبدو أنّه قرر مساعدتي في لعب هذا الدور بأفضل ما يمكن. ولكن هذا لا يمنع أنّه بالنسبة لرجل غالباً ما تعرض للإصابات في المعارك، فإنّ هذا السرطان، سرطان السرة، لا يُعتبر سوى إصابة طفيفة فقط.

تقول تاتيانا إنّها تريد إعادة تعليمي، لذا فهي تعلمني حبّ الكتب الضخمة. أهدتني مؤخراً كتاباً أعجبني بشكل خاص، وهي ترجمة لرواية غربية اسمها *الجرذان*. إنّها قصة جرذ يعيش ضمن مجموعة من الجرذان يريد الخروج من حلقة علاقات المستغلين - المسخرين ليخترع طريقة للحياة مع الآخرين مرتكزة على التعاون -المعاملة بالمثل- المسامحة. يجري الجرذ البطل في الوقت ذاته، تحقيقاً للكشف عن قاتل ملك الجرذان، فعرف أنّ جميع الجرذان المستغلين قد اجتمعوا واتفقوا على التهام دماغه، مقتنعين أنّهم بهذا الفعل سوف يمتصون شخصيته. كما أنّ الكاتب في بعض المقاطع قام بتصوير مشاهد حرب بين الجرذان ذكرتني بفترات حربي ضد الشيشان.

ظهرت تاتيانا مونديلييف فجأة في غرفتي. قالت لي إنّنا لا نستطيع أن نعيش وحيدين، ويجب إضفاء القليل من الحب إلى الحياة. أمسكت ذقني وقبّلتني قبلة عميقة حتى قبل أن يتسنّى لي الوقت لفهم ما يجري. لشفتيها طعم الكرز ولبشرتها ملمس الحرير، لم أعرف في حياتي أبداً مثل هذه الرقة والنعومة.

قالت تاتيانا إنّها تريد العيش معي، ولكن لها أسلوبها في الحياة. حدّدت قائلة:

- إنّني مثل النباتات الخضراء، أحتاج بدل الماء أن أتكلم كثيراً.

مارسنا الحبّ بعدها.

في المرة الأولى، كنت متأثراً جداً لدرجة الارتجاف من فرط السعادة. وفي المرة الثانية، شعرت كأنّني أولد من جديد. وفي المرة الثالثة، نسيت كلّ الأشياء السيئة التي حدثت معي منذ ولادتي.

ذهبت مع تاتيانا إلى السينما لمشاهدة فيلم لفينوس شيريدان اسمه *الثعالب*. تلعب فيه فينوس دور ستانيسلاس تقريباً، ولكنّها عندما استخدمت قاذفة اللهب بدا من الواضح أنّها نسيت رفع عامل الأمان، فكنت الوحيد الذي أطلق فجأة ضحكة رنانة ملء فمه على هذا المشهد. هكذا إذاً يتخيل الغرب أننا نقوم بالحروب؟ بعد الفيلم، حجزنا أنا وتاتيانا طاولة في مطعم فخم، ولم نبخل على أنفسنا في طلب الفودكا وفطائر البليني التقليدية والكافيار. إنّ وزارة الصحة هي من تُسدّد الفاتورة.

غالباً ما كنا نمارس الحب، فطبيبتي تعشق ذلك، بالإضافة إلى أنّنا نتحدث كثيراً أيضاً. روت لي أنّها التقت بالمنومة المغناطيسية البيروفية نتالي كيم التي اقترحت عليها القيام بجلسة تنويم مغناطيسية تراجعية. اكتشفت بذلك أنّها في حياتها السابقة كانت ممرضة فرنسية اسمها أماندين بالوس، وقد رافقت أناساً يقومون بتجارب على حدود الموت. أظن أنّني سبق والتقيت بكِ في حياتي السابقة وقد وقعت في حبكِ أيضاً، هكذا أجبتها.

عانقنا بعضنا.

عندما أمارس الحب مع تاتيانا، أرغب أن أذوب فيها كي أصبح من جديد جنيناً. لم أخترها كي تكون امرأتي فقط، بل أمي أيضاً. أريد أن أغوص كلياً فيها وأن تحملني تسعة أشهر، وأن ترضعني، وتحتضنني، وتطعمني بالملعقة، وتعلمني القراءة.

ما أروع هذه الحياة! لم أعد ألعب البوكر. لم أعد أرغب بالتسكع في الأوساط الموبوءة للكازينوهات. يحقّ لي بعد كلّ هذه الآلام، أن أحظى بقليل من الراحة والسعادة.

يأتي فاسيلي من وقت لآخر لرؤيتنا، فنتناول الطعام سوية كعائلة واحدة. يحدثني عن عمله الذي يزداد عشقه له أكثر فأكثر. منذ أن غرس مبدأ الخوف من الموت في برامجه المعلوماتية، أصبحت هذه البرامج تطور قدرات جديدة خشية الزوال. وبعد أن اتصلت البرامج مع شبكة الويب العالمية، بدأت تسعى إلى... التكاثر.

- إنّهم يبحثون عن الخلود، قال مستهزئاً.

إنّ فاسيلي نابغة. عندما يتحدث عن حواسيبه، يبدو كمن يتحدث عن حيوانات حية. جلب لي أحدث نسخة من برنامج البوكر. لم يكن هذا البرنامج يعرف الخداع فحسب، وإنّما يعطي علامات الخوف.

– هل يخاف حقاً من الخسارة؟

– إنّه مبرمج على الاعتقاد أنّه كلما خسر، فإنّه يقترب من الموت أكثر. هذا البرنامج هو النسخة الثانية عشرة من الجيل الجديد ذاتي التطور. قامت عدة برامج باللعب مع بعضها لاختبار قدراتها، فتكاثرت البرامج الأقوى، وزالت البرامج الأضعف. حتى إنّني لم أعد أتدخل، فهي تختار نفسها بنفسها، إنّ كفاءتها تتزايد باستمرار وقلقها أيضاً يتزايد.

– هل يمكن أن يكون القلق عنصر تطور في عالمهم؟

– من يعرف؟ ربما في عالمنا أيضاً. عندما نكون راضين من حياتنا، لا يكون لدينا أيّ سبب يحثنا على التغيير.

حاولت القيام بجولة جديدة مع برنامج البوكر المعلوماتي. هذه المرة غلبني البرنامج. أعدت الكرّة من جديد فغلبني مرة أخرى. أصررت على المحاولة ولكن، فجأة، تعطّل البرنامج.

– الأعطال المجهولة، إنّها المشكلة رقم واحد، اعترف صديقي. يبدو أحياناً كأنّ هناك شخصاً ما أو شيئاً ما يعرقلنا في اكتشافاتنا.

اقترح استبدال آلته واللعب مباشرة معي. ولكنني وعدت تاتيانا بالتوقف عن لعب الورق مع البشر. جاءت طبيبتي فجأة وأخذتني في أحضانها، وراحت تداعب ظهري. إنّ تاتيانا هي المفاجأة الجميلة في حياةٍ لم تمنحني حتى الآن إلّا الشرور.

تمنيت أمنية: الحصول على مفاجأة جميلة أخرى.

## 158. موسوعة

**عن أهمية كاتب السيرة الذاتية: ليس المهم ما يتمّ إنجازه وإنما ما يذكره كتّاب السيرة. فمثلاً: اكتشاف أمريكا، ليس إنجازاً لكريستوف كولومبوس (وإلّا لكانت قد سُميت بكولومبوس)، ولكنه اكتشاف أميرجو فيسبوتشي.**

اعتُبر كريستوف كولومبوس في حياته رجلاً فاشلاً. لقد اجتاز المحيط بهدف الوصول إلى قارة لم يجدها. صحيح أنّه نزل في كوبا، وسان دومينغو وعدة جزر أخرى في الكاريبي، ولكنّه لم يفكر بالمضي إلى الشمال قليلاً.

في كلّ مرة عاد فيها إلى إسبانيا مع البيغاوات والطماطم والذرة والشوكولا، كانت تسأله الملكة: «إذاً، هل عثرت على الهند؟» فكان يجيبها: «قريباً، قريباً». وفي النهاية، قامت بقطع الدعم عنه وانتهى به الحال في السجن بتهمة الاختلاس.

إذاً، لماذا يعرف الجميع حياة كولومبوس ولا يعرف شيئاً عن فيسبوتشي؟ لماذا لا يُدرّس في المدارس أنّ «أمريكا اكتشفها أميرجو فيسبوتشي»؟ بكل بساطة لأنّ هذا الثاني لم يكن لديه كاتب سيرة ذاتية، بينما كولومبوس كان لديه واحد. في الواقع، إنّ ابن كريستوف كولومبوس قال لنفسه: «إنّ أبي من قام بالعمل الأساسي، لذا فإنّه يستحق أن يكون معروفاً»، فشرع بتأليف كتاب عن حياة والده.

لا تهتم الأجيال المستقبلية بالإنجازات على أرض الواقع، إنّ الشيء الوحيد الذي يؤخذ بالحسبان هو، موهبة كاتب السيرة في ذكر تلك الإنجازات. ربما لم يرزق أميرجو فيسبوتشي بطفل أو من الممكن أنّ هذا الطفل لم يجد من المناسب تخليد براعة والده.

لم تنجُ الأحداث الأخرى إلّا بفضل وجود شخص أو بضعة أشخاص أرادوا تخليدها. من يعرف سقراط لولا أفلاطون؟ والمسيح لولا الرسل؟ وجان دارك لولا أن أعاد المؤرخ ميشليه اختلاقها لإعطاء الفرنسيين الإرادة في طرد الغازي البروسي خارجاً؟ وهنري الرابع الذي أعاد لويس الرابع عشر تسليط الضوء عليه لكسب الشرعية؟

إعلان لعظماء الأمة: لا يهمّ ما تنجزونه، فالطريقة الوحيدة لتدخلوا بها التاريخ، هي إيجاد كاتب سيرة جيد.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 159. فينوس - 23 عاماً

إنّ التصوير ممل. أسأم كثيراً قبل أن أسمع جملة: «هدوء -استعداد- تصوير» التي ستضع كلّ شيء في حركة. ما إن أصل إلى مركز التصوير أقوم مباشرة بالاستحواذ على كرسي. إنّ السينما هي فن تعليم الصبر، وأولئك الذين ينسون تأمين مقعد لهم يجدون أنفسهم منتظرين وقوفاً على أقدامهم ما يخاله المرء دهوراً.

لم أكن أتخيل أنّ السينما هكذا: اعثر على كرسي وانتظر.

عندما يأتي دوري أخيراً للتمثيل، يحدث دوماً شيء ما ويعيق التصوير، إمّا ضجة طائرة في البعيد، أو خيط على عدسة الكاميرا، أو حتى سقوط أمطار غير متوقعة.

أمّا المشاهد التي أبدع فيها بالتمثيل لا يتمّ اعتمادها، إمّا لأنّ شريكي في المشهد، ريتشارد، يكون قد نسي جملته، أو لأنّ مساعد التصوير يكون قد نسي وضع شريط الفيلم المناسب لتصوير المشهد حتى نهايته. إنّ هذه الأمور تكون على المدى الطويل مستفزة جداً.

الجميع حولي يصرخون. لا يعرف المخرج طريقة أخرى غير التعدّي اللفظي للتعامل مع ممثليه. حتى معي أنا، لا يكلمني إلّا ليوبخني: «الفظي بشكل جيد». «لا تديري ظهرك للكاميرا». «انتبهي، يدك دخلت في الصورة». «اتبعي بدقة العلامات الموجودة على الأرض». وأخيراً، يزيد الطين بلة بقوله: «ما هذه الطريقة التي تنظرين بها، تبدين غاضبة».

آه من هذا المخرج!...

لم يسبق أن عاملني أحد بهذا القدر من قلة الاحترام. طوال مسيرتي المهنية الطويلة كعارضة أزياء، لم يسمح لنفسه أيّ مصمم أزياء مهما بلغ من الهيستيريا، أن يعاملني بهذه الطريقة. وها أنا الآن أصوّر فيلمي الثاني، ولكنّني أتساءل إن كنت قد خلقت حقاً للسينما.

أصبح ريتشارد عصبياً جداً. إنّ وجودي يزعجه لأنّه لا يستطيع كالعادة مغازلة النساء أثناء التصوير. لذلك أصابه الملل وصرنا نتشاجر أغلب الأوقات. من الذي قال: «أول ثلاثة أشهر من الزواج تكون مكللة بالحب، وتليها ثلاث سنوات من المشاجرات، ومن ثم ثلاثون سنة يتحمل الزوجان بعضهما بعضاً».

أشغل أوقات فراغي بالرسم. يظهر في كل هذه الرسومات شخصان يمسكان بأيدي بعضهما. لا أعرف لماذا أرسم طوال الوقت الرسم ذاته. ربما تكون هذه طريقتي في التعبير عن حلمي بتكوين علاقة مثالية ناجحة؟

أراقب نفسي في المرآة. كل ما تمنيته حققته. أنا سعيدة إذاً، ولكن لماذا لا أشعر بذلك؟

إنّ الصداع النصفي يعذبني. لم يفارقني هذا الصداع بتاتاً منذ كنت طفلة صغيرة جداً. هذا الألم مزعج ومستمر. إنّه يؤثر على حياتي الخاصة والمهنية وعلى فرحي بالحياة. كما لو أنني لا أستطيع أبداً أن أكون وحيدة حقاً دون هذا الألم. يوجد دائماً في رأسي هذا الحيوان الصغير العالق الذي يتسلق جدار جمجمتي لمحاولة الخروج منها. إنّ هذا مقيت. ولم يستطع أيّ طبيب تحديد سبب ذلك.

والآن ستكون صلاتي من أجل التخلص نهائياً من هذا الصداع.

## 160. جاك- 23 عاماً

أخيراً اتصل بي الناشر، وقال إنّ أرقام مبيعات روايتي ليست كبيرة. إنّ *جرذاني* لم تحقق نصف المبيعات التي كان يتوقعها. الكثير من الروايات تصدر كل سنة في فرنسا، أكثر من أربعين ألفاً، وهذا ما يجعل من الصعب جذب الانتباه على عمل معين. كان يجب أن تجتاح الجرذان مدينة باريس، أو أن ندخل في سنة الجرذ الصينية كي ترتفع نسبة مبيعات روايتي. علاوة على ذلك ليس لديّ عرّاب لها، فلم يعجب أيّ أحد من المشاهير بروايتي.

– تلك الفكرة عن التعاون –المعاملة بالمثل– المسامحة، كيف خطرت ببالك؟

– جاءتني في الحلم.

– إمممم... حسناً، أعتقد أنّها لم تكن فكرة جيدة. لقد تناقشت مع صديق ناقد وقال إنّ هذه الفكرة تضفي الكثير من الوعظ الممل الذي يثير الأعصاب. كما أنّ الجرذ الذي يدعو للمسامحة، يضرب مصداقية روايتك التي تتناول السلوكيات الواقعية للجرذان، فالجرذ لا يسامح مطلقاً.

– حاولت أن أتخيل كيف تستطيع الجرذان التطور إن امتلكت وعياً أكبر. حسناً، قل باختصار، هل خابت آمالنا؟

– إمممم... في الواقع، فشلنا في فرنسا، اعترف شاربونيه، ولكن خلافاً لكل التوقعات، حصدت رواية *الجرذان* نجاحاً منقطع النظير في روسيا. تمّ بيع أكثر من ثلاثمائة ألف نسخة في شهر واحد.

إنّه أمر غريب.

– كيف تفسر ذلك؟

– إنّ أهمية التلفاز في روسيا متواضعة جداً، لذلك فإنّ الناس هناك يقرؤون أكثر مما يقرأ الناس هنا في فرنسا.

أنا من أردت المجد، حصلت عليه ولكن... ليس في لغتي. بالطبع، لا كرامة لنبيّ في وطنه، ولكن في المرة القادمة التي سأصلي فيها، سوف أحدّد مطلبي: «أرجو أن أنجح... في فرنسا».

بفضل نجاحي في روسيا، وافق شاربونيه على نشر كتاب ثانٍ لي. هل لديّ فكرة لعمل جديد؟ سألني الناشر.

– إيه نعم... اكتشاف الجنة.

لا أدري ما أصابني. خرجت الكلمات لوحدها من فمي.

– ولماذا هذا؟

– أيضاً بسبب حلم راودني. رأيت فيه أناساً يحلّقون في السماء بحثاً في الفضاء الخارجي عن الجنة. بدت لي هذه فكرة جيدة لرواية جميلة.

لم يوافقني الناشر الرأي، فبرأيه أنّ الناس ليسوا ناضجين للحديث عن الجنة بطريقة علمانية. عدا عن أنّ جميع الكتب التي تناولت الجنة كُتبت من أجل «ترسيخ الإيمان»، فالموضوع مقدس.

أجبته أنّه لهذا السبب بالذات سيكون من المثير خرق مفهوم قداسة هذه المواضيع، فبرأيي الشخصي، يجب ألّا نترك للأديان والطوائف حصرية تناول موضوع الموت والجنة.

مرّ وقت قصير فكّر فيه شاربونيه وبعدها قرّر أن يوليني ثقته. بعد بضعة أيام، لفت نظري كتاب موضوع على واجهة مغبّرة لإحدى المكتبات بعنوان:

«*ثاناتونوتس*». يوجد على غلاف الكتاب، شكل حلزوني أزرق على خلفية سوداء مع اسم: مايكل بينسون. هذا الكتاب أيضاً يتحدث عن الجنة، ولكن لا شكّ بأنّ عنوانه المعقد جداً قد لعب ضده. ومن ثمّ حتى بالنسبة لأولئك الذين يفهمون معنى هذا المصطلح، «ثاناتونوتس»، فإنّ فكرة الموت هي عائق رئيسي، من سيرغب بشراء كتاب عن الموت؟

أنا اشتريته وقرأته. استمتعت بالبحث عن حل اللغز الذي تدور حوله الرواية بأكملها: «كيف أرسم دائرة مع نقطتها المركزية دون رفع القلم عن الورقة؟» ينطوي الحل على طيّ زاوية من الورقة (أي تغيير البعد) ومن ثمّ رسم شكل حلزوني يتجاوز حدود طي زاوية الورقة... لقد استنزفت قواي قبل أن أكتشف أنّ هذا بالضبط هو موضوع غلاف الرواية.

بدأت العمل. فصلت الهاتف الأرضي، واخترت الموسيقا المناسبة سيمفونية *العالم الجديد* للمؤلف دفوراك. ومن ثمّ تركت الأفكار تنساب لوحدها.

اختراع جنة، أمر ليس سهلاً. حتى وإن كانت العديد من الأساطير تتكلم عنها، إلّا أنّ المكان يبقى ضبابياً. كيف يمكننا تصور جنة مقنعة؟ هل على شكل كوكب؟ هذا تبسيط شديد. أم على شكل مكعب؟ سيكون هذا هندسياً جداً. أو على شكل حقل من النيازك؟ إنّ هذا مبعثر جداً. دلّتني قطتي هذه المرة أيضاً على الحل. راحت موناليزا II تلعب بصنبور الماء في حوض الاستحمام، فبدأ الماء يسيل. وكونها تعرف عاداتي في الاستحمام، قامت بسكب علبة الشامبو ذات الرغوة الكثيفة، وبما أنّ مصرف الماء لم يكن محكم الإغلاق، أخذ الماء ذو الرغوة يختفي تدريجياً في قاع حوض الاستحمام.

رحت أفكر أنّ الأرواح قد تكون مشابهة لفقاعات الصابون هذه. تخيلت كيف يتمّ سحبها عبر دوامة ستكون هي الجنة. سوف تسحب الدوامة الفقاعات عبر أنابيب، لتخرج بعدها هذه الفقاعات في مكان آخر، في عالم معقد جداً لا قدرة لها على تخيله. كيف للفقاعة أن تتوقع من أين تأتي وإلى أين تذهب؟ كيف لفقاعة أن تتصور حوض الاستحمام، أو البشر، أو الأنبوب، أو المدينة، أو البلد، أو الأرض؟ بأفضل الأحوال، يمكنها أن

تتصور الماء والكتلة الدافئة لحوض الاستحمام... ومن ثمّ يجب أن تكون خائفة من هذه الحفرة التي تقذفها نحو المجهول...

هذا إذاً ما تقترحه عليّ موناليزا II: مخروط معكوس، دوامة، شكل حلزوني يسحب كلّ شيء نحو أعماقه السحيقة.

## 161. أخيراً

يخيّل لي أنّه قد مضت أشهر ونحن نطير دون انقطاع. أشعر وكأنّنا نسبح في محيط، ولحسن الحظ أنّنا لا نشعر بالجوع ولا بالعطش ولا بالنعاس. روى لنا فريدي أثناء هذه الرحلة، بعض النكات كي يخفّف عنا أعباء الطريق. ولكن انتهى الأمر به بتكرار هذه النكات عدة مرات، وكنا ندّعي في كل مرة أنّنا لم نلحظ ذلك.

حلّقنا طويلاً في الكون، ومن ثمّ في أحد الأيام...

- هناك مجرة في الأفق! صرخ راؤول مثل المراقبين القدماء الذين كانوا يترقّبون رؤية اليابسة من أعلى السفينة.

رأينا وميضاً يلمع في البعيد، ومن الواضح أنّه ليس بوميض نجمة. وأخيراً مجرة أندروميدا! ليس لها شكل حلزوني، بل هي مجرة عدسية الشكل. نحن بالتأكيد أوائل البشر الأرضيين، أو بالأحرى أوائل سكان مجرة درب التبانة الذين يشاهدون هذه المجرة عن كثب.

أندروميدا هي مجرة أحدث من مجرتنا، وفيها نجوم أكثر اصفراراً من النجوم في مجرة درب التبانة.

- نجحنا في هذه المرة.

أشارت مارلين مونرو بإصبعها إلى مركز هذه المجرة. لقد لاحظت وجود شيء ما. هنا أيضاً يوجد ثقب أسود. هل من الممكن أن تكون هذه قاعدة عامة في جميع المجرات: ثقب أسود يعتبر بمثابة محور تدور حوله مجموعة النجوم في المجرة؟

انطلقنا نحو هذه الدوامة. عبرنا بجانب النجوم والكواكب والنيازك التي تمتصّها هذه الفوهة السماوية! بقينا نتأملها، وفجأة، لاحظنا وجود روح

تعبر مسرعة. بعد الوهلة الأولى للمفاجأة حاولنا اللحاق بها ولكنّها اختفت بسرعة كبيرة.

توقفنا محاولين فهم ما تعنيه هذه الرؤية. لقد كانت روحاً. إذاً يوجد وعي، وبالتالي توجد حياة ذكية. وهذا يفتح بالنتيجة باب الاحتمالات الهائلة...

– هل ما رأيناه هو إله أم روح فضائية؟ سأل راؤول وهو لا يزال مقتنعاً تماماً باكتشافه مملكة الآلهة.

من ناحيتنا أنا وفريدي ومارلين، سوف يكفينا اللقاء بكائنات فضائية...

مرت إكتوبلازما أخرى. حاولنا اعتراض العديد منها، ولكنها كانت تختفي في كلّ مرة. إن كان هؤلاء أمواتاً، فأنا لم أر أبداً أرواحاً مستعجلة بهذا القدر كي تمثل أمام المحكمة.

– سحقاً سحقاً سحقاً! راح راؤول يردد، وهو لا يزال غير مصدق ذلك.

أخيراً كلّمنا أحدهم.

– من أنتم؟

إنّه إكتوبلازما، ولكنّه يشعّ بشكل مختلف عنّا. إنّ هالتنا تأخذ لوناً مزرقاً، أما هالته فهي وردية نوعاً ما.

– ملائكة الأرض.

مظهر هذا الملاك الفضائي عادي. إنّه هزيل وهيئته تشبه هيئة مدير إحدى محطات القطار في الأرياف البعيدة. يبدو أنّه قد تفاجأ مثلنا أيضاً.

– من «الأرض»؟ لماذا تسمى بالأرض؟

– لأنّها المادة التي يتكون منها سطحها، رمال وتراب.

– أمممم... وأين تقع الأرض؟...

– أوه... هناك، أجابت مارلين مونرو وهي تشير إلى الجهة التي جئنا منها.

لحسن الحظ أنّنا نتواصل عبر الفكر، ولسنا بحاجة لأيّ مترجم.

– مايكل بينسون في خدمتك، قلت له.

وافق على التعريف بنفسه:

– اسمي زوز، زوز فقط.

– تشرفنا زوز.

شرحنا له أنّنا قادمون من مجرة درب التبانة. من فرط دهشته لا يستوعب زوز المعلومات بسرعة. في البداية لم يكن يريد تصديقنا، ومن ثم، عندما شرحنا له أسباب رحلتنا، بدأ يولينا بعض الثقة. اعترف لنا أنّه حتى هو نفسه فكر بالأمر ذاته، كما أنّه لاحظ أيضاً وجود ثغرات في السيرة الذاتية الكارمية لموكليه، وقد تساءل من قبل إن كان هناك بشر يتجسدون في مكان آخر، ولكنّه لم يكن يتوقع رغم ذلك أنّهم يهاجرون من مجرة إلى أخرى.

قال لنا إنّ مجرة درب التبانة تسمّى عندهم باسم 511. من الغريب أنّهم يستخدمون أرقاماً مثلنا تماماً. راحت بعض الإكتوبلازما تطير فوق رؤوسنا. قال لنا زوز إنّ هؤلاء هم أموات سوف تتمّ إعادة تدويرهم في الجنة.

سألناه من أين يأتي هؤلاء الموتى. أشار لنا أنّه لا يوجد على حدّ علمه سوى كوكب واحد مأهول في هذه المجرة. لا نسمي هذا الكوكب هنا بحسب المادة التي يتكون منها، وإنّما وفقاً للونه، أي «الأحمر». الكوكب الأحمر.

كنّا توّاقين لمعرفة المزيد. فأمطرناه بالأسئلة التي راح يجيب عنها بلطافة مرشد سياحي مبدع. قال إنّ «الحُمر» يأكلون الخبز والحساء والخضار واللحوم. يعيشون في مدن ويبنون المنازل. فاستنتجنا حسب شرحه، أنّ الأحمر مطابق تماماً للأرض. هل من الممكن أن تكون الكائنات الفضائية مشابهة تماماً للبشر؟

رحت أفكر أنّ الأعمال الأدبية والسينمائية اعتادت على تقديم الكائنات الفضائية على أنّها كائنات أصغر أو أطول منا، لديها أذرع أو رؤوس أكثر، بمخالب أو أجنحة، ولكن نادراً ما تمّ تقديمها على أنّها شبيهة... بنا.

طلبنا منه أن نقوم بجولة على هذا الكوكب. تردد زوز ومن ثمّ قبل أن يكون دليلنا إلى هذا العالم. ها نحن إذاً أمام هذا الكوكب الغريب. يبدو كوكب الأحمر أكبر حجماً من الأرض.

يحيط بالكوكب من الخارج طبقة من الغلاف الجوي السميك، ويدور في شكل بيضاوي عريض حول شمس أكبر من شمسنا. إنّ المسافة بين الكوكب وشمسه كبيرة جداً ولكنّ حرارة هذه الشمس أعلى، لذا فإنّ الطقس في كوكب الأحمر يعتبر في نهاية الأمر معتدلاً مثل طقس الأرض.

إنّ الأحمر هو كوكب «أرضيّ» قابل للحياة. كلّما اقتربنا أكثر، زاد إعجابنا بمناظره الطبيعية. سطحه الصلب ذو لون أحمر أرجواني، والسماء بنفسجية، كما لو أنّها مضاءة بألوان الغروب البهيجة، ولون المحيطات سماوي غامق، هذا اللون ليس ناتجاً فقط عن انعكاس لون السماء، وإنّما أيضاً عن انعكاس أعماق البحار. هذا جميل.

كوكب الأحمر يضم أربع قارات، لكلّ منها طقسها وتضاريسها الخاصة والمتباينة جداً: قارة جبلية، وقارة هضبية مغطاة بالغابات، وقارة من السهول، وقارة صحراوية. تستند عادات سكان كل قارة منها على التأقلم مع فصل من فصول السنة.

وصف لنا زوز الشعوب الأربع الكبرى لكوكبه. هنالك الشتويون الذين يعيشون في الجبال، ويمتلكون تقنيات متقدمة للغاية وقد بنوا المدن تحت الأرض بسبب البرد. لديهم القليل من الأطفال، وأعمار القسم الأكبر منهم تتجاوز الأربعين عاماً. تبنّى الشتويون نظاماً ديمقراطياً، فجميع المواطنين يشاركون في التصويت على القوانين بفضل شبكات إلكترونية. نقاط ضعفهم هي: تقهقر الزراعة، والهبوط الكبير في معدل النمو السكاني. نقاط القوة هي: التطور الكبير في التقنيات مع وجود روبوتات تأخذ مكانهم في العمل. الشتويون لا يمارسون الرياضة كثيراً ولا يمتلكون المرونة الجسدية الكافية. يعيشون منغلقين في منازلهم أمام شاشاتهم السلكية. إنّهم مقتنعون أنّه بفضل تطورهم في الطب، سيصلون قريباً جميعهم إلى سنّ المائة. شعارهم هو: «المستقبل للأكثر ذكاء».

أما الخريفيون فيعيشون على سطح الهضاب في مدن واسعة ملوثة ومحاطة بالغابات. هم قادرون على إنتاج تقنياتهم الخاصة مثل الأسلحة والروبوتات، ولكن هذه الروبوتات ليست متطورة إلى درجة تلك الروبوتات الموجودة لدى الشتويين. يحتاجون تقنيات المجتمع الشتوي الحديثة، وفواكه وخضار مجتمع الربيعيين، ولحوم مجتمع الصيفيين. ومن جهة أخرى طوروا نظام تبادل تجارياً بالإضافة إلى سياسة دبلوماسية تقوم على عدم إغضاب أيّ كان. شعارهم هو: «نحن أصدقاء العالم كله». يخدمون مصالح الشتويين بتزويدهم بالمواد الأولية اللازمة لصناعتهم، ويهبّون

لمساعدتهم في حال وقوع مجاعة بفضل مخزونهم الغذائي الذي يحصلون عليه من التجارة.

أما بالنسبة للصيفيين والربيعيين، فهم يمدّون الخريفيين بالمواد الغذائية مقابل حصولهم على التكنولوجيا الصحيحة والمواد الأولية. النظام السياسي الحاكم هو: جمهوري ذو مجلس نيابي ورئيس مجلس الوزراء يتم تغييره بشكل منتظم.

يعيش الربيعيون في السهول في المدن الصغيرة. زراعتهم مزدهرة، كما لديهم الوفير من الحبوب. أمّا النمو السكاني فهو متوسط. النظام السياسي الحاكم: ملكي. إنّهم متواضعون تكنولوجياً. نقاط القوة: ليس لديهم نقاط قوة. نقاط الضعف: ليس لديهم نقاط ضعف أيضاً. الربيعيون متواضعون في كلّ ما يفعلونه. شديدو الارتباط بالصيفيين ويعتقدون أنّه بمساعدتهم سوف يجتاحون في يوم ما الشتويين والخريفيين وسيستولون على تقنياتهم. وبهذا يكونون قد ربحوا على جميع الأصعدة. شعارهم هو: «التوازن هو نصف الطريق بين طرفي نقيض».

يعيش الصيفيون في قرى صغيرة مبنية حول واحات كبيرة تخترق صحراءهم. يمتلكون القليل جداً من التقنيات. ينجبون الكثير من الأطفال. نظام الحكم استبدادي. الجميع يخضع لأوامر القائد الذي يملك وحده حق إصدار الأوامر بحياة أو موت أيّ كان. نقطة القوة هي: وجود قطعان هائلة من حيوانات الليمور البدينة التي تتغذى على الحبوب الربيعية، يستفيد الصيفيون من فروها، كما يقومون بتسمينها ليأكلوها. عندما يكون معدل ازدياد عدد السكان كبيراً جداً، يشنّ القائد حملات باتجاه القارات المجاورة بغية احتلال أراض جديدة ليضمها إلى أراضيه. حتى وإن بدت هذه الحملات في كثير من الأحيان كعمليات انتحار جماعيّ، فإنّ هذه الحملات سمحت شيئاً فشيئاً للصيفيين بالحصول على موطئ قدم في القارات الثلاث الأخرى، حيث قاموا بإنشاء «مناطق محررة» راحت تكبر ببطء شديد وذلك بالاستيلاء على الأراضي الأخرى. تحدث هذه الحملات أثناء فترات الحر لأنّ الصيفيين يستطيعون التكيف مع الحرارة المرتفعة.

تعتبر التضحية قيمة أساسية في الثقافة الصيفية، حيث يجب على جميع الصيفيين أن يكونوا قادرين على التضحية من أجل عظمة قائدهم. شعارهم: «كلّما زادت معاناتك في الأسفل تزداد مكافأتك لاحقاً في الجنة».

على الرغم من رغبة الخريفيين والربيعيين بالوقوف على الحياد، فإنّ القارات الأربع تعيش صراعات بدرجات متفاوتة. الصيفيون والشتويون هم رسمياً في حالة حرب، والخريفيون والربيعيون يتكفلان بالتناوب بقلب الموازين من جهة لأخرى. في أغلب الأحيان، تكون الظروف الجوية هي من تقرّر الفائز.

إنّ مدار كوكب الأحمر أوسع من مدار الأرض، لذا فالفصول فيه أطول. عوض أن يستمر كل فصل ثلاثة أشهر، فهو يمتد إلى خمسين عاماً. وهذا يعني أنّ العام يتكون من ثلاثة وسبعين ألف يوم، عوضاً عن ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً.

نصف قرن من الصيف يستغله الصيفيون ويُجبر فيه الشتويون على الاختباء. والشيء ذاته بالنسبة لخمسين سنة من الخريف يستغلها الخريفيون، وخمسين سنة من الربيع يستغلها الربيعيون، وخمسين سنة من الشتاء يستغلها الشتويون.

لكل مجتمع فصله الذي يناسبه، والذي يحاول فيه الشعب المعنيّ فرض نفسه بصورة نهائية. كل مجتمع منهم يتمنى امتلاك القدرة على إيقاف الزمن وتثبيت الطقس على الفترة التي تناسبه. ولكنّ الزمن يمضي دون هوادة، ويجبر المسيطرين المؤقتين على إفساح المجال لغيرهم.

دعانا زوز لمواصلة النزول نحو الأحمر لرؤية عواصم القارات الأربع. بُنيت عاصمة الشتويين على علو شاهق، في أعلى قمة الجبل. لا نستطيع تمييز سوى القليل من الناس على سطح الأرض لأنّ الناس يعيشون متحصنين في مساكن مكيفة تحت الأرض حيث يسيرون على ضوء المصابيح. بالنسبة لزيّ النساء، فإنّ لباسهنّ عبارة عن تنورة قصيرة وأثداء مكشوفة من خلال فتحات القمصان والسترات، وهذا يشبه كثيراً الملابس التي كانت سائدة على الأرض في عصر الحضارة المينوسية في جزيرة كريت. وسيلة النقل للسكان الشتويين هي الميترو حيث تخدّم محطاته جميع أحيائهم.

بنى الخريفيون عاصمتهم على هضبة صخرية قاموا بتغطيتها بناطحات سحاب، وشوارعها مكتظة باختناقات مرورية رهيبة. تسود هنا السيارات على جميع وسائل النقل الأخرى. الناس عصبيون جداً، والموضة هي الملابس الضيقة المصنوعة من مواد بلاستيكية مناسبة للجري وممارسة الرياضة بشكل عام.

شيّد الربيعيون عاصمتهم في وادٍ محاط بحقول مزروعة بالزهور البنفسجية، وبيوتهم عبارة عن أنصاف كرات اسمنتية. يتدفق السكان إلى الأسواق التجارية الشعبية الضخمة حيث تزدهر التجارة. ترتدي النساء الفلاحات تنانير واسعة ومليئة بالجيوب حيث يكدسنَ فيها ما اشترينه من السوق. يوجد العديد من الحدائق والكثير من حركة السير في الشوارع. وسيلة النقل السائدة في مجتمع الربيعيين هي العربات التي تجرّها حيوانات تشبه حيوانات التابير.

تمتد العاصمة الصيفية في وسط واحة. تطل المنصات المتعددة لقصر القائد الضخم على مساكن زوجاته وأفراد أسرته الذين هم في الغالب وزراؤه. وتنتشر في جميع النواحي، الثكنات العسكرية «لمتطوعي الموت» التي تستخدم في الوقت ذاته كمأوى للجيش والشرطة والمخابرات السرية المرعبة. كما أنّ السجون المكتظة تقع بجانب هذه الثكنات.

تأتي بعدها المدن الفعلية؛ أبنيتها متداعية أكثر فأكثر، والأحياء النائية غارقة بالفقر.

– من هذه المناطق يجنّد القائد معظم «متطوعي الموت» للقيام بحروبه. أقنع القائد الأفراد الأشد فقراً أنّ بؤسهم ناتج عن غطرسة الشتويين، لدرجة أنّ الصيفيين يعيشون وكراهية أهل الجبال تملأ قلوبهم. قال زوز.

يتنقل الناس جميعهم في العاصمة الصيفية سيراً على الأقدام. والزي العسكري هو اللباس الموحد للرجال والنساء. ويتم تمييز وجوه النساء برسم أشكال معقدة على الجلد...

استفسر فريدي إن كان هناك يهود في الكوكب الأحمر.

– يهود؟

لم يعرف زوز معنى الكلمة. فشرح له الحاخام قدر استطاعته معناها.

ظهرت الدهشة على زوز. أجاب أنّه يوجد في الواقع قبيلة رعوية ذات ثقافة قديمة وتعيش منتشرة في القارات الأربع.

– ما اسم هذا الشعب؟

– النسبيون، لأنّ ديانتهم هي «النسبية».

تزعم هذه الديانة أنّ الحقائق متعددة وهي تختلف حسب الزمان والمكان. سياسياً، يزعج هذا الاعتقاد السكان الأصليين، فسكان القارات الأربع جميعهم مصرّون على أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويعتبرون النسبيين كما لو أنّهم مثيرون للشغب. وهكذا، فإنّ جميع هذه المجتمعات أثناء فترات نموها وازدهارها، تعمل على اضطهاد النسبيين بغية تعزيز القومية السائدة. عندما يتعرض النسبيون للاضطهاد، تكون هذه دوماً إشارة لاقتراب حدوث مواجهة بين قوتين.

بقي فريدي صامتاً والقلق بادياً عليه. أعرف بما يفكر؛ أينما وجد النوع البشري سواء الأرضي أم الفضائي فلن تحكمه سوى شبكة من الأدوار الاجتماعية المختلفة والمتغيرة بحسب الشعوب.

– عانى النسبيون من الاضطهاد، قال زوز. اعتقدنا عدة مرات أنه سيُقضى عليهم تماماً. ولكن بشكل منتظم، كان الناجون يتطفّرون بجعل ثقافتهم تزداد نسبيتها أكثر فأكثر.

خطر فجأة ببال راؤول هذا الحدس:

– ربما يكون اليهود أو النسبيون مثل سمك السلمون في أنظمة تنقية المياه العذبة.

– سمك السلمون؟ قال الحاخام متفاجئاً.

– بالطبع، ففي جميع أنظمة تنقية المياه العذبة توضع أسماك السلمون لأنها الحيوانات الأكثر حساسية للتلوث. ما إن تتواجد مادة سامة، يكون سمك السلمون أول الأسماك التي تموت. إن هذا هو نوع من الإشارة التحذيرية.

– لا أرى رابطاً بين الفكرتين.

– إنّ اليهود بخوفهم الأزلي الذي نتج عن اضطهادهم في الماضي، صارت حساسيتهم شديدة. لذلك فهم يتفاعلون بشكل أسرع مع الأنظمة

الاستبدادية المتصاعدة. ومن ثمّ نعود إلى الحلقة المفرغة؛ فالطغاة يعرفون أنّ اليهود سوف يكتشفونهم أولاً، لذلك يحاولون التخلص منهم قبل ذلك.

أردفت مارلين مونرو:

– إنّ راؤول محق. كان اليهود يشكلون بالنسبة للنازية، خطراً يسارياً. وكانوا بالنسبة للشيوعية، رأسماليين متعجرفين. وبالنسبة للأناركيين برجوازيين منحطين. وبالنسبة للبرجوازيين أناركيين مزعزعين للاستقرار. من المفاجئ أنّه كلما وصلت إلى الحكم سلطة مركزية وهرمية، أيّاً كانت تسميتها، تبدأ باضطهاد اليهود. إنّ نبوخذ نصر، ورمسيس الثاني، ونيرون، والملكة إيزابيلا الأولى، والقديس لويس، وقياصرة روسيا، وهتلر، وستالين... جميع هؤلاء القادة الاستبداديين قد عرفوا بحدسهم، أنّه أينما وجد اليهود، سيكون هناك أفراد من الصعب تطويعهم بأفكارهم لأنّ اليهودية ولدت قبل خمسة آلاف سنة وهي لا تقوم على عبادة قائد حرب ذي شخصية جذابة، بل تقوم على اتباع كتاب تاريخي مليء بالقصص الرمزية.

لا يزال فريدي متردداً. فأصررت على الفكرة قائلاً:

– ربما يكون هذا أيضاً لأنّ «السلمون مستشعر جيد للشمولية» لذلك بقي على قيد الحياة. في النهاية إنّ اليهود هم الشعب الوحيد منذ العصور القديمة الذين حافظوا على ثقافتهم كما هي تقريباً، بينما شعوب جميع الامبراطوريات الكبرى؛ المصرية والرومانية والإغريقية والحيثية والمنغولية الذين اختبروا التجربة الشمولية واضطهدوا اليهود قد زالوا من الوجود. إنّ للثقافة اليهودية دوراً عليها القيام به.

– مثل جميع الثقافات التي لها دورها، فاليابانيون والكوريون والصينيون والعرب والغجر والهنود الأمريكيون، كلّ هؤلاء الذين بقوا حتى أيامنا هذه لديهم إذاً عمل محدد يقومون به وسط هذا الكم من البشرية، ويجب الحفاظ على هذا التوازن الدقيق بينهم.

استمتع زوز بنظرياتنا. طلب فريدي رؤية معابد النسبيين، وقمنا بالفعل بزيارة واحد من هذه الأماكن الغريبة. لا وجود هنا للتماثيل، ولا للترف الزائد. إنّ رصانة هذه المعابد النسبية تجعلنا نتذكر المعابد البروتستانتية.

اصطحبنا زوز بعدها إلى ساحة المعركة حيث تتصارع فيها الجيوش

الصيفية ضد الجيوش الشتوية. في البداية كان للروبوتات الشتوية الغلبة، ومن ثم تدمرت الروبوتات بعد أن طغى عليها جمع من الأطفال الانتحاريين الذين قفزوا مفجرين أنفسهم وسط أعدائهم.

– إيه، نعم! حتى الآن لا يزال البشر يتفوقون على الآلات، أشار دليلنا.

أثناء حديثنا، كانت قد اندفعت موجات من الأطفال الذين يحملون المتفجرات في حقائبهم باتجاه الحصون الشتوية المحمية بالدبابات الأوتوماتيكية.

هل سيكون هذا مستقبل الحروب؟

جاء ملاك وردي أشدّ إشعاعاً واقترب من زوز، لا شك وأنّه مرشده الشخصي، أي «إدموند ويلز» المحلي هنا.

– تباً، هذا معلمي، تلعثم ملاك الأحمر.

في الواقع، يبدو الآخر مستاءً إلى حدٍّ ما.

– ما هذا الذي تقوم به هنا؟ إنّ موكليك في طور القيام بأمور خاطئة! عد مباشرة للاهتمام بهم!

– ولكن... ولكن...، تلعثم زوز. هؤلاء الرفاق هم ملائكة من مجرة أخرى. توجد إذاً جنة أخرى! وهناك حياة خارج كوكب الأحمر! هل تتخيل ذلك!

لم يبدِ المدرّب تأثراً بهذا الخبر.

– ما تجهله يا زوز، هو أنّه لم يكن من المسموح لك حتى الآن معرفة هذه المعلومة. يجب أن تحافظ أنت ورفاقك على سريتها، وأرجو أن تتمكن من مسك لسانك.

إن كان زوز يمتلك ملاكاً مرشداً يعرف بوجود كوكب الأرض، فهذا يعني أنّ إدموند ويلز، مدرّبي الشخصي، يعرف على الأرجح هو أيضاً بوجود كوكب الأحمر.

– بالمناسبة، هل أنت كائن 7؟ سأل راؤول.

رمقنا الملاك المدرّب بنظرة مستنكرة.

– أنتم أيضاً، بعيدون جداً عن موكليكم وعليكم العودة.

– إنّ موكلينا محنكون جداً، قال راؤول.

– إمممم...، هل أنت متأكد من ذلك؟ هناك مثل أحمر يقول «عندما تسهو عن قدر الحليب فإنّه يفور». أنتم لستم تحت مسؤوليتي، لذا ليس لديّ ما أنصحكم به، ولكن فيما يخص زوز، فأنا لا أسمح لكم على الإطلاق بإفساده. هل فهمت يا زوز؟ كي لا تخطر في بالك أبداً فكرة النزول للتنزه على «الأرض».

أخفض زوز عينيه خجلاً، ولوّح لنا بإشارة وداع خجولة وابتعد بجانب مرشده الذي قال لنا، من فوق كتف زوز:

– انتهت الفرصة! حان الوقت كي تعودوا إلى صفوفكم.

## 162. موسوعة

**الكائنات الفضائية: أقدم نص غربي تناول موضوع الكائنات الفضائية يعود إلى ديمقريطوس في القرن الرابع قبل الميلاد. فقد أشار إلى لقاء بين مستكشف أرضي ومستكشف غير أرضي على أرض أخرى تقع وسط النجوم. كما ذكر أبيقور في القرن الثاني أنه من المنطقي وجود عوالم أخرى مشابهة ومسكونة من قبل مثيلي البشر. بعد ذلك، ألهم هذا النص الفيلسوف لوكريتيوس لكتابة قصيدة بعنوان «*في طبيعة الأشياء*» تطرق فيها إلى إمكانية وجود شعوب غير أرضية تعيش بعيداً جداً عن الأرض.**

**كان لقصيدة لوكريتيوس وقعها لدى الناس، فقد أصرّ لاحقاً أرسطو والقديس أوغسطينوس أنّ الأرض هي المكان الوحيد المسكون بكائنات حية، ولا يمكن أن يوجد أيّ كوكب مسكون آخر لأنّ الله أراد ذلك وأنّ هذه كانت هديته الوحيدة.**

وفي السياق ذاته، فقد أذن البابا يوحنا الحادي والعشرين في العام **1277**م بإعدام كلّ شخص يذكر احتمالية وجود عوالم مسكونة، وكان يجب انتظار أربعمائة سنة كي يتوقف موضوع الكائنات الفضائية عن كونه محظوراً. فمثلاً الفيلسوف جيوردانو برونو، تمّ إحراقه عام **1600**م لكونه، من ضمن أسباب أخرى، دافع عن هذه النظرية.

كتب سيرانو دي برجراك في العام **1657**م *التاريخ الهزلي لولايات وإمبراطوريات القمر*، وعاد فونتينيل لهذه الفكرة عام **1686**م بكتاب

*محادثات حول تعددية العوالم*، وكتب فولتير عام 1752م قصة ميكروميغاس (قزم – عملاق)، الذي يتحدث عن مسافر فضائي عملاق قادم من كوكب زحل هبط في زيارة إلى الأرض.

قام الكاتب هربرت جورج ويلز عام 1898م، في كتابه حرب *العوالم* بإخراج الكائنات الفضائية من عالم التجسيم بجعلها تظهر على شكل وحوش مرعبة تشبه الأخطبوط المحمول على ما يشبه الروافع المفصلية. في العام 1900م، أعلن رائد الفضاء الأمريكي بيرسيفال لويل أنّه رأى شبكات من الأقنية على سطح المريخ، وهذا دليل على وجود حضارة ذكية. منذ ذلك الحين، فقدت الكائنات الفضائية هذا الجانب الخيالي. وقد توجب انتظار المخرج ستيفن سبيلبرغ وفيلم *إي تي* كي يصبح مفهوم الكائنات الفضائية مرادفاً للمرافق المقبول.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 163. جاك– 25 عاماً

الأحمر.

حلمت أنّه مع مركبتي الفضائية التي حصلت عليها كهدية في طفولتي، سافرت باتجاه كوكب أحمر. يعيش على هذا الكوكب إله منغمس في التجارب. يصنع عوالم يقوم بوضعها داخل صناديق شفافة كي يراقب كيفية تطورها. كما أنّه يحتفظ بنماذج أولية لحيوانات صغيرة داخل أنابيب اختبارات يقوم بوضعها بكل عناية باستخدام ملقط ناعم في أحواض اختبار مسطحة. ومن ثم يقوم الإله باستعادة الحيوان الذي يفشل بالتأقلم. ولكن عندما تتكاثر بعض النماذج الأولية التي تحوي خللاً ونقصاً معيناً، يسارع الإله لصنع حيوانات مفترسة (حيوانات أكثر قوة أو أصغر حجماً مثل الفيروسات) التي من شأنها القضاء على مسوداته الخاطئة، ليطوّر بعدها ما يسمى بالحيوان البديل. لم يستطع الإله في حلمي محو أخطائه كلياً، لذا لم يتوقف عن مواصلة إضافة أنواعٍ جديدة تلو الأخرى من الحيوانات لمحاولة إرساء بعض النظام في خضم هذه الفوضى الحيّة.

استيقظت متعرقاً، وغيلين بجانبي. غيلين هي صديقتي الجديدة. اخترت غيلين لأنّها لم تكن تائهة، ولأنّ والديها لم يتدخلا في علاقتنا، ولأنها لا تبدو ضحية لمرض نفسي. أصبحت هذه الصفات في الوقت الراهن نادرة بما يكفي كي تسمح باستقرار العلاقة.

في الحقيقة، ليس هذا صحيحاً بالكامل. السبب الأساسي الذي جعلني أختار غيلين أنّها هي من اختارتني. إنّ غيلين طبيبة أطفال، وهي رقيقة تعرف الإصغاء والتحدث إلى الأطفال، وأنا طفل. فليس من الطبيعي في الواقع أن يكون المرء في الخامسة والعشرين من عمره، وهو لا يزال مهتماً بالقلاع والتنانين والأميرات الفاتنات والكائنات الفضائية والآلهة في الفضاء.

تبدو غيلين كأميرة حسناء، فهي سمراء نحيلة وقصيرة القوام، لا تزال حتى وهي في عمر الرابعة والعشرين تشتري ملابسها من قسم «الأطفال».

لديها معرفة بالطرائق الحديثة لإيقاظ الأطفال الرّضع، كما تعمل في العطلة الأسبوعية ضمن جمعية لمساعدة الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التكيف مع محيطهم. إنّ هذا يرهقها، ولكنّها تقول إن لم تقم هي بهذا العمل فلن يقوم به أيّ أحد آخر.

– أنت أيضاً طفل يعاني من صعوبة في التأقلم، قالت لي وهي تداعب شعري الكثيف جداً في أعلى رأسي.

قالت لي إنّ داخل كلّ كائن بشري يعيش طفل(ة) وبالغ(ة) ووالد(ة). في بداية العلاقة بين أي اثنين، يختار كلّ واحد منهما الدور الذي يرغب بلعبه أمام الآخر. فيختار أحدهما تحديداً أن يلعب دور الوالد(ة) ويختار الآخر أن يلعب دور الطفل(ة). مع أنّ الحالة المثالية هي أن يحافظ الاثنان على وضعهما كراشدين ويتناقشان مع بعضهما كشخصين بالغين.

حاولنا ذلك، ولكننا فشلنا. إنّ هذا أقوى مني، لذا سأكون الطفل. أشعر أنّني بحال أفضل عندما أكون طفلاً. بكوني طفلاً أجد أنّ روحي تصبح أكثر انفتاحاً، فالطفل ليس لديه يقين ثابت في شيء، وهو دائم الشعور بالدهشة أمام كلّ ما يراه. وعلاوة على ذلك، أحب أن تكون لي أم.

تفاجأت غيلين أنّني لا أزال ألعب لعبة تبادل الأدوار. فشرحت لها أنّ هذا

ما يساعدني في كتابة تقارير عن شخصياتي وترتيبها كما تُرتّب أوراق التارو للبحث عن أفضل إطار لمجريات الأحداث مع أبطالي.

يوجد على مكتبي عدة كاملة تساعدني على الكتابة؛ خرائط للمعارك، ورسوم توضيحية لوجوه أبطالي (غالباً ما أختار ممثلين حقيقيين من أجل أدوار الخير وأدقق كثيراً في ملامحهم إلى أن أشعر أنّني أتوغل في داخلهم وأكتشف نفسياتهم)، كما صنعت تماثيل من المعجون تساعدني في تصوّر الديكور والأشياء الأخرى.

– لم أكن أتخيل أنّ الأمر يتطلب كلّ هذه الفوضى من أجل رواية قصص بسيطة! عبرت غيلين. يشبه مكتبك المختبر، لن تقول لي أيضاً إنّك تستخدم مخططات الكاتدرائيات هذه، وقطع المعجون!...

وصفتني بالمجنون، ومن ثم وقفت على رؤوس أصابعها كي تعانقني.

أشعر أنّ الأمور بخير مع غيلين، ولكن رغم ذلك ينقص علاقتنا البعد الذي يسمح لها أن تستمر طويلاً. بدأنا نشعر بالملل. عدا عن دهشتها من عيشها مع رجل بالغ يتصرف مثل الأطفال، فإنّ غيلين بدأت تعي حقاً أنّها تزاول مهنة صعبة للغاية مع أجر ضئيل جداً مقارنة بي.

فالأطفال الذين تعتني بهم يستنزفون الكثير من طاقتها، فهم أساساً يعانون الكثير من الصدمات النفسية في حياتهم لدرجة أنّهم ليسوا لطفاء معها. إنّهم يُسعدون بالتصرف كصغار الكلاب الضالة. لديها الأطفال المعنفون، والأطفال ضحايا سفاح المحارم، ومرضى الصرع، والأطفال الذين يعانون من الربو... كيف لغيلين مواجهة أقدار قاسية لهذه الدرجة وهي مسلحة بشجاعتها فقط؟ إنّها تقوم بمهمة تفوق قدراتها.

حدثتني هذا المساء عن مريض توفي اليوم بين ذراعيها. إنّها منهارة ولا أعرف ماذا أفعل كي أخفف عنها ثقل ألمها.

– ربما عليك تغيير مهنتك، قلت لها ذلك بعد أن قضت الليلة بأكملها وهي تبكي على طفل صغير توفي إثر نوبة صرع.

فكانت هذه الجملة التي لن تسامحني عليها قط.

– من السهل مساعدة الناس دون رؤيتهم ولمسهم والتحدث معهم بشكل مباشر. هذا سهل، ومريح، ولا مخاطرة فيه!

– لا تقصدين أنّه يجب أن أبقى بجانب كل واحد من قرائي كي أكون جاهزاً للحوار معه؟

– هذا بالضبط ما كان يتوجب عليك فعله! لقد اخترت هذه المهنة للهروب من العالم. لتبقى منعزلاً في غرفتك ووجهاً لوجه مع حاسوبك. قل لي بمن تلتقي؟ مع ناشرك؟ مع رفاقك النادرين؟ الحياة ليست هكذا. أنت تعيش في عالم مُتخيل، في كون طفولي لا وجود له، تعيش أيّة ترهات كانت فقط كي لا تكبر. ولكن في يوم من الأيام سوف يتمكن منك هذا العالم الواقعي، عالمي أنا، هنا حيث أصارع مع المرضى والمكتئبين والمعتدى عليهم. لن تستطيع بكتبك أن تغير أيّ شيء من هذا البؤس والجوع والحروب.

– من يعلم؟ إنّ كتبي زاخرة بالأفكار، وهذه الأفكار موجّهة لتغيير العقليات والسلوكيات.

ضحكت غيلين باستهزاء.

– تقصد قصصك البسيطة عن الجرذان؟ ما هذه النتيجة الجميلة! أن يشعر الناس بالتعاطف مع الجرذان في حين أنّهم لا يشعرون بهذا التعاطف قط مع أطفالهم.

تركتني غيلين في الأسبوع التالي. كانت العلاقة أجمل من أن تستمرّ... طرحت على نفسي هذا السؤال: هل مهنتي غير أخلاقية حقاً؟ كي أستعيد قواي مرة أخرى، ذهبت في المساء لمشاهدة فيلم *الثعالب*، هذا النوع من الأفلام الذي أتجنب في العادة مشاهدته.

قدّم هذا الفيلم بالتفصيل كلّ ما تعتبره غيلين مهماً: الفقراء والمرضى والبؤساء والذين يقتتلون فيما بينهم. إن كان هذا هو الواقع، فأنا أفضل السينما التي أصنعها في رأسي. يوجد رغم ذلك في هذا الفيلم ممثلة أمريكية ساحرة الجمال اسمها فينوس شيريدان، إنّها أعجوبة طبيعية. تبدو كما لو أنّها كانت طوال حياتها جندية روسية. ونجم هذا الفيلم هو الشاب ريتشارد كونينجهام، ليس سيئاً أيضاً، فهو يؤدي دوره على أكمل وجه.

ما جرى في الشيشان رهيب حقاً، ولكن ما الذي يمكنني فعله حيال ذلك؟ هل أضيف ملاحظة إلى قرائي الروس أقول لهم فيها: «لو سمحتم مارسوا الحب وليس الحرب»؟

الكلمات التي ألقتها غيلين على مسمعي كان لها أثر رجعي عليّ؛ لم أعد أستطيع الكتابة. أنا شخص منحرف أستمتع بكتابة القصص الغريبة في حين أنّ العالم بأسره في خضم المعاناة. هل عليّ إذاً التطوع في منظمة «أطباء بلا حدود»؟ هل أغادر إلى أفريقيا لأقوم بإعطاء اللقاح إلى كل من هبّ ودب من الأطفال؟

أشعر أنّني أعاني من أزمة «شعور بالانهزامية». وعلاجها، هو اعتزالي في المرحاض والقيام بمراجعة الذات. هل من الخطأ الكتابة؟ هل من الخطأ عدم مساعدة جميع البؤساء على هذا الكوكب؟ هل من الخطأ عدم محاربة الطغاة والمستغلين أينما وجدوا؟

شعرت بالمسؤولية، لذا أرسلت شيكاً إلى جمعية خيرية وبدأت في الكتابة. أحب كثيراً الكتابة لدرجة أنّني مستعد أن أدفع المال مقابل تركي أنغمس فيها بسلام.

هاتفني الناشر.

– سيكون من الجيد أن تخرج من وقت لآخر، وأن تقبل القيام بجلسات إهداء لكتابك في المكتبات، وأن تتناول العشاء في المدينة كي تلتقي الصحفيين...

– هل هذا ضروريّ؟

– بالتأكيد. حتى إنّه هو المكان الذي كان يجب أن تنطلق منه. إضافة لذلك، فإنّ رؤية الناس، توحي لك بأفكار للكتابة. ابذل بعض الجهد. أنت بحاجة للصحافة، والمكتبات، والتواصل مع أقرانك، وارتياد الصالونات الأدبية... حياتك هذه كناسك هي حكم بالموت البطيء.

لطالما كان شاربونيه ناصحاً جيداً لي. ولكن لا أصدق أنّه يدعوني الآن لأمثل دور الأحمق في الأمسيات الاجتماعية، حاملاً كأس الشامبانيا في يدي، مصغياً لأحدث الثرثرات في الوسط الأدبي...

أوافق بخصوص لقاءات الإهداء في الصالونات، مع أنّني لا أعول عليها كثيراً لإطلاق مسيرتي المهنية، ولكن ربما بالتواصل مع الناس المهتمة بالكتب والكتّاب قد أفهم بشكل أفضل لماذا لا أنجح في ملامسة الجمهور العريض في فرنسا.

نظرت لي موناليزا II وكأن لسان حالها يقول: «أخيراً... ها قد بدأت تطرح الأسئلة المناسبة».

عدت للنوم وحيداً في سريري. الملاءات باردة.

## 164. إيغور– 25 عاماً

– لديّ خبر مذهل لك يا إيغور.

كنتُ قد تمنيت الحصول على مفاجأة جميلة، وأشعر الآن أنّ موعدها قد حان. أغلقت عينيّ، فقبلتني تاتيانا. لذا رميت احتمالاً عشوائياً:

– هل أنت حامل؟

– كلّا، بل أفضل من ذلك.

عانقتني والابتسامة تزهر في وجهها.

– إيغور، صديقي وحبيبي، لقد... لقد شُفيت.

شعرت بتيار كهربائي يسري بارداً في عمودي الفقري.

– هل تمزحين؟

وضعت الكتاب جانباً ورحت أتفحص مصعوقاً ملامح طبيبتي المشرقة.

– معي هنا نتائج تحاليلك الأخيرة. إنّها تفوق جميع توقعاتنا وآمالنا. لم يستمر سرطان السرة إلّا فترة وجيزة. إنّ شفاءك هذا يفتح آفاقاً جديدة في الأبحاث الطبية. أعتقد أيضاً أنّك مدين بشفائك لتحسن ظروف حياتك المعيشية. نعم، يجب أن يكون هذا هو السبب، فسرطان السرة له خصائص نفسية – جسدية بحتة.

شعرت برئتيّ تحرقانني، كما جفّ اللعاب في فمي. لم تعد تقوى ركبتاي على حملي. حوطتني تاتيانا بذراعيها وعانقتني.

– يا حبيبي لقد شفيت، لقد شفيت، لقد شفيت... هذا مذهل! سأسرع بإخبار الفريق الطبي. سوف نقيم حفلة تفوق الوصف احتفالاً بعودتك إلى حياتك الطبيعية.

ذهبت وهي ترقص فرحاً.

«الحياة الطبيعية»، أعرفها. أنا لا أروق للنساء، والمالكون يرفضون تأجيري شققهم دون كشوف دفع، ولا يرغب أرباب العمل بتوظيفي لأنّ

جميع الجنود السابقين في القوات الخاصة بالنسبة لهم وحوش، وفيما يخص لعبة البوكر، فقد عمّم صديقي بيوتر اسمي على جميع كازينوهات البلد ووضع جائزة لمن يقتلني.

لم يكن لديّ في حياتي سوى ملجأين اثنين، المستشفى وتاتيانا، وهاهما الآن لم يعودا يرغبان بي أيضاً. يجب أن أقتل أحداً ما لأدخل السجن، وعندها فقط سأستعيد من جديد «حياتي الطبيعية». ولكن في حياتي المشتركة مع تاتيانا، فقدت غضبي. منحتني تاتيانا طعم الهدوء واللطافة والاستمتاع بالكتب والمناقشات الحية. الشفاء، إن حدث هذا فعلاً، فلن ترغب تاتيانا بعدها بالتحدث معي. سوف تجد لنفسها مريضاً آخر مصاباً بمرض أكثر غرابة من مرضي، مثل سل في الأذن أو إعاقة في فتحات الأنف، وبعدها سوف تطردني خارجاً.

منذ مدة وهي تضايقني بحديثها عن رجل مصاب بميكروب مجهول. لا بدّ وأنّها بدأت تنام معه بالفعل.

وجّهت عدة لكمات بقبضتي إلى بطني، ولكنّني أعرف أنّ هذا السرطان اللعين لا يفعل إلا ما يحلو له. لقد ظهر كسارق في جسدي وعندما قبلت به، وقدّرته، وطالبت به، رحل كما جاء.

لقد شفيت، أيّة كارثة هذه! ألا أستطيع مبادلة هذا الشفاء مع شخص آخر يعرف استغلاله بطريقة أفضل؟ هيه، هوه! أنت يا ملاكي، إن كنت تسمعني، أنا لم أعد أرغب بالشفاء. أريد أن أمرض من جديد. هذه هي صلاتي.

ركعت على البلاط وانتظرت. كنت أشعر في السابق أنّ ملاكي الحارس يسمعني. أمّا الآن فأشعر أنّه لم يعد يسمعني. القديس إيغور أيضاً لم يعد يهتم بي الآن بعد أن أصبحت بحالة جيدة. كلّ شيء ينهار.

لقد تحمّلت كلّ شيء إلّا هذا «الشفاء»، إنّه كثير جداً. إنّه القطرة التي أفاضت الكأس.

سمعت تاتيانا وهي في الردهة تخبر جميع أفراد الطاقم الطبي في المستشفى بهذا الخبر الجميل.

– لقد شفي إيغور، لقد شفي إيغور! راحت تصدح بأعلى صوتها، إنّها لا تعي شيئاً.

– من فضلك يا ملاكي، أرسل لي نقائل ورمية كإشارة تحالف منك. لقد سبق وكنت حاضراً في حياتي لأسباب صغيرة، إن كنت ستنساني في الأمور العظيمة، فلن تكون سوى ملاكٍ عديم المسؤولية.

كانت النافذة مفتوحة. انحنيت إلى الأسفل. إنّ المستشفى عالٍ، والسقوط من علو ثلاثة وخمسين طابقاً سيفي بالغرض.

هيّا، يجب أن أتحرك دون أن أفكر، تحديداً يجب عدم التفكير، وإلّا فلن أجد الشجاعة في نفسي للقيام بالأمر مطلقاً. قفزت، ها أنا أسقط مثل الحجر.

لاحظت من الأعلى عبر النوافذ أناساً منغمسين في أشغالهم. رآني بعضهم وفتحوا أفواههم بشكل حرف «o».

«كن سريعاً وإلّا ستموت»؟ أنا الآن سريع جداً ومع ذلك سوف أموت بسرعة أيضاً عمّا قريب.

تقترب الأرض مني بأقصى سرعة. ربّما أكون قد أخطأت. كان عليّ ربما التفكير قليلاً قبل فعلي هذا.

إنّ الأرض الآن على بعد عشرة أمتار مني. أغلقت عينيّ. بالكاد كان لديّ بضع أجزاء من الثانية للشعور بالألم فقد تكسّرت جميع عظامي على الإسفلت. لقد تحوّلت من كائن صلب متماسك إلى سائل. على هذا الحال، لن يستطيعوا استرجاعي من جديد. شعرت لمدة ثانية بألم هائل بدا لي أنّه استمرّ ساعة ومن ثمّ توقف كل شيء. أشعر بالحياة وهي تغادرني.

## 165. فينوس– 25 عاماً

تطلقنا أنا وريتشارد. أخرج حالياً مع محاميّ الشخصي ذائع الصيت، موراي بينيت. خلال أسبوع واحد استقرّ في حياتي وقلبي وجسدي وأثاث منزلي وفي عقود أعمالي.

تحولت الحياة الثنائية معه لتصبح نوعاً من العقد الدائم. يقول إنّ الحياة بين شخصين، أيّاً كانت سواء مساكنة أم زواج، يجب أن تكون خاضعة لنظام الإيجار ثلاثة –ستة– تسعة، تماماً مثل إيجارات الشقق. وعند استحقاقها، أي في نهاية كل ثلاث سنوات، تتمّ إعادة النظر بالبنود أو يُفسخ العقد إن لم

يكن الشركاء راضين، وإن كانوا راضين، يتمّ تجديد العقد لثلاث سنوات جديدة من خلال «الاتفاق الضمني».

لا يتوقف موراي عن الحديث في هذا الشأن. يزعم أنّ الزواج «التقليدي» غبي. فهو عقد مدى الحياة يوقعه طرفان لا يكونان قادرين على فك رموز بنوده لأنّ مشاعرهما وخوفهما من الوحدة تعميان بصيرتهما. إن قام الزوجان بالتصديق على العقد في سن العشرين، سيبقى العقد سارياً سبعين عاماً تقريباً، دون أن يقدرا على إجراء أدنى تعديل عليه. ولكنّ المجتمع والعادات والناس يتغيرون، ويأتي بالضرورة وقت يصبح فيه العقد لاغياً وباطلاً.

أنا لا آبه بكلّ هذه الترهات القضائية، كلّ ما أعرفه أنّ موراي يعشق ممارسة الحب في وضعيات جنونية. اكتشفت معه ما يجهله حتى كتاب *كاماسوترا*[1] نفسه. فهو يصحبني إلى أماكن غريبة كلياً حيث نجازف أن يفاجئنا أول عابر سبيل. إنّ الشعور بالخطر يثير شهوته الجنسية.

عندما نتناول العشاء مع «جوقته»، المكونة بشكل رئيسي من صديقاته السابقات الصغيرات سناً، أشعر بغيرتهنّ مني كوني أحدث عشيقة له. وعندما يتحدث موراي، يمارس دور المهرج الذي يضحك ويسلّي الجميع.

– مثل جميع المحامين، أكره أن يكون لديّ موكلون أبرياء. لأنّنا حين نربح قضية لشخص بريء، سوف يُعتبر هذا أمراً طبيعياً، وإن خسرناها، سيوجَّه لنا اللوم والعتاب الشخصي. بينما إن خسرنا القضية مع المذنب، سوف يعتبر أنّ ذلك كان أمراً حتمياً، وإن ربحناها، فسوف يقبّل أقدامنا!

انفجر الجميع ضاحكاً إلّا أنا.

منذ بداية علاقتنا، قمنا أنا وموراي بتحديد أراضينا في الشقة. هنا غرفتي، هنا مكتبي، هنا أضع فرشاة أسناني وهنا تضعين فرشاة أسنانكِ. كلّ ما يقع عليه النظر في دروج خزانتنا تحتله ستراته وثيابه وقمصانه. أمّا أغراضي فهي موضبة إمّا في أقصى أعلى الخزانة أو أخفضها في الأسفل. كان عليّ أن أكون حذرة منذ البداية لهذا النوع من التفاصيل.

---

1– أو علم الحب، كتاب هندي قديم يتناول السلوك الجنسي للإنسان. المترجمة.

من بين جميع الرجال الذين عرفتهم، فإنّ موراي هو أول شخص مرتبط جداً بمفهوم الأراضي.

جميع المناورات التي يقوم بها تفيده في توسيع أراضيه أكثر:

من يُبقي جهاز التحكم بالتلفاز في يده ويختار البرنامج المناسب؟

من يدخل أوّلاً إلى المرحاض وإلى الحمام صباحاً؟

من يقرأ في الحمام الجريدة دون أن يأبه للآخر الذي ينتظر خارجاً؟

من يرفع سماعة الهاتف حين يرنّ؟

من يخرج القمامة من المنزل؟

من يقرر إن كانت عائلتي أم عائلته سندعوها للقدوم أيام الآحاد؟

كوني أستطيع الهروب واللجوء دائماً إلى مهنتي كممثلة، فأنا لا أهتم كثيراً بهذه الحروب الصغيرة اليومية.

ورغم ذلك كان ينبغي عليّ أن أبقى في حالة تأهب. كان ينبغي عليّ التحرك الفوري عندما بدأ بسحب الغطاء كاملاً عني وأنا نائمة، بينما أبقى أنا مرتجفة من البرد.

لا يغفر الحبّ كل شيء. لم يكن لأيّ أحد من معجبيّ السابقين تخيّل أنّني من الممكن أن أكون بهذه المرونة والانصياع. تمّ إعلان الصالون والمطبخ والردهات مناطق حيادية. وبحجة جمال المنظر العام، قام سريعاً بإزالة جميع تحفي الفنية الموضوعة على رفوف المدخل ليضع مكانها صور عطلاته التي قضاها مع عشيقاته السابقات. لم يعد هناك أيّة أغذية طبيعية في الثلاجة فقد تمّ اجتياحها من قبل أغذيته المفضلة، أطباق غريبة تمّ شراؤها محضرة بالكامل في الصيدلة من أجل مزاياها المنحفة.

فيما يخص الصالون، فهو يضع فيه أريكة ضخمة يجلس عليها مانعاً أيّ أحد غيره من الجلوس عليها.

وبما أنّني بدافع الكسل، أرفض قضاء وقتي بالمشاجرات، فقد وجدت أنّ أراضيّ الشخصية قد تقلّصت مساحتها حتى حدودها الدنيا. الحرب مملة، تركت لموراي ما يقارب نصف حصتي من الشقة كي أغلق على نفسي باب مكتبي الصغير، فطالبني فوق كلّ ذلك بنزع القفل كي لا أتمكن من إقفال الباب على نفسي.

لقد هُزمت. ولكن بما أنّ موراي يتفاوض بمهارة مع منتجي الأفلام حول حقوقي، لا أعتبر نفسي خاسرة تماماً. كان عليه أن يقحم نفسه في ترتيب وإعادة تصميم ملجئي الوحيد، مكتبي، كي أعلن له عزمي على عدم تجديد عقد الإيجار.

تعامل موراي مع الموضوع بفوقية.

– من دوني سوف تنهارين. أصبح تحالفنا قانونياً لدرجة أنّ المنتجين سوف يأكلونك نيئاً.

خاطرت بموقفي. وكوني لا نية لي بتاتاً أن أنضم إلى «جوقة عشيقاته السابقات»، طلبت منه إضافة لذلك، ألّا يحاول رؤيتي مجدداً. عندها، ذهب بعيداً في كلامه، فقال إنّني مدينة له كلياً على نجاحي. «لولاي لما كنتِ ستصبحين ممثلة مرموقة». وبناء على ذلك، طالبني بنصف ما جنيته خلال حياتنا المشتركة. وافقت على ذلك دون شكوى. لقد جعل حياتي صعبة للغاية وأشعرني كثيراً بالضيق داخل أراضيّ التي راحت تتناقص تدريجياً، لدرجة أنّه في هذا العام، اضطررت لقبول أكبر عدد ممكن من الأدوار وبالتالي جنيت الكثير من الأموال. عادت آلام الصداع النصفي مرة أخرى. رجوت بيلي واتس، وكيلي، أن يجد لي حلّاً.

– أنت أمام حلين، قال بيلي. الحل الأول، وهو الحلّ الكلاسيكي، أن تذهبي إلى باريس لرؤية الطبيب البروفيسور جان بونوا دوبويس، الأخصائي الفرنسي بالصداع النصفي والنوبات العصبية التشنجية. والحل الثاني يكون باستشارة وسيطي الروحي الجديد.

– ألم تعد تلتقي بلودوفين؟

– بعد نجاح استشاراتها الفردية، أنشأت ما يشبه الجماعة الفكرية، وبما أنّها حصدت نجاحاً كبيراً، أتبعتها للأسف بتأسيس طائفة «ح.إ.ح» أي: «حراس الإيمان الحقيقي». ليسوا سيئين، ولكنّهم يجتمعون في زي رسمي، والأقساط باهظة جداً ومن يريد الخروج من هذه الجماعة سيُعتبر «مطروداً». هذا كان كافياً لتبرد عزيمتي. والآن يطالبون أن يُعترف بهم كطائفة دينية قائمة بحدّ ذاتها.

– ومن هو وسيطك الجديد الحاذق الموهوب؟

– يوليس بابادوبولوس. كان راهباً ناسكاً في السابق. وقد حصلت له على ما يبدو أشياء عجيبة. منذ ذلك الحين، امتلك موهبة خاصة وهي التحاور بشكل مباشر مع الملائكة. سوف يمكّنكِ من الدخول في تواصل مع ملاكك الحارس، الذي سيشرح لك لماذا تقعين بشكل مستمر فريسة لأوجاع الرأس هذه.

– هل تعتقد أنّنا نستطيع محاورة ملاكنا الحارس بشكل مباشر دون... كيف أقول ذلك؟... دون إزعاجه أثناء قيامه بعمله الملائكي؟

## 166. موسوعة

تنفس: لا ينظر الرجال والنساء إلى العالم بالطريقة ذاتها. فالأحداث بالنسبة لمعظم الرجال تجري بصورة خطية مستقيمة. بينما العكس بالنسبة للنساء، فهنّ يستطعن إدراك العالم بشكله المتموج. لأنّهنّ على الأرجح يمتلكن برهاناً شهرياً على أنّ ما يتمّ بناؤه يمكن تهديمه وإعادة بنائه ومن ثمّ تهديمه من جديد، إنّهنّ يفهمن الكون على أنّه نبض دائم. إنّ هذا السرّ محفور لاشعورياً في أجسادهنّ: كل ما يكبر سوف يصغر، وكل ما يصعد سيهبط في النهاية. كل شيء «يتنفّس» ويجب ألّا نخاف لأنّ الزفير يتبعه الشهيق. وأسوأ ما يمكن أن يحصل هو الرغبة بالاحتفاظ بالشهيق أو إيقافه. سيكون هذا هو الاختناق المؤكد.

تُظهر الدراسات الحديثة في علم الفلك أنّ كوننا أيضاً ناتج عن انفجار ضخم بيغ-بانغ وقد أدركنا أنّ الكون الذي يتوسع باستمرار يمكنه أيضاً أن ينقبض إلى أن يصل إلى الانكماش العظيم بيغ-كرانش وهو نوع من الانكماش الأقصى للمادة، ربما يؤدي مرة أخرى لحدوث... انفجار كوني ثانٍ. حتى الكون في هذه الحالة يكون قد «تنفس».

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 167. العودة

العودة إلى الجنة. إنّ المسافات بين المجرتين هائلة وشاسعة إلى درجة أظن فيها أنّنا لن نستطيع العودة قريباً لرؤية زوز. إنّنا نطير بسرعة، ورغم ذلك، نشعر وكأنّنا نسير مثل الحلزون.

ونحن نطير، رحنا نتأمل التبعات المترتبة على نتائج اكتشافنا. لقد اكتشفنا كوكباً آخر مأهولاً بالسكان، ومن المتوقع وجود الكثير مثله أيضاً. فقط في مجموعة المجرات التي تضم مجرتنا ومجرة زوز، أعرف أنّها تضم 326782. حتى وإن لم تتضمن جميعها جنة في وسطها وإنّما فقط 10% منها تحوي جنة، وبالتالي كوكباً واحداً مسكوناً بالهيومانويد[1]، فلا يزال هناك 32000 كوكبٍ مأهولٍ بالسكان يمكننا أن نتناقش معهم.

كنا نبحث عن آلهتنا، وعن المكان الذي جاءت منه نتالي كيم، فوجدنا شيئاً آخر لم يجبنا عن أيّ من هذين السؤالين. بقي الآن علينا معرفة إن كانت الأرواح تنتقل من جنة إلى أخرى، وإن كان الجواب بالإيجاب فلماذا؟

إنّ أفقنا الجغرافي والروحي على حدٍّ سواء آخذ بالاتساع. كنت أخشى أن تكون حياتي الملائكية رتيبة، فإذ هي قد أصبحت نشيطة وحيوية. مجرد التفكير في ذلك، يجلب إلى ذهني جميع المسؤوليات الملقاة على عاتقي.

عسى ألّا يكون قد حدث أيّ أمر كارثي لموكليّ!

## 168. إيغور – 25 عاماً

بعد انتحاري متّ وخرجتُ من جسدي. كان هناك في الأعلى ذاك الضوء الشهير الذي عرفته سابقاً ولكنّني لم أرتفع نحوه. كان هناك شيء ما بداخلي يعترض: «عليك البقاء هنا ريثما يتم تحقيق العدالة، عندها فقط ستستطيع الصعود».

والآن، أنا روح تائهة. لقد تحولت إلى كيان غير ماديّ، شفاف وغير ملموس. لم أكن أعرف الكثير عمّا ينبغي عليّ فعله في البداية. لذا بقيت

---

1- Humanoïdes يقصد به الكائنات الحية التي تتشابه في مظهرها مع الإنسان. المترجمة.

منتظراً بالقرب من رفاتي إلى أن وصلت سيارة الإسعاف. ألقى حامل النقالة نظرة على جثتي الطرية واستدار للتقيؤ.

جاء أشخاص آخرون بلباس أبيض ووضعوا جسدي القديم داخل كيس بلاستيكي بعد أن بحثوا عن أشلائي المتناثرة على الأرض، وأخذوني إلى غرفة الموتى. بدت تاتيانا مكلومة جداً برحيلي ولكنّ هذا لم يمنعها من القيام بتشريح للجثة ووضع سرتي اللعينة التي شفيت في زجاجة معقمة لعرضها أمام الجميع. إنّ دور الأرملة المكلومة كان من الممكن أن يؤدّى أفضل من ذلك...

إذاً، أنا الآن شبح. بما أنّني لم أعد خائفاً من الموت، صرت أراقب الكائنات والأشياء بسكينة أكبر. في الماضي، كان الخوف من الموت يعشعش فيّ كضوضاء تصدح في أعماقي بشكل مستمر وتمنعني حقاً من الشعور بالاطمئنان. أمّا الآن فلم أعد أشعر بذلك، ولكنّني أعيش مع الندم.

لقد انتحرت، وقد أخطأت في ذلك. يشتكي الكثير من الناس من آلامهم الجسدية. لو يعرفون فقط الحظّ الذي يتمتعون به، فهم لديهم على الأقل جسد. يجب على الناس أن يعرفوا أنّ كل ألم يعيشونه هو دليل وبرهان على امتلاكهم جسداً. بينما نحن، الأرواح التائهة، لم نعد نشعر بأيّ شيء.

آه، لو أنّني أعثر على جسد من جديد، كنت سأتغنّى بأبسط جرح يصيبني، كنت سأفتحه من وقت لآخر لأتأكد من وجود الدم تحت الجلد، ومن أنّ الجرح ما يزال يؤلم. سأفعل أيّ شيء كي أشعر من جديد ولو بقرحة معدية بسيطة، أو حتى قلاع فموي أو حكّة بسبب بعوضة!

أيّ خطأ فادح ارتكبته بانتحاري هذا! من أجل بضع دقائق من السخط، أجد نفسي الآن روحاً تائهة لقرون وقرون.

في البداية حاولت أن أتعامل مع مصيري الجديد بشيء من الاستخفاف. فمن الجميل الطيران واختراق الجدران. أستطيع اقتحام جميع الأماكن. يمكنني أن أكون شبحاً في اسكتلندا وأحرّك الأغطية لإخافة السياح. وأستطيع أن أكون «روح الغابة» كي أُسعِد الشامانيين في سيبيريا. أستطيع التسلل إلى جلسات الروحانيين والتواصل معهم. أستطيع الذهاب إلى

الكنائس والقيام بالمعجزات، وقد تسليت في لورد فقط من أجل التحقق من قدرتي كروح تائهة على التأثير على المادة.

إنّ حالتي كروح تائهة تقدم لي ميزات أخرى أيضاً. فأنا أحضر الحفلات الموسيقية مجاناً، وعلاوة على ذلك أجلس في الصفوف الأولى أيضاً. كما أتسلل في قلب المعارك المصيرية، حتى إنّني أستطيع التواجد وسط سحابة الفطر النووية[1]، فلم أعد أخشى من شيء.

لقد تسليت بالهبوط إلى قاع البراكين وأعماق الأرض السحيقة. عشت ذلك فترة ومن ثمّ شعرت بالملل. كما تطفلت بالدخول إلى حمامات أجمل النساء، ولكن ما قيمة هذا إن كانت الهرمونات متوقفة عن العمل!... لقد استمتعت بذلك خمسة عشر يوماً، لا أكثر. تكفي مدة خمسة عشر يوماً للقيام بجميع الأشياء الطفولية التي رغبنا في تحقيقها حينما كنا أطفالاً نشاهد مسلسل *الرجل الخفي*.

خمسة عشر يوماً واكتشفت بعدها بؤس وضعي تماماً. نصادف دوماً أرواحاً تائهة أخرى، ومعظم أرواح المنتحرين تشعر بالمرارة والسخط والاكتئاب والغيرة والشراسة. إنّ هذه الأرواح تعاني الكثير، كما أنّ معظمهم نادم على انتحاره. نلتقي بصورة عامة في المقابر والأقبية والكنائس والكاتدرائيات ونصب الموتى التذكارية، أي في جميع الأماكن التي نجدها «ممتعة».

نتحدث عن حيواتنا السابقة. قابلت رجالاً مقتولين يتربصون بقاتليهم كي يضايقوهم، وأناساً تعرضوا للخيانة والذلّ يهيمون بحثاً عن الانتقام، وأبرياء أدينوا ظلماً يطاردون في الليالي القضاة الذين أصدروا الحكم بحقهم، باختصار؛ العديد من المخلوقات المعذبة من لديهم أسبابهم كي لا يدعوا البشر وشأنهم. ومع ذلك فإنّ أساس جماعتنا هم المنتحرون.

كلّنا متعطشون للعدالة والثأر والانتقام. ما يميزنا جميعنا، هو رغبتنا بتوجيه الأذية لأولئك الذين سببوا الأذية لنا أكثر من سعينا للصعود إلى الجنة. إنّنا محاربون. ولكنّنا محاربون يفكرون في إيذاء أعدائهم أكثر من تفكيرهم بفعل الخير لأنفسهم أو من أجل أحبّائهم.

---

1- سحابة الفطر أو سحابة عيش الغراب هي سحابة تأخذ شكل فطر عيش الغراب، وتتكون من دخان كثيف ولهب وحطام ناتج عن انفجار هائل. المترجمة.

في الوقت الراهن، إنّ فرصتنا الوحيدة في العودة إلى المادة هي بالاستحواذ على جسد أحد ما. والحلّ الأمثل، هو الولوج في جسد خرجت منه الروح لبضع لحظات. هذا صعب ولكنّه ممكن. في نوادي التأمل التجاوزي[1]، يوجد دوماً مبتدئون يخرجون بطريقة خاطئة من أجسادهم ويقومون بمدّ حبلهم الفضي أكثر من اللازم. وبمجرد نقرة صغيرة، لا يكون أمامنا سوى الدخول في هذا الجسد. المشكلة هي أنّ عدد الأرواح التائهة دائماً يكون مكتظاً بالمئات في هذه النوادي، فيكون علينا التدافع كي نستطيع التسلل بمجرد أن يتوفّر جسد شاغر.

أمّا مصدرنا الآخر من الأجساد المهجورة هو: أجساد متعاطي المخدرات، هؤلاء المتعاطون هم بالنسبة لنا هبة ربانية. يخرجون من أجسادهم في أي وقت وأيّة طريقة، دون أدنى انضباط، أو اتباع أيّة طقوس، ودون أيّ مرافق لحمايتهم. ولذلك نستطيع الدخول بكل بساطة وسهولة.

المشكلة الوحيدة مع أجساد المتعاطين، هي أنّنا ما إن ندخلها حتى نشعر بالضيق فوراً، لذا نخرج كي يدخل مكاننا مباشرة شبح آخر. إنّ هذا بالفعل يشبه لعبة الكراسي غير أنّ المقاعد هنا حارقة ولا نستطيع البقاء جالسين طويلاً عليها.

يبقى أمامنا ضحايا الحوادث الطرقية. ننقضّ عليها كالنسور، إنّنا بمثابة طيور القمامة التي تتغذى على الأرواح عوضاً عن الجيفة.

أحياناً تدخل روح تائهة في جسد تعرّض لحادث ويموت بعد بضع دقائق في المستشفى. يا للحظ السيء!

إذاً، يجب العثور على جسد شاغر وفي حالة جيدة، بعد أن يكون مالكه السليم عقلياً قد تخلّى عنه مؤقتاً. إنّ هذا ليس سهلاً.

في انتظار ذلك، لا نفعل شيئاً سوى أن نهيم متجولين. وكي أنسى قليلاً واقعي الحزين، ها أنا أنطلق في جولة مع الوسطاء الروحيين القادرين على سماع أصواتنا. أبدأ مع يوليس بابادوبولوس، من هذه التي أراها هنا؟ فينوس، فينوس شيريدان، نجمتي المفضلة أيام شبابي. إنّها تريد لقاء ملاكها الحارس عبر هذا الوسيط اليوناني. رائع، ها أنا قادم.

---

1- أو التأمل المتسامي يقصد به نوعاً خاصّاً من التأمل الذي يتجاوز الأفكار، ظهرت هذه التقنية في الهند أواسط الخمسينيات. المترجمة.

## 169. جاك- 25 عاماً

مستسلماً لضغوطات ناشري، ذهبت إلى *صالون الكتب في باريس* للمشاركة في جلسة إهداءات. أصبح صالون الكتب هذا نوعاً من التقليد، إنّه كعيد سنوي ضخم ومنتقّى للكُتّاب مع قرائهم.

حشود كبيرة تتدافع في الممرات، ولكنّ الزبائن القادمين لرؤيتي نادرون. أتأمل السقف وأشعر أنّني أضيّع وقتاً ثميناً كان باستطاعتي استغلاله في العمل على كتابي الجديد.

ألّفت كتباً أخرى بعد رواية *الجرذان*. واحد عن الجنة، وآخر عن رحلة إلى مركز الأرض، وواحد عن أناس يعرفون استخدام القدرات المجهولة لدماغهم. لم يلقَ أيّ من هذه الكتب النجاح في فرنسا. لا شيء سوى تداول محدود بين الناس رغم أنّها كانت من بين أفضل مبيعات الكتب الشعبية. ولكنّ ناشري بقي واثقاً لأنّ لي شهرة واسعة في روسيا.

وأنا منتظر اقترب بعض الأطفال مني وسألني أحدهم إن كنت مشهوراً، فأجبته بالنفي، ولكنّ الصبي رغم ذلك مدّ لي بورقة كي أوقع عليها.

- إنّه غير معروف ولكن من يعلم يمكن أن يصبح مشهوراً في يوم ما، شرح الطفل لصديقه.

اعتقد بعض المتسكعين أنّني عامل في المكتبة فسألوني عن عناوين كتب لمؤلفين آخرين. سألتني سيدة عن مكان المغاسل. رحت أتمشى جيئة وذهاباً. قامت إحدى المضيفات بالترحيب بأوغوست ميرينياك. إنّنا تقريباً في العمر ذاته، ولكنّنا لا نملك الطلّة ذاتها. يرتدي سترة تويد، ويضع شالاً من الحرير، إنّ لميرينياك حضوراً طاغياً أكبر بكثير من تلك المرة التي رأيته فيها في التلفاز. ما إن جلس ميرينياك حتى تشكل حشد من الناس حوله وبدأ بالتوقيع على عجل.

رحت أرقبُ بيأس قدوم «قارئ لي»، مثل صياد ينتظر أن تبتلع سمكة ما الخطّاف الذي نسي أصلاً أن يعلق الطعم عليه، بينما جاره لا يكفّ عن ملء سلّته بالأسماك. يتدافع الكثير من المعجبين حول ميرينياك الذي قام بوضع سماعات موسيقية كي لا يضيّع وقته في الإجابة على التحيات، ومن ثمّ شرع بالتوقيع بشكل آليّ على الصفحات الأولى دون أن يترك أيّة كلمة إهداء لمعجبيه.

كما لو أنّها مصادفة أن يكون معظم جمهوره مكون من الفتيات الشابات! بعضهنّ يدسسن خفية على طاولته بطاقاتهنّ التعريفية مع أرقام هواتفهنّ، فيتنازل بإلقاء نظرة خاطفة لهؤلاء الفتيات ليرى إن كنّ جديرات بتواصله معهنّ لاحقاً.

فجأة، كما لو أنّه أصابه ألم في المعصم، أشار إلى المضيفة أنّه سيكتفي بهذا القدر لهذا اليوم. دفع كرسيه للخلف، وانتصب وسط الهمسات التي تعبّر عن خيبات أمل الفتيات اللواتي انتظرن عبثاً، وبشكل غير متوقع، رأيته يتوجّه نحوي.

– هل نسير لنتحدث قليلاً؟ منذ مدة وأنا أرغب بالنقاش معك يا جاك.

أوغوست ميريناك يخاطبني شخصياً ودون ألقاب!

– بداية، يجب أن أقول لك شكراً، ومن ثمّ سوف تشكرني أنت أيضاً.

– ولم ذلك؟ أجبته، وأنا أتبع خطاه.

– لأنني أخذت من روايتك عن الجنة فكرتها الأساسية كي أصنع منها موضوع روايتي القادمة. وقد سبق لي من جهة أخرى أن استعرت منك كامل هيكل بناء رواية *الجرذان* لتأليف رواية *سعادتي*.

– ماذا؟ رواية *سعادتي* هي سرقة أدبية عن روايتي *الجرذان*؟

– يمكننا قول ذلك. لقد قمت بتحويل قصتك من عالم «الجرذان» إلى عالم البشر. لم يكن أساساً عنوان روايتك مثيراً، فكلمة «جرذ» تجعل الجميع يهربون، في حين أنّني وضعت في العنوان كلمة «السعادة». كما أنّ كتابك كان يتحدث عن المعاناة، والأكثر من ذلك أنّ غلاف الرواية سيئ، ولكنّ الخطأ في هذه النقطة يعود للناشر. عليك التعامل مع ناشري أنا. سوف يدفع لك أكثر.

– تتجرأ بالاعتراف لي دون خجل أنّك سرقت أفكاري!

– سرقة، سرقة... لقد أعدت إحياءها وجدّدت الأسلوب. فكلّ شيء في روايتك مركّز بطريقة مبالغ فيها. هناك الكثير من الأفكار لدرجة أنّ الجمهور لا يستطيع متابعتك.

دافعت عن نفسي:

– أحاول أن أعرض أفكاري بأبسط ما يمكن وأكثر الطرق مباشرة.

ابتسم ميرنياك بلطافة:

– الموضة الأدبية لا تسير بهذا الاتجاه في الوقت الراهن. لذلك قمت بتجديد روايتك التي لم تكن من هذا الزمن. عليك أن تعتبر استعاراتي هذه بمثابة تحية إكرام لك، لا أن تعتبرها سرقة...

– أنا... أنا...

نظر إليّ الشاب ساحر الفتيات بشيء من الشفقة.

– لا يضايقك أن أخاطبك دون ألقاب؟ سألني متأخراً. لا تظنّ أنّ مجدي كان مستحقاً لك. أنت لم تنجح لأنّه لم يكن مقدّر لك النجاح. حتى لو أنّك كنت قد كتبت رواية *سعادتي* كلمة كلمة، لما كنت قد حصدت المزيد من النجاح لأنّك أنت، وأنت هو أنت، وأنا ... أنا.

استوقفني بيده.

– حتى إنّك أساساً بهذا النجاح السري الذي حققته، تثير السخط. فمن جهة أنت تزعج العلماء لأنّك تخوض في العلم مع أنّك لست متخصصاً. وتزعج المؤمنين من جهة أخرى، لأنّك تخوض في الروحانيات دون أن تمثّل أيّ طائفة كانت. وأخيراً، تزعج الأدباء لأنّهم لا يعرفون تحت أيّة فئة يصنفونك. وهذا بحدّ ذاته يعتبر عائقاً.

توقف ميرنياك عن السير كي ينظر إليّ بشكل أفضل.

– والآن وأنت تقف أمامي، أنا مقتنع أنّك لطالما أثرت غضب الجميع. أساتذتك في المدرسة، ورفاقك وحتى عائلتك... وهل تعرف لماذا تسبّب كل هذا القدر من السخط؟ لأنّ الجميع يشعر برغبتك بتغيير الأشياء.

أردت الحديث، والدفاع عن نفسي، ولكنّني لم أستطع. تعثّرت الكلمات في حلقي. كيف لهذا الشخص الذي لطالما اعتبرته إنساناً غير مثير للاهتمام أن يفهمني بهذا القدر؟

– جاك، إنّ أفكارك تتمتع بأصالة فريدة. لذا، اقبل أن تؤخذ من قبل شخص آخر يمتلك القدرة على إحيائها لدى الجمهور العريض.

قلتُ بحرقة:

– تعتقد أنّني لن أصل إلى النجاح مطلقاً؟

أومأ برأسه.

– إنّ الأمر أكثر تعقيداً من هذا. تستطيع أن تعرف المجد، ولكن بعد وفاتك. بعد مائة أو مائتي عام، أستطيع أن أؤكد لك أن الأمر سيجري على النحو الآتي، سيأتي صحفي ما راغب بإثبات نفسه وسيقع مصادفة على واحد من كتبك وسيقول لنفسه: «حسناً، لماذا لا نعيد إحياء جاك نيمرود، هذا الكاتب الذي عاش مغموراً في عصره؟».

أبدى ميرنياك ابتسامة صغيرة لا تحمل أدنى ضغينة، كما لو أنّه يأسف حقاً على حالي، ومن ثم تابع:

– يجب في الواقع أن أشعر بالغيرة، فأنا من سيسقط في النسيان. ألا تجد أنّ كل هذه التوضيحات والشرح الآنف الذكر يستحق منك كلمة «شكر» صغيرة؟

تلعثمت من شدة اندهاشي وأنا أقول له «شكراً». وفي المساء، نمت وأنا أشعر باسترخاء كبير. بالطبع لدينا الكثير لنتعلّمه من أعدائنا.

## 170. موسوعة

**التخلي: ينبع مفهوم التخلي من أحد طرق الحكمة الثلاثة التي أوصى بها دان ميلمان: الفكاهة، والتناقض، والتغيير. هذا المفهوم قرين بمبدأ التناقض. فعندما نتوقف عن الرغبة بحدوث أمر ما، حينها، يمكن لهذا الشيء أن يحدث. إنّ التخلّي أيضاً هو راحة للملاك؛ عند التوقف عن الإلحاح بالطلب، يمكن للملاك آنذاك أن يعمل بهدوء.**

**إنّنا لنعجز عن تقدير أهمية فنّ التخلّي.**

**لا يوجد شيء لا يمكننا الاستغناء عنه. لم نرَ في حياتنا أحداً يصبح سعيداً لأنّه حصل فجأة على عمل أو نقود أو الحب الذي يتمناه. إنّ السعادة الحقيقية والعظيمة تكون بوقوع أحداث غير منتظرة تتجاوز بكثير مجال أمنيات المعنيين. إنّنا كملائكة بمثابة بابا نويل. أولئك الذين يطلبون الحصول على قطار آلي، يحصلون على قطار آلي. ولكن أولئك الذين لا يطلبون شيئاً يمكنهم الحصول على أفضل من ذلك بكثير. توقف عن الطلب وحينها فقط سنكون قادرين على إرضائك.**

***إدموند ويلز،***
***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 171. العودة إلى الجنة

يبدو لي أنّ هذه العودة تستغرق سنوات. بدأت أشعر بالكثير من القلق على بيوضي. ما الذي يمكن أن يكون قد ابتدعه أيضاً كلّ من إيغور وجاك وفينوس؟ لا أتجرّأ على تخيل ذلك. إنّني أتجه داخل الكون نحو مجرة درب التبانة. تبدو لي بعيدة جداً...

## 172. فينوس – 25 عاماً

الحوار مع ملاكي الحارس؟ لم أرغب في حياتي بأكثر من هذا إطلاقاً. في هذه الشقة النيويوركية ذات الطراز الباروكي، يوجد ملائكة في كلّ مكان، ملاك مرسوم بالفحم على الباب، وتماثيل صغيرة للملائكة موضوعة في المدخل، ورسومات للملائكة على الجدران والأسقف، وعلى اللوحات الجدارية رسوم ملائكة يحاربون التنانين، وقديسون يتعرضون للتعذيب في الساحات الرومانية. 

صحيح أنّ تكلفة الجلسة ألف دولار تدفع نقداً ولكنّ بيلي واتس أكّد لي أنّ هذا المدعو بابادوبولوس هو أفضل وسيط روحي في العالم. فقد ظهر له في أحد الأيام ملاك وهو القديس إدموند، كي يملي عليه واحداً من الكتب. إنّ هذا الكتاب بحسب وكيلي، هو قاموس غريب لا يستطيع ولا يريد الناسخُ الكشف عنه.

جاء بعد ذلك ملائكة آخرون إلى منزله ليحاربوا الشياطين هناك. وهكذا أجرى حواراً مميزاً مع الملاك راؤول. ولكن، بعد أن أمضى أعواماً طويلة في تدوين رسائل القديس إدموند، وإصرار القديس راؤول على عدم الظهور مرة أخرى، قرر بابادوبولوس مغادرة صومعته والعودة إلى عالم البشر بغية مساعدتهم على فهم العالم العُلوي بوضعهم في تواصل مع ملائكتهم الحارسة.

إنّ بابادوبولوس هو كاتب شهير. نشر كتباً منها: *كلّ شيء حول أصدقائنا الملائكة، الملائكة هم بيننا* أو: *تحدث إلى ملاكك دون خجل. أنا والقديس راؤول*. وكان هذا من أكثر الكتب مبيعاً. رحت أتصفّح هذه الكتب وأنا في صالة الانتظار. كما يوجد بجانبي وراء واجهة زجاجية قمصان تمثل القديس

راؤول مثلما ظهر للوسيط في انخطافاته وهي متاحة للزبائن. وهنالك أيضاً ملصقات للقديس راؤول يصرع الأرواح الشريرة في البيرو. يبدو أنّ هذا القديس له شعبيته هنا.

– تستطيعين الدخول يا سيدة شيريدان، قالت السكرتيرة.

دخلت إلى صالون مرسوم على جدرانه غيوم، لا بدّ وأنّها لاستحضار الجنة. يوجد في وسط الغرفة طاولة ثقيلة، وهناك عشرات النساء ورجل واحد، أعتقد أنّه الراهب بابادوبولوس. إنّه يرتدي فستاناً أبيض طويلاً ويبدو الإلهام ظاهراً على محيّاه.

معظم النساء طاعنات في السن ويتزيّنَّ بالكثير من الحليّ. لا شك وأنّهن لا يقمن بأيّة أعمال ويشغلن نهارهنّ بالحديث مع الملائكة. أشعر كما لو أنّنا في حفلة تبروير[1]، ولكن عوضاً عن الدردشة حول الأواني البلاستيكية، فإنّنا نتناقش حول العالم الآخر. فكرت للحظات في الهروب من هنا، ولكنّني كنت قد دفعت المال لموظفة الاستقبال كما أنّ الفضول يتملكني. جلست على كرسي شاغرة وراح الساحر بابادوبولوس، الراهب السابق، يقول تعويذات باللغة اللاتينية كان واضحاً منها كلمات: *غموض، إلى الأبد، معاناة.*

طلب منّا بعد ذلك أن نمسك بأيدي بعضنا لنشكل سلسلة للصلاة، وبدأ يستحضر:

– أوه أيها القديس راؤول، أنت الذي تكون دائماً جاهزاً لسماعي، اهبط، وباسم المحبة التي تكنّها لي، خلّص هؤلاء الأصدقاء الفانين من آلامهم.

تابع طقوسه مغلقاً عينيه ومتمتماً صلاة تتردّد فيها جملة «القديس راؤول» باستمرار، ومن ثمّ أعلن أنّ الجلسة سوف تبدأ.

شرعت امرأة طويلة ونحيلة ترتدي أحدث صيحات الموضة، بالحديث أولاً. سألت إن كان عليها شراء متجر جديد لتكمل سلسلة متاجر الملابس لديها. تلعثم بابادوبولوس عدة مرات ومن ثمّ أعلن قائلاً نعم، عليها شراؤه

---

1- نسبة لشركة تبروير لصناعة الأواني البلاستيكية التي كان لها السبق في فكرة البيع من خلال العرض. حيث غزت العالم ما يعرف بفكرة حفلة التبروير التسويقية حيث سُمح للمرأة لأول مرة بالعمل في تسويق المنتجات للأقارب والجيران ومن ثمّ تطورت إلى نطاق أوسع. المترجمة.

لأنّها بذلك سوف تصبح أكثر ثراء. لم يعجبني هذا كثيراً. من البديهي أنّ الناس الأثرياء يزدادون ثراء بشكل متزايد وتنبؤ النجاح لهم ليس فيه مخاطرة كبيرة. إن كان يكفي إعلان ذلك لأحصل على ألف دولار، فأنا أرغب حقاً بممارسة هذه المهنة، لأنّني فوق ذلك، ممثلة محنكة، لذا سأعرف بالطبع تمثيل الوسطاء الروحيين بشكل أفضل من هذا الرجل الملتحي.

## 173. إيغور- شبح

إنّها بالفعل فينوس شيريدان بشحمها ولحمها. ما هذا الحظ الجميل أن يكون كلّ هؤلاء الوسطاء عصريين إلى هذه الدرجة! يبدو أنّ 80% من البشر يمارسون بانتظام «العَرَافة»: كالمنجمين، وقرّاء الطالع بالأوراق، والسحرة، والكهنة، والمتنبئين، والوسطاء الروحانيين... إلخ. إنّ ذلك على الأرجح بسبب القلق من المستقبل وتعقيد العالم. أمّا بالنسبة لنا نحن الأرواح التائهة، فهذا يعطينا وسيلة للتأثير على المادة الحية. سوف أستطيع الحديث مباشرة إلى نجمتي السابقة دون أن أصطدم بحاجز اللغات.

ولكن لم يأتِ دورها بعد. هناك امرأة عجوز تسأل بابادوبولوس إن كان عليها بيع المنزل العائلي الذي كان يحبه زوجها كثيراً، والذي قضى نحبه بعد أن تعرّض للدهس من قبل سائق مخمور.

إممم... لا يبدو أنّ فينوس مقتنعة بخرافات هذا الراهب. سوف أثير اهتمامها سريعاً. رحت أبحث عن المتوفى المُستحضَر الذي، لحسن الحظ، بقي هنا، لمطاردة قاتله، فأرسلت له سؤال أرملته.

– كلا، قال الرجل، يجب ألّا تبيعه لأنّني خبأت فيه مبلغاً كبيراً من المال داخل القبو، وراء خزانة من طراز لويس الخامس عشر. يكفي إزاحتها قليلاً، لتجد المال داخل تمثال فرس النهر.

هرعت بأقصى سرعة ومرّرت المعلومة للوسيط الروحي. وكان لهذا أثره البسيط. أعجب الجميع بدقة الإجابة. أصيبت المرأة المعنية بالتلعثم من فرط المشاعر واعترفت أنّه في الواقع، لديهم في القبو خزانة من طراز لويس الخامس عشر كما هناك أيضاً تمثال فرس النهر. كيف لبابادوبولوس أن يعرف ذلك؟

ومع ذلك بقيت فينوس متشككة. تخيلت أنّ هذه المرأة متواطئة مع الراهب. لا بأس، هكذا ستكون مفاجأتها أكبر.

ها هي فينوس تشرع بالحديث. إنّها تسأل عمّا يجب فعله للتخلّص نهائياً من الصداع النصفي. اخترقت بسرعة جمجمتها لتقييم حالتها. الأخ... يطاردها من الداخل!

يجب على أحدهم أن يحدّثها عن أخيها. بسرعة، تناقشت مع أرواح تائهة أكثر تخصصاً مني في هذا النوع من القضايا. أشار لي أحد المنتحرين بطلق رصاصي باسم طبيب عانى الكثير قبل اكتشاف سر وجود أخيه التوأم. اسمه رايموند لويس. استدرت وعدت بسرعة البرق إلى صالة بابادوبولوس وأمليت عليه النص.

– يا فينوس، يوجد... رجل قادر على شرح كلّ شيء لك، والاعتناء بك وشفائك. لقد... عاش المشكلة ذاتها التي تعانين منها أنتِ... وقد وجد لها حلاً. يُدعى... لويس.

عبس وجه فينوس.

– شخص باسم لويس، هناك آلاف الأشخاص لهم الاسم ذاته.

– إنّ لويس هذا... طبيب توليد.

– طبيب توليد يدعى لويس، سيكون هناك بالتأكيد الكثير منهم أيضاً، قالت مغتاظة. لويس ماذا؟

– انتظري، ر... ر... رامون لويس.

آهٍ على حظي. لقد وقعت على وسيط روحي يعاني نقصاً في السمع. كدت أصرخ:

– ليس رامون، ليس رامون! بل رايموند، رايموند!

– ليس رامون، ليس رامون... إدموند، صحّح بابادوبولوس. يا إلهي! إنّه أصمّ بالكامل!

– رايموند. ليس اسماً دارجاً، ولكن هذا هو اسمه.

أغلق بابادوبولوس جفنيه مركزاً:

– ر... ر... رايموند. ليس اسماً دارجاً، ولكن هذا هو اسمه.

– حسناً، وماذا في ذلك؟ قالت فينوس، وهي تفقد صبرها شيئاً فشيئاً.

يجب أن أسرع وإلّا فسوف تقف وتصفق الباب في وجه هذا الأبله قبل أن أتمكن من مساعدتها. فهمست بالجزء الناقص:

– رايموند لويس عاش حالتك ذاتها. فقد خسر أخاه التوأم قبل الولادة. وهذا الفقد سبّب له صداعاً نصفياً. باجتماعك مع توأمك، سوف تعوضان حاجة كليكما لبعض وستتلاقى أرواحكما وتتحرران من بعدها.

ترجم وسيطي ما قلته بصعوبة ولكنّ الأساسي من المعلومات قد تمّ توصيله. توقفت فينوس عن الحركة. لا شيء سوى الحقيقة يدهش الناس.

كان بابادوبولوس هو الأكثر تأثراً بتدخلي. كان قد مضى وقت طويل لم يستقبل هذا المسكين رسالة بهذه الوضوح من العالم الآخر. إنّه مصدوم، يشعر بالذعر قليلاً. أيّة قلة احترافية مؤسفة هذه!...

يقال إنّ الملائكة تسمي البشر الفانين «بالموكلين». نحن، الأشباح، نستخدم لقباً آخر وهو: «اللحم». أحب التأثير على اللحوم.

## 174. موسوعة

**الدورة السباعية (المربع الأول 4 × 7): يتغير مصير الإنسان في دورات من سبعة أعوام. تنتهي كل دورة بأزمة تجعل الإنسان يعبر إلى المرحلة الأعلى. من 0 إلى 7 أعوام، يكون الارتباط قوياً مع الأم. الإدراك الأفقي للعالم. بناء الحواس، بحيث تكون رائحة الأم، وحليب الأم، وصوت الأم، ودفء الأم، وقبلات الأم هي الركائز الأساسية. تنتهي هذه المرحلة بشكل عام بحدوث صدع في شرنقة الحب الأمومي الواقية، وبداية الاكتشاف الحذر نوعاً ما للعالم الخارجي.**

**من عمر 7 إلى 14 عاماً يكون الارتباط قوياً مع الأب. الفهم الشاقولي للعالم. بناء الشخصية، بحيث يصبح الأب الشريك الجديد المميز، والحليف في اكتشاف العالم خارج شرنقة العائلة، ويقوم الأب بتوسيع الشرنقة العائلية الحامية فيبرز الأب كركيزة أساسية. حظيت الأم بالحب، يجب أن يحظى الأب بالإعجاب.**

**من عمر 14 إلى 21 عاماً. ثورة ضد المجتمع. فهم المادة. يبدأ البناء العقلي، ويعيش الإنسان أزمة المراهقة بحيث يرغب بتغيير العالم وهدم**

البُنى القائمة، ويهاجم الشرنقة العائلية، ومن ثم المجتمع بصورة عامة. يكون المراهق مغوياً بكل ما هو «تمرّدي»، موسيقا عنيفة، وسلوك رومانسي، ورغبة بالاستقلال، والهروب، والانتماء لمجموعات من الشبان المهمّشين، والانضمام لمعارضي السلطة، ونشويه منهجي للقيم القديمة. تنتهي المرحلة بالخروج من شرنقة العائلة.

من عمر 21 إلى 28 عاماً. الانخراط في المجتمع. استقرار بعد الثورة. حين بفشل الإنسان في تدمير العالم ينخرط فيه رغبة منه بالقيام بأفضل ممّا قام به الجيل السابق، ويتجلّى ذلك في: البحث عن مهنة أكثر إثارة للاهتمام من مهنة الأهل، واختيار مكان للعيش أكثر إثارة للاهتمام من منزل الأهل، ومحاولة تكوين علاقة عاطفية أكثر سعادة من والديه، واختيار شريك(ة) وبناء أسرة. يبدأ بعدها ببناء شرنقته الخاصة. تنتهي هذه المرحلة بشكل عام بالزواج.

يكون الإنسان حينها، قد أتمّ مهمته وأنهاها ببناء أول شرنقة حامية.

نهاية المربع الأول لِـ 4 × 7 أعوام.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 175. جاك– 26 عاماً

اليوم هو عيد ميلادي. أغلقت على نفسي المرحاض ورحت أسترجع حياتي. وأنا في عمر السادسة والعشرين، فشلت في كلّ شيء؛ لم أؤسس عائلة، وليس لديّ حبيبة، وليس لديّ أطفال، أعيش وحيداً كجرذ مستقل ولكن وحيد. صحيح أنّني أزاول المهنة التي أحبها أكثر من أيّ شيء، ولكن لا أستطيع القول إنّني نجحت في عالم الكتابة.

ماتت موناليزا II بسبب ارتفاع نسبة الكوليسترول في جسمها، فقمت بدفنها جانب موناليزا الأولى.

إنّ موناليزا III أكثر بدانة أيضاً من سابقتها. لديها الكثير من الدهون على قوائمها (لم يسبق أن رأى الطبيب البيطري مثل هذا إطلاقاً). تحب موناليزا III معانقتي. نشاهد التلفاز معاً حيث يُعرض برنامج أدبي يناقش

في هذا الأسبوع موضوع «الأدب الحديث»، والضيف النجم لهذه الحلقة هو ميريناك مجدداً.

يصرّح أنّه يعاني أحياناً من مخاوف وجودية ويطرح الكثير من الأسئلة على نفسه. أعتقد أنّه يقول ذلك من باب التباهي والتفاخر، فميريناك لا يطرح الأسئلة على نفسه، لأنّه سبق ووجد جميع الإجابات. تهمس موناليزا III بشيء ما في أذني. هذا يشبه «مياو» ولكنّني أعرف أنّها تخبرني بأنّها جائعة.

– على رسلك يا موناليزا III، لقد سبق وتناولت ثلاث علب خليط كبد وقلب البط!

– مياو، أجابت القطة بإلحاح.

– لم يعد يوجد طعام، كما أنّها تمطر!

– مياو، أصرّت القطة.

من الطبيعي أن تصرّ... فليست هي من سيخرج في البرد والمطر بحثاً عن متجر ما يزال مفتوحاً في هذا الوقت. أعتقد أنني أحتال على نفسي بالعيش مع القطط، فما ينقصني هو شريكة بشرية. بدأت أعي أنّني أنا سبب المشكلة، فأنا من اخترت فتيات معقدات يوصلنني دائماً إلى طريق مسدود. ولكن كيف لي أن أعيد برمجة نفسي من جديد؟

تصرّ موناليزا III على المواء. أطفأت التلفاز وارتديت واقياً للمطر فوق البيجاما وخرجت باحثاً عن معلبات للقطط. حيّاني بعض الجيران الذين لم يقرؤوا بتاتاً أيّاً من كتبي، ولكن بما أنّه يتم تقديمي على أنّني كاتب خيال علمي، فقد أصبحت وجهاً مثيراً للاهتمام في الحي.

وجدت متجر الزاوية الكبير مغلقاً، وفي البقالية لم يعد هناك معلبات «بكبد وقلب البط»، لم يبق سوى المعلبات «بسمك الطون والسلمون مع صلصة الكاري». أعرف موناليزا III جيداً، عدا عن «كبد وقلب البط»، لا تقبل قطتي سوى «سمك الوراطة المحشو بالكافيار». يوجد منه ولكنّه غالي الثمن.

لا أجرؤ على العودة خالي الوفاض. إنّ علبة «سمك الوراطة المحشو بالكافيار» تغيظني. حسناً، بما أنّ اليوم هو عيد ميلادي، وبما أنّني سوف

أمضيه وجهاً لوجه مع قطتي، فلنحتفل به سوية. اشتريت المعكرونة لنفسي، وماذا بشأن الحلوى؟ سأجلب حلوى الجزر العائمة. وأنا أهمّ بإمساك القطعة الأخيرة التي بقيت في رفوف «الحلوى الطازجة» وإذ بيد أخرى تمسك العلبة ذاتها. دون تفكير، سحبت العلبة بقوة أكبر لناحيتي. وبعد فوزي استدرت لأرى من يكون خصمي هذا، فإذ بفتاة شابة تتفحصني بعينين جاحظتين.

- ألستَ جاك نيمرود؟

أومأت برأسي.

- الكاتب جاك نيمرود؟

تبادلنا النظرات. لاح وجهها بابتسامة عريضة ومدّت لي يدها.

- أنا نتالي كيم. لقد قرأت جميع كتبك.

دون أن أعي تراجعت خطوة للخلف فاصطدمت بشيء ما قاسٍ سقط على ظهري. وإذ بجبل من العلب الصغيرة ينهار بأكمله فوقي.

## 176. فينوس - 26 عاماً

يجب أن أجده. يجب أن أجده. يجب أن أجده. لا يوجد اسم الطبيب رايموند لويس في دليل أرقام أطباء لوس أنجلوس، ولا نيويورك. اتصلت بخدمة الاستعلامات التي تغطي البلد بأكمله، ولم تتأخر الإجابة. هناك طبيب توليد اسمه رايموند لويس في دينفير في مقاطعة كولورادو.

أخذت طائرة ومن ثمّ استقلّيت سيارة أجرة وها أنا ذا أمام منزل فخم في شارع فخم أيضاً. هرعت إلى الجرس. آمل أن يكون هنا. آمل أن يكون هنا. آمل أن يكون هنا.

سمعت صوت خطّى تقترب، فتح الباب لي رجل قصير أصلع يضع نظارات سميكة. على الأرجح أنّه سبق وشاهدني في السينما لأنّه بقي مكانه يتأملني مندهشاً.

- أرغب بالتحدث معك. هل أستطيع الدخول لو سمحت؟

أقل ما يمكن قوله هو أنّه متفاجئ.

خلع نظاراته كاشفاً عن نظرة في منتهى الرقة ومرّر منديلاً على جبهته المتعرّقة.

– دكتور لويس، لقد «أكّدوا» لي أنّك تستطيع حلّ مشكلتي التي أعاني منها منذ الطفولة، كما قالوا لي إنّك الوحيد في العالم القادر على مساعدتي.

قرّر التراجع خلفاً والسماح لي بالدخول. دعاني للجلوس على أريكة في الصالون، أخرج بعدها زجاجة ويسكي وعوضاً عن تقديم كأس لي، قام بابتلاع رشفتين. لم يتسنّ لي الوقت لأفتح فمي فسرعان ما أعلن لي أنّني امرأة حياته. منذ أن لمحني أول مرة في التلفاز، «عرف» أنّه معي، أنا ولا أحد غيري، يجب أن يكمل بقية حياته. إنّه يفكر كل مساء بي في غرفته المكتظة بصوري. تباً، آمل ألّا يكون قد حصل على صوري في روزنامة سائقي الشاحنات.

فجأة، خامره الشك، سألني إن كنت فينوس شيريدان أم شبيهتها. ومن ثمّ ركض إلى النافذة ليتحقق أنّه لا وجود لكاميرا خفية في الشارع وأنّه ليس ضحية برنامج مفاجآت. طمأن نفسه بعد أن ابتلع كأسين كبيرتين جديدتين من الويسكي.

– لم أجرؤ حتى على الحلم بهذه اللحظة أبداً. حتى في أقصى تخيلاتي المجنونة، لم أتخيل إلّا أنّني أقترب منك في وسط حشد من الناس للحصول على توقيعك، لا أكثر.

لا يمكن ألّا أتأثر أمام هذا الكم من الاهتمام والاحترام. أجد هذا الرجل مؤثراً. إنّه يحدّق بي كما لو أنّه أمام ظهور عجائبيّ. ما إن يعود للتنفس بشكل طبيعي سوف أطرح عليه أسئلتي.

– لن تصدّق الظروف التي قادتني إليكَ. ولكنّني سأكون واضحة، ولا أرى فائدة سوى قول الحقيقة لشرح كلّ ما جرى. لقد تمكنت من التواصل مع ملاكي الحارس عن طريق وسيط روحي، فقال لي إنّك كنت تعاني المشكلة ذاتها التي أعاني منها، وإنّك الوحيد القادر على حلّها، لهذا السبب قطعت ألفاً ومائتي كيلومتر للقائك.

لا يزال الطبيب لويس مرتبكاً ولكنّ الويسكي تساعده على استعادة رباطة جأشه. ومع ذلك قال متلعثماً:

– ملاكك... ملاكك الحارس نصحكِ... بالقدوم لرؤيتي!

في هذه اللحظة، أدركت مدى حماقة ما قمت به. يا فينوس المسكينة، أيّ غباء أوصلك إلى هذا المستوى. يكفي أن يتفوّه وسيط روحي سخيف بأيّة ترهات كي أنجرّ وراءه بكلّ بساطة. ولكن لديك أعذارك، أعترف لكِ بهذا، فصداعك النصفي لا يحتمل وحتى الآن، لم يكن قد اقترح عليكِ أيّ أحد حلاً لهذه المشكلة.

– ملاك، ردّد الطبيب لويس بوقار.

– بالطبع، ألا تؤمن بالملائكة؟

– لم يسبق لي أن طرحت هذا السؤال على نفسي أبداً، ولكن لا يهمّ من أرسلك طالما أنّه يسمح لي بعيش هذه اللحظة المذهلة.

آن الأوان للعودة إلى النقطة المهمة قبل أن يعود إلى أحلام يقظته. فقلت له:

– أنا مريضة. هل تستطيع أن تشفيني؟

استعاد وجهه ملامحه الجدية. تغلّب الطبيب في داخله على المعجب.

– أنا لست طبيباً عاماً، أنا طبيب توليد ولكنّني سأبذل قصارى جهدي لأساعدك. ما هي مشكلتكِ؟

بما أنّه لم يفكر بعد بتقديم كأس من الويسكي لي، قمت بخدمة نفسي بنفسي، فملأت قدحاً وابتلعت جرعة قبل أن أتجرّأ على لفظ الكلمة البغيضة.

– الصداع النصفي.

– الصداع النصفي؟

حدّق بي قليلاً وفجأة لاحت ابتسامة عريضة على وجهه الذي كان حتى تلك اللحظة كالحاً. كما لو أنّ وحياً مرّ في ذهنه وصار بالنسبة له حضوري غير المتوقع إلى منزله أمراً بديهياً. تحدثنا طوال الليل.

منذ طفولته المبكرة، وقع رايموند لويس مثلي، فريسة لصداع نصفي رهيب، وصل به الحال إلى ضرب رأسه بالجدران. ومن ثم بشكل حدسي أو مدفوع من قبل ملاكه الحارس، درس الطب مختاراً اختصاص التوليد.

أصبح طبيب توليد شغوف بحالات التوائم. غالباً ما يحدث برأيه تخصيب بويضتين في آن معاً. ولكن من النادر أن يكملا حتى النهاية. بشكل عام، في نهاية الأشهر الثلاثة الأولى، يطرد جسد المرأة واحداً منهما.

يملك رايموند الكثير من الأشياء ليرويها. قال إنّه في أحد الأيام، قام بسحب طفلين من بطن أمهما، الأول حي، والآخر ميت. منذ ذلك الحين وهو مهتمّ بظاهرة أخرى غير معروفة جداً، وهي ظاهرة التوائم «المعطي - الآخذ». يبدو لي أنّني أعرف مسبقاً هذه الكلمة، ومع ذلك تركته يُسهب في حديثه.

- في الحالة الطبيعية، يكون التوأم مرتبطين مباشرة بوالدتهما ولا يوجد ارتباط بينهما. ولكن، يحدث أحياناً أن يظهر وريد فرعي صغير يربط بينهما بشكل مباشر. وبالتالي، فهو ليس تواصلاً بسيطاً بل تبادلاً للسوائل المغذية. وبفضل هذا الاتصال، تنشأ بينهما رابطة أقوى بكثير من تلك التي تنشأ بين توأمين طبيعيين. بيد أنّه منذ الشهر السادس أو السابع من الحمل، تجلب هذه العلاقة الموت لأحدهما. في هذه المرحلة يبدأ واحد منهما بتدمير الآخر ساحباً منه كل السوائل المغذية.

كلّي آذان صاغية. كل جملة يقولها رايموند تستحضر فيّ حقيقة سبق وأن شعرت بها.

- أحدهما «يمصّ دم» الآخر، ولهذا نتحدث عن توأم معطي - آخذ، يأخذ التوأم الذي بقي حياً جميع صفات التوأم الميت ويولد بصحة وحجم أفضل بكثير من متوسط حجم أقرانه. عليكِ أن تسألي أمك إن كان الأطباء قد وجدوا طفلاً ميتاً بجانبك أثناء الولادة.

لا أتجرأ على فهم المقصود.

- ولكن ما علاقة هذا بالصداع النصفي؟

- الكلمة ذاتها تعطيك المعنى. (Migraine)[1]. ما يثير أوجاعك هي ذكرى النصف الآخر من بذرتك، أي أخوكِ التوأم أو أختكِ التوأم.

## 177. موسوعة

**الدورة السباعية. (المربع الثاني 4 × 7): انتهى المربع الأول ببناء الإنسان شرنقته الخاصة، ليدخل بعدها إلى المجموعة الثانية من دورة السباعيات.**

---

1- Mi بالفرنسية تعني: نصف. Graine تعني: بذرة. المترجمة.

28–35 عاماً: تعزيز الأسرة. بعد الزواج والمسكن والسيارة يأتي الأطفال. تتراكم الممتلكات داخل الشرنقة، ولكن إن لم تكن الدورات الأربع الأولى صلبة البناء فسوف تنهار الأسرة. إن لم يعش الفرد علاقة سليمة بما يكفي مع الأم، فسوف تأتي لتخرّب حياة كنّتها. إن لم يعش الفرد أيضاً علاقة سليمة مع والده، فسوف يتدخل ويؤثر على الزوجين. إن لم تتم تسوية التمرد ضد المجتمع، سيكون هناك خطر الصراع في العمل. إنّ عمر الخامسة والثلاثين هو غالباً العمر الذي تفسد فيه الشرنقة غير الناضجة جيداً. لذا يحدث الطلاق، أو الفصل من العمل، أو اليأس، أو الأمراض النفسية – الجسدية. لذلك يجب التخلي عن الشرنقة الأولى و...

35–42 عاماً: يُعاد كلّ شيء من الصفر. بمرور الأزمة، يكون المرء قد تعلّم من تجاربه وأخطائه الأولى، فيعود ويبني شرنقة جديدة. يجب مراجعة العلاقة مع الأم والأنوثة، والأب والرجولة. هذا هو الوقت الذي يكتشف فيه الرجال المطلقون العشيقات وتكتشف النساء المطلقات العشاق. يحاولون فهم ما يريدونه بالضبط، ليس من الزواج، وإنّما من الجنس الآخر.

يُعاد النظر أيضاً بالعلاقة مع المجتمع. لهذا يكون اختيار الإنسان للمهنة في هذه المرحلة ليس متعلقاً بالضمانات التي تقدمها، بل لما فيها من متعة أو لما توفره من أوقات فراغ للشخص. بعد هدم الشرنقة الأولى، يحاول الإنسان دائماً بناء شرنقة ثانية بالسرعة القصوى. زواج آخر، أو مهنة جديدة، أو سلوك مختلف. إن تخلّص بشكل صحيح من العناصر التي عرقلت سير الشرنقة الأولى، يجب أن يكون قادراً ليس على بناء شرنقة شبيهة وإنّما شرنقة مطوّرة ومحسّنة. إن لم يفهم أخطاء الماضي، سوف يعيد بناء القالب ذاته تماماً كي يصل إلى الفشل السابق نفسه. وهذا ما يسمى بالدوران في حلقة مفرغة. ولذلك، لن تصبح الدورات سوى تكراراً للأخطاء السابقة ذاتها.

42–49 عاماً: الانخراط في المجتمع. ما إن تُبنى شرنقة جديدة أكثر صحة، يستطيع الإنسان أن يعرف معنى الاكتفاء في علاقته، وأسرته، وعمله، وازدهاره الشخصيّ. هذا النصر يفضي إلى سلوكين جديدين.

إمّا أن يصبح المرء متعطشاً أكثر لعلائم النجاح المادي مثل: المزيد من

الأموال، أو المزيد من الراحة، أو المزيد من الأطفال، أو المزيد من العشيقات أو العشاق، أو المزيد من السلطة، ولا يتوقف المرء عن توسيع وإثراء شرنقته الجديدة والسليمة.

أو ينطلق نحو أرض جديدة لغزوها واستكشافها، وهي أرض الروح. حينها يبدأ البناء الحقيقي للشخصية. يجب أن تنتهي هذه المرحلة، منطقياً، بأزمة هوية، بتساؤل وجودي، لماذا أنا هنا؟ لماذا أعيش، ماذا عليّ أن أفعل لأعطي معنًى لحياتي أبعد من الراحة المادية؟

49-56 عاماً: ثورة روحية. إذا نجح الإنسان في بناء شرنقته وتحقيق ذاته في عائلته وعمله، سيحاول بشكل طبيعي البحث عن شكل من أشكال الحكمة. وابتداء من تلك المرحلة، يبدأ مغامرته العظمى، وهي الثورة الروحية.

إنّ السعي الروحي، إن تمّ بكل أمانة، دون الوقوع في فخّ الجماعات أو الأفكار الجاهزة مسبقاً، لن يتمّ إشباعه مطلقاً، وسوف يحتل بقية وجوده.

نهاية المربع الثاني أي 4×7 أعوام.

ملاحظة 1. يتتابع التطور بعدها على شكل حلزوني. كل سبعة أعوام، يرتقي المرء درجة للأعلى بمروره بالمربعات ذاتها: علاقته مع الأم، علاقته مع الأب، علاقته مع الثورة ضد المجتمع، علاقته ببناء الأسرة.

ملاحظة 2: في بعض الأحيان، يفشل المرء عمداً في علاقته الأسرية أو في العمل بغية أن يضطر لإعادة الدورة. وبالتالي فهو يؤخر أو يتجنب اللحظة التي يكون فيها ملزماً بالمرور إلى المرحلة الروحية لأنّه يكون خائفاً من مواجهة نفسه في النهاية.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 178. مشكلة بسيطة

عند العودة، استلمت مارلين مونرو القيادة على رأس المعين. وجّهت لنا إشارة، بعد أن ظهرت لها في البعيد أشكال مشبوهة.

تباً، إنّها أرواح تائهة!

تكاثرت هذه النقط الفاتحة. إنّنا أمام جيش من الأرواح التائهة قد احتشد هنا!

– أوه، أوه، أوه، قال فريدي، لجنة الاستقبال هذه ليست مألوفة لديّ.

– هل نستدير ونعود؟ اقترحت مارلين مونرو.

تبدو العديد من الوجوه التاريخية على رأس الجيش المعادي. فهنا سيمون دي مونتفورت، مروّع جماعة الكاثار[1] الدينية، وعلى يساره توركيمادا المحقق الشرس، وآل كابوني مع عصابته ذات القبعات. ما هذه الشخصيات الجميلة!

حاول الحاخام ماير التشاور معهم وسؤالهم عمّا يريدونه منا. وحينها خرج إلى مقدمة هذه الجماعة البائسة شخصية أعرفها حسن المعرفة: إيغور. إنّه «صغيري» إيغور. ما الذي تفعله هنا؟ قلت مرعوباً، لقد مات أثناء غيابي!

– إيغور كيف استطعت؟...

نظر إليّ دون شفقة.

– آه أنت، أنت المدعو مايكل بينسون. لقد كنت ملاكي الحارس ولم تتمكن من إنقاذي. هذا ما أصبحت عليه بسبب خطئك!

قلت مستاءً:

– لقد حاربت من أجل بقائك حياً! وحققت كلّ أمنياتك. لقد أنقذتك من مصائب لا تعدّ ولا تحصى.

– لقد فشلت. والدليل أمامك هنا.

– أنتَ من توقفتَ عن الإصغاء لتعليماتي!

– لم يكن عليك سوى أن تكون واضحاً، قال ساخراً. أعرف الآن أنّك تخليت عني بحقارة كي تشبع طموحاتك المجنونة بالاستكشاف. أين كنت حين كنت أعاني؟ أين كنت عندما كنت أتضرّع إليك؟ على كوكب بعيد،

1– الكاثار في اليونانية تعني الطاهر. حركة دينية لها جذور غنوصية ظهرت في منتصف القرن الثاني عشر وانتشرت في معظم أوروبا الغربية. حاربتها الكنيسة الكاثوليكية معتبرة إياها خارجة عن الدين المسيحي. المترجمة.

نعم، كنت في طور التباهي والتبختر! أنا حاقد عليك، لا يمكنك أن تعرف إلى أيّة درجة أحقد عليك!

تغيّرت ملامح وجهي. سبق وأنبأني إدموند ويلز أنّه سيأتي اليوم الذي سأخضع فيه للمساءلة وجهاً لوجه وبشكل مباشر من قبل موكليّ.

– أقبل بالاعتراف بأخطائي، ولكن تعلّم أنت أن تسامح.

– أسامح! كم هذا سهل. أنا لست ملاكاً مثلك!

يجب القول إنّني لطالما كنت قلقاً على إيغور. لقد أشفقت عليه كثيراً حينما أرادت أمه قتله، وحينما كان في الملجأ، وفي مركز إعادة تأهيل الأحداث، وفي المصح العقلي، وفي الجيش. أمّا الآن فها هو قد أصبح خصمي المباشر.

أخبرنا إيغور أنّ الأرواح التائهة سئمت من التجوال إلى ما لا نهاية على الأرض. لهذا رأت أنّ الذهاب إلى كوكب آخر قد يمكّنها أخيراً من تغيير بعض ظروفها.

– أنتم أرواح تائهة هنا، وستكونون أرواحاً تائهة هناك، في ذاك الكوكب، أشارت مارلين مونرو.

– هذا ما سيتمّ التحقق منه. فمن ناحيتي، أنا على قناعة أنّ الظروف ستكون مختلفة هناك.

– ما الذي تأملونه؟ سألهم راؤول.

– هزيمتكم وتحويلكم إلى ملائكة مخلوعين. لقد جنّدنا فعلياً بعض الملائكة في صفوفنا. عندما ستنضمون لنا، ستقودوننا بطواعية أكثر نحو كوكبكم الغامض.

– كنت أظنّ أنّ الملائكة يُخلعون إن مارسوا الحبّ مع النساء الأرضيات.

– إنّها واحدة من طرق الوقوع في الظلمة ولكن يوجد غيرها الكثير...

انفصل الملائكة المخلوعون عن صف الأرواح التائهة ليحلّقوا فوقهم ويقودوهم من زاوية رؤية عالية.

– لن يكون هذا سهلاً. تمتم فريدي.

– ماذا لو عدنا أدراجنا؟ اقترحت من جديد مارلين مونرو، وهي غير مطمئنة كثيراً.

– لم نعد نملك الخيار. قال فريدي ماير. إن هربنا فسوف يطاردوننا ويهاجموننا من الظهر. إضافة إلى أنّ تراجعنا سوف يمنحهم طاقة مضاعفة. لنواجههم إذاً.

إنّهم يقتربون. تشكل الأرواح التائهة بمواجهتنا جيشاً متنوع العناصر ففيه صفوف الفرسان المدرّعين، والساموراي، والنساء اللواتي سمّمن الكثير من الأشخاص في بلاط لويس الرابع عشر، وقتلة متسلسلون، ويائسون لا يملكون شيئاً ليخسروه. إنّ هؤلاء هم فوق كل خوف. لقد تراكمت عليهم الكثير من الخطايا في حيواتهم السابقة لدرجة أنّهم يحتاجون لآلاف السنين من التجسدات ليحسنوا مستوياتهم. فوق ذلك، فإنّ الملائكة المخلوعين إلى جانبهم يحرضونهم أكثر ضدنا.

لقد أصبحوا الآن قريبين جداً. يحثّهم سيمون دي مونتفورت على الاصطفاف بانتظام. لا أفهم لماذا يعتبروننا مخيفين إلى هذه الدرجة كي يأتونا بكلّ هذه العدة والعتاد. سيضطر كلّ واحد منّا أن يحارب مائة منهم.

– ستكون هذه معركة هرمجدون[1]، قال الراهب المخيف توركيمادا.

– هيّا للهجوم! أمر إيغور.

## 179. فينوس – 26 عاماً

رايموند لويس. ما زلت لا أستطيع أن أصدق ذلك، ولكن ما إن رأيته حتى أدركت أنّ هذا الرجل قد خُلق من أجلي. إنّه لطيف، ورقيق، وذكي، ويحبني كثيراً.

أرغب أن أنجب أطفالاً منه.

أصلّي من أجل ذلك.

## 180. معركة هرمجدون 2

طوّقتنا الأرواح التائهة. حاولنا فهم آلامهم كي نريحهم، كما سبق وفعلنا في الماضي مع الإنكا، ولكنّ هذه الأرواح تبدو غير قادرة حتى على

---

1– ذكرت في الكتب المقدسة إشارة إلى المعركة التي ستقع في نهاية الزمان بين قوى الخير وقوى الشر. المترجمة.

الإحساس بتعاطفنا. بعد هجومهم الأول لاختبار مقاومتنا، تجمّعت الأرواح من جديد لهجوم جديد.

- هذه المرة لن يكون التعاطف كافياً، أكد راؤول. يلزمنا سلاح أعتى من هذا.

درس فريدي ماير الوضع ومن ثم قال:

- الحب! لنستخدم الحب. إنّهم مثل الأطفال المعنفين، لم يعتادوا أن يكونوا محبوبين، وتراهم يستمرون بفعل الحماقات مباشرة بعد تعرضهم للضرب لأنّهم لا يأبهون لذلك ولأنّ هذا عاديّ في حياتهم. وكالأطفال المعنفين على الدوام، إن أحببناهم سيتفاجؤوا بذلك.

أنا وراؤول وفريدي ومارلين عانقنا بعضنا بعضاً. فأضاءت راحات أكفّنا. انبثق شعاع من النور من أيادينا اليمنى (عدا مارلين التي انبثق الضوء من يدها اليسرى) وأصبحنا جاهزين لإشباع رعيل الأشباح بماء حبنا.

- اهجموا! أمر إيغور.

اندفعوا في صفوف مكتظة. فنزلت أشعة نور حبنا كالسهام عليهم، وفي الواقع، لقد شتتهم حبنا. تجمّدوا في أماكنهم في حالة من الدهشة الكلية. قام بعضهم بالانضمام إلينا، ولم يعد أمامنا سوى أن نترك لهم الدخول فينا كي نرسلهم باتجاه الجنة حيث سيستأنفون دورتهم في التجسدات. وهكذا قمنا بالإيقاع بعشرة منهم تقريباً.

أمر إيغور قواته بالانسحاب. تجمّعت الأرواح من جديد وقرروا تطوير سلاحهم الشخصي للتصدي لحبنا وهو: الكراهية.

كمحارب متمرس، وضع إيغور الأرواح التائهة الأكثر توحّشاً في طليعة الهجوم. إنّنا ننقض عليهم بسيوف الحب والضوء لمقاومة هجوم كراهيتهم. لقد حشدوا كلّ مشاعر الضغينة، وجميع ذكريات معاناتهم في حياتهم الأخيرة لإنتاج أشعة خضراء من الكراهية الصافية التي تتبارز بضراوة مع أشعة حبنا الزرقاء.

إنّهم شرسون. يتوجب علينا الجمع بين أربع طلقات حب لنستطيع هزيمة رمح كراهية واحد. إنّ المعركة حامية الوطيس. ها نحن نتراجع تحت ضربات الأشعة الخضراء، في حين أنّ إيغور يجهز بالفعل للهجوم التالي.

– نحن بحاجة لسلاح دفاعيّ آخر، قال راؤول، وإلّا فسوف ينجحون بإصابتنا بكراهيتهم.

بادرت هذه المرة بدلاً عن فريدي بالاقتراح:

– الفكاهة. الحب سيكون سيفنا، والفكاهة درعنا.

كانت الأشباح قد وصلت إلينا فعلياً عندما، وبإشارة مني، جسّدنا بأرواحنا دروعاً من الفكاهة التي أمسكناها بقوة بأيدينا اليسرى (عدا مارلين مونرو التي أمسكت درعها بيدها اليمنى لسبب ذُكر آنفاً).

هذه المرة، لم تلمسنا كراهيتهم، فقد حرفتها دروعنا. فيما راح حبنا يودي بهم، ابتلعت دوامة الجنة خمسين روحاً تائهة من بين أقوى الأرواح. عاد الأمل لمارلين مونرو، فصرخت بأعلى صوتها بجملة سوف تصبح شعارنا الجديد الذي يجمعنا:

– سيفنا الحبّ والفكاهة درعنا!

أعلن إيغور التراجع. تجمّعت على الفور أرواح الظلام حوله ليقرروا ما سيكون السلاح الذي سيصدّ فكاهتنا، إنّه: الاستهزاء.

شعارهم الآن: سيفنا الكراهية، والاستهزاء درعنا.

– هجوم! صرخ إيغور.

بدؤوا يلقمون أسلحتهم.

## 181. موسوعة

أسلحة: «سيفنا الحبّ والفكاهة درعنا».

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

*إضافة غريبة من مايكل بينسون.*

## 182. معركة هرمجدون 2 (تتمة)

إن خسرنا المعركة واكتشفت هذه الأرواح التائهة الكوكب الأحمر، سوف تنتشر أفكارهم السوداء مثل الفيروسات في الكون. ولن يكون أمامهم بعد ذلك سوى أن يزوروا المجرات واحدة تلو الأخرى لتلويث كلّ شيء.

التحدي ليس بسيطاً. الآن فقط فهمت لماذا أراد مرشد زوز أن نلزم الصمت حيال الشعوب الفضائية. حتى لو أنّ زمن الأسرار قد ولّى، ولكنّ بعض المعلومات يجب ألّا تُعطى إلّا بالتقتير شيئاً فشيئاً.

جيش أرواح الظلام يتقدم. إنّه سِفر نهاية العالم. تتردّد في مسمعي موسيقا *كارمينا بورانا* لكارل أورف. ما الذي يجول في خاطرهم؟ عوضاً عن الانخراط في مواجهة مباشرة، توقفوا على مسافة وصوّبوا علينا أذرعتهم الممدودة مثل البنادق.

- نار! أمر إيغور.

بالكاد تمكنا من الاحتماء خلف دروع فكاهتنا. نفذنا هجوماً مضاداً برشقة من نيران محبتنا التي تجنبوها بسهولة خلف حاجز سخريتهم.

كان قد تشكل في الوقت ذاته رتل ثان من اليائسين والمجانين الذين لا ينفع معهم الحبّ ولا الفكاهة.

- هجوم! أعلن إيغور.

رشقة من الكراهية المدعّمة (بالعتاهة) تصطدم وتُحني دروع فكاهتنا. من الصعب على أربعتنا مواجهة مثل هذا الجمع. يسخر المجانين منا ويجد إيغور أنّ الاستهزاء لا يجدي فقط بكونه سلاحَ دفاع، بل يمكن استخدامه أيضاً للهجوم. لذا ارتأينا استخدام دروعنا لتشكيل ساتر يشبه درع السلحفاة، فراحت سهام سخريتهم ترتدّ عنه.

تعرّضت مارلين مونرو لإصابة طفيفة على إثر ملاحظة شخصية مسيئة، كونها لم تثبت درعها الفكاهي جيداً. لم تحتمل في حياتها أن يُشكّك أحد بموهبتها الفنية. لذا توجّب على فريدي أن يرفع من معنوياتها. قمنا بتسليح أيدينا بكامل طاقة حبنا. راح كلّ واحد منا يفكر بأجمل الأشياء التي حصلت معه في حياته السابقة. فتذكرت الحب الذي جمعني بروز، زوجتي في آخر حياة تجسّدتُها.

- اهجموا! كرّر إيغور.

ثبتنا دروعنا وأطلقنا الحب برشقات على الكماشة التي جاءت لتحاول خنقنا. لقد نجحنا، لم يبق سوى أن نمتصّ هذه الأجسام الأثيرية. إنّها تدخل

من أسفل ظهورنا، وتصعد عبر العمود الفقري غير المحسوس، ولم يتبقّ سوى أن نخرجها الآن من أعلى الرأس. إنّ أعمدتنا الفقرية التي هي ممرات الإطلاق نحو الجنة، مليئة الآن بالأشباح الواجب إنقاذها. ولكنّنا نواجه في هذه الأثناء، صعوبة في حماية خاصرتنا من هجمة جديدة قامت بتفريقنا.

بعد تفرّقنا، صرنا ندافع بصعوبة عن أنفسنا بعد أن دخلنا في عراك فردي مباشر. ضربة من الفكاهة للحماية، وضربة من الحب للهجوم، وضربة من العمود الفقري لإخراجهم إلى الجنة.

– اصمد يا مايكل، يشجعني راؤول، وهو يخلّصني من ملاك مخلوع أسود متشبث بظهري.

لقد وصل في الوقت المناسب. إنّ هذا الملاك المخلوع أقوى بكثير من الأرواح التائهة، وقد كاد يزعزع استقراري الداخلي بجعلي أستعيد الذكريات الأكثر إيلاماً في حياتي السابقة. المشكلة أنّ الأعداء المهزومين عند عبورهم في أجسادنا، يضعفون عزيمتنا بإيصال أوجاعهم إلينا.

ظهرت تعزيزات للعدو أمامنا، إنّهم عدة عشرات بدؤوا بمحاصرتنا.

– ماذا نفعل كي نضاعف حبّنا أكثر؟

– أغلقوا عيونكم برهة، نصحنا فريدي الذي قام في ومضة مدهشة بإرسال صور لأجمل ما حققته البشرية جمعاء.

الرسوم الصخرية في كهوف لاسكو الفرنسية، ومكتبة الإسكندرية العظيمة، وحدائق سميراميس المعلقة، وتمثال رودس العملاق في اليونان، واللوحات الجدارية في دندرة المصرية، ومدينة كوزكو في البيرو، ومدن المايا، وكتاب العهد القديم، والعهد الجديد، ومبدأ عمل مفاتيح البيانو، ومعابد أنغكور في كمبوديا، وكاتدرائية شارتر في فرنسا، ومقطوعة *توكاتا* لجان سيبستيان باخ، ومقطوعة *الفصول الأربعة* لفيفالدي، وأهازيج الأقزام في أفريقيا، ومقطوعة *القداس* لموزارت، ولوحة *موناليزا* لليوناردو دافنشي، وصلصة المايونيز، وحق التصويت، ومسرح موليير، ومسرح وليام شكسبير، وأوركسترا الطبول لسكان باليون في أندونيسيا، وبرج إيفل، وطبق دجاج التاندوري الهندي، وطبق السوشي الياباني،

وتمثال الحرية في نيويورك، وثورة غاندي السلمية، والنظرية النسبية لألبرت أينشتاين، ومنظمة «أطباء بلا حدود»، وسينما الممثل والمخرج الفرنسي ميليس، وشطائر البسطرما والمخلل، وجبنة موتزاريلا الإيطالية، وسينما ستانلي كوبريك، وموضة التنانير، وموسيقا الروك أند رول، وفرقة البيتلز، وفرقة جينيسيس، وفرقة ييس، وفرقة بينك فلويد، ودعابات فرقة مونتي بايثون للمسرح الكوميدي، وفيلم *النورس جوناثان ليفينجستون* وموسيقاه للمؤلف نيل دياموند، وأول ثلاثية *لحرب النجوم* مع الممثل هاريسون فورد، وكتب فيليب ك. ديك، ورواية *الكثبان* لفرانك هيربيرت، ورواية *سيد الخواتم* لتولكين، وأجهزة الحواسيب، ولعبة «سيفيليزيشن» من تصميم سيد ماير، والمياه الساخنة... مئات الصور تدفقت إلى ذاكرتنا، جميع الأدلة على عبقرية الإنسان ومساهمته في هذا الكون. كم سيدفع سكان كوكب الأحمر غالياً كي يضيفوا عجيبة واحدة فقط من هذه العجائب لحضارتهم!

– أنا لا أفهم يا فريدي، أنت من قلت لي إنّ البشرية لا تستحق أن ينقذها أحد...

– الفكاهة –التناقض– التغيير. أستطيع بكل ثقة ألّا أعلّق أيّ أمل على البشرية وأكون في الوقت ذاته مدركاً لكلّ النجاحات التي حققتها.

بدأ إيغور يحفّز قواته. وكي يشجعهم من جديد، استخدم الأسلوب ذاته للحاخام الألزاسي، ولكن عكسه تماماً. فقد أرسل لكائنات الظلام وأرواحه التائهة صور الحروب القبلية البدائية، وقطاعي الطرق الرئيسية الذين بنوا قلاعهم بالنهب والسرقة، والقذائف الأولى للمدفعية، وحريق مكتبة الإسكندرية العظيمة، وعنابر السفن التي كانت تغصّ بالزنوج المحكومين بالعبودية، والمافيا، والحكومات الفاسدة، والحروب البونيقية، وحرائق قرطاج، ومذبحة سان بارثيلمي بحق البروتستانت في فرنسا، وخنادق فردان في فرنسا، والمجزرة الأرمنية، ومعسكر أوشفيتس النازي، ومعسكر تريبلينكا ومايدينيك النازي، و«تجار المخدرات» الذين يتجمعون على سلالم الأبنية، والهجوم الإرهابي في ميترو باريس، والبحيرات السوداء بسبب التلوث حيث تغرق فيها الطيور ميتة، وضباب التلوث فوق المدن الحديثة، والبرامج

التلفزيونية الغبية، والطاعون، والجذام، والكوليرا، والإيدز والمزيد المزيد من الأمراض الجديدة.

يدعوهم إيغور لاستحضار كلّ معاناتهم، ومصائبهم وإخفاقاتهم كي يرموها في وجوهنا لحظة الهجوم. إنّهم ينقضون علينا ممتلئين بالكراهية والاحتقار ونفاد الصبر. فنتراجع تحت جمع المقاتلين الغفير. استهزاؤهم يصيب الأهـداف بدقة، وتفقد أشعة حبنا قوتها. كلّ روح تائهة ننجح بامتصاصها تزيد من اضطرابنا. وفجأة يباغتني هذا السؤال الرهيب: «ما الذي أفعله هنا حقاً؟».

أحاول التركيز على جاك وفينوس، موكليّ الأحياء، ولكنّني بدأت أشعر بلا مبالاة لمصيرهما. إنّهما سخيفان، وصلاتهما سخيفة وطموحهما بائس.

كما سبق وأشار لذلك إدموند: «لا يريدون بناء سعادتهم، يريدون فقط تقليص ألمهم».

ما زلت أنشر أشعة الحب، ولكن بقناعة أقل. أتجنب قدر المستطاع رشقات الاستهزاء وأفكر أنّ فينوس ليست سوى متعجرفة لا تطاق وجاك متوحد حقيقي. لماذا عليّ أن أعاني من أجل هؤلاء المخلوقات؟

أعاد جيش الظلام الالتحام من جديد استعداداً للهجوم الأخير بمعدل عشرين مهاجماً لكل واحد منا. ليس لدينا أية فرصة للنجاة.

هل نستسلم؟ سألت مارلين.

– كلّا، أجاب فريدي. يجب أن نرسل أقصى عدد ممكن منهم إلى الجنة، ألم تشعري بمقدار معاناتهم!؟

– بسرعة يا فريدي، أطلق نكتة! طالبه راؤول.

– إمممم... كان هناك عجّتان ينطبخان في مقلاة، فقالت إحداهما للأخرى: «ما رأيك، ألا تجدين أنّ الطقس حار هنا!؟» فراحت الأخرى تصرخ من فورها: «النجدة، النجدة! يوجد بجانبي **عجة تتكلم!**»

أجبرنا أنفسنا على الضحك. كان ذلك كافياً على كل حال لتعزيز دروعنا.

تابع فريدي:

– ذهب رجل في أحد الأيام لرؤية طبيبه وقال له: «يا طبيبي العزيز

إنّني أعاني من النسيان». فسأله الطبيب: «منذ متى؟»، فأجاب المريض: «منذ متى... ماذا؟»

لحسن الحظ يوجد دائماً نكات صغيرة مخبأة خصيصاً لوقت الحاجة. ليس لدينا مزاج للضحك أبداً، ولكن هاتين النكتتين الصغيرتين تبدوان متناقضتين تماماً مع هذه اللحظة الرهيبة لدرجة أنهما أعادتا لنا الثقة.

في مواجهتنا، ليس الوضع مثيراً للضحك كثيراً. يخيّل إيغور كفارس من فرسان سِفر الرؤيا، محاطاً بساحرة وجلّاد. يرمي مارلين مونرو بتلميح جارح حول قصتها مع الرئيس كينيدي، فيصيب السهم هدفه. يخفُت ضوء مارلين مونرو ومن ثم ينطفئ. كملاك مخلوع، تلتحق بصفوف الأعداء وتبدأ برمينا بسهامها الخضراء. إنّها تعرف نقاط ضعفنا وتعرف أين تضربنا في المواقع التي تحدث ألماً.

تكتسح صور معسكرات الاعتقال فكر فريدي. فيحاول الرد عليها بنكاته، ولكنّ طاقته تخونه. يتقلّص سيف حبه ويلين درع فكاهته. يسقط هو الآخر أيضاً، وينتقل إلى صفّ مارلين.

أصبحت أفهم الآن شعور آخر المحاربين في معركة فورت آلامو الذين حوصروا من قبل المكسيكيين، وشعور يهود جبل مسعدة غرب البحر الميت الذين حوصروا من قبل الرومان، وشعور البيزنطيين الذين حوصروا من قبل الأتراك، وشعور الطرواديين الذين حوصروا من قبل اليونانيين، وشعور فيرسن جيتريكس الذي حوصر من قبل يوليوس قيصر في أليسيا. لن تأتينا التعزيزات، ولن ينضمّ لنا فرسان أشداء، ولن نحظى بنجدة أخيرة.

– يجب أن نصمد، يجب أن نصمد، يعلن راؤول بصوت قوي أجش بينما بدأ يترنح ضوء درعه الفكاهي.

– هل ما زالت لديك ذخيرة من النكات؟

## 183. جاك– 26 عاماً

سقوط علب البازيلاء على رأسي أطاح بي أرضاً. أشعر بقليل من الدوار. لقد أتى هذا الموقف السخيف حقاً في أسوأ اللحظات. أحاول أن أستجمع

قواي وتركيزي، لا بدّ وأنّها أحدثت ضرراً كبيراً في رأسي، فقد بدأت جبهتي تنزف. سحبني صاحب المتجر إلى خلفية متجره واتصل بالنجدة.

– ساعدوا هذا الفتى المسكين، طالبت إحدى النساء.

– إنّ هذا خطئي، اعترفت نتالي كيم.

كنت أرغب أن أؤكد لها عكس ذلك، ولكنّ صوتي انطفأ، ولم أعد أستطيع التكلم.

## 184. سلاح الفرسان

إنّها النهاية. لم يعد لسيف الحب في يدي اليمنى سوى مفعول سكين جيب غير حادة. ودرع الفكاهة في يدي اليسرى يبدو كغطاء طاولة مثقوب.

كم يحزنني وقوع مارلين مونرو وفريدي في صف الملائكة المخلوعين! كما في بداية ملحمة ثاناتونوتس العظيمة، ها نحن أنا وراؤول وحدنا. نقف ظهراً لظهر في مواجهة حشد الأرواح التائهة.

يبتسم إيغور.

– أنا وأنت معاً ضد الأغبياء! صرخ راؤول.

عند سماعي لصيحة التعاضد القديمة لنا، عادت لي القوة. ولكن إلى متى؟ إنّني أنهار تحت نيران استهزاء مارلين. وإيغور يرفع عالياً سيف كراهيته ليوجِّه لي الضربة القاضية التي سوف تقلبني لصالح معسكر الخصم. كنت قد بدأت أشعر بالضعف فعلاً عندما، فجأة، لمحت في البعيد ضوءاً يزداد توهجاً بالتدريج. إنّه إدموند ويلز، جاء لإنقاذنا مصطحباً معه عشر ملائكة مفعمين بالحيوية وهم: الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس، والمغني وناشط السلام جون لينون، والأديب النمساوي شتيفان تسفايغ، والمخرج ألفريد هتشكوك، والأم تيريزا (التي لم تعد تعرف ماذا تفعل كي تبقى مواكبة للركب)، والكاتب وعالم الرياضيات لويس كارول، والممثل والمخرج باستر كيتون، والكاتب فرانسوا رابليه، والأديب فرانس كافكا، والمخرج إرنست لوبيتش.

أخذوا يرسلون كرات الحب، ويقصفون برشقات من الفكاهة. تراجعت الأرواح التائهة متفرقة. لم تعد تصيبني سهام استهزائهم. عادت الحرارة

ليديّ، ومن جديد راح الحب يخرج وفيراً من راحة يدي كسيف ملتهب. وفي خضم المعركة، ذكّرني إدموند ويلز بحكمة مأثورة في كتابه موسوعة *المعرفة النسبية والمطلقة*: «أحبّ أعداءك، ولو لمجرد إثارة أعصابهم». لذا بذلت جهدي كي أشعر بالتعاطف، حتى مع إيغور.

مكث مكانه، متفاجئاً.

نجح الأمر. تراجعت الأرواح التائهة للخلف. انقلب فريدي ماير ومارلين مونرو وعادا إلى صفّنا.

يثبت إدموند ويلز أنّه ممتصّ مخضرم للأرواح التائهة. أيّ إتقان في العمل! تارة يضرب، وحيناً يمتص الأرواح التائهة، حيناً يضرب، وحيناً يمتص الأرواح التائهة. لم أتخيل مطلقاً أنّ مدرّبي بارع لهذه الدرجة في القتال. اقتربت نهاية معركة هرمجدون. لم يتبقّ أمامنا سوى بضعة أشباح من بين تلك الأكثر ضراوة. ما يزال إيغور على رأسهم.

– لن تنال مني! قال لي موكلي السابق. لقد جمعت ما يكفي من الكراهية والحقد ضد البشرية كي أقاوم حبك يا مايكل.

– سنرى ذلك.

ذكّرته بكارما حياته السابقة، عندما كان صديقي فيليكس كيربوز، من أوائل الثاناتونوتس، الذي سبق وتعرّض لسوء معاملة من قبل أمّه. الكثير من المحن والمصائب عبر الزمن جدّدت حنقه وغضبه، فتغيّر لونه.

– لقد جمع بداخله الكثير من الكراهية، لم يعد يستطيع الحب إنقاذه، قال راؤول متنهداً.

لم أستسلم رغم ذلك.

فجأة، لمحت من بين الأعداء المتعطشين لهزيمتنا، والدة فيليكس – إيغور. لقد ماتت لتوها بسبب إصابتها بتشمّع الكبد. الغضب الذي يتملكها على والد إيغور يجعلها الآن عالقة بين عالمين، وبالتالي فهي روح تائهة. هذه هي الفرصة الوحيدة. أشرتُ له عليها.

بغضب جارف يندفع نحوها ليعاركها جسداً لجسدٍ دون هوادة. إنّ كرههما المتبادل شرس للغاية، ورغم ذلك لا ينجح أحدهما بتدمير الآخر. قمنا بانتهاز فرصة انشغالهما كي نرسل آخر الأرواح التائهة إلى الجنة،

حتى إنّه في نهاية معركة هرمجدون هذه لم يتبقّ سوى إيغور وأمّه، هائجان ولكنهما منهكين.

- منذ ثلاث عشرة حياة وهما يتحاربان، يخبرني إدموند ويلز.

بما أنّ أحدهما لم يستطع هزيمة الآخر، وبعد أن خارت قواهما، بدآ الكلام. راحا بداية يتبادلان الشتائم. ثلاث عشرة حياة من الجحود والغدر، ثلاثة عشر وجوداً من القتال القذر والتعطش لأذية الآخر. إنّ الدين ثقيل على كلا الطرفين، ولكنّهما على الأقل يتحدثان الآن. إنّهما يواجهان بعضهما بعضاً نداً لند، وليس بصفتهما طفلاً وراشداً.

بعد الغضب يعمّ السلام، ومن ثمّ التفسيرات، وفي النهاية الاعتذارات.

- أمي!

- إيغور!

عانقا بعضهما. نعم، مهما يحدث... يجب ألّا نيأس أبداً.

- والآن، جاء دورك يا مايكل، قال مدرّبي. إنّه واحد من الأرواح التي توكلتَ عنها.

قمت بامتصاص روح الابن والأم عبر عمودي الفقري الشفاف فخرجا منيرين من أعلى رأسي كي يذهبا سوية إلى الجنة.

- وهكذا فإنّ أول موكل لك أصبح مستعداً للمحاكمة، أشار لي إدموند ويلز.

- هل عليّ الذهاب في الحال لحضور محاكمة إيغور؟

- كلّا، لديك بعض الوقت. عليه بداية اجتياز السماوات السبع والانتظار في منطقة المطهر. هنالك أعمال مستعجلة أكثر في انتظارك. أسرع يا مايكل، حصلت أشياء جديدة مع موكليك الآخرين على الأرض.

## 185. موسوعة

**مؤامرة الحمقى: ألّف الكاتب جون كينيدي تول في العام 1969م، رواية اسمها؛ *مؤامرة الحمقى*. إنّ العنوان مستوحى من جملة لجوناثان سويفت: «عندما يولد شخص عبقري حقاً في هذا العالم، يمكننا التعرف عليه من خلال هذه العلامة؛ وهي أنّ جميع الحمقى متحالفون ضده».**

لم يكن يعلم سويفت أنّ كلامه بهذه الدقة.

بعد أن باءت محاولاته في العثور على ناشر لروايته، اختار جون تول الانتحار وهو في الثانية والثلاثين من عمره. اكتشفت أمّه جثته ومخطوط الرواية عند قدميه. قرأته فوجدت أنّه من الظلم ألّا يكون ولدها معروفاً. فذهبت إلى أحد الناشرين وتمركزت في مكتبه. ظلت واقفة على مدخل مكتب هذا الناشر البدين الذي لا يتوقف عن أكل السندويش الواحدة تلو الأخرى، مضيقة عليه الحركة في كل مرة يضطر فيها للخروج والدخول إلى مكتبه. كان مقتنعاً أنّ هذه اللعبة لن تدوم طويلاً، ولكنّ السيدة تول صمدت بالفعل جيداً. وأمام هذا التشبّث والعناد، قبل الناشر أن يقرأ المخطوط ولكنّه حذرها أنّه لن ينشره إن وجده سيئاً.

قرأ النص، فوجده ممتازاً. فنشره وفازت رواية *مؤامرة الحمقى* بجائزة البوليتزر.

لم تتوقف القصة هنا. فبعد سنة، قام الناشر بنشر رواية جديدة موقعة باسم جون كينيدي تول، وهي *إنجيل نيون*، والتي سوف يُستوحى منها فيلم لاحقاً. وظهرت أيضاً رواية ثالثة في العام التالي.

تساءلت كيف لرجل مات مفجوعاً لأنه لم ينجح في نشر روايته الوحيدة قد استطاع الاستمرار بنشر الكتب من بعد وفاته. في الواقع، قرّع الناشر نفسه طويلاً كونه لم يتمكن من اكتشاف موهبة جون كينيدي تول في حياته، لدرجة أنّه وضع يده على جميع أدراج مكتبه، ونشر كل ما وجده أمامه من قصص وحتى من مواضيع تعبير مدرسية.

*إدموند ويلز،*
*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 186. لحظة

آن أوان العودة إلى الجنة.

جاك، موكلي جاك، التقى لتوه بنتالي كيم، نتالي كيم موكلة راؤول! ما هذه المصادفة البحتة. لا توجد مصادفات ناتجة عن الإرادة العليا فحسب، بل توجد أيضاً مصادفات حقيقية تحدث بسبب تقلبات الحياة.

سارعت أنا وراؤول وبيوضنا في أيدينا، للجلوس وجهاً لوجه لمراقبة مجريات الأحداث. شاشتانا الكرويتان تضيئان.

– آه من هؤلاء البشر! قال راؤول. أكثر ما يغيظني بهم هو تظاهرهم بتكوين العلاقات. فالرجال والنساء مستعجلون لبناء علاقات فيما بينهم في حين أنّهم لا يعرفون أساساً من هم. ما يدفعهم للارتباط في الغالب هو خوفهم من الوحدة. فالشباب الذين يتزوجون في العشرين من عمرهم يخالون أنّ حياتهم ستُبنى تماماً مثل مبنيين قيد الإنشاء أي إنّهما سيرتفعان سوية وسيظلان متناسقين عند نهاية البناء، وإنّ الجسور ستكون قد بُنيت بينهما في نهاية المطاف، إلا أنّ فرص نجاح ذلك نادرة، ولهذا يكثر الطلاق. يشعر المرء أنّه مع كلّ تحوّل يعيشه وكلّ تطور في الوعي بحاجة لشريك مختلف. في الواقع، لبناء زوجين، يتطلب الأمر أربعة أسس: رجل يملك أنوثة عالية، وامرأة تملك ذكورة عالية. الكائنان الكاملان يتوقفان عن البحث عمّا ينقصهما في الآخر. يستطيعان الارتباط دون تخيل اللقاء بامرأة مثالية أو رجل مثالي لأنهما أساساً وجدا ضالتهما في داخلهما، هكذا شرح رفيقي السماوي.

– هل تخال نفسك إدموند ويلز؟ قلت ممازحاً إياه. يبدأ الأمر بإطلاق الخطب وينتهي بكتابة موسوعات...

شعر بالنشوة، وتظاهر أنّه لم يسمع ملاحظتي.

– ماذا يجري عندك؟

– إنّهما يتحدثان، يتناقشان فيما بينهما.

– كيف حال موكلك جاك؟

– ليس بحالة ممتازة. هناك ضماد حول رأسه.



## 187. جاك– 26 عاماً

وضعوا ضماداً حول رأسي، ولكنّني بحالة أفضل الآن. نتالي كيم تتحدث، وأنا أسمعها من بعيد.

– ما أضحكني هو ذاك المشهد في كتابك مع القط البدين الأخرق الذي يقضي كل أيامه في مشاهدة التلفاز!... من أين تأتي بكلّ هذا!

لا أستطيع أن أشيح بناظريّ عنها، وهي في الجانب الآخر لنطاولة. أشعر بقلبي ينبض بقوة. لا أتمكن من نطق كلمة واحدة. لا بأس، إنّ رأسي المُضمد سيكون ذريعة مناسبة. رحت أصغي لها، أراها وأتشرّبها. توقف الزمن عندي، أشعر أنّني أعرفها سابقاً.

– كنت آمل منذ زمن طويل أن ألتقي بك في صالون الكتب ولكنّك لا تتردد كثيراً إلى هذه التجمعات أليس صحيحاً؟

– أنا... أنا...

– من أين يأتيك هذا الشغف للحديث عن الجنة والعالم الآخر؟ سألتني بينما أنا بالكاد أستطيع الشهيق والزفير.

تشرب نتالي بهدوء بضع رشفات من الشاي الأخضر.

– قلتَ في أحد لقاءاتك الصحفية إنّك تستعين بأحلامك. لذا، أرغب بإخبارك أنّ أحلامك تشبه أحلامي. عندما قرأت كتابك الأخير، كنت مندهشة من أنّك وصفت الجنة بالضبط كما أتخيلها: دوامة من الضوء مع وجود مناطق مختلفة الألوان يجب اجتيازها.

– أنا... أنا...

أومأت برأسها فتموّج شعرها الأسود الطويل. استطعت أخيراً الكلام. تكلمنا طويلاً. تحدث كلّ منا عن حياته فاكتشفنا تشابههما أيضاً. جميع الرجال الذين عرفتهم نتالي قد أحبطوها، فاختارت في نهاية المطاف العيش وحيدة.

قالت لي إنّها تشعر بأنّها تعرفني منذ زمن طويل. قلت لها إنّني أيضاً لديّ هذا الانطباع أنّني وجدت ضالتي بعد رحلة طويلة. أشحنا بناظرينا متضايقين من تعبيرنا المبكر جداً عن هذا الحدس المشترك. مرّت الثواني بعدها ثقيلة. أعيش المشهد كما لو أنّه بالحركة البطيئة. أفصحت لها أنّ هذا اليوم أي 18 من أيلول، هو عيد ميلادي. لم يكن من الممكن أن أحصل على هدية لعيد ميلادي السادس والعشرين أجمل من هذا النقاش معك. اقترحت عليها أن نمشي قليلاً. على موناليزا III انتظار طعامها، فلن أسمح لنفسي بالخوف من قطة.

تنزهنا عدة ساعات.

حدّثتني عن عملها. إنّها منومة مغناطيسية.

– سبعون بالمائة من زبائني هم مرضى يريدون التوقف عن التدخين، قالت ذلك.

– وهل ينجح الأمر؟

– فقط بالنسبة لهؤلاء الذين يقررون أصلاً التوقف عن التدخين قبل المجيء لرؤيتي.

ابتسمتُ.

– أساعد أيضاً أطباء الأسنان. هناك أناس لا يتحملون التخدير، لذا أساعدهم عبر التنويم المغناطيسي.

– يكون التنويم المغناطيسي بديلاً عن التخدير؟

– تماماً. في الماضي، كنت أبرمج المرضى بإقناعهم أنّ الدماء لا تسيل أثناء اقتلاع الأسنان، ولكن توقّف النزيف منع اندمال الجروح، لذا صرت أقول لهم الآن: «ثلاث نقط ستسيل، ثلاث نقط فقط». إنّ دماغنا يسيطر حقاً على كلّ شيء. لا تسيل سوى ثلاث نقط من الدماء، ليس أكثر.

– التدخين والأسنان المقتلعة وماذا أيضاً؟

– تحت التنويم المغناطيسي، أحثّ الناس على العودة إلى الماضي كي يكشفوا لي عن «الخلل»، أي عن الخطأ البرمجي الذي يضعهم في مواقف معقدة لا يستطيعون التخلص منها. وعندما لا يكون هذا كافياً، أبحث عن «الخلل» في حيواتهم السابقة. هذا ممتع جداً.

– هل تسخرين مني.

– أعرف أنّ هذا يبدو نوعاً ما... غريباً. أنا لا أستخلص أيّة نتائج. ولكن إن التزمنا بالمراقبة الصارمة، فأرى أنّ مرضاي يسردون بطريقة مفصّلة جداً قصصاً من مختلف الشخصيات التي كانوا عليها في الماضي، ومن ثمّ فإنّ صحّتهم تتحسن. وماذا يفيد أصلاً التحقق من صدق ودقة هذه القصص؟ يكفي أنّ مجرد ذكرها لي يحمل في حدّ ذاته علاجاً كافياً.

ابتسمت.

– رأيت الكثير من الناس يتصرفون بطريقة لاعقلانية كالصوفيين،

والدجالين، والمُلهمين، والمستنيرين... لقد تردّدتُ إلى نوادٍ، وجمعيات، ونقابات، وجماعات سرية. أستطيع القول إنّني على طريقتي، سائحة في عالم الروحانيات. أعتقد أنّه يجب إدخال القليل من الأخلاقيات إلى كلّ هذه الفوضى.

حدّثتني عن حيواتها السابقة. كانت راقصة في بالي، وفي السابق ظهرت بسلسلة من الشخصيات سواء الحيوانية أو النباتية أو الجمادية. تعتقد أنّها ولدت قبل الانفجار الكوني الكبير في بُعد آخر، وفي كون آخر توأمٍ لكوننا.

لا يهمني إن كان ما تبوح به لي هو محض اختلاقات من نسج خيالها. قلت لنفسي، إنّ هذا سيمنحنا قصصاً جميلة نرويها في زاوية المدفأة في ليالي الشتاء الطويلة. هناك الكثير من الأشياء لأتعلمها منها. هل سيكون لدينا متسع من الوقت في حياة واحدة لنبوح لبعضنا بكلّ شيء، على اعتبار أنّنا لن نستطيع أن نخصص سوى من خمس إلى ست ساعات يومياً للحوار فيما بيننا؟

أغلقت عيني، وقرّبت شفتيّ من شفتيها. سوف أخاطر بكلّ شيء، إمّا أن تصفعني، أو...

تلامست شفاهنا، لمع حجر عينيها الغامقتين. أستطيع تحسس الشرارة التي تضيء قلبها من خلال الشرارة التي تلمع في قلبي أنا.

نتالي، نتالي كيم.

عند الساعة 22:56 دقيقة أمسكت يدها. فاشتبكت بيدي. عند الساعة 22:58 دقيقة حاولت أن أقبّلها بكلّ شغف واستجابت لي. ألصقت جسدي بجسدها لأستكشف تفاصيله. فعانقني جسدها بقوة أكبر.

– لقد انتظرتكَ طويلاً، همست نتالي بأذني.

قلت لنفسي إن لم أحظَ من مسيرتي الأدبية سوى بهذه اللحظة، فقد كان الأمر يستحق كلّ ذلك العناء. كلّ خيباتي وكلّ الرفض وكلّ الإخفاقات التي عشتها انمحت جميعها بلحظة.

عند الساعة 22:59 دقيقة، ولأول مرة في حياتي، أفكر أنّه «ربما يكون هذا بالفعل هو كوكبي».

## 188. موسوعة

التاريخ الحقيقي والتاريخ المروي: إنّ التاريخ الذي يعلموننا إياه في المدارس، هو تاريخ الملوك والمعارك والمدن. ولكنّه ليس التاريخ الوحيد. حتى عام 1900م، كان أكثر من ثلثي السكان يعيشون خارج المدن، في الأرياف والغابات والجبال وعلى شواطئ البحار. لم تكن المعارك تخصّ سوى جزء بسيط من السكان.

ولكنّ «التاريخ» يتطلب وجود سجلات مكتوبة، وكَتَبة التاريخ كانوا في أغلب الأحيان هم كَتَبة بلاط الحاكم، يكتبون ما يمليه عليهم سيدهم. لم يكونوا يكتبون سوى ما يطلب الملك منهم كتابته، لذلك لم يسجلوا سوى ما كان يهمّ الملوك: المعارك وزواج الأمراء ومشاكل الخلافة على العرش.

أما تاريخ سكان الأرياف فقد تمّ تجاهله تقريباً لأنّ الفلاحين لا يملكون كَتَبة ولا يعرفون الكتابة لذا نقلوا ما عاشوه على شكل حكم شفهية وأغنيات شعبية وأساطير وحكايات تُروى في السهرات بجانب المدفأة وحتى من خلال النكات أيضاً.

يقدم لنا التاريخ الرسمي وجهة نظر داروينية حول التطور البشري: بقاء الأقوى، وموت الضعيف. هذه النظرية تلمح إلى أنّ شعوب أستراليا الأصلية، وشعوب الغابات الأمازونية، وهنود أمريكا الأصليين، والبابواويين السكان الأصليين لجزيرة غينيا الجديدة، كانوا مخطئين تاريخياً لأنّهم كانوا أضعف من الناحية العسكرية. ومع ذلك، ربما يكون العكس، فهذه الشعوب التي يقال عنها بدائية يمكنها أن تقدم لنا عبر أساطيرها، وتنظيمها الاجتماعي، وأطبائها، مساهمات نفتقر إليها من أجل حياة مرفهة في المستقبل.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 189. الملائكة

أعيننا على بيوضنا ونحن نشاهد القبلة، وخلفنا إدموند ويلز يسرّ لنا:

– لقد تجنبتما بصعوبة وقوع كارثة، ولكن في جميع الأحوال، أنتما محظوظان لأنّ لديكما موكلين «جيدين».

## 190. فينوس– 35 عاماً

لم أنجح أن أصبح حاملاً.

ولكن بما أنّنا راغبان بالإنجاب، اختار رايموند إجراء تخصيب في المختبر. زرعوا سبع بيوض ملقحة في رحمي على أمل أن تثبت على الأقل واحدة حتى نهاية الحمل.

منذ ذلك الحين بدأ بطني بالانتفاخ ولم يعد شكلي كالسابق.

لولا وجود رايموند، كانت ستمرّ عليّ هذه التجربة عصيبة جداً، فقد ذكرتني بمرحلة الشره المرضي التي عشتها. أن أكون حاملاً، هذه أصعب تجربة يمكن أن أعيشها على الإطلاق. بفضل الإيكو، أستطيع أن أميِّز بوضوح وجود خمس أجنّة أنثوية وجنينين ذكريين. يُقال حين تحمل المرأة بالإناث، فهذا يعني أنّها تحب أمها، وعلى هذا فأنا أحب أمي بنسبة خمسة على سبعة. الأجنّة الذكور هادئة، أما الفتيات فكثيرات الحركة، حتى إنّ هناك واحدة تقوم برقصات داخل السائل الأمنيوسي، ربما تكون تجسيداً للأميرة سالومي.

تغيَّر جسدي كله. لم ينتفخ بطني فقط بل ثدياي أيضاً ووجهي أخذ يستدير أكثر، كما أنّ وعيي بدأ يتسع أيضاً.

على عكس توقعات الأطباء، بقيت الأجنة السبعة على قيد الحياة. تحولت إذاً لبرميل ضخم تسهل دحرجته أكثر من تسييره على القدمين. هذه التوائم السبعة هي حقاً أفضل دعابة يمكن أن يخبئها القدر لنا. هل هناك طريقة لحل مشاكلي مع توأمي أفضل من مراقبة كيف يحل توائمي مشاكلهم مع بعضهم؟

اقترب يوم الولادة الجميل. أجرى رايموند جراحة قيصرية وأخرج الواحدة تلو الأخرى، سبع كرات وردية صغيرة لزجة ولم تمرّ سوى لحظات حتى بدأت جميعها بالصراخ.

أفهم الآن أمي بشكل أفضل. أن تكون ربّ أسرة فهذا عمل من المستحيل النجاح فيه. علينا التركيز فيه فقط على محاولة إيقاع أقلّ أذى ممكن.

يستيقظ رايموند في الليل لإطعام جميع الأطفال بالرضاعة.

إنّ أحوالنا بخير نحن التسعة. التوائم السبعة يكبرون على مهل، وأنا أبقى في المنزل للاعتناء بهم. وفي المساء يعود رايموند دائماً إمّا حاملاً الأزهار، أو الشوكولا، أو ألعاباً للصغار، أو أشرطة فيديو نشاهدها في السرير قبل النوم.

لم يعد لديّ أيّة أمنية أتمناها. جلّ ما أرغب به هو أن يكون الغد كيومي هذا بالضبط، وبالتحديد دون أي تحول أو مفاجآت أو تغيير. أحلم أن تكون الحياة مثل شريط يدور باستمرار وإلى الأبد، وأن أستيقظ كلّ صباح وأجد رايموند لويس قد حضّر لي فطوري مع رقائق السيريال وعصير البرتقال الطازج، والحليب البارد والموز.

نادراً ما شعرت بحالة مماثلة من الكمال. وكي أضمن تجنّب وقوع المفاجآت كلياً، تخليت تماماً عن مهنتي كممثلة. هذا رائع. لن يراني الناس وأنا أشيخ وستظلّ في أذهانهم دوماً صورة ملكة جمال الكون التي عشقوها في الأفلام.

أنا أحب رايموند لويس وهو يحبني. إنّنا نفهم على بعضنا بالإشارة. نخرج كلّ يوم أحد في نزهة إلى المكان ذاته، وتخصّص لنا عائلة زوجي مساء كل يوم جمعة وجبة عشاء كبيرة وسخية. كلّ شيء على ما يرام.

لم أعد ألتقي بأمي لأنّها أصبحت متقلبة المزاج بشكل زائد.

إذا نظرنا إلى الوراء، أعتقد أنّني كنت أحلم دائماً أن أكون فلاحة. مثل الممثلة آفا غاردنير في نهاية حياتها، أي أن أعمل على: حرث الحديقة، وزرع الملفوف والبندورة، واقتلاع الأعشاب الضارة، والعيش وسط الطبيعة، وامتلاك كلاب.

إنّ جمالي منعني من تطوير ميولي وأذواقي البسيطة. لطالما كان جمالي لعنة عليّ. إن كان لا بدّ لي أن أولد من جديد، سأختار أن أولد قبيحة كي أعيش بهدوء، ولكن وفي الوقت ذاته، أكره أن أشيخ وأصبح أقلّ جمالاً، فالممثلات ينتهي المطاف بهنّ أن يصبحن مومياءات، ويكون هناك دوماً

مصورون يبحثون عن الفضائح فيلتقطون صورهنّ خلسة فتدمر هذه الصور كلّ تاريخهنّ التمثيلي. أتمنى ألّا يتلاشى جمالي.

اقترح عليّ رايموند الذهاب في رحلة إلى فرنسا.

ها نحن نتنزه الآن في السيارة بجانب مدينة نيس، بالقرب من قرية صغيرة اسمها فايونس. تركنا الأطفال مع والدته واستأجرنا سيارة مكشوفة للاستمتاع بالهواء العليل. إنّ زيز الحصاد يصدر أصواتاً على جانبي الطريق، وأنا أتنفس أريج الخزامى.

الطقس جميل. أرجو ألّا يتغير!

## 191. جاك- 35 عاماً

إنّ نتالي بغاية الجمال.

ها قد مضت الآن تسعة أعوام ونحن نعيش معاً كما عشنا بالضبط أول يوم لنا. هي الآن تقود سيارة العائلة القديمة. يدي تشابك يدها. إنّ الطقس جميل. ما زلنا نتابع الحوار الذي بدأناه منذ اللحظة الأولى للقائنا والذي لم يتوقف بيننا إطلاقاً منذ ذلك الحين.

- أنت تؤكد أنّك لست مؤمناً، هل تعتقد أنّك تدير حياتك بإرادتك الحرة فقط؟ سألتني بكلّ صراحة.

- أؤمن أن الإرادة الحرة للرجال تقوم على اختيارهم المرأة التي ستقرر حياتهم عوضاً عنهم.

ضحكت ساخرة ومالت عليّ كي تقبلني.

## 192. تباً!

انتبه يا جاك، انتبهي يا نتالي، هذه ليست اللحظة المناسبة لتبادل القبل!

## 193. فينوس

ما الذي يحدث مع هذه السيارة أمامنا؟ إنّها تميل شمالاً ويميناً! لم تعد تسير بشكل مستقيم.

## 194. جاك

أغلقتُ عينيّ، ورحنا نتبادل القبل.

## 195. تباً! تباً!

ولكنّهم سوف... أسرعت بإرسال حدس تحذيري لجاك. أسرع راؤول أيضاً بقرب نتالي. أرسلنا لهما صوراً كي يتوقفا عن العناق غير أنّهما يكملان تبادل القبل بشغف أكبر أكثر فأكثر.

رحنا نرسل لهما أنا وراؤول ومضات مقلقة، ومشاهد تصادمات كارثية للسيارات، ولكنّهما لا يحلمان الآن ولا يستقبلان شيئاً.

حتى إنّهما لم يضعا حزام الأمان. سريعاً، القطة! أرسلت لها إشارة توجيهية. فقفزت موناليزا III من المقعد الخلفي وراحت تخدش نتالي بأفضل ما تستطيع.

نجحنا بتشتيتهما. لمحت نتالي السيارة القادمة بشكل مباشر باتجاههما. ضغطت بكل قوتها على الفرامل وأمالت المقود لتجنب حدوث اصطدام أمامي. اصطدمت نتالي التي كانت تقود على يسار الطريق بالصخور. فينوس ورايموند اللذان أخذا يمين الطريق تزحلقا بجانب البحر وتجاوزت سيارتهما الطريق لتسقط في الفراغ.

## 196. موسوعة

**الطفرة: تفاجأ الباحثون باكتشاف حديث لنوع من أسماك القد التي تملك طفرات فائقة السرعة. هذا النوع من الأسماك الذي يعيش في المياه الباردة يبدو في الواقع متطوراً أكثر من تلك الأسماك التي تعيش بهدوء في المياه الحارة. يُعتقد أنّ أسماك القد التي تعيش في المياه الباردة وبسبب تعرضها لضغط العيش في مثل هذه الحرارة، قامت بتطوير مهارات غير متوقعة للبقاء على قيد الحياة. مثلما طورت البشرية قبل ثلاثة ملايين سنة مهارات في التطفر المعقد، ولكنّ هذه المهارات لم يتم التعبير عنها جميعها لأنّها ببساطة غير ضرورية في الوقت الحالي، ويتمّ تخزينها جانباً. وبذلك فإنّ الإنسان**

**المعاصر يمتلك طاقات هائلة مخبّأة في أعماق جيناته ولكنّها غير مستغلة لأنّه لا توجد أسباب لإيقاظها.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 197. فينوس- 35 عاماً

سمعت الطبيب يقول إنّه لم يعد يستطيع فعل أيّ شيء لي. فقد انغرزت قطع من الصفائح المعدنية في أعضائي، وسأموت قريباً.

تلقيت شظايا من الزجاج الأمامي في وجهي. لقد ولدت جميلة وسأموت مشوّهة. تمنّيت في أحد الأيام المصير ذاته لمنافسة لي. ها قد جاء دوري ليحدث معي الشيء ذاته. يا لسخرية القدر! ربما جميع الآلام التي تمنيناها للآخرين يتمّ تسجيلها في مكان ما وتعود مرتدة لنا لاحقاً.

من الغريب أنّه وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة، أفكر بالشر الذي تمنيته لسنتيا كورنويل، منافستي التي كنت قد نسيتها.

إنّها النهاية. كنت قد تخيلت أنّنا نستطيع العيش بمنأى عن المخاطر، ولكنّنا لسنا بمأمن في أيّ مكان كان. حتى أثناء القيادة بحذر في سيارة آمنة، وفي بلد ديمقراطي، مع وضع حزام الأمان، ومع زوج حامٍ، ومع كلّ التقدم الحاصل في مجال الطب والتكنولوجيا والإنسانية، إنّنا لسنا بمأمن كامل في أيّ مكان كان.

هل كان يجب ألّا نخرج في عطلة أنا ورايموند؟ هل كان يجب علينا أن نبقى جالسين منغلقين على أنفسنا في منزلنا بكلّ هدوء؟

رايموند.

نجحت على الأقل في هذا: الثنائي الذي عشته. أعرف أنّني سوف أموت. وفي هذه اللحظة الأخيرة، أشعر بالإيمان يجتاحني. هل يجب أن نكون قريبين من الموت للإيمان بالله؟ يبدو لي ذلك. كنت أؤمن بالملائكة عندما لم يكن لديّ سوى متاعب بسيطة، وأؤمن الآن بالله عندما أصبحت أمام مشكلة كبيرة.

## 198. جاك– 88 عاماً

عمري ثمانية وثمانون عاماً وأعرف أنني سوف أموت. لماذا كان عليّ العيش لهذه المدة؟ لأنني كنت بحاجة لهذا العمر لإكمال «مهمّتي».

سبعة وثلاثون كتاباً. كنت أرغب بنشرها الواحد تلو الآخر، وأنا على وشك تحقيق ذلك.

أكتب الآن آخر كتاب، وهو الذي يفسر ويربط بين جميع الكتب الأخرى. سيفهم قرّائي لماذا يوجد في جميع كتبي شخصيات تحمل الأسماء ذاتها. في الواقع إنّ كلّ كتبي هي امتداد لبعضها، وانطلاقاً من هذا الواقع، لم يكن هناك انقطاع بينها أبداً. أشرح أخيراً الرابط الذي يجمع بين كتبي عن الجرذان وكتبي عن الجنة، بتلك الكتب عن الدماغ والكتب الأخرى أيضاً.

على الحاسب المحمول الذي طلبت إحضاره إلى المستشفى الذي يستقبلني حالياً، كتبت المشهد الأخير: «النهاية».

كان ينبغي كحالة مثالية أن أموت وأنا ألفظ هذه الكلمة، مثل موليير الذي مات على المسرح. ها أنا أنتظر، يبدو الموت مؤجلاً حالياً. بانتظاره، قمت للمرة المليون بإجراء تقييم ذاتي. ما أزال شخصاً متوتراً ولكن مع نتالي، تطوّرت كثيراً. نجحت في الخروج من الوحدة لأنه معها، اجتمعت المكونات الجيدة لتحقيق التشكيلة السحرية: 1+1= 3.

كلانا مستقلّان وكلانا متكاملان. كلانا تخلّينا عن تغيير الآخر وتقبّلنا عيوب بعضنا.

علّمتني كيف أطور أكثر مفهوم التخلّي لديّ. أستطيع الآن أن أقضي أكثر من عشرين ثانية دون التفكير بأيّ شيء كان، وهذا مريح جداً. مع نتالي، عرفت معنى أن نكون ثنائياً أصيلاً وفريداً. يمكن اختصاره بكلمة واحدة: «التكامل». لقد تمّ استخدام كلمة «الحب» بشكل مبالغ به جداً لدرجة أنها لم تعد تحتفظ بمعناها العميق.

التكامل والتفاهم والثقة.

لطالما كانت نتالي قارئتي الأولى وأفضل نقّادي. هي، المفتونة بالتنويم المغناطيسي، قامت بجلسات تنويم مغناطيسية تراجعية وأكدت أننا كنا

نعرف بعضنا في الحيوات السابقة، حينما كنا حيوانات، وبشراً، وحتى حينما كنا نباتات، فقد كنتُ غبار الطلع وكانت المدقة. تقول إنّنا أحببنا بعضنا في روسيا وفي مصر القديمة. أنا لا أعرف شيئاً عن هذا، ولكنّني أستمتع بالتفكير في ذلك.

بصرف النظر عن «حيلها»، فإنّ نتالي تزعجني بنقطة واحدة. إنّها دائماً على صواب، وما الذي يمكن أن يسبّب الإزعاج أكثر من هذا!

أنجبنا ثلاثة أطفال، ابنتين وصبياً. تركت أمر تربيتهم لها لتتصرف معهم كما تريد. من جهة أخرى، لم أتخلّ يوماً عن سعيي لاكتشاف المستقبل. في البداية، استخدمت العلم كوسيلة لذلك. أعتقد الآن أنّ العلماء لن ينقذوا العالم. فهم لن يجدوا حلولاً مناسبة وجيدة، ولن يقوموا سوى بالإشارة إلى الأضرار الناجمة عن الحلول السيئة.

لقد فات الأوان للعب دور الثائر. كان عليّ أن أتعلّم الغضب والجنون حينما كنت شاباً. إنّ الغضب موهبة تأتي منذ الولادة. تركت هذا للآخرين، لابنتي الكبرى مثلاً، فهي ممتلئة بشكل خاص بالحس الثوري والتمردي، عليها هي أن تمضي قدماً في هذا المسعى.

على الصعيد المهني، أعتقد أنّني حصلت على كلّ ما أرغب. لقد كنت هذا الجرذ المستقل الذي حلمت أن أصيره. كي لا يكون لديّ مرؤوسين ولا يكون لديّ رؤساء عليّ، لقد دفعت ثمن ذلك. ولكنّ هذا يبدو لي طبيعياً. قلت لأطفالي: «أجمل هدية أستطيع أن أقدمها لكم، هي إعطاؤكم قدوة عن الأب السعيد».

أنا سعيد لأنّني التقيت بنتالي.

أنا سعيد لأنّ حياتي كانت متجددة بشكل دائم، ومليئة بالمفاجآت وبمساءلة الذات ممّا حثّني على الإنجاز والتطور.

أرقد على سريري في هذا المستشفى، أعرف أنّه بفضل الانتصارات الجديدة في عالم الطب، أستطيع العيش مدة أطول، ولكن لم يعد لديّ رغبة بالقتال، حتى ضد جراثيم جسدي. انتهى الأمر بفوزهم بالحرب ضد الخلايا الليمفاوية. لن ينعموا بالراحة في أحشائي.

قلبي العجوز يتركني بهدوء. حان الوقت لإرجاع هذا القميص الجسدي. لذلك قمت شيئاً فشيئاً بإرجاع كلّ ما أُعطيَ لي. فتركت كلّ ما أملك لعائلتي وللجمعيات الخيرية. طلبت أن أُدفن في حديقة منزلي. ليس كيفما اتفق، وإنّما بشكل عمودي. الأقدام باتجاه مركز الأرض، والرأس باتجاه النجوم. دون نعش ودون أكياس واقية، كي تتمكن الديدان من أكلي بكلّ سهولة. كما طلبت أن تُزرع شجرة مثمرة على رأسي.

أتوق الآن للعودة لآخذ مكاني في دورة الطبيعة.

ببطء، أستعدّ للنقلة الكبرى. إنّني مريض عتيد منذ تسعة أشهر، الوقت ذاته من أجل الولادة. رحت أخلع ملابسي واحداً تلو الآخر، غطاء إثر غطاء، حماية إثر حماية.

عند وصولي إلى المستشفى، تخليت عن ملابسي المدنية كي أرتدي البيجاما، مثل الأطفال الصغار. تخليت عن وضعية الوقوف كي أبقى في السرير، مثل الأطفال.

أرجعت أسناني، أو بالأحرى طقم الأسنان الاصطناعية، لأنّ أسناني سقطت منذ مدة طويلة، وأصبح فكّي عارياً، مثل الأطفال.

متجهاً إلى النهاية، أرجعت ذاكرتي أيضاً، رفيقتي التي زادت تقلباتها كثيراً. لم أعد أتذكر سوى الماضي البعيد. وهذا ساعدني كثيراً في الرحيل دون ندم. كنت خائفاً أن أصاب بمرض ألزهايمر، عندما نتوقف عن التعرف على أقربائنا وعن تذكر من نكون. كان هذا هو رعبي الكبير. حمداً لله، لقد أُعفيتُ من هذه المحنة.

أرجعت شعري. في جميع الأحوال، كان قد أصبح أبيض. فوجدت نفسي قد صرت أصلعَ، مثل الأطفال.

لقد أرجعت صوتي، ونظري، وسمعي. انتهى الأمر بي أن أصبحت فعلياً، أخرسَ وأعمى وأصمَّ، مثل حديثي الولادة.

أصبحت من جديد مولوداً حديثاً. ومثل المولود حديثاً قاموا بتقميطي بالأقمشة، وإطعامي الطعام المسلوق، وقد نسيت الكلام وأصبحت أكاغي. إنّ ما ندعوه «بالخرف»، ليس سوى إعادة فيلم حياتنا من نهايته. كلّ ما حصلنا

عليه، يجب أن نعيده مثلما نرجع الأزياء في غرفة الملابس عند الانتهاء من عرض المسرحية.

كانت نتالي هي آخر غطاء حام لي، آخر «ملابسي». عليّ إذاً أن أخلعها كي يكون رحيلي أقلّ إيلاماً لها. لا تسمعني، لا تشعر بشكواي، تومئ برأسها مبتسمة كما لو أنّها تقول: «لا آبه لذلك، فأنا أحبك على كل حال».

جاء في أحد الأيام الطبيب المشرف مصطحباً معه كاهناً. إنّه شاب ذو بشرة شاحبة كثير التعرّق. دخل في صلب الموضوع مباشرة، عرض عليّ أن يدهن يديّ وجبهتي بالزيت المقدس. يبدو أنّهم فعلوا الشيء ذاته مع جان دي لافونتين. فحينما كان على فراش الموت، أجبروه على نكران أعماله الإباحية وإلّا فما كانوا ليدفنوه بشكل لائق في المقبرة بل كانوا سيلقون به في مقبرة جماعية. استسلم لهم جان دي لافونتين، ولكن ليس أنا من يستسلم.

سأشرح وجهة نظري. كلّ هؤلاء المؤمنين يثيرون غضبي. ما هذا الادعاء بتخيل معرفة البعد العُلوي!

أنا على قناعة أنّ الأديان قد عفا عليها الزمن، ولكن ما هو السبب الذي يجعلنا ما نزال مهتمين بها؟ رفعت عينيّ نحو السقف فرأيت عنكبوتاً ينسج شبكته. أيّ سبب يستحق الاهتمام بالدين؟ جاءني الجواب مبهراً: «إنّها الحياة».

الحياة كما نراها. إنّها ساحرة لدرجة تكفي كي لا نحتاج أن نخترع شيئاً آخر.

- ألا تريد أن نتحدث بدلاً من ذلك عن خوفك من الموت؟ سألني الكاهن.

- إنّنا نخاف الموت طالما أنّنا ندرك أنّها ليست اللحظة المناسبة. الآن، أعرف جيداً أنّ هذه هي اللحظة المناسبة. لذا لم أعد خائفاً.

- هل تؤمن بالجنة؟

- عذراً يا أبتِ. لا أعتقد أنّه بعد الموت يوجد أيّ شيء.

- ماذا! صرخ الكاهن. لقد سبق وكتبت عن الجنة، ولا تؤمن بشيء؟

- كانت تلك مجرد رواية، لا شيء آخر سوى رواية.

في المساء نفسه مت. كانت نتالي موجودة وهي نائمة ممسكة بيدي. عاد جسدي وانكمش على نفسه بوضعية الجنين. آخر فكرة خطرت في بالي: «كلّ شيء على ما يرام».

## 199. موسوعة

**كارما لازانيّة: خطرت في بالي فكرة غريبة؛ من المحتمل أنّ الزمن لا يسير بشكل خطيّ وإنّما على شكل «اللازانيا». عوضاً عن التتابع، فإنّ طبقات الزمن تتراكم فوق بعضها. نحن لا نعيش في هذه الحالة، حياة إثر حياة وإنّما حياة (مع) حياة أخرى في الوقت عينه.**

**ربما نعيش ألف حياة في وقت واحد في ألف عصر مختلف من المستقبل والماضي. وما نعرفه عن هذه الحيوات أثناء التنويم المغناطيسي التراجعي ليس سوى إدراكٍ لهذه الحيوات الموازية.**

***إدموند ويلز،***
***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 200. محاكمة موكليّ

انتظر كلّ من إيغور وفينوس طويلاً في المطهر متفكرين في حياتهما. بعض الأرواح تكون مستعجلة للمثول أمام محكمة رؤساء الملائكة الثلاثة، وبعضهم الآخر يفضلون مداواة جراحهم أولاً، ويتبع إيغور وفينوس لهذه الفئة.

هذا هو الشرح التقني. وبشرح مفصل أكثر، أستطيع القول إنّهما كانا بحاجة ليتحدثا مع أقربائهما الأموات. كان على إيغور مواصلة الحديث مع أمه، وكان على فينوس أيضاً الحديث مع أخيها. هذا إذا لم يكونا قد عرفا بوجود جاك؛ أخيهما بالكارما، ويرغبان بانتظاره كي تتمّ محاكمتهم هم الثلاثة معاً.

عندما توفي جاك، استقبله إيغور وفينوس كما لو أنّهم أفراد عائلة واحدة التمّ شملها من جديد. موكلون ينتظرون بعضهم بعضاً كي يمثلوا سوية أمام المحكمة، حقاً إنّ هذا مؤثر.

الغريب على كل حال، هو رؤية إيغور الشاب وفينوس الأكثر نضجاً

وجاك الطاعن في السن وهم يهنئون بعضهم كأنّهم أصدقاء قدامى وقد اجتمعوا للتّوهم من جديد.

لقد فهموا كلّ شيء. أعرف أنّهم سبق وحاكموا أنفسهم بأنفسهم حتى قبل أن تتمّ محاكمتهم. إنّني أتساءل ما هي فائدة رؤساء الملائكة الثلاثة. يجب أن نترك لكلّ شخص أن يجد الحكم المناسب لحالته.

بصفتي محامي الدفاع، أقف في المكان ذاته الذي سبق ووقف فيه إميل زولا. سوف يتمّ استدعاء موكليّ واحداً تلو الآخر تبعاً لتاريخ موتهم.

بداية إيغور. تجري جلسة الاستماع بسرعة. في حيواته السابقة كان قد وصل إلى 470 نقطة. لقد تخلّص بالطبع من هوسه تجاه أمّه ولكنّ هذا لم يجعله يرتقي كثيراً. لقد قتل الكثير من الناس، واغتصب النساء بأعداد كبيرة، وفي النهاية مات منتحراً. إنّ هذا ثقيل، ويجعله ثابتاً في مكانه. كان لديه 470 نقطة وبقي على الرقم ذاته 470.

بالنسبة له، فقد فشل. علاوة على ذلك فقد كشف لنا رؤساء الملائكة الثلاثة أنّه كان موهوباً في الغناء الأوبرالي ولم يفكر مطلقاً باستغلال هذه الموهبة.

– عليه أن يعود للتجسيد.

بالنسبة لفينوس، لديّ حجج أكثر لأقنعهم بها. لقد نجحت في حياتها العاطفية، وربّت بشكل صالح سبعة أطفال.

كان لديها 320 نقطة، وأصبح لديها... 321! هذا قاس. تقدمت فقط نقطة واحدة؟ حتى إنّها لم تصل إلى مستوى الإنسانية 333.

أشار لي رؤساء الملائكة الثلاثة أنّها كانت تتمتع بموهبة فطرية في الرسم. وقد قضت عدة حيوات وهي تحلم أن تصبح رسّامة وكان قد تمّ إعدادها لهذه المهمة منذ زمن طويل. ولكن كلّ ما تعلّمت فعله من فنّ الرسم هو وضع الماكياج!

صعدت على المنبر للمرافعة قائلاً إنّ موكلتي استطاعت أن تقدم في أفلامها صورة جديدة عن المرأة الحيوية. أجابني رؤساء الملائكة الثلاثة أنّها قد تمنّت أسوأ الأمور لمنافستها، وأنّها عذّبت الرجال بتلاعبها بمشاعرهم، وأنّها تواصلت مع وسيط روحي مرتبطٍ بأرواح تائهة.

– ولكن بفضل هذا التواصل استطاعت إيجاد السعادة مع رايموند!
نظر إليّ رافائيل غير مقتنع.

– وماذا في ذلك؟ لا بل إنّ هذا أسوأ. هل شاهدت علاقتهما؟ ما الفائدة من سعادة بليدة وراكدة؟ إنّ موكلتك لم تتطور، بل بقيت في مكانها. البقاء في المكان نفسه أسوأ من التراجع. 321/ 600. عليها العودة إلى التجسيد من جديد.

اقتربت من فينوس. تبدو عن قرب أكثر جمالاً ممّا تبدو عليه عبر كرة المراقبة. انحنيت لأقبل يدها.

– من هنا، تابعت أحداث حياتك وكذلك جميع أفلامك. لقد كانت بالفعل... مذهلة، قلت لها هذا بكل احترام.

– شكراً. لو أنني كنت أعرف أنّ... الملائكة بإمكانهم مشاهدة الأفلام... أنا متضايق للغاية من رؤيتها تفشل هكذا.

– في المرة القادمة، سيكون الوضع أفضل بكثير، أنا على قناعة بذلك، وشوشتها في أذنها.

هذا النوع من الجمل التي توجب على الملايين من الملائكة قبلي قولها لأفواج من الأرواح الخاسرة، ولكن لم أجد في تلك اللحظة جملة تشجيعية أفضل منها.

– جاك نيمرود.

تمّ اعتبار حالته غير مثيرة للاهتمام. لقد عاش حياته قلِقاً. كان أخرقَ وجباناً ووحيداً ومتردداً. لم يوفر مكاناً كان من المحتمل أن يخطئ به إلّا وأخطأ فيه، ودون مساعدة نتالي كيم، لربما كان سيصبح هشاً تماماً.

شرعت أقدم حججي للدفاع عنه.

– لقد عرف كيف يستخدم الأحلام والإشارات وقطته لاستقبال رسائلنا.

أبدى رؤساء الملائكة امتعاضهم.

– نعم، وماذا في ذلك؟

– لقد استخدم الموهبة الوحيدة التي يمتلكها وهي الكتابة.

– ليست جميع كتبه جيدة. قال الملاك جبرائيل. اسمح لي أن أقول

لك يا عزيزي مايكل إنّ هلوساته عن الجنة أزعجتنا بقدر ما أزعجتَنا أنتَ نفسكَ في السابق.

– حتى ولو أنّه لم يكتب سوى كتاب واحد مقبول، فقد أنجز المهمة التي جاء من أجلها.

أعلن الملائكة الثلاثة تعليق الجلسة للتشاور فيما بينهم بهدوء. تبدو نقاشاتهم حامية. طال تعليق الجلسة. لذا انتهزت الفرصة كي أقترب من جاك.

– مايكل بينسون، ملاكك الحارس في خدمتك.

– تشرفت بمعرفتك، أنا جاك نيمرود. اعذرني، لقد ذكرت كلّ هذه التهيؤات في كتبي، لأنّني كنت مقتنعاً بعدم وجود هذا، وهؤلاء... هم...

– تقصد الملائكة الثلاثة. هل كنت تتخيلهم هكذا؟

– ليس تماماً. لم أكن أظنّ أبداً أنّ الجنة مكان «عاديّ» إلى هذه الدرجة. لقد كنت قد وصفتها في روايتي كمكان أكثر ريادة، على غرار رواية *2001: أوديسا الفضاء*.

– بالطبع. لاحظ أنّه بصورة عامة لا أحد يشتكي. لن تصدقني من جهة أخرى إن قلت لك...

أجّلت قول جملتي، فالملائكة الثلاثة قد وصلوا.

– كان لدى جاك 350 نقطة، أصبح لديه 541.

– 541؟ ولكن لماذا لا تكون 542 أو 550 نقطة؟

– هذا هو حكم رؤساء الملائكة الثلاثة.

شعرت بالغضب يتصاعد في داخلي. أنا الذي لم أعرف أبداً الغضب في حياتي الجسدية، أشعر أنّه قد آن الأوان لذلك. ومن ثمّ فإنّه من السهل أن نغضب من أجل الآخرين على أن نغضب من أجل أنفسنا. شحذت نفسي بالقليل من الزخم، ومن ثم انطلقت راجياً روح إميل زولا أن تستمرّ في إرشادي.

– وأنا أقول إنّ هذا الحكم مجحف ومخزٍ ومخالف للأعراف الاجتماعية. أقول إنّها مهزلة للعدالة تجري على أقدس مكان في الوجود وإنّ...

حاولت تذكر جميع كلمات إميل زولا. إنّ نجاحه دليل على أنّنا نستطيع

النجاح أيضاً. ربما يكون هذا هو الشيء الرائع مع الملائكة الثلاثة، وهو أنّهم في النهاية «إنسانيون» كفاية. أشعر بالفعل أنّني أدهشهم. بما أنّني شعرت أنّ هذا نافع، تقدمت صوبهم. نظروا إليّ وأنا أقترب ولكن لم يعرفوا مع ذلك كيف يواجهونني.

تذكرت الجملة التي قالها المحامي موراي بينيت، الشريك المؤقت السابق لموكلتي فينوس. «إنّ الدفاع عن الموكلين المذنبين أكثر إثارة للاهتمام من الدفاع عن الموكلين الأبرياء».

إمّا التراجع أو المخاطرة بكلّ شيء. إن أخفقت في هذه المحاكمة، كم من الموكلين سيتوجب عليّ الانتظار قبل أن أستطيع عبور بوابة الزمرد؟

إن تمكّن جاك من القفز 200 نقطة، فيعني ذلك أنّه من الممكن إنقاذه! ومن ثمّ فإنّ هذا سوف يغيظ راؤول كثيراً إن نجحت في رهان إنقاذ الموكل الذي اختبرت معه سياسة الجزرة أكثر من العصا. يجب عدم الاستسلام. هيّا يجب أن أتابع النغل في رؤوسهم.

– لقد كان موكلي بالفعل أخرقَ، ولكن كانت لديه تقنيته الخاصة. يخطئ دائماً كي يستنتج في النهاية الصيغة الصحيحة. إنّ هذا يشبه نوعاً ما لعبة ماسترمايند، فعندما تكون جميع خياراتنا خاطئة نستطيع حينها إيجاد الحل الصحيح.

– ولكنّه لم يجد أيّ شيء على الإطلاق. لقد بحث، وليكن بمعلومك أنّ كلمة «بحث» جاءت من اللاتينية وتعني «دائـري»، يعني أنّه دار حول الموضوع.

– لقد ابتكر أسلوباً فريداً لم يسبقه إليه أحد والذي، كما سبق وأشار لهذا واحد من منافسيه وهو الكاتب المشهور أوغوست ميرينياك، لا بدّ أن يزدهر لاحقاً. حتى ولو... جاء هذا بعد زمن طويل.

لم يكن هذا مقنعاً!... أتبعت ذلك بسلسلة من «أتّهم» التي انتهت بإثارة استياء القضاة الملائكة الثلاثة. وفي أوج اندفاعي، أطلقت أخيراً:

– أتهم هذه المحكمة بعدم القيام بعملها بشكل صحيح، أتهم رؤساء الملائكة الثلاثة جبرائيل ورافائيل وميكائيل بالـ...

– هذا يكفي! قال أحد الملائكة الرؤساء. إن أردت أن تنقذ عميلك، فأعطنا وقائع.

حينها خطرت في بالي فكرة؛ كرات القدر. اقترحت أن نفحص بشكل موضوعي تأثير جاك على الكرات. فكان التأثير هو% 0،000016.

– إنّ هذا قليل...، قال الملاك جبرائيل.

وهنا وجهت الضربة القاضية.

– نعم، ولكن نقطة ماء يمكن أن تجعل المحيط يفيض، كل روح ترتقي، ترتقي معها البشرية جمعاء!

هذه المرة، تردد الملائكة الثلاثة.

لقد سئموا من الجدال، أعطوني 600 نقطة. تخلّص جاك نيمرود إذاً من سجنه الجسدي، حتى ولو كان ذلك بصعوبة بالغة.

وبالنسبة لي نجحت بإخراج روح من دائرة التجسدات!

– إيه، قال كاتبي الصغير، وهو يستوقفني بيده، ماذا أفعل الآن؟

لم يفكر حتى بتهنئتي. أيّة أنانية عند هؤلاء الموكلين!

*«أعرف ماذا يوجد بعد الموت. هذا بسيط جداً، فمن جهة هناك الجنة التي يحظى بها الأشخاص اللطفاء وذوو السلوك الحسن، ومن جهة أخرى هناك الجحيم للأشرار. الجنة بيضاء، والجحيم أسود. يعاني الناس في الجحيم، ويسعد الناس في الجنة».*

• *المصدر: شخص تم سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 201. الوداع يا أصدقائي

توجهت نحو بوابة الزمرد، مبتهجاً مثل إميل زولا في السابق. أخيراً سوف أعرف ما الذي يوجد في العالم العُلوي؟

في الطريق، أوقفني إدموند ويلز الذي ربّت بقوة على ظهري.

– أنا فخور بك. لطالما آمنت بنجاحك.

– لا أعرف كيف أشكرك.

– ليس عليك سوى شكر نفسك. فأنت لا تعرف أنك أنت من اختارني لأكون مرشدك، تماماً مثلما يختار الأطفال آباءهم.

– وأنت يا إدموند ويلز، ماذا ستفعل الآن؟

أسرّ لي بما يشغل الملائكة بشكل أساسي في الوقت الراهن، وهو تطوير مستوى جديد من التدخل لمساعدة البشر، أي المستوى السادس: «مساعدة – الجماد».

– بدأ كلّ شيء مع الجماد وربما مع الجماد سيستمر كل شيء. التحالف بين الإنسان والجماد، المتجسد بالمعلوماتية، هو أرضية جديدة للوعي، شرح لي ذلك.

– الجماد؟ هل تقصد السليكون الموجود في رقائق الحواسيب؟

– بالطبع، والبلورات أيضاً. إنّ الفرق بين بلورات الكوارتز التي تستخدم لقياس تدفق الإلكترونات وبين أيّ حجر عادي مثل الفرق بين الإنسان الحكيم والإنسان العادي. وعلى هذا فإنّ الاتحاد بين الحجر–البلور والإنسان–الوعي ينتج عنه الحاسوب–الحي. إنَّ هذا هو مسار التطور.

– ولكنّ الحواسيب أشياء خاملة! يكفي فصل الكابلات عنها كي يتوقف كلّ شيء.

– أنت مخطئ يا مايكل. يوجد الآن بفضل الإنترنيت، برامج مثل الفيروسات تتكاثر على الشبكة وتستطيع أن تستقر في أية دارة كانت، سواء غسالة أو صرّاف نقدي آلي. ومن ثمّ تتكاثر من جديد مثل الحيوانات، وتتطفّر، وتتطور دون تدخل الإنسان. والوسيلة الوحيدة لإيقافها سيكون إطفاء جميع الأجهزة المنتشرة في العالم في الوقت ذاته، وهذا ما هو مستحيل حالياً. بعد «المحيط الحيوي»، و«الإيدوسفير»، ها قد ظهر «المجال الحوسبيّ».

لم أكن أعلم أنّه في الجنة أيضاً يمكن للمرء أن يكون شغوفاً بالمعلوماتية.

– في الوقت الراهن، ليس لدينا تأثير كبير على أجهزة الحاسوب، ننجح فقط بخلق «أعطال مجهولة السبب». ومع ذلك فإنّ أجهزة الحاسوب في

طور التطور والتعقيد. تماماً مثلما حدث مع الطبيب فرانكشتاين ووحشه، فقد جعل الإنسان الحاسوب مخلوقه وامتداداً له. فهو يقدّم أفضل ما لديه إلى هذه الأجزاء الصغيرة من الكوارتز النادر والسيليكون والنحاس، بحيث سيكون الوعي وشيك الظهور في هذه الأجهزة. حتى موكلك جاك نيمرود تحدث عن ذلك، هل تتذكر «باي 3,14»، البابا الحاسوبي؟ كانت هذه هي فكرة قصته بالأساس.

دفعني هذا للتفكير. أعتقد أنّني فهمت.

– الإنسان الطبيعي، 4، يستطيع أن يصبح إنساناً حكيماً، 5، بفضل مساعدة الجماد. يمكننا القول إنّ 4+1= 5.

– عظيم، بعد الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، نتطور نحو «الإنسان المرتبط بالجماد»، وربّما يكون لدينا لاحقاً «الإنسان المرتبط بالنبات»، ومن ثمّ «الإنسان المرتبط بالحيوان»، وبعدها ما المانع من أن تكون هناك نماذج ثلاثية مثل «جمادي - نباتي - إنساني»، أو نماذج رباعية «جمادي - نباتي - حيواني - إنساني». كل هذا مجرد بداية. الجماد الواعي في الحواسيب سيكون وسيلة التدخل الجديدة لنا ولكن، قريباً، سرعان ما سيعبّر الوعي عن نفسه في هذه الأشكال الجديدة من الحياة ضمن هذا «المزيج من الجمادات». حسناً، يجب أن أتحدث عن هذا الموضوع في كتابي موسوعة *المعرفة النسبية والمطلقة*. أنت تعرف كتابي العظيم، أليس كذلك؟

أومأت. أنا سعيد لأنّه ليس متحاملاً عليّ لأنّني أزعجت كاتبه بابادوبولوس. على الأرجح أنّه قد وجد لنفسه بديلاً عنه.

– في المشاريع قيد الإنشاء، عقدنا العزم على استخدام حيوان آخر بالإضافة إلى القطط، كوسيط عند الإنسان. إنّنا محتارون بين الدلافين والعناكب. أنا شخصياً مع العناكب، فهي أكثر أصالة وفرادة، ولكن أعتقد أنّ الاختيار سيقع في الغالب على الدلافين. فالدلافين تملك صورة رائعة عند الغالبية العظمى من الناس كما أنّها تصدر أصواتاً في منتهى الفرادة.

حدّقت فيه بتركيز.

– هل تستطيع أن تقول لي الآن: ما هي كائنات 7؟ هل هي إله؟ وهل أنت نفسك تعتبر من كائنات 7؟

نظر إليّ إدموند ويلز بابتسامة ودية.

– أنا في مستوى عالٍ من مستويات الوعي 7، ولكن اخترت أن أكون كائناً مرشداً في البعد الأدنى. هل تتذكر أثناء محاكمتك كبشر فان، عُرض عليك الاختيار بين العودة إلى الأرض كي تكون «م.ع»، مستنيراً عظيماً تقدم المساعدة المباشرة للناس بعيشك معهم، أو أن تصبح ملاكاً يساعدهم من بعد أعلى. جرى الشيء ذاته معي. بما أنني كائن 7، عرض عليّ العودة إلى الملائكة كي أكون بينهم نوعاً من الملاك (المستنير العظيم)، أي واحداً من رؤساء الملائكة.

– هل رؤساء الملائكة هم ملائكة مستنيرون عظماء؟

– نعم، نحن سبعة متطوعين بقوا في الطابق الأسفل لمساعدة الملائكة الآخرين على الصعود. أنا، إدموند ويلز، واحد من رؤساء الملائكة كما رافائيل وجبرائيل وميكائيل. إذاً، كان أمامي الخيار بين أن أصبح واحداً من رؤساء الملائكة أو أن أمضي إلى الأعلى لأشرف عليكم من الأعلى. وقد اخترت الخيار الأول. وأنت، ماذا تختار؟

أجبته بكلّ إصرار:

– أرغب بمعرفة ما الذي يوجد في العالم العُلوي!

أثناء عبورنا الجنة ونحن ذاهبان باتجاه بوابة الزمرد، حيّاني في الطريق كلّ من راؤول رازورباك، وفريدي ماير ومارلين مونرو. كان راؤول رازورباك يخالجه شعور بالإعجاب والغيرة في الوقت ذاته.

– لقد كنتُ مخطئاً. يمكننا إذاً إنقاذ موكلينا باستخدام أسلوب الرفق واللين. لقد ربحت رهانك يا مايكل.

– ماذا بشأن موكلتك نتالي كيم، أين أصبحت؟ يجب أن تكون بمستوى جيد هي أيضاً.

أدار راحة كفّه واستدعى كرة شريكة موكلي السابق.

– لديها 590 نقطة. أعقد آمالاً عظيمة عليها. لا تزال حالياً في حداد على موكلك جاك. لقد كانت تحبه كثيراً، هل تعرف ذلك؟

- أتمنى لك النجاح كي نلتقي مجدداً لنقوم معاً بمغامرات جديدة.
- الآن، بعد أن عرفت أنّه يمكننا النجاح، لن أتوانى أبداً، قال راؤول.
وبروحه، همس لي وهو يشير إلى بوابة الزمرد: «إن استطعت، حاول أن تخبرني ما الذي يوجد هناك».
أخذني فريدي ماير في أحضانه. وعاد مجدداً ليهتمّ بموكليه.
- سوف نلحق بك قريباً يا مايكل. سنقوم برحلة جديدة نحو كوكب الأحمر.
لوحت لي مارلين مونرو بآخر إشارة ودية، فشعرت أنّه يجب ألّا يطول هذا الوداع كثيراً.
- بلغوا تحياتي لزوز عندما ترونه.
وإدموند ويلز بجانبي، دخلت بجرأة عتبة بوابة الزمرد.
والآن، ما الذي سأكتشفه؟

## 202. موسوعة

**الحقيقة: «هي ما يستمر في الوجود عندما نتوقف عن تصديقها»، هكذا يقول الروائي الأمريكي فيليب ك. ديك. هناك إذاً في مكان ما حقيقة موضوعية عميقة بعيدة عن معارف ومعتقدات الإنسان. هذه هي الحقيقة التي أريد فهمها وإدراكها.**

***إدموند ويلز،***

***موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.***

## 203. الكشف الأخير

وضع إدموند ويلز يده على كتفي.
- لماذا لا تقبل المفاجآت؟ لماذا تريد أن تعرف كلّ شيء مسبقاً؟ لا تستمتع إذاً بالطريق إن لم تعرف ما الذي ستجده خلف المنعطف؟ ألا يعنيك أن تُدهش بما تجهله؟ ليكن في معلومك... قريباً سوف تصبح شيئاً آخر... شيئاً أفضل. هذا كلّ ما عليك معرفته في الوقت الحالي.

حاولت التحايل عليه:

- حسناً، ولكن لديّ فقط سؤال أخير. لا تجبني عليه إن لم ترغب بذلك: هل تؤمن بالله؟

انفجر ضاحكاً.

- أؤمن به كما يؤمن الناس بالأرقام. هل الرقم 1 موجود؟ هل يمكنك أن تلتقي في يوم من الأيام بتجسيد للرقم 1، أو للرقم 2، أو للرقم 3؟

- كلا. إنّ هذه مفاهيم فقط.

- حسناً، حتى ولو لم يكن الرقم 1 والأرقام 2 و3، كما تقول، سوى «مفاهيمَ»، فهي تسمح بتقديم حلول لكثير من المشكلات. فما الذي يهمّ في هذه الحالة إن كنت تؤمن بها أم لا طالما أنّها تساعدك حقاً...

- هذه ليست بإجابة.

- ومع ذلك فهذه هي إجابتي.

وحينها، دفعني إلى الأمام.

- إلى أين تقودني؟

- بما أنّ الفضول هو السمة الأساسية لشخصيتك، سوف أعطيك طرف الخيط في الإجابة عن أعظم سؤال يقلقك.

قادني إلى غرفة دائرية في وسطها كرة ضخمة مضيئة تتراكم فيها كرات أصغر.

- هذه هي كرة قدر الملائكة، قال ذلك.

أدار راحة كفه، فخرجت فقاعة من الكرة لتهبط على يده.

- هذه هي... روحك، قال محدّداً. انظر ما أنت عليه حقاً، قال مدرّبي آمراً.

اقتربت. رأيت روحي لأول مرة، بوضوح، إنّها كرة شفافة بداخلها نواة متلألئة. علّمني مدربي كيف أقرأ روحي وأعرف تاريخها منذ قديم الزمان.

قبل أن أتجسد بشخصية مايكل بينسون، رائد الثاناتونوتس الرصين، كنت طبيباً في سان بطرسبرغ من العام 1850م حتى العام 1890م. كنت مهتماً

كثيراً بتحسين النظافة العامة أثناء العمليات الجراحية. كما كنت من أوائل الأطباء الذين اقترحوا غسل الأيدي بالصابون المُطهّر وارتداء الكمامات لحماية المرضى من الرذاذ التنفسيّ. في ذلك الحين، كان الأمر جديداً جداً. قمت بتدريس أساليب الالتزام بالنظافة العامة في الجامعات، ومن ثمّ مت بمرض السل.

قبل أن أكون طبيباً، كنت راقصة باليه في فيينا. راقصة في غاية الجمال والسحر والإغواء والشغف بالعلاقات بين الرجال والنساء. كنت أتلاعب بكلّ سرور بعشاقي. وجعلت الكثير من الرجال يسعون إليّ. عاملتني الفتيات الأخريات في فرقة الباليه كصديقة مقربة. كنت أريد فهم ركائز الحب وسبر أغوار اللاوعي. كنت أظنّ نفسي ملكة القلوب ومع ذلك، مت في النهاية منتحرة بعد أن أحببت رجلاً لم يكن مبالياً بي.

في القرن الثاني عشر، كنت ساموراي في اليابان. مارست فنون الدفاع عن النفس إلى أن أتقنت الحركات المثالية. لم أكن أفكر ولم أقم سوى بالطاعة العمياء لقائدي العسكري شوغون. ومت أثناء إحدى المبارزات في الحرب.

في القرن الثامن، كنت كاهناً متعطشاً لاستكشاف أسرار النباتات. علّمت العديد من التلاميذ كيفية علاج الأمراض بالأعشاب والأزهار. كنت شاهداً على هجوم قام به برابرة الشرق، وصدمت للغاية بمدى عنف الإنسان، ففضلت الانتحار على أن أتابع العيش معهم.

في مصر القديمة، كنت جارية من بين حريم فرعون. كنت أتجول بهدوء ودلال دون عمل في حدائق القصر ساعية بجهد لاستخلاص علوم الفلك من أفضل الغلمان لديّ. قبل وفاتي في سن الشيخوخة، قمت بنقل معرفتي لواحدة من صديقاتي المفضلات.

الكثير من الحيوات، والكثير من الرغبة في زيادة المعارف الإنسانية، والكثير من الإخفاقات.

قام إدموند ويلز بطمأنتي:

– لطالما بحثتَ عبر الزمان والمكان عن وسيلة لنشر المعرفة، وها قد استشفّيت ذلك بعد كل هذه الحيوات والتجارب والآلام والآمال.

كشف لي أنّ مجرة درب التبانة تضم اثني عشر كوكباً مسكوناً. ولكنّها لا تحتوي بالضرورة كائنات من لحم ودم، بل هي من نوع الهيومانويد.

- إنّ الأرض في النظام الشمسي هي مكان مرغوب فيه كثيراً من قبل الأرواح لأنّها تعرف فيه التجربة الأقوى، أي تلك التي تتعلق بالمادة.

- المادة؟

- بالطبع. حتى وإن رأيت كوكب الأحمر، ولكن يوجد هناك الكثير من الكواكب التي لا تتجسد فيها الأرواح. إنّ تجربة (المادة) ليست منتشرة على نطاق واسع! لهذا السبب كان يتوجب عليك أن تجتاز الكثير والكثير من السنوات الضوئية لإيجاد الحياة. فالأرواح،حتى تلك الأكثر تطوراً تتأثر بشكل كبير عندما تتذوق لأول مرة لذة أن تكون في جسد وتشعر بالعالم المحسوس. متعة الحواس الخمس هي واحدة من التجارب الأقوى في الكون. آه! الشعور بالقبلة! حتى أنا نفسي أشعر بالحنين لاستنشاق هواء البحر أو شمّ رائحة الزهور الرقيقة...

أبدى هيئة حزينة قليلاً ومن ثم تابع:

- ولكنّ مجموع الإنسانية الأرضية متأخر ويجب أن يرتقي. ولذلك تُرسل أرواح من أحد عشر كوكباً آخر حاصلة على مجموع يفوق 500 نقطة كي نرقّي سكان الأرضي الذين يترنحون على 333 نقطة. وهذه مثلاً هي حالة نتالي كيم، إنّها روح رفيعة المستوى قادمة من بعيد.

وضع إدموند ويلز روحي على طرف إصبعه وراح يلعب بها كما لو أنّه يلعب لعبة رمي الكرات. ومن ثمّ، فجأة، قام بحركة مرعبة. لقد غرز هذه الكرة الضوئية في صدري!

## 204. موسوعة

**قطة شرودنغر: هنالك بعض الأحداث تحدث فقط بسبب ملاحظتها، ولولا وجود أشخاص يشاهدونها، لم تكن لتوجد مطلقاً. هذا هو جوهر التجربة المسماة «قطة شرودنغر».**

**تمّ حبس قطة في صندوق مغلق ومعتم. قاموا بتوصيل جهاز ليفرغ صدمة**

كهربائية قوية بما يكفي لقتل هذه القطة. ومن ثمّ شغلوا الجهاز، وأطفؤوه. هل أرسل الجهاز شحنته المميتة؟ هل ما زالت القطة حية؟

بالنسبة لأيّ فيزيائي تقليدي، فإنّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هي فتح العلبة والنظر بداخلها. وبالنسبة لفيزيائي مختص بفيزياء الكم، فمن المقبول افتراض أنّ القطة ميتة بنسبة 50% وحية بنسبة 50%. طالما أنّ العلبة لم تُفتح فإنّها تضمّ إذاً نصف قطة حية.

ولكن بعيداً عن هذا الجدل في الفيزياء الكمية، هناك مخلوق يعرف إن كانت القطة قد ماتت أو إن كانت لا تزال حية دون الحاجة لفتح العلبة: إنّها القطة ذاتها.

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 205. نحو العالم العُلوي

إنّ روحي تتلألأ في داخلي مثل شمس صغيرة. هل من الممكن أن أكون قد عدت لنفسي؟ هل من الممكن أنه لم يعد هناك من يحركني كالدمية؟ شعرت بداية أنّ هذا الدخول في الإرادة الحرة المطلقة شيء مخيف. أفهم الآن أنّ هذه الحرية التي لطالما ادعيتُها، لم أتعلم أبداً تحمّل مسؤوليتها، وكان يناسبني جداً التفكير أنّه يوجد في مكان ما في الأعلى كائنات غامضة أكثر ذكاء مني تهتمّ بحمايتي وإرشادي. ولكن هذا العمل الرهيب الذي قام به إدموند ويلز يجبرني الآن على تحمّل مسؤوليتي وحدي. لو كنت أعرف أنّ هذه هي مكافأة كائنات «6»، لربما كنت سأخفف من حماسي قليلاً. كم هي مخيفة هذه الحرية! وكم من الصعب قبول أنّه يمكن أن تصبح أنت الشخص الوحيد المسؤول عن نفسه!

ولكن ليس لديّ الوقت للتفكير أكثر، فمدرّبي يقودني باتجاه آخر الرواق.

ينتهي هذا الرواق بشيء يشبه زجاجة كلاين[1]، دخلنا بحلقة تستدير كي تغوص في جانب من الزجاجة، حيث إنّنا عند خروجنا من العنق نجد أنفسنا قد عُدنا إلى داخل الزجاجة. وبهذا وجدت نفسي في وسط... بحيرة الإخصاب.

– أنا لا أفهم.

– تذكر اللغز الذي طرحته في كتاب *ثاناتونوتس*: كيف ترسم دائرة بخط واحد دون أن ترفع القلم عن الورقة؟ لغز طفوليّ بسيط وبديهيّ. وقد قدمت الحلّ وهو: طي زاوية الورقة، وهذا الطي يعمل كجسر بين نقطة المركز ومحيط الدائرة. وبعدها، يكفي أن تقوم برسم الدائرة. إنّك في الواقع، بلغزك البسيط هذا، قد حللت أكبر لغز على الإطلاق. كي تتطور، يجب أن تغيِّر منهجك.

كلّ شيء أصبح واضحاً. الرقم 6 هو منحنى حلزوني. رسم الرقم ستة يرمز للروح. إنها العالم الروحاني، فالروحانية تنطلق من المحيط باتجاه المركز بفضل المنحنى الحلزوني. لقد ذهبت إلى مركزي، والآن سوف أتجه نحو مركز بلاد الملائكة.

– اتبعني! همس لي إدموند ويلز.

وجدنا أنفسنا إذاً تحت مياه بحيرة الإخصاب. استطعت أن أميِّز أعلى السطح، ملائكة مرشدين يجلبون إلى هنا ملائكتهم التلاميذ الجدد كي يختاروا من هذه البحيرة أرواح موكليهم، حتى إنّني تعرّفت إلى جاك نيمرود. لقد اختار إذاً أن يصبح ملاكاً...

– هم لا يروننا؟ سألته.

– كلّا. كي يروا، يجب أن يكونوا قادرين على الإدراك. من هذا الذي سيفكر بالبحث عمّا يوجد في أعماق بحيرة الإخصاب؟

أعي الآن كم أهدرت من الوقت...

---

1- اكتشفها عالم الرياضيات فيليكس كلاين، ووصفها بأنها سطح يُمكن تصوّره عن طريق قَلبِ جزءٍ من أنبوبٍ مطّاطي والسماح له بالمرور عبر نفسه بحيث تلتقي النهايات مع بعضها، وبالتالي الحركة بداخلها أبدية لا نهاية لها. المترجمة.

– إذاً، كان بإمكاني القدوم مباشرة إلى هنا؟

– بالطبع. منذ اليوم الأول، كان باستطاعتك أنت وراؤول اكتشاف كلّ شيء باستطلاع «المنتصف والأسفل» عوضاً عن استطلاع «البعيد والعُلوي».

إنّنا نتقدم في ماء بالكاد أكثر لزوجة من الهواء. قادني إدموند ويلز باتجاه مركز البحيرة. يتلألأ في أقصى الأعماق نجم ورديّ صغير.

– من خلال التركيز، نستطيع لمس المركز. وبلمس المركز، نجتازه كي نصل إلى بُعد أعلى. في كلّ مرة نعبر محيطاً لنصل إلى مركز، نغيّر بذلك البعد، وبالتالي يتغير إدراكنا للزمان والمكان. أنت الذي استكشفت كلّ ما كان قابلاً للاستكشاف في هذا الكون، تعالَ معي، سأريك واحداً آخر.

– هل... هل سنذهب باتجاه عالم الآلهة؟

تظاهر أنّه لم يسمع سؤالي.

إنّنا نقترب من التوهج الوردي. يا لمفاجأتي الكبرى، أكتشف أنّ في الداخل يوجد...

*«يفسر العلم جيداً لماذا يرى الناس تهيؤات لحظة موتهم. لا شيء غامض حيال هذا الموضوع. إنّ هذا فقط بسبب إفراز هرمون الأندروفين لتخفيف آلام العذابات الأخيرة. ولهذا الإفراز تأثير على منطقة تحت المهاد فيحثّها على تقديم صور متتالية تساعد على النوم. هذا يشبه إلى حدٍّ ما الغاز المخدر الذي يستخدم قبل إجراء عمل جراحيّ».*

*• المصدر: شخص تم سؤاله مصادفة أثناء استطلاع آراء الشارع.*

## 206. منظور

يومض شهاب في السماء.

رأته المرأة العجوز من على شرفة منزلها وتمنّت أمنية.

جاءت إليها حفيدتها وهي تحمل قفصاً كبيراً.

– ماذا هناك يا ميلين؟

– أريد أن أريكِ اللعبة الجديدة التي حصلت عليها بمناسبة عيد الميلاد يا جدتي.

انحنت المرأة العجوز وتفحّصت ما بداخل القفص. فشاهدت ثلاثة فئران هامستر مذعورة تحاول جاهدة الاختباء، فتقوم بتمزيق الجريدة بأقدامها وقواطعها كي تصنع منها ما يشبه الكهف لتحمي أنفسها.

– يبدو أنّه تمّ إنقاذهم خصيصاً من أجلي، وإلّا لكان قد تمّ إرسالهم إلى المختبرات ليخضعوا لتجارب تشريح الحيوانات.

اقتربت عين ضخمة من السجناء.

– ماذا أسميتهم؟

– يوجد ذكران وأنثى. أسميتهم أميدي ودينيس ونويمي. أليسوا لطفاء؟

تراجعت العين العملاقة.

– هل تعرفين أنّ تربية فئران الهامستر هي مسؤولية. يجب أن تهتمي بها وتطعميها وتمنعيها من القتال فيما بينها، وتنظفيها من فضلاتها، وإلّا فسوف تموت.

– ماذا تأكل الفئران؟

– بذور عبّاد الشمس.

وضعت الطفلة الصغيرة القفص على الأرض، وعادت مع علبة بذور رمادية وقامت بسكبها داخل موزع الطعام في القفص، وملأت حوض الماء أيضاً. وبعد أن شعر أحد الفئران بالطمأنينة، انزلق على العجلة الكبيرة وجعلها تدور بسرعة متصاعدة.

– لماذا تتصرف أميدي بهذه الطريقة؟ قالت ميلين متفاجئة.

– إنّها لا تعرف فعل أيّ شيء آخر طوال النهار، قالت السيدة العجوز متنهدة.

أبدت الطفلة الصغيرة هيئة عابسة.

– قولي لي يا جدتي، هل تعتقدين أنّنا نستطيع إخراج الفئران من قفصها كي تتجول قليلاً في الشقة؟

داعبت السيدة العجوز شعر الطفلة الصغيرة.

– كلّا، سوف تضيع. لقد أمضت حياتها بكاملها داخل القفص، لذا لن تعرف أين ستذهب.

– إذاً، ماذا يمكننا أن نفعل كي نجعلها سعيدة أكثر؟

– إنّه سؤال جيد...

أشاحت نتالي كيم بنظرها عن حفيدتها كي تنظر إلى السماء. عندما تحدق بالسماء، تشعر دوماً بالسلام.

«ربما يكون جاك هناك في الأعلى»، قالت لنفسها.

تحرّكت بأقصى سرعتها نقطة بيضاء صغيرة كانت بالقرب من القمر. لم يكن هذا شهاباً، ولم تتمنّ أمنية. ولم تكن أيضاً قمراً صناعياً. كانت تعرف ما هي. إنّها طائرة نقل ضخمة، لا بدّ وأنّها طائرة بوينغ 747.

عانقت الطفلة جدتها.

– قولي لي يا جدتي، هل تعتقدين أنّ فئراني ستموت في يوم ما؟

– هسسسس... يجب ألّا تفكري في ذلك يا ميلين.

– ولكن رغم ذلك، يجب أن نفعل شيئاً ما في هذه اللحظة أليس كذلك؟ لن نقوم في كلّ الأحوال برميها... في القمامة! أنا أعتقد أنّ هناك جنة خاصة بفئران الهامستر...

رفعت نتالي كيم خصلة شعرها البيضاء الطويلة بعد أن سقطت على عينيها. ومن ثم، رفعت ذقن حفيدتها بكلّ حنان وأشارت لها إلى القبّة السماوية في اتساعها الهائل.

– هسسس، انظري إلى النجوم واستمتعي، وتذوقي متعة أنّك حيّة.

## 207. موسوعة

الإيمان: «سواء آمنت أم لم تؤمن، ليس لهذا أيّة أهمية. الأمر المهم، هو طرح المزيد والمزيد من الأسئلة على نفسك».

*إدموند ويلز،*

*موسوعة المعرفة النسبية والمطلقة، المجلد الرابع.*

## 208. منظور آخر

أوقفت الفئران الثلاثة نشاطها، وتغلبت على رعبها الطبيعي، وراحت تحدق عبر القضبان بالأشكال الضخمة المتحركة التي تتخبط في الأعلى وتصدر أصواتاً قوية.



# الشكر

للأستاذ جيرار أمزالاك، فرانسواز شافانيل-فيراند، ريتشارد دوكوسيت، باتريس لانوي، جيروم مارشاند، نتالي مونجينز، مونيك بارونت، ماكس بريوكس، فرانك سامسون، رين سيلبيرت، جان-ميشيل تروونغ، باتريس فان إرسيل، والدي فرانسوا فيربير الذي علمني لعبة الشطرنج، وأشكر ملاكي الحارس (إن كان موجوداً).

الموسيقا التي سمعتها أثناء كتابة هذا العمل: موسيقا *كتاب السفر* للفنان لويك إيتيين، وتجسيد للفنان مايك أولدفيلد، و*رياح بيضاء* للفنان أندرياس فولينوايدر. *تألقي أيتها الماسة المجنونة* للفنان بينك فلويد، و*ليلة على الجبل* الأجرد للفنان موسورسكي، و*حقيقة لحقيقة* للفنان ماريليون، و*لحظة حب* لفرقة آرت أوف نوازي. وموسيقا أفلام: *القلب الشجاع*، و*عالم الماء*، و*النورس جوناثان ليفنجستون*.

أحداث جرت أثناء كتابة الرواية وأثرت على كتابته: الغوص مع دلافين برية في جزر الآزور، وإخراجي لفيلم *ملكة اللؤلؤ* في باريس وايرمنونفيل (تجربتي الأولى في الإبداع الجماعي)، ومسير طويل في وادي ميرفاي في الريف، ومراقبة كسوف الشمس في مرصد علم الفلك في مدينة نيس، والدخول إلى الألفية الجديدة.

مواقع انترنيت: www.albin – michel.fr

www.bernardwerber.com

عندما يوضع اسم بيرنارد فيربير على غلاف أي رواية ، فإن هذا يعني شيئاً واحداً فقط «أن لديك تحفة حقيقية!»، أعماله نُشرت في ملايين النسخ في جميع قارات الأرض.

في روايته «إمبراطورية الملائكة» يتيح لنا برنارد فيربير اكتشاف الجنة كما لو كانت أرضاً غير محكومة، حيث تحاول الكائنات التي تتمنى الخير لنا وإنقاذنا بالرغم من أنفسنا. في الأصل مثل إمبراطورية النمل، ومقلقة مثل، بقدر شغف والد آبائنا ، تأخذنا في رحلة إلى عالم ما بعد وجودنا. يمارس فيربير مرة أخرى الموهبة التي صنعت سمعته في عالم الرواية، ولا يتردد في وضع حدسه المفاجئ في اختبار مغامرة رومانيسكية، كما يمكن للمرء مع النظريات الفلسفية أو العلمية. إن رواية إمبراطورية الملائكة تقدِّم أفضل وجهة نظر لمراقبة حركة الإنسانية؟ بعد الأرض والسماء والبحر والنجوم، أليست الجنة آخر تخوم لم يكتشفها أحد؟. بيع أكثر من عشرة ملايين نسخة من رواية «إمبراطورية الملائكة».

برنارد فيربير روائي وكاتب روايات خيال علمي صاحب ثلاثية «النمل» الشهيرة، ولد في 18 أيلول عام 1961 في مدينة تولوز الفرنسية، وبدأ فيربير الكتابة في عام 1990 . يمزج أسلوبه في الكتابة بين عدة أنواع أدبية مختلفة، كالأسلوب الملحمي، أسلوب الخيال العلمي والأسلوب الفلسفي. في معظم رواياته، قام برنارد باستخدام نموذج البناء القصصي نفسه، حيث يستعمل النص النثري بالتناوب مع الأسلوب العلمي. كما أن هناك العديد من أشكال الترابط في رواياته، فنجد شخصية إدمون ويلز في ثلاثيته الشهيرة النمل، موجودة أيضاً في بعض رواياته الأخرى.

